

الجزء الثالث

من تفسير الحافظ ابن كثير
وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل
ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البار ، فقيه متقن ، محدث
متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر
في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه
في البلاد في حياته ، وانفع بها بعد وفاته
طبع عن نسخة الطبعة الأميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي
المصححة على نسخة المؤلف وعلى نسخة خزنة الجامع الازهي

وبلغ في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو
محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (بحبي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصايح
والتفسير المسمى معالم التنزيل ... كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً
بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي المتممة لتخريج أحاديثه

السيد محمد بن شبيب بن ضنا

نشره محمد بن شبيب

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٥

طبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد الثالث من تفسير الحافظ ابن كثير﴾

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٧)

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ نَازِلٍ اللَّهُ كَانَ صَفْوًا قَدِيرًا (١٤٨)

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أُرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله (إلا من ظلم) وإن صبر فهو خير له وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا سفيان عن حبيب عن عطاء عن عائشة قال سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال النبي ﷺ «لا تسبني عنه» وقال الحسن البصري لا يدع عليه وليقل اللهم اغني عليه واستخرج حقي منه وفي روايه عنه قال قد أُرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية هو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد الثالث من تفسير ناصر السنة البغوي﴾

قوله ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني لا يحب الله الجهر بالله الجهر بالقبيح من القول إلا من ظلم من ظلم فيجوز للظالم أن يخبر عن ظلم الظالم وإن يدعو عليه قال الله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) قال الحسن دعاؤه عليه أن يقول اللهم اغني عليه اللهم استخرج حقي منه وقيل إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه أخبرنا أبو عبد الله الحرقلي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «المستببان ما قالا فعلى البادى منهما حتى يعتدي المظلوم» وقال مجاهد هذا في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقرروه ولم يحسنوا ضيافته فله أن

الرجل يشتمك فتشتمه ولكن ان افترى عليك فلا تفتر عليه لقوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) وقال أبو داود حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « المستبأن ماقالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد المظلوم » وقال عبد الرزاق أنبأنا المثنى بن الصباح عن مجاهد في قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال ضاف رجل رجلا فلم يؤد اليه حق ضيافته فلما خرج أخبر الناس فقال ضفت فلانا فلم يؤد الي حق ضيافتي قال فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم حتى يؤدي الآخر اليه حق ضيافته وقال ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال : قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج فيقول أساء ضيافتي ولم يحسن وفي رواية هو الضيف المحول رحله فانه يجهر لصاحبه بالسوء من القول وكذا روي عن غير واحد عن مجاهد نحو هذا وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد والترمذي من حديث ابن لهيعة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرؤنا فما ترى في ذلك؟ فقال « اذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم » وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا الجودي يحدث عن سعيد بن المهاجر عن المقدم بن أبي كريمة عن النبي ﷺ انه قال « أيما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وماله » تفرد به احمد من هذا الوجه

وقال احمد أيضا حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن منصور عن الشعبي عن المقدم بن أبي كريمة سمع رسول الله ﷺ يقول « ليلة الضيف واجبة على كل مسلم فان أصبح بفنائهم محروما كان ديننا عليه فان شاء اقتضاه وان شاء تركه » ثم رواه أيضا عن غندر عن شعبة . وعن زياد بن عبد الله البكائي عن وكيع وأبي نعيم عن سفيان الثوري ثلاثتهم عن منصور به ، وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة عن منصور به . ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب احمد وغيره الى وجوب الضيافة ومن

يشكو ويذكر ما صنع به أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة ابن عامر انه قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرؤنا فما ترى فقال النار - رسول الله ﷺ « ان نزلتم بقوم فأمرؤا والكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم » وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجبروا له بالسوء من القول وقيل معناه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهره من ظلم والقراءة الاولى هي المعروفة وكان الله سميعا ﴿ لدعاء المظلوم ﴾ ﴿ عليا ﴾ بمقاب الظالم

٤ علم الله وثوابه بجلي الخير وخفيه وعفوه عن العافين عن سوء تفسير ابن كثير والبغوي

هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جاراً يؤذيني فقال له: «أخرج مناءك فضعه على الطريق» فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق فكل من مر به قال: مالك؟ قال جاري يؤذيني فيقول اللهم العنه اللهم أخزه قال: فقال الرجل ارجع إلى منزلك والله لا أؤذيكَ أبداً، وقد زواه أبو داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع عن نافع عن سليمان ابن حيان أبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان به ثم قال البزار: لا نعلمه يرمى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله عن النبي ﷺ ويوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ وقوله: (إن تبدوا خيراً أو تحفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً) أي إن تظهروا أيها الناس خيراً أو اخفيتموه أو عفوتهم عن أساء اليكم فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال: (فإن الله كان عفواً قديراً) ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله فيقول بعضهم سبحانك على حملك بعد علمك ويقول بعضهم سبحانك على عفوك بعد قدرتك، وفي الحديث الصحيح «ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً يعفو إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه»

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٤٩) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥١)

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسوله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسوله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشبه والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن قوله تعالى ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا﴾ يعني حسنة فيعمل بها كتبت له عشراء، وإن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة وهو قوله ﴿أَوْ تَحْفَوْهُ﴾ وقيل المراد من الخير المال يريد أن تبدوا صدقة تعطونها سرا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ أي عن مظلمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ فهو أولي بالتجاوز عنكم يوم القيامة قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير وكفروا بيسى والإنجيل ومحمد والقرآن ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

دليل قادم الى ذلك فانه لا سبيل لهم الى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ . والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران ، والمجوس يقال انهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم . والمقصود ان من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فان الايمان واجب بكل نبي بعثه الله الى أهل الارض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين ان إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ولهذا قال تعالى ﴿ ان الذين يكفرون بالله ورسوله ينفوسهم بأنهم كفار بالله ورسوله ﴾ ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله (أى في الايمان) ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا (أى طريقا ومسلكا) ثم أخبر تعالى عنهم فقال : ﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ أى كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الايمان به لأنه ليس شرعيا إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لا منو بنظيره ومن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه لو نظروا حق النظر في نبوته وقوله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أى كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم اليه وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته كما كان يفعل كثير من أخصار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة وخالفوه وكذبوه وعادوه وقتلوه فسلط الله عليهم الذل الديني الموصول بالذل الاخروي (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله في الدنيا والآخرة) وقوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني بذلك أمة محمد ﷺ فأنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى (آمن الرسل بما أنزل من ربه والمؤمنون كل آمن بالله) الآية . ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل فقال (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) على ما آمنوا بالله ورسوله (وكان الله غفورا رحيم) أى لذنوبهم أى ان كان لبعضهم ذنوب

الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا (أى دينيين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه) ﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ حقق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . ﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله ﴿ كلهم ﴾ ولم يفرقوا بين أحد منهم (أى بين الرسل وهم المؤمنون يقولون لا نفرق بين أحد من رسله) ﴿ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ بإيمانهم بالله وكتبه ورسوله قرأ حفص عن عاصم يؤتيهم بالياء أى يؤتيهم الله والباقون بالنون ﴿ وكان الله غفورا رحيم ﴾

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتيناهم موسى سلطانا مبينا (١٥٢) ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا (١٥٣)

قال محمد بن كعب القرظي والسدي وقتادة: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جريج: سأله أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والالحاد كما سأل كفار قريش قباهم نظير ذلك كما هو مذكور في سورة سبحان (وقالوا إن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الآيات ولهذا قال تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) أي بطغيانهم وبغيهم، وعتوهم وعنادهم وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإذ قلتم يا موسى إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (وقوله تعالى) ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات (أي من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم فما جاوزوه إلا يسيرا حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لموسى (اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) الآيتين ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطا في سورة الاعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده فجعل يقتل بعضهم بعضا، ثم أحياهم الله عز وجل وقال الله تعالى

قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ الآية وذلك أن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازورا من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام فأنزل الله عليه: يسألك أهل الكتاب ﴿ان تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح لا سؤال اقتياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد قوله ﴿فقد سألوا موسى أكثر من ذلك﴾ أي أعظم من ذلك يعني السبعين الذين خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ أي أيانا قال أبو عبيدة معناه قالوا جهرة أرنا الله ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ ثم اتخذوا العجل ﴿يعني لها﴾ من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ﴿ولم نستأصلهم قيل هذا استدعاء إلى التوبة معناه ان أولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعوذ عنكم﴾ وآتيناهم موسى سلطانا

(ففعلنا عن ذلك وآتيناه موسى سلطاننا حينئذ) ثم قال (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) وذلك حين استمعوا من الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إيمانهم بما جاءهم به موسى عليه السلام ، رفع الله على رؤوسهم جبلا ، ثم ألهوا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون الى فوق رؤوسهم خشية أن يستقط عليهم كما قال تعالى (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة) الآية (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) أي خالفوا ما أمروا به من القول والفعل فانهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدا ، وهم يقولون حطة . أي اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكوننا عنه حتى تمنا في التيه أربعين سنة فدخلوا يزحفون على استناهم ، وهم يقولون حنطة في شهرة (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أي وصيناكم بحفظ السبت والالتزام ما رُم الله عليهم مادام مشروعا لهم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي شديدا ، خالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل ، كما هو مبسوط في سورة الاعراف عند قوله : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآيات وسياقي حديث صفوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وفيه : وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت

فما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (١٥٤) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتتنا عظيما (١٥٥) وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٦) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٧) وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٨)

وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنهم وطردهم وابعادهم عن الهدى وهو نقضهم الميثاق والعهود التي أخذت عليهم ، وكفرهم بآيات الله ، أي حججه وبراهينه ، والمعجزات التي

مبينها ﴿ اي حجة بينة من المعجزات وهي الآيات التسم ﴾ (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش وبجزمها الآخرن ومعناه لا تعدوا ولا تظاهروا باصطياد الحيتان فيه ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ قوله تعالى ﴿ فمما نقضهم ميثاقهم ﴾ أي فبنقضهم وماصلة كقوله تعالى فيما رحمة من الله ونحوها ﴿ وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ أي ختم عليها

شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام قوله : (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وذلك لكثرة اجرامهم واجترائهم على أنبياء الله فاتهم قتلوا جما غفيرا من الأنبياء عليهم السلام وقولهم (قلوبنا غلف) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة وغير واحد أي في غطاء وهذا كقول المشركين (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) الآية وقيل معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعالم أي أوعية للعالم قد حوت وحصلته ، رواه السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال الله تعالى : (بل طبع الله عليها بكفرهم) فعلى القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول لأنها في غلف وفي أكنة قال الله بل هي مطبوع عليها بكفرهم وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة (فلا يؤمنون إلا قليلا) أي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أنهم رموها بالزنا وكذلك قال السدي وجوير ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو ظاهر من الآية أنهم رموها وابنها بالعظام فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة (وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه وهذا منهم من باب التهمك والاستهزاء كقول المشركين (يا أيها الذي نزل عليه الذكركم انك لمجنون) وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه انه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يرى بها الأكف والأبرص ويحيي الموتى باذن الله ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه باذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخافوه وسعوا في أذهاب كل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهم إليه أن في بيت المقدس رجلاً يقتل الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذهاب الناس فلما وصل الكتاب أمثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرًا وكان ذلك

﴿ فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ يعني ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبداً وأراد بالقليل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴿ حين رموها بالزنا ﴾ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن

يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصره هنالك . فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه أيكم يلتقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع الى السماء وهو كذلك فأقال الله تعالى (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك اليّ) الآية فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا انه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقولهم ماعدا من كان في البيت مع المسيح فانهم شاهدوا رفعه. وأما الباقيون فانهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح بن مريم حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال انه خاطبها والله أعلم وهذا كله من امتحان الله عباده لماله في ذلك من الحكمة البالغة ، وقد أوضح الله الأمر وجلاله وبينه وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين المطلع على السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السموات والأرض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أى رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال (وإن الذين اختلفوا فيه اني شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) يعني بذلك من ادعى انه قتله من اليهود ومن سلمه اليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال : (وما قتلوه يقينا) أى وما قتلوه متيقنين انه هو بل شاكين متوهمين (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا) أى منيع الجنب لا يرام جناحه ولا يضام من لاذ ببابه (حكيا) أى في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : ان منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي قال : ثم قال أيكم يلتقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجي فقام شاب من أحدهم سنا فقال . له اجلس . ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : هو أنت ذاك فالتقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم

مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وذلك ان الله تعالى التقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه وقيل أنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقبيا فالتقى الله

اثني عشر مرة بعد أن آمن به واقتربوا ثلاث فرق فقالت فرقة كانت الله فينا ماشاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسألة فقتلوهما فلم يزل الاسلام تامسا حتى بعث الله محمدا ﷺ وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكره غير واحد من السلف انه قال لهم أيكم يلقى عليه شبيهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة

وقال : ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن هارون بن عثرة عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا أخرج إليهم وقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم فظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظنت النصراني مثل ذلك انه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك وهذا سياق غريب جدا

قال ابن جرير . وقد روي عن وهب نحو هذا القول وهو ما حدثني الثني حدثنا اسمعيل عن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول ان عيسى ابن مريم لما أعلمه الله انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاءهم وقام بخدمةهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يفصل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه فتعاطفوا ذلك وتساكروا فقال ألا من رد علي الليلة شيئا مما اصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فانكم ترون أي خيركم فلا يتعاطف بعضهم بعض ولا يبذل بعضهم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجاهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سيحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطبق الليلة سمرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتفرق الغنم ، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه . ثم قال الحق لي كفرن بي أحدكم قبل أن يصيح اليك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم بسيرة وليأكلن ثمنى . فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه وأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا : هذا من أصحابه فجحدوا وقل

تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه وقيل غير ذلك كما ذكرناه في سورة آل عمران قوله تبارك وتعالى ﴿ وأن الذين اختلفوا فيه ﴾ في قتله ﴿ لني شك منه ﴾ أي في قتله قال الكلبي

ما أنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذه آخرون فوجدوا كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه فلما أصبح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال : ما تيجلون لي ان دلتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالجل وجعلوا يقودونه ويقولون له أنت كنت تحيي الموتى وتنهر الشيطان وتبري^(١) المجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الجبل ؟ ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتي أتوا به الحشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ماشبه لهم فسكت سبعا ثم ان أمه والمرأة التي كان يداومها عيسى عليه السلام فأبرأها الله من الجنون جادتا تبكيان حيث المصابوب فجاءهما عيسى فقال : ماتبكيان ؟ فقالتا عليك فقال إني رفعتني الله اليه ولم يصبني إلا خير وان هذا شبه لهم فأمرني الحواريين يلتقوني الى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المكان أحد عشر وفقدوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقال : انه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال : لو تاب لتاب الله عليه . ثم سأله عن غلام تبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم فاطلقوا فانه سيصبح كل انسان يحدث بلغته قومه فلينذرهم وايدعهم . سياق غريب جداً .

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال : كان اسم ملك بني اسرائيل الذي بعث الى عيسى ليقتله رجلا منهم يقال له داود فلما أجمعوا لذلك منه لم يقطع عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لي فظعه ولم يجزع منه جزعه ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه حتى إنه ليقول فيما يزعمون اللهم ان كنت صارفا هذه الكأس عن أحد من خلقت فاصرفها عني وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتنصد دما فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه وهم ثلاثة بعيسى عليه السلام فلما أيقن انهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين وكانوا اثني عشر رجلا (١) فرطوس ويعقوبس ويلاونخس أخو يعقوب وأندريس وفيلبس وابن يلما وممتا وطوماس ويعقوب ابن حلقايا ونداوسيس وقتا بياونردس وكريابوطا قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق وكان فيهم فيما ذكر لي رجل اسمه سرجس ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا سوى عيسى عليه السلام جمده النصراني وذلك انه هو الذي شبه لليهود مكان عيسى قال فلا أدري هو من هؤلاء الاثني عشر أو كان ثالث عشر فوجدوه حين أقرروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بما جاء به محمد ﷺ من الخبر عنه فان كانوا اثلاثة عشر

اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصراني نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان الله تعالى اتقى شبه عيسى

(١) قوله اثني عشر رجلا قرطوس الخ هكذا في الأصول التي بأيدينا وفيها تحريف والذي نقلناه عن الكتب اليونانية المعول عليها نصه هكذا سمعان الملقب بطرس وأندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرثولماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تدارس وسمعان القانوي ويهوذا الأسخريوطي اه كتبه مصححه

فانهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم يعيسى أربعة عشر وإن كانوا اثني عشر فانهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر قال ابن اسحق وحدثني رجل كان نصرانيا فأسلم أن عيسى حين جاءه من الله إني رافعك إلي : قال يا معشر الحوارين أيكم يجب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يشبهه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني فقال : سر جس أنا ياروح الله قال : فاجلس في مجلسي فجلس فيه ورفع عيسى عليه السلام فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة قد رأوهم فأحصوا عدتهم فلما دخلوا عليهم ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يرون وفقدوا رجلا من العدة فهو الذي اختلفوا فيه وكانوا لا يعرفون عيسى حتى جعلوا ليودس ركريا يوطا ثلاثين درهما على أن يدهم عليه ويعرفهم إياه فقال لهم إذا دخلتم عليه فاني سأقبله وهو الذي أقبل فخذوه فلما دخلوا وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى فلم يشك أنه هو^(١) فأكب عليه فقبله فأخذوه فصلبوه . ثم إن ليودس ركريا يوطا ندم على ما صنع فاختنق بجبل حتى قتل نفسه وهو ملعون في النصارى ، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه وبعض النصارى يزعم أنه ليودس ركريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول إني لست بصاحبكم أنا الذي دلتكم عليه والله أعلم أي ذلك كان . وقال ابن جرير عن مجاهد فصلبوا رجلا شبه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء حيا واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه وقوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال ابن جرير اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملّة الاسلام الخيفية دين ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك وقال أبو مالك في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وقال الضحاك عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني اليهود خاصة وقال الحسن البصري يعني النجاشي وأصحابه رواهما ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا أبو رجاء عن الحسن (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن عثمان الاثني حدثنا جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل

(١) في الازهرية
فلم يشك أنه عيسى الخ
والصواب يشك

عليه السلام على وجه صطيا فوس ولم يلقه على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس جسده عيسى عليه السلام فاختلفوا قال السدي

(وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال: قبل موت عيسى إن الله رفع اليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر . وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال ابن جرير وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به بعيسى قبل موت الكتابي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى حدثني المشي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب . قال ابن عباس لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى حدثنا ابن حميد حدثنا أبو نميلة يحيى بن واضح حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح حدثني اسحق ابن ابراهيم وحبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال هي في قراءة أبي قبل موتهم ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى قيل لابن عباس رأيت إن خر من فوق بيت قال: يتكلم به في الهوي قيل رأيت إن ضربت عنق أحدهم قال: يلجأ بها لسانه وكذا روى سفيان الثوري عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن ضرب بالسيف تكلم به قال وإن هوي تكلم به وهو يهودي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجويبر وقال السدي وحكاه عن ابن عباس ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موتهم وقال عبد الرزاق عن اسرئيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه ويحتمل أن يكون مراده ما أراد هؤلاء قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي . ذكر من قال ذلك حدثني ابن المشي حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد عن حميد قال قال عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ قوله

اختلافهم من حيث أنهم قالوا ان كان هذا عيسى فإين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فإين عيسى قال الله تعالى ﴿ ما لهم به من علم ﴾ من حقيقته انه قتل أولم يقتل ﴿ الا اتباع الظن ﴾ لكنهم يتبعون الظن في قتله

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ثم قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام . ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآتي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا شبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم وهذا قال : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي بأعمالهم التي شاهدوها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض . فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما السلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتجلى له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) الآية وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال : ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بحيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً ألا ترى قول ابن عباس : ولو تردى من شاهق أو ضرب بالسيف أو اقترسه سبع فانه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم . ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر انضح له إنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وإنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تبانت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظام وأطراء النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أو انك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزه وتقدس لا إله إلا هو

قال الله جل جلاله ﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ أي ما قتلوا عيسى يقيناً ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وقيل قوله

﴿ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان﴾
 ﴿قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له﴾

قال البخاري رحمه الله في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول: نزول عيسى بن مريم عليه السلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة أقرؤا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به وأخرجه البخاري ومسلم أيضا من حديث سفیان بن عيينة عن الزهري به وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري به ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين » قال أبو هريرة أقرؤا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) موت عيسى بن مريم ثم يعبد بها أبو هريرة ثلاث مرات

﴿طريق أخرى﴾ عن أبي هريرة قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ليلن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشينها جميعا » وكذا رواه مسلم منفردا به من حديث سفیان بن عيينة والليث بن سعيد ويونس بن يزيد ثلاثتهم عن الزهري به وقال أحمد حدثنا يزيد حدثنا سفیان بن حسين عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها » قال وتلا أبو هريرة (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى محمد بن المثنى عن يزيد بن هرون عن سفیان بن حسين عن الزهري به ﴿طريق أخرى﴾ قال البخاري حدثنا أبو بكر حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف بكم إذا

يقينا يرجع إلى ما بعده وقوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رفعه الله إليه يقينا والهاء في ما قتلوه كناية عن عيسى عليه السلام وقال القراء رحمه الله معناه وما قتلوا الذي ظنوا أنه عيسى يقينا وروى

نزل فيكم المسيح ابن مريم وامامكم منكم» تابعه عقيل والاوزاعي وهكذا رواه الامام احمد عن عبد
الرزاق عن معمر عن عثمان بن عمر عن ابن ابي ذئب كلاهما عن الزهري به واخرجه مسلم من رواية
يونس والاوزاعي وابن ابي ذئب به

(طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام انبأنا قتادة عن عبد الرحمن عن ابي هريرة
أن النبي ﷺ قال «الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم
لانه لم يكن نبي بيني وبينه وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحرة والبياض عليه
ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل: فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو
الناس الى الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال
ثم تقع الامانة على الارض حتى ترتفع الاسود مع الابل والتمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب
الصبيان بالحيات لاتضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» وكذا رواه ابو داود
عن هدية بن خالد عن همام بن يحيى ورواه ابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواء عن بشر بن
معاذ عن يزيد بن هارون عن سعيد بن ابي عروبة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم وهو مولى
أم برثن صاحب السقاية عن ابي هريرة عن النبي ﷺ فذكر نحوه وقال يقاتل الناس على الاسلام
وقد روى البخاري عن ابي اليمان عن شعيب عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله ﷺ يقول «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم والانبياء اولاد علات ليس بيني وبينه نبي» ثم
روى عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن ابي
عمرة عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة
الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» وقال ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن
صفوان بن سليم عن عطاء بن بشار عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا يعلى بن منصور حدثنا
سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى
تنزل الروم بالاعماق أو يداق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الارض يومئذ فاذا
تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا قاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم
وبين اخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله
ويفتح الثلث لايفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فينماهم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون
اذا صاح فيهم الشيطان ان للمسيح قد خالفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاءوا الشام

ابن عباس رضي الله عنهما معناه وما قتلوا ظنهم يقينا (وكان الله عزيزا) منيعا بالنقمة من اليهود (حكما)
حكم بالامنة والغضب عليهم فسلط عليهم ينطون بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة

خرج فينماهم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ اقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمنهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو ترك الذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيؤمنهم دمه في حربه» (حديث آخر) قال احمد حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن غفارة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال «لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال أما وجبتما فلا يعلم بها أحدا الا الله وفيما عهد الي ربي عز وجل ان الدجال خارج ومعى قضيبان فاذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رأيته حتى ان الحجر والشجر يقول يا مسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فادعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد الي ربي عز وجل ان ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتيم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارا» رواه ابن ماجه عن محمد بن إشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم الجمعة لنعرض عليه مصحفا لساعلى مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ثم أتينا بطيب فتطينا ثم جئنا المسجد فجلسنا الى رجل فحدثنا عن الدجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا اليه فجلسنا فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ففرع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فاول مصر يردده المصير الذي بملتقى البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقول نقيم نشأته ننظر ماهو وفرقة تلحق بالاعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومع الدجال سبعون الفا عليهم التيجان وأكثر من معه اليهود والنساء وينحاز المسلمون الى عقبة أفيق فيبعثون سرحاهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى ان أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فينماهم كذلك اذ نادى مناد من الشجر يا أيها الناس أتاكم الغوث «ثلاثا» فيقول بعضهم لبعض ان هذا لصوت رجل شعبان وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم ياروج الله تقدم صل فيقول هذه الامة امراء بعضهم على

قوله تعالى ﴿وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَاسِينَ﴾ به قبل موته ﴿أَي﴾ وما من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام. هذا قول اكثر المفسرين وأهل العلم وقوله (قبل موته) اختلفوا في هذه الكناية فقال عكرمة

١٨ أغرب أحاديث الدجال عن أبي أمامة عند ابن ماجه تفسير ابن كثير والبغوي

بعض فيقدم أميرهم فيصلي حتى اذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثنديه فيقتله ويحزم أصحابه فليس يومئذ شيء يورى منهم أحدا حتى ان الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر» تفرد به احمد من هذا الوجه

(حديث آخر) (١) قال ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في مسنده حدثنا علي بن محمد حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن اسمعيل بن رافع عن أبي رافع عن أبي زرعة الشيباني يحيى بن أبي عمرو عن أبي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثنا عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال «لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبيا الا حذر أمته الدجال وانا آخر الانبياء وأنتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين يديكم فانا جميع كل مسلم وان يخرج من بعدي فكل حبيج نفسه وان الله خليفتي على كل مسلم وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيبعث يمينا وبعث شمالا ، ألا يا عباد الله : أيها الناس فاثبتوا واني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي : انه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبي بعدي ، ثم يثني فيقول انا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وانه أعور وان ربكم عز وجل ليس بأعور ، وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، وان من فتنته ان معه جنة ونارا فاناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، وان من فتنته ان يقول لاعرابي أرأيت ان بعثت لك أمك وأباك أتشهد اني ربك فيقول نعم ، فيمثل له شيطان في صورة أبيه وأنه فيقولان يا بني اتبعه فانه ربك ، وان من فتنته ان يسلط على نفس واحدة فينشرها بالشار حتى تلقى شقنتين ثم يقول انظر الى عبدي هذا فاني أبعثه الآن ثم يزعم ان له ربا غيري ، فيبعثه الله فيقول له الحبيث من ربك فيقول ربي الله ، وأنت عدو الله الدجال . والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم . قال ابو حسن الطنافسي فحدثنا المحاربي حدثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «ذلك الرجل أرفع امتي درجة في الجنة» قال قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله

ومجاهد والضحاك والسدي انها كناية عن الكتابي ومعناه وما من أهل الكتاب أحد الا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في

«١» هكذا رأيت هذا الاسناد في نسخة لسنن ابن ماجه والذي ذكره شيخنا وابن عساكر في الاطراف أنه رواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن عبد الرحمن المحاربي عن أبي رافع اسماعيل بن رافع عن أبي عمرو الشيباني زرعة عن أبي امامة كذا قال ، وكذا رواه اسماعيل بن عثمان عن المحاربي قال ابن عساكر وهو وهم فاحش . وقد رواه أبو داود في الملاحم في سننه عن عيسى بن محمد عن ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي أبي عبد الجبار الشامي عن أبي امامة به نحوه اهتم هامش المسند (المكية)

قال البخاري : ثم رجعنا الى حديث أبي رافم قال وان من فتنته ان يأمر السماء ان تمطر فتُمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة الا هلكت، وان من فتنته ان يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتُمطر ويأمر الارض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأردد ضررعاء، وانه لا يبقى شيء من الارض إلا وطئه وظهر عليه الامكة والمدينة فانه لا يأتيهما من ثقب من ثقبهما إلا لقيته اثلا ثكة بالسيوف صلوة حتى ينزل عند الظريب الاحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه فينفى الخبث منها كما ينفي الكبر خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي العكر يارسول الله فابن العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل وجلهم يومئذ بيت المقدس وامامهم رجل صالح فيما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح فرجع ذلك الامام يمشي القهقري ليقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فاهما لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فاذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي الا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الفرقة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم: هذا يهودي فتعال اقبله قال رسول الله ﷺ « وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشجرة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الا خر حتى يمسي » فقيل له كيف نصلي يا نبي الله في تلك الايام القصار؟ قال «تقدرون الصلاة كما تقدرون في هذه الايام الطوال ثم صلوا» قال رسول الله ﷺ «فيكون عيسى بن مريم في أمي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب وينزع الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحمية فلا تضره وتفر الوليدة الاسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الفم كأنه كلبها وتملأ الارض من السلم كما يملأ الاناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قریش ملكها وتكون الارض لها نور الفضة وتنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدرهمات » قيل يارسول الله وما برخص الفرس؟ قال «لا تركب لحرب أبدا» قيل له فما يغلي الثور؟ قال «يحرق الارض كلها وان قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد ويأمر الله السماء في السنة الاولى ان تحبس ثلث مطرها ويأمر ببر او سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة وهذه رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال فقيل لابن عباس رضي الله عنهما أرايت أن من خر من فوق بيت ؟ قال يتكلم به في

الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله عز وجل السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله « قيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال « التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام » قال ابن ماجه سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث آخر، من ذلك ما رواه مسلم وحديث نافع وسالم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله » وله من طريق سبيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يحتجب اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله - إلا الغرق قد فانه من شجر اليهود » ولندكر حديث النواس بن سمعان ههنا أشبهه بهذا الحديث

قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي (ح) وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فقال « ما شأنكم؟ » قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعته حتى ظنناه في طائفة النخل قال « غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج واست فيكم فأمرؤ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاش يمينا وعاش شمالا يا عباد الله فائتوا » قلنا يا رسول الله فما لبث في الأرض؟ قال « أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يا رسول الله وذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال « لا أقدروا له قدره » قلنا يا رسول الله وما أسرع في الأرض؟ قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس الهوا قال فقيل أرايت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال يتلجلج به لسانه . وذهب قوم الى ان الهاء في موته كناية عن عيسى عليه السلام معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى

بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فيقتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتثلًا شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهردتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تتحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجرد ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطأ به حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى عليه السلام قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحملهم يدرجهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بمقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل طبع ينسلون فيمر أوائهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماءً ويمحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدكم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم الغف في رقابهم فيصبحون فرساً (١) كوت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (٢) ثم يقال للأرض أخرجي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الابل لتكفي الفئام (٣) من الناس فينما هم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحر فعليهم تقوم الساعة» ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وسند كره أيضاً من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الأنبياء (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) الآية

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه أيضاً حدثنا عبد الله بن معاذ الغنيري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول سمعت عبد الله ابن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً إنما قلت عليه السلام وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وتهلك

(١) فرس كهلبي وزنا ومعنى ومنه الافتراس وهو جمع فريس كقتلى جمع قتل (٢) الزلفة بالتحريك المرأة (٣) الرسل بالتحريك القطيع جمعه ارسال واللقحة بالكسر والفتح لغة وهي ذات اللبن والفئام الجماعة

إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً: يحرّق البيت ويكُون ويكُون ثم قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه» قال سمعناها من رسول الله ﷺ قال «فيبقى شرار الناس في خمة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم شيطان فيقول ألا تستجبون فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الآوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أضغى أبناً ورفع ليتاء، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو قال الظل - نهان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقفوهم إنهم مسئولون) ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجعل ولدان شيئا وذلك يوم يكشف عن ساق» ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعاً عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن نعمان بن سالم به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الانصاري عن عبد الله بن زيد الانصاري عن مجمع بن حارثة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد أو إلى جانب لد» ورواه أحمد أيضاً عن سفيان بن عيينة من حديث الليث والاوزاعي ثلاثتهم عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عمه مجمع بن حارثة عن رسول الله ﷺ قال «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» وكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الليث به وقال هذا حديث صحيح قال وفي الباب عن عمران بن حصين ونافع ابن عيينة وأبي هريرة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي امامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمر بن عوف وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم. ومزاده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جداً وهي أكثر من أن تحصى لا تتشابهها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا سفيان عن فرائد عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال «لا تقوم الساعة حتى تروا في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» وقال أبو هريرة أقرؤا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) قبل موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات. وروي عن عكرمة ان الهاء في قوله ليؤمنن به كناية

عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والداية، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم والدجال، وثلاثة خسوف: خسوف بالمشرق، وخسوف بالمغرب، وخسوف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبين معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزاز به ورواه مسلم أيضا من رواية عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي شريحة عن حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفاً والله أعلم بهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي امامة والنوايس بن سمعان وعبد الله ابن عمرو بن العاص ومجمع بن حارثة وأبي شريحة وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من انه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وان ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح وقد بنيت في هذه الاعصار في سنة احدى وأربعين وسبعائة منارة للجادم الاموي بيباض من حجارة منحوتة عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب الى ضيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم وقويت الظنون انها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام كما تقدم في الصحيحين وهذا اخبار من النبي ﷺ بذلك وتقرير وتشريع وتسوية له على ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاح عليهم وترفع شهيدهم من أنفسهم ولهذا كلهم يدخلون في دين الاسلام متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ولهذا قال تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) الآية وهذه الآية كقوله (وانه لعلم للساعة) وقري، (لعلم) بالتحريك أي أمانة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لانه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح ان الله لم يخلق داء الا انزل له شفاء» ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه وقد قال تعالى (حتى اذا فتمت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) الآية

*(صفة عيسى عليه السلام) *

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة « فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مروع الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل » وفي حديث النوايس بن سمعان « فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن يجرد ربح نفسه الا مات ونفسه ينتشي حيث انتهى طرفه » وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

عن محمد ﷺ يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ وقيل هي راجعة الى الله عز وجل يقول وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه قوله تعالى ﴿ ويوم القيامة يكون ﴾ يعنى عيسى عليه السلام ﴿ عليهم شهيدا ﴾ انه قد بلغهم رسالة

قال قال رسول الله ﷺ «إليته أسرى بي لقيت موسى» قال فنعته فإذا رجل قال أحسبه مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة» قال «ولقيت عيسى» فنعته النبي ﷺ فقال «ربعة أحر كأنما خرج من ديماس» يعني الحمام «ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به» الحديث. وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «رأيت موسى وعيسى وإبراهيم فأما عيسى فأحر جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط» وله ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال «ان الله ليس بأعور الا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» ولمسلم عنه مرفوعا «وأراني الله عند الكعبة في المنام وإذا رجل آدم كالحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لفته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا هو المسيح بن مريم ثم رأيت وراءه رجلا جعد ققط أعور العين اليمنى كأنه من رجال قطن وأضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا المسيح الدجال» تابعه عبيد الله عن نافع ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى أحر ولكن قال «بينما أنا نائم أطرف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهادى بين رجلين ينظف رأسه ماء أو يهرق رأسه ماء فقلت من هذا؟ فقالوا ابن مريم فذهبت ألثفت فإذا رجل أحر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا؟ قالوا الدجال» وأقرب الناس به شبها ابن قطن «قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية هذه كلها ألفاظ البخاري رحمه الله وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وفي حديث عبد الله بن عمر عند مسلم أنه يمكث سبع سنين فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح وقد ورد ذلك في حديث في صفه أهل الجنة أنه على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة فشاذ غريب بعيد وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى بن مريم من تاريخه عن بعض السلف أنه يدفن مع النبي ﷺ في حجرته فأنه أعلم

وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال قتادة يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر بعبودية الله عز وجل وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس) إلى قوله (العزيز الحكيم)

ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه (وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم) وكل نبي شاهد على أمته . قال الله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟)

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً (١٥٩) وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً (١٦٠) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة وأتوا الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً (١٦١)

يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحبا لهم كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال قرأ ابن عباس «طيبات كانت أحلت لهم» وهذا التحريم قد يكون قدراً بمعنى أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتبهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالاً لهم فحرموها على أنفسهم تشديداً منهم على أنفسهم وتضييقاً وتنظماً، ويحتمل أن يكون شرعياً بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك كما قال تعالى (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وإن المراد أن الجميع من الأطعمة كانت حلالاً لهم من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الأبل وألبانها ثم أنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال في سورة الأنعام (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم بغيرهم وإنا لصادقون) أي إننا حرمنا عليهم ذلك لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيرهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه ولهذا قال (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم

قوله عز وجل ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ وهو ما تقدم ذكره من تقضيم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم أنا قتلنا المسيح ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ وهي ما ذكرت في سورة الأنعام فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) ونظم الآية ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ وهو ما ذكرنا ﴿وبصدهم﴾ وبصرفهم أنفسهم وغيرهم ﴿عن سبيل الله كثيراً﴾ أي عن دين الله صداً كثيراً ﴿وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه﴾ في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم عاقبتهم بأن «حرمنا عليهم طيبات» وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالاً لهم قال الله تعالى «ذلك جزيناهم بغيرهم وإنا لصادقون» ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ لكن الراسخون في العلم منهم يعني ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولو البصائر وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله

(وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) أي صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه سحجة لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقاً من الأنبياء وكذبوا عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) أي أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الخيل وصنوف من الشبه وأكلوا أموال الناس بالباطل قال تعالى (وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) ثم قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) أي الثابتون في الدين هم قدم راسخة في العلم النافع . وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران ، والمؤمنون عطف على الراسخين وخبره (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) قال ابن عباس انزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية^(١) وأسد بن سعية وأسد بن عبيد الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمداً ﷺ وقوله (والمقيمون الصلاة) هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة وكذا هو في مصحف أبي بن كعب وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة قال والصحيح قراءة الجميع ثم رد على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو منصوب على المدح^(٢) كما جاء في قوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) قال وهذا سائغ في كلام العرب كما قال الشاعر

لا يبعدن قومي الدين هو * أسد العداة وآفة الجزر
النازلين بكل مسترك * والطيبون معاهد الأزر

وقال آخرون هو مخفوض عطفاً على قوله (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) يعني بالمقيمون الصلاة وكأنه يقول وبإقامة الصلاة أي يعترفون بوجودها وكتابتها عليهم أو أن المراد بالمقيمون الصلاة الملائكة وهذا اختيار ابن جرير يعني يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة وفي هذا نظر والله أعلم . وقوله (والمؤتون الزكاة) يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال ويحتمل زكاة النفوس الإيجاز

«١» في نسخنا المطبوعة أغلاط في هذه الاسماء اعتمدنا في تصحيحها على الإصابة وغيرها وسعيه بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتانية «٢» الإفصح أن يسمى هذا المدح على الاختصاص والمعنى وأخص المقيمون الصلاة بالذكر أو بالمدح فاهم أولى وأحق الخ . وهذا ضرب من بلاغة الإيجاز

ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) يعني المهاجرين والأنصار (يؤمنون بما أنزل إليك) يعني القرآن (وما أنزل من قبلك) يعني سائر الكتب المنزلة (والمقيمون الصلاة) يختلفوا في وجه انتصابه فحكى عن عائشة رضي الله عنها وأبان بن عثمان أنه غلط من الكاتب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة^(١) وكذلك قوله في سورة المائدة (أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون) وقوله (أن هذان لساحران) قالوا كذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان أن في المصحف خطأ سقيمة العرب بألسنتها فقل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً ، وعامة الصحابة وأهل العلم على التصحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح وقيل نصب باضمار فعل تقديره أعني المقيمون الصلاة وهم المؤتون الزكاة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمون الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمون الصلاة ثم قوله (والمؤتون الزكاة) رجوع

«١» هذه حكاية شاذة لا تصح وهي خطأ قطعاً إذ لو كانت غلطاً في الكتابة لما أجمعوا على قراءتها كما كتبت وأكثرهم كانوا يأخذون القرآن تلقيناً شفويًا لا من الكتابة . وكتبه محمد رشيد رضا

ويحتمل الأمرين والله أعلم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) أى يصدقون بأنه لا إله إلا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها. وقوله (أولئك) هو الخبر عما تقدم (سنؤتيهم أجراً عظيماً) يعني الجنة

انا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتيناه داود زبوراً (١٦٢) ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً (١٦٣) رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيم (١٦٤)

قال محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال سكن وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى فأُنزل الله في ذلك من قولهما ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ إلى آخر الآيات وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو مهشر عن محمد بن كعب القرظي قال أنزل الله (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) إلى قوله (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) قال فلما تلاها عليهم يعني على اليهود وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ولا موسى ولا عيسى ولا على نبي من شيء قال فحل حبهوته وقال ولا على أحد فأُنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر فإن هذه الآية التي في سورة الانعام مكية وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية وهي رد عليهم لما سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء قال الله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) ثم ذكر فضائلهم ومعائبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب

إلى الذسق الاول ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً ﴾ قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون

قوله تعالى ﴿ انا أوحينا إليك ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فنزل (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وأنزل ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم

والاقتراء ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين فقال (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله (وآتيناه داود زبوراً) والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الأنبياء إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقوله (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك) أي من قبل هذه الآية يعني في السور المكية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على اسمائهم في القرآن وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذوالكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله (ورسلاً لم نقصصهم عليك) أي خلقاً آخرين لم يذكر في القرآن وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال حدثنا إبراهيم ابن محمد حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالوا حدثنا إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير» قلت يا رسول الله من كان أولهم قال «آدم» قلت يا رسول الله «نبي مرسل» قال «نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً» ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانين آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر ، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك» وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الأنواع والتفاسيم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات وأتهم به إبراهيم بن هشام هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا

وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الأرض جميعاً بدعائه ، وكان أطول الأنبياء عمراً وجعلت معجزته في نفسه لأنه عمر ألف سنة ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره

قوله تعالى ﴿ وإوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ﴾ وهم أولاد يعقوب

أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي إمامة قال قلت يا نبي الله كم الأنبياء؟ قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً» معان بن رفاعه السلمي ضعيف وعلي بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس» وهذا أيضاً إسناده ضعيف فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه والله أعلم . وقال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا معبد بن خالد الانصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «كان فيمن خلا من أخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا» وقد روينا عن أنس من وجه آخر فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أخبرنا أبو الفضل بن عساكر أنبأنا الامام أبو بكر بن القاسم بن أبي سعيد الصفار أخبرتنا عمة أبي عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار أخبرنا الشريف أبو السنايك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي حدثنا الامام الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني قال أخبرنا الامام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل» وهذا غريب من هذا الوجه واسناده لا بأس به رجاله كلهم معروفون إلا أحمد ابن طارق هذا فاني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم

وحديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام قال محمد بن الحسين الآجري حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الغرياني إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست اليه فقلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة قال «الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل» قال قلت يا رسول الله فأبي الاعمال أفضل؟

(١) كذا في
الاصل : والواو فيه
للحال والظاهر انه
زائد

﴿وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ قرأ الاعمش وحمة زبوراً والزبور^(١) بضم الزاي حيث كان بمعنى جمع زبور أي آتينا داود كتاباً وصحفاً مزبورة أي مكتوبة وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام وكان فيه التمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقيم بين يديه تعجباً لما يسمعون منه والطير ترفرف على رؤوسهم

قال « إيمان بالله وجهاد في سبيله » قلت يارسول الله فأبي المؤمنين أفضل؟ قال « أحسنهم خلقا » قلت يارسول الله فأبي المسلمين أسلم؟ قال « من سلم الناس من لسانه ويده » فقلت يارسول الله فأبي الهجرة أفضل؟ قال « من هجر السيئات » قلت يارسول الله أي الصلاة أفضل؟ قال « طول القنوت » قلت يارسول الله فأبي الصيام أفضل؟ قال « فرض مجزي » وعند الله أضعاف كثيرة » قلت يارسول الله فأبي الجهاد أفضل؟ قال « من عقر جواده وأهريق دمه » قلت يارسول الله فأبي الرقاب أفضل؟ قال « أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها » قلت يارسول الله فأبي الصدقة أفضل؟ قال « جهيد من مقل وسر إلى فقير » قلت يارسول الله فأبي آية ما أنزل عليك أعظم؟ قال « آية الكرسي » ثم قال يا أبا ذر « وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة » قال قلت يارسول الله كم الأنبياء؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قال قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال « ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب » قلت فمن كان أولهم؟ قال « آدم » قلت أنبي مرسل؟ قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلا » ثم قال « يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبينا يا أبا ذر، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول الرسل آدم وآخرهم محمد » قال قلت يارسول الله كم كتاب أنزله الله؟ قال « مائة كتاب وأربعة كتب » أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان » قال قلت يارسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال « كانت كلها بأيدي الملك المسلط المبلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر وكان فيها متأل وعلى العاقل أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاغتا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو صرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسان، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. قال قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال فلما قارف الذنب لم ير ذلك ونفروا من حوله فقل له ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنبأنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو بكر الجوزقي أنا أبو العباس الرعوف^(١) أنا يحيى بن زكريا أنا الحسن بن حماد بن سعيد الأموي عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ « لو رأيته البارحة وأنا أستتم لقراءتك لقد أعطيت مزارا من مزامير آل داود » فقال أما والله يارسول الله لو علمت ذلك تستمع لخبرة تخبيرا وكان عمر رضى الله عنه إذا رآه يقول ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده

« كانت عبراً كاهاء عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل » قال : قلت يارسول الله فويل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى وما أنزل الله عليك ؟ قال : نعم اقرأ يا أبا ذر (قد أفاح من تركي* وذكر اسم ربه فصلى* بل تؤثرون الحياة الدنيا* والآخرة خير وأبقى* إن هذا لفي الصحف الأولى* صحف إبراهيم وموسى) قال : قلت يارسول الله فأرصني قال « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك » قال : قلت يارسول الله زدني قال « عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكر لك في السماء ونورك في الأرض » قال : قلت يارسول الله زدني قال « إياك وكثرة الضحك فإنه يمت القلب ويذهب بنور الوجه » قلت يارسول الله زدني قال « عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمي » قلت زدني قال « عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك » قلت زدني قال « انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر لك أن لا تزدرى نعمة الله عليك » قلت زدني قال « أحبب المساكين وجالسهم فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك » قلت زدني قال « صل قرابتك وإن قطعوك » قلت زدني قال « قل الحق وإن كان مرا » قلت زدني قال « لا تخف في الله لومة لائم » قلت زدني قال « يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تحب وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تحب » ثم ضرب بيده صدره فقال يا أبا ذر « لا عقل كالتدبير ولا ورع كالسكف ولا حسب كحسن الخلق » وروى الامام أحمد عن أبي المغيرة عن معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي إمامة أن أبا ذر سأل النبي ﷺ فذكر أمر الصلاة والصيام والصدقة وفضل آية الكرسي ولا حول ولا قوة إلا بالله وأفضل الشهداء وأفضل الرقاب ونبوة آدم وأنه مكلم وعدد الانبياء والمرسلين كنحو ما تقدم . وقال عبدالله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حديثي عبدالمعالي بن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقول الخوارج بالدجال قال : قلت لا ، فقال قال رسول الله ﷺ « إني خاتم الأنبياء أو أكثر وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني قد بين لي فيه ما لم يبين وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري ، معه

قوله تعالى ﴿ ورسلنا قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ أي وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل رسلاً نصب بنزع حرف الصفة وقيل معناه وقصصنا عليك رسلاً وفي قراءة أبي ورسلاً وقد قصصناهم عليك من قبل ﴿ ورسلنا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾ قال الفراء العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ولكن لا تحققة بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام كالارادة يقال أراد فلان ارادة يريد حقيقة الارادة ويقال أراد الجذرا ولا يقال أراد الجدار ارادة لأنه مجاز غير حقيقة

من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن » وقد روينا في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال » وذ كر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف وقد تكون مقمحة والله أعلم . وسياق رواية الامام أحمد أثبت وأولى بالصحة ورجال اسناد هذا الحديث لا بأس بهم وقد روي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « إني لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أندر قومه الدجال وإني قدين لي مالم يبين لأحد منهم وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور »

قوله (وكلم الله موسى تكليماً) وهذا تشریف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له التكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي حدثنا مسيح بن حاتم حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش فقال سمعت رجلاً يقرأ (وكلم الله موسى ^(١) تكليماً) فقال أبو بكر ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الاعمش وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ (وكلم الله موسى تكليماً) وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحداً من خلقه كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ (وكلم الله موسى تكليماً) فقال له يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) يعني إن هذا لا يحتمل التجريف ولا التأويل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن الحسين بن بهرام حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا هاني بن يحيى عن الحسن بن أبي جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لما كلم الله موسى كان يبصر ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء » وهذا حديث غريب واسناده لا يصح وإذا صح موقوفاً كان جيداً وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ

(١) قرأ هذا الرجل لفظ الجلالة بالنصب وموسى بالرفع يعني وكلم موسى الله

قوله تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولاً وما أنزلت إلينا كتاباً وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسل قال الله تعالى (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولاً) ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل أنا أبو عوانة أنا عبد الملك عن وراد كاتب المغيرة قال قال سعد بن عباد رضى الله عنه لو رأيت رجلاً مع امرأتي

« كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي » وقال ابن مردويه باسناده عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال « ان الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل » وهذا أيضا أسناد ضعيف فان جوير أضعف والضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما . فأما الاثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنه قال لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يارب هذا كلامك الذي كلمتني به قال « لا يا موسى انما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسنه كلها وأنا أقوى من ذلك » فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا يا موسى صف لنا كلام الرحمن قال لا أستطيعه قالوا فاشبه لنا قال ألم تسمعوا الى صوت الصواعق فانه قريب منه وليس به . وهذا إسناد ضعيف فان الفضل الرقاشي هذا ضعيف بمرة . وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث عن جزء بن جابر الخثعمي عن كعب قال ان الله لما كلم موسى كلمه بالالسنه كلها سوى (١) كلامه فقال له موسى يارب هذا كلامك قل لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له قال يارب فقل من خلقت شيء يشبه كلامك قال لا وأشد خلقي شهما بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق . فهذا موقف على كعب الاحبار وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني اسرائيل وفيها الغث والسمين (٢) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين) أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيم) أي انه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والندارة ، وبين ما يحببه ويرضاه ، مما يكرهه ويأباه ، لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولا فينا لندينهم فننبهم آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وكذا قوله (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الآية . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغبر من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين » وفي لفظ آخر « من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه »

لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لا أنا أغبر منه والله أغبر مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة

(م ٥ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

(١) في رواية

ابن جرير: بالالسنه

كلها قبل كلامه . م

قال يعني كلام موسى اه

(٢) بل يحكي

عنها ما ليس فيها أيضا

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بعباده والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً (١٦٦)
 ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً (١٦٧) إن الذين كفروا
 وظلموا لم يكن الله ليخفر لهم ولا ليهديهم طريقاً (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً
 وكان ذلك على الله يسيراً (١٦٩) يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا
 خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً (١٧٠)

لما تضمن قوله تعالى (إنا أوحينا إليك) إلى آخر السياق أثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر
 نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) أي وإن كفر به من
 كفر به ممن كذبك وخالفك فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن
 العظيم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ولهذا قال (أنزله بعلمه)
 أي فيه علمه الذي أراد أن يطعم العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما
 يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي
 لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به، كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا
 بما شاء) وقال (ولا يحيطون به علماً) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن بن سهيل
 الجعفرى وعبد الله بن المبارك قالوا حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عطاء بن السائب قال أقرأني أبو
 عبد الرحمن السلمي القرآن وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم
 أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ قوله (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) قوله (والملائكة
 يشهدون) أي تصدق ماجاءك وأوحى إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى لك بذلك (وكفى بالله
 شهيداً) قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخل
 على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود فقال لهم «إني لأعلم والله أنكم تعلمون أني رسول الله» فقالوا

قوله تعالى ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رؤساء مكة أتوا رسول الله
 ﷺ فقالوا يا محمد إناسألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك ودخل عليه
 جماعة من اليهود فقال لهم «إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله» فقالوا ما نعلم ذلك والله فأنزل الله
 عز وجل ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ أن جحدوك وكذبوك ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
 بالله شهيداً﴾ * ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿بكتان نعت محمد ﷺ﴾ قد ضلوا ضلالاً بعيداً *
 ان الذين كفروا وظلموا ﴿قيل إنما قال وظلموا مع أن ظلمهم بكفرهم تأكيداً وقيل معناه كفروا بالله وظلموا

ما نعلم ذلك . فأنزل الله عز وجل (لکن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بصلوة) الآية وقوله (أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أي كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسموا في صد الناس عن اتباعه والافتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدها منه بعد أعظما شاسعا ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب محارمه وانتهاك مآثمه بأنه لا يغفر لهم (ولا يهديهم طريقا) أي سبيلا إلى الخير (إلا طريق جهنم) وهذا استثناء منقطع (خالدين فيها أبدا) الآية ثم قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم) أي قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض) أي فهو غني عنكم وعن إيمانكم ، ولا يتضرر بكفركم كما قال تعالى (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد) وقال ههنا (وكان الله عليما) أي بمن يستحق منكم الهداية فيهديه ، وبمن يستحق النواية فيغويه (حكما) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقمها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيل (١٧١)

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والاطراء وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي اعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه . بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا ، أو صحيحا أو كذبا ، ولهذا قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن أبي مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا تطروني

محمد ﷺ بكتمان نعمته » لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقا » يعني دين الاسلام » إلا طريق جهنم » يعني اليهودية » خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا » وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون » يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم » تقديره فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم » وأن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكما * يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم » نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة اليعقوبية والمساكنية والنسطورية

كما أشرت النصارى عيسى ابن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ثم رواه هو وعلي بن المدني عن سفیان بن عیینة عن الزهري كذلك ، ولفظه « أنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال علي بن المدني هذا حديث صحيح مسند ، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفیان بن عیینة عن الزهري به ولفظه « فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ « أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل » تفرد به من هذا الوجه

وقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا الحق) أي لا تفتروا عليه وتجهلوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته فلا إله الا هو ولا رب سواه ولهذا قال (أنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أي إنما هو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه قال له كن فكان ، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه باذن ربه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة القاح الأب الأم والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى أنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشيء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل . قال الله تعالى (ما المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام) وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها) إلى آخر السورة ، وقال تعالى إخباراً عن المسيح (إن هو إلا عبد انعمنا عليه) الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) هو كقوله (كن فيكون)

والمرقسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله ، وكذلك الملائكية وقالت النسطورية عيسى هو ابن الله وقالت المرقسية ثالث ثلاثة فأنزل الله تعالى هذه الآية ويقال الملائكية يقولون عيسى هو الله واليعقوبية يقولون ابن الله والنسطورية يقولون ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يقال له بولص سيأتي في سورة التوبة ان شاء الله تعالى . وقال الحسن يجوز ان تكون نزلت في اليهود والنصارى فأنهم جميعاً غلوا في أمر عيسى فاليهود بالتصوير والنصارى في مجاوزة الحد وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم) لا تشددوا في دينكم ففتتروا على الله الكذب (ولا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذان بن يحيى يقول في قول الله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله (ألقاها الى مريم) أي أعلمها بها كما زعمه في قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أي يعطيك بكلمة منه ويحمل ذلك كقوله تعالى (وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل الى مريم فنفخ فيها باذن الله فكان عيسى عليه السلام

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي حدثني عمير بن هاني، حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عباد بن الصامت عن النبي ﷺ قال « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر عن عمير بن هاني، عن جنادة زاد « من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ، ومن وجه آخر عن الاوزاعي به فقوله في الآية والحديث « وروح منه » كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) أي من خلقه ومن عنده وليست (من) للتبعيض كما تقولون النصراني عليهم لعائن الله المتتابعة بل هي لا ابتداء الغاية كما في الآية الاخرى ، وقد قال مجاهد في قوله (وروح منه) أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه، والظاهر الاول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي للطائفين) وكما روي في الحديث الصحيح « فأدخل على ربي في داره » أضافها إليه إضافة تشريف وعذا كله من قبيل واحد ونمط واحد وقوله (قآمنوا بالله ورسوله) أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله وهذا قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وكما قال في آخر السورة المذكورة

تقولوا على الله الا الحق لا تقولوا إن له شريكاً وولداً ﴿ انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ وهي قوله كن فكان بشراً من غير أب وقيل غيره ﴿ ألقاها الى مريم ﴾ أي أعلمها وأخبرها بها كما يقال : ألقى اليك كلمة حسنة ﴿ وروح منه ﴾ قيل هو روح كسائر الارواح الا ان الله تعالى أضافه الى نفسه تشريفاً. وقيل الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في درع مريم فحملته باذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لانه ربح يخرج من الروح وأضافه الى نفسه لانه كان بأمره وقيل روح منه أي ورحمة منه فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل الروح الوحي اوحى

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني) الآية وقال في أولها (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقد إلهاء ومنهم من يعتقد شريكاً ، ومنهم من يعتقد ولدأ وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة ، وأقوال غير مؤلفة : ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من النصارى لا تفرقوا عن أحد عشر قولاً .

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق تترك الاسكندرية (١) في حدود سنة أربع مائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا لجمع الكبير الذي عقدوا فيه الامانة الكثيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وانهم اختلفوا عليه اخلافاً لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفاً (٢) فكانوا أحزاباً كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأتقص . فلما رأى منهم عصاة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرأ وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً داهية ومحق ماعداه من الأقوال ، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الامانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدها ويعمدونهم عليها واتباع هؤلاء هم الملكية . ثم انهم اجتمعوا مجمعاً ثانياً فحدث فيهم اليعقوبية ثم مجمعاً ثالثاً فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحداً أو ما اتحداً أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر بالفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى (انهموا خيراً لكم) أي يكن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً (له مافي السموات ومافي الأرض

(١) كذا في النسختين المكية والازهرية . وفي المطبوعة نزيرل الاسكندرية وهي تحريف
(٢) كذا في جميع النسخ

الى مريم بالبشارة والى جبريل عليه السلام بالنفخ والى عيسى عليه السلام أن كن فكان كما قال الله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) يعني بالوحي وقيل أراد بالروح جبريل عليه السلام معناه كلمته ألقاها الى مريم والقاها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام كما قال (تنزل الملائكة والروح) يعني جبريل فيها وقال (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبريل أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أنا صدقة بن الفضل أنا الوليد عن الاوزاعي حدثني عمرو بن هانيء حدثني جنادة بن أمية عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة ﴿ أي ولا تقولوا هم ثلاثة وكانت النصارى تقول أب وابن وروح قدس ﴿ انهموا خيراً لكم ﴾ تقديره انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم ﴿ إنما الله اله واحد سبحانه أن

وكفى بالله وكيلاً) أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد) الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً لداً - إلى قوله - فردا)

(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن

عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى بهم

أجورهم ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فإعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون

لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً (١٧٣)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قوله (لن يستنكف) لن يستكبر. وقال قتادة: لن يحتشم (المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) وقد استدلل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال (ولا الملائكة المقربون) وليس له في ذلك دلالة لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح لأن الاستنكاف هو الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من المسيح فلهذا قال (ولا الملائكة المقربون) ولا يلزم من كرمهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل، وقيل إنما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله كما اتخذ المسيح فأخبر تعالى أنهم عبيد من عباده وخلق من خلقه كما قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات. ولهذا قال (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) أي فيجمعهم إليه يوم القيامة ويفصل بينهم بحكمة العدل الذي لا يجوز فيه ولا يحيف. ولهذا قال

يكون له ولد) واعلم أن التبنى لا يجوز لله تعالى لأن التبنى إنما يجوز لمن يتصور له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً

قوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) وذلك أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فنقول انه عبد الله ورسوله فقال النبي ﷺ «انه ليس بهار لعيسى عليه السلام ان يكون عبد الله» فنزل «لن يستنكف المسيح» ان يأنف وان يتعظم والاستنكاف التكبر مع الانفة ولا الملائكة المقربون وهم حملة العرش لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة ولا يرتقي إلا إلى الأعلى لا يقال لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده إنما يقال فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه ولا حجة لهم لأنه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل رداً على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على النصاري قولهم المسيح ابن الله وقاله رداً على النصاري بزعمهم فانهم يقولون بتفضيل الملائكة

٤ برهان الله ورسوله الناطق بحجته ونوره المنزل وهو القرآن تفسير ابن كثير والبغوي

(فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله) أي فيعطيههم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه ، وقد روى ابن مردويه عن طريق بريدة عن اسماعيل بن عبد الله الكندي عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ (فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله) أجورهم قال أدخلهم الجنة (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن منعت إليهم المعروف في دينهم » وهذا إسناد لا يثبت . وإذا روي عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) أي امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) كقولهم (أن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا متمتعين مستكبرين .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) (١٧٤) فأما الذين آمنوا

بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما (١٧٥) يقول تعالى مخاطبا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للبعدر والحجة المزيلة للشبه ولهذا قال (وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) أي ضياء واضحا على الحق ، قال ابن جريج وغيره هو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم ، وقال ابن جريج : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جرير (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) أي يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم من فضله عليهم وإحسان إليهم (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) أي طريقا واضحا قصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعلاقات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات . وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « القرآن صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين » وقد تقدم الحديث بنماه في أول التفسير والله الحمد والمنة

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسْتَكْبِرْ فَيَسْجُدْ لَهُمْ جَمِيعًا ﴾ قيل الاستكبار هو التكبر مع الانفة والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من تضعيف مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴿ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ يعني محمدا ﷺ هذا قول أكثر المفسرين وقيل هو القرآن والبرهان الحجة ﴿ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ يعني القرآن ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ﴾ امتنعوا به من زيغ الشيطان ﴿ فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ يعني الجنة ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾

يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، فإن كانتا اثنتين فلهما النصف مما ترك، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين، يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم (١٧٦)

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء قال آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزات يستفتونك

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر ابن عبد الله قال دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل قال فتوضأ ثم صب علي أو قال صبوا عليه فعقلت فقلت انه لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث؟ فأنزل الله آية الفرائض أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر به وفي بعض الألفاظ فنزلت آية الميراث (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة) الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان وقال ابو الزبير قال يعني جابرا نزات في (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة) وكأن معنى الكلام والله أعلم يستفتونك عن الكلالة (قل الله يفتيك) فيها فدل المذكور على المتروك . وقد تقدم الكلام على الكلالة واشتقاقها وانها مأخوذة من الاكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا فسرهما أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا والد (١) ومن الناض من يقول الكلالة من لا ولد له كما دلت عليه هذه الآية (إن امرؤ هلك ليس له ولد) وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : ثلاث وددت ان رسول الله ﷺ كان عهد اليها فيهن عهدا تنتهي اليه - الجد والكلالة وباب من أبواب الربا (٢)

وقال الامام أحمد : حدثنا اسمعيل عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة قال قال عمر بن الخطاب ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبغي في صدري وقال « يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » هكذا رواه مختصراً وأخرجه مسلم مطولاً أكثر من هذا

(طريق أخرى) قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن معول يقول سمعت الفضل ابن عمرو عن ابراهيم عن عمر قال سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال « يكفيك آية الصيف » فقال

قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة) نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عاذني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل وتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة فنزلت « يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة » وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم (م ٦ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

(١) كذا في
النسخة الكية المقابلة
على نسخة المؤلف
وفي المطبوعة
والازهرية : ولا ولد
ولد — وهما غلط قطعاً
« ٢ » يعني ما
نزل آخر سورة البقرة
من آيات الربا وقد
نزلت بعد آية آل عمران
(لاتأكلوا الربا أضعافاً
مضاعفة) فهل الربا
فيها واحد على القاعدة
أم هو في الاخيرة
أعم ؟ استشكل عمر
« رض » والجمهور
على الثاني . واستشكله
في ارث الجد والكلالة
أشهر وأظهر

لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب الي من أن يكون لي حمر النعم وهذا اسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً بين ابراهيم وبين عمر فانه لم يدركه . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال جاء رجل الى النبي ﷺ فسأله عن الكلالة فقال « يكفيك آية الصيف » وهذا اسناد جيد رواه أبو داود وترمذي من حديث أبي بكر بن عياش به ، وكان المراد بآية الصيف انها نزلت في فصل الصيف والله أعلم ولما أرشدنا النبي ﷺ الى تفهمها فان فيها كفاية نسي أن يسأل النبي ﷺ عن معناها ولهذا قال فلأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب الي من أن يكون لي حمر النعم . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير حدثنا الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب قال سأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ عن الكلالة فقال « أليس قد بين الله ذلك » فنزلت (يستفتونك) الآية قال قتادة وذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته لا ان الآية التي نزلت في أول سورة النساء في شأن انفرائض أنزلها الله في الولد والوالد والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والاخوة من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الاخوة والاخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها في أولي الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت الرحمة من العصبية رواه ابن جرير

(ذكر الكلام على معناها)

وبالله المستعان وعليه التكلان : قوله تعالى (ان امرؤ هلك) أي مات قال الله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) كل شيء يفتى ولا يبقى الا الله عز وجل كما قال (كل من عليها فان) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (ليس له ولد) تمسك به من ذهب الى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد وهو رواية عن عمر بن الخطاب رواها ابن جرير عنه باسناد صحيح اليه ولكن الذي يرجع اليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه الذي لا ولد له ولا والد ، ويدل على ذلك قوله (وله أخت فلم نصف ما ترك) ولو كان معها أب لم ترث شيئاً لانه يحجبها بالاجماع فدل على أنه من لا ولد له بنص القرآن ولا والد بالنص عند التأمل أيضاً لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكلية . وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع

الآية في أول السورة ، وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام والاب . قوله يستفتونك أي يستخبرونك ويسألونك قل الله يفتيكم في الكلالة (ان امرؤ هلك) أي مات وله أخت فلم نصف ما ترك وهو يرثها) يعني اذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للاخ (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ابن فلا شيء للاخ وان كان ولدها شيء مالاخ ما فضل عن فرض البنات (فان كانتا اثنتين فلمها الثلثان مما ترك) اراد اثنتين فصاعداً وهو ان من مات وله اخوات فلمن الثلثان (وان كانوا اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) يبين الله لكم ان تصلوا (قال الفقهاء رحمة الله عليه وأبو عبيدة

حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن مكحول وعطية وحزمة وراشد عن زيد بن ثابت أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم فاعطى الزوج النصف والأخت النصف، فكلم في ذلك فقال حضرت رسول الله ﷺ قضي بذلك. تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في الميت ترك بنتاً واختاً إنه لا شيء للأخت لقوله (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) قال فإذا ترك بنتاً فقد ترك ولداً فلا شيء للأخت، وخالفهما الجمهور فقالوا في هذه المسئلة للبنت النصف بالفرض وللأخت النصف الآخر بالتعصيب بدليل غير هذه الآية وهذه الآية نصت أن يفرض لها في هذه الصورة وأما وراثتها بالتعصيب فلما رواه البخاري من طريق سليمان عن إبراهيم عن الأسود قال قضي فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ النصف للبنت والنصف للأخت ثم قال سليمان قضي فينا ولم يذكر على عهد رسول الله ﷺ وفي صحيح البخاري أيضاً عن هزيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للبنة النصف وللأخت النصف وأت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال (لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين) أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ النصف للبنت ولبنت الابن السدس تكملة اثنتين وما بقي فالأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني مادام هذا الخبر فيكم وقوله (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) أي والآخر يرث جميع مالها إذا ماتت كلاله وليس لها ولد أي ولا والد لأنها لو كان لها والد لم يرث الآخر شيئاً فإن فرض أن معه من له فرض صرف إليه فرضه كزوج أو أخ من أم وصرف الباقي إلى الآخر لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «ألقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلا ولي رجل ذكر» وقوله (فإن كانا اثنتين فلها الثلثان مما ترك) أي فإن كان لمن يموت كلاله اختان فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الاختين في حكمهما ومن ههنا أخذ الجماعة حكم البننتين كما استنفيد حكم الاخوات من البنات في قوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) وقوله (وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) هذا حكم العصبات من البنين بني البنين والاختوة إذا اجتمع ذكورهم وأنثاهم اعطي الذكر مثل حظ الأنثيين وقوله (يبين الله لكم) أي يفرض لكم فرائضه ويحد لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه وقوله (ان تضلوا) أي لثلاثا تضلوا عن الحق بعد البيان (والله بكل شيء عليم) أي هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى

معناه ان لا تضلوا وقيل معناه يبين الله لكم كراهة ان تضلوا ﷻ والله بكل شيء عليم أخبرنا عبد الواحد بن احمد الملقب بـ انا احمد بن عبد الله النعماني انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن رجاء انا اسرئيل عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنهم قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء (يستفتونك قل الله يفتيكم في السكالات) وروى عن ابن عباس

وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أنبأنا ابن عوز عن محمد بن سيرين قال كانوا في مسير ورأس راحلة حذيفة عند ردف راحلة رسول الله ﷺ ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة قال ونزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) فلماها رسول الله ﷺ حذيفة فلماها حذيفة عمر فلما كان بعد ذلك سأل عمر عن حذيفة فقال: والله انك لاحق ان كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتكما كما لقانيها رسول الله ﷺ والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً . قال فكان عمر يقول اللهم ان كنت بينكما له فأنها لم تبين لي كذا رواه ابن جرير ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن ميمر عن أبوب عن ابن سيرين كذلك بنحوه وهو منتظم بين ابن سيرين وحذيفة وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا يوسف بن حماد المعنى ومحمد بن مرزوق قال حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه قال نزلت آية الكلاله على النبي ﷺ وهو في مسير له فوقف النبي ﷺ وإذا هو بحذيفة وإذا رأس ناقه حذيفة عند ردف راحلة النبي ﷺ فلماها إياه فنظر حذيفة فإذا عمر رضي الله عنه فلماها إياه فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلاله فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتكما كما لقاني رسول الله ﷺ والله اني اصادق والله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً . ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه الا حذيفة ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة الا هذا الطريق . ولا رواه عن هشام الا عبد الأعلى وكذا رواه ابن مردويه من حديث عبد الأعلى وقال عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلاله ؟ قال فأنزل الله (يستفتونك) الآية قال فكان عمر لم يفهم فقال لحفصة اذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فسله عنها فرأت منه طيب نفس فسأته عنها فقال « أبوك ذكر لك هذا ما أرى أباك يعلمها » قال فكان عمر يقول ما أراي أعلمها . وقد قال رسول الله ﷺ ما قال . رواه ابن مردويه ثم رواه عن طريق ابن عيينة وعن عمر عن طاوس أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي ﷺ عن الكلاله فأملاها عليها في كتف فقال « من أمرك بهذا أعر ؟ ما أراه يقيمها وما تكفيه آية الصيف » وآية الصيف التي في النساء (وان كان رجل يورث كلاله أو امرأة) فلما سألوا رسول الله ﷺ نزلت الآية التي هي خاتمة النساء فألقى عمر الكتف كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان عن الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب

رضي الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت (اذا جاء نصر الله والفتح) وروي عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) وروي بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي ﷺ عاماً ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كلمة فعاش النبي ﷺ بعدها ستة أشهر ثم نزلت في طريق حجة الوداع (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) فسميت آية

قال أخذ عمر كنفنا وجمع أصحاب رسول الله ﷺ ثم قال لا قضين في الكلاله قضاء تشهدت به النساء في خدورهن فخرجت حينئذ حية من البيت فتفرقوا فقال لو أراد الله عز وجل ان يتم هذا الامر لأتمه. وهذا اسناد صحيح وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري حدثنا علي بن محمد بن عتبة الشيباني بالكوفة حدثنا الهيثم بن خالد حدثنا أبو نعيم حدثنا بن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت محمد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب قال لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحب الي من حجر النعم : من الخليفة بعده ؟ وعن قوم قالوا نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك أحل قتالهم ؟ وعن الكلاله . ثم قال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ثم روى هذا الاسناد عن سفيان بن عيينة عن عمر بن مرة عن عمر قال : ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بيدهن لنا أحب الي من الدنيا وما فيها الخلافة والكاللة والربا . ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وبهذا الاسناد الى سفيان بن عيينة قال سمعت سليمان الاحول يحدث عن طاوس قال سمعت ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر فسمعت يقول القول ما قلت ، قلت وما قلت ؟ قال قلت الكلاله من لا ولد له . ثم قال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمعة بن صالح عن عمرو بن دينار وسليمان الاحول عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر بن الخطاب قال اختلفت أنا وأبو بكر في الكلاله والقول ما قلت ، قال وذكر أن عمر شرك بين الاخوة للام والاب وبين الاخوة للام في الثلاث اذا اجتمعوا وخالفه أبو بكر رضى الله عنهما . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا محمد بن حميد العمري عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب ان عمر كتب في الجد والكاللة كتابا فكث يستخير الله يقول اللهم ان علمت فيه خيرا فاقضه حتى اذا طعن دعا بكتاب فمحي ولم يدر أحد ما كتب فيه فقال إني كنت كذبت كتابا في الجد والكاللة وكنت استخير الله فيه فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه . قال ابن جرير وقد روي عن عمر رضى الله عنه انه قال اني لاستحيي أن أخالف فيه أبابكر وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول هو ما عدا الولد والوالد . وهذا الذي قاله الصديق عليه جههور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الأئمة الاربعة والفقهاء السبعة وقول علماء الامصار قاطبة وهو الذي يدل عليه القرآن كما أرشاه الله انه قد بين ذلك ووضحه في قوله (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) والله أعلم

الصيف^(١) ثم نزلت وهو وافف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فعاش بعدها أحد وثمانين يوما ثم نزلت آيات الربا ثم نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) فعاش بعدها أحد وعشرين يوما

(١) قوله في طريق حجة الوداع غلط فقد كانت حجة الوداع في الشتاء قطعا - وكتبه محمد رشيد رضا

تفسير سورة المائدة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) في الازهرية

صالح بن سهل

قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت أتيت أبا خذة بزماء العصابة ناقة رسول الله ﷺ إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل (١) عن عاصم الاحول قال حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وقال احمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها تفرد به أحمد . وقد روى الترمذي عن قتيبة عن عبد الله بن وهب عن حبي عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد روى عن ابن عباس أنه قال آخر سورة أنزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) وقد روى الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحاكم أيضا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن نصر قال قري على عبد الله بن وهب أخبرك معارية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم فقالت أما أنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الامام احمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح وزاد وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت القرآن . ورواه النسائي من حديث ابن مهدي

﴿سورة المائدة﴾

مدنية كلها إلا قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية فانها نزلت بمرقات (٢) وهي مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روي عن أبي ميسرة قال : أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها قوله (أحلت لكم بهيمة الانعام) وقوله (والمنخقة والمنوقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام) وما علمتم من الجوارح مكابدين تعلمونهن * (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين

(١) الاستثناء لا

يأتي على القول المعتمد
من أن المدني ما نزل
بعد الهجرة ولو في مكة
وضواحيها كمرقات

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ . أُحْذَرُ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْإِنْعَامِ إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ أَنْ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَيْئًا مِنَ اللَّهِ وَلَا الشَّيْءِ
الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيِ وَلَا الْقَسْدِ وَلَا آمِنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَفَعُونَ فُضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا . وَإِذَا
حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومَ أَنْ سَدُّوكم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا . وَتَعَاوَنُوا

عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زهير بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مسعر حدثني
معن وعوف أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال اعهد اليّ فقال إذا سمعت الله يقول
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فارعها سمعتك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . وقال حدثنا علي بن الحسين
حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم دحيم حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي عن الزهري قال إذا قال الله (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا) افعلوا فإلنبي ﷺ منهم وحدثنا أحمد بن سنان حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعمش عن
خيشمة قال كل شيء في القرآن (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهو في التوراة يا أيها المساكين . فلما مارواه عن زيد
ابن اسماعيل الصائغ البغدادي حدثنا معاوية يعني ابن هشام عن عيسى بن راشد عن علي بن بذيمة
عن عكرمة عن ابن عباس قال ماني القرآن آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) الا ان عليا سيدها وشريفها
وأمرها وما من أصحاب النبي ﷺ أحد الا قد عوتب في القرآن الا علي بن أبي طالب فانه لم يعاتب
في شيء منه . فهو أثر غريب ولغظه فيه نكارة وفي اسناده نظر . وقال البخاري عيسى بن راشد هذا
مجهول وخبر منكر قلت وعلي بن بذيمة وان كان ثقة الا انه شيعي غال وخبره في مثل هذا فيه

أوتوا الكتاب من قبلكم) ونمام الطهور في قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) (والسارق والسارقة) و (لا
تقتلوا الصياد وأنتم حرم) الآية (وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وقوله
(شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت)

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ أي بالعهود ، قال الزجاج . هي أوكد العهود
يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه أي ألزمته ذلك باستئناف وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به كما
يعقد الحبل بالحبل إذا وصل ، واختلفوا في هذه العقود قال ابن سيرين : هذا خطاب لأهل الكتاب (١)
يعني يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شأن محمد ﷺ وهو قوله
(وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) وقال الآخرون : هو عام ، قال قتادة :
أراد بها الحلف الذي تعاهدوا عليه في الجاهلية ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : هي عهود الايمان (آمنوا)

« ١ » هذا قول

واه مخالف لظاهر

اللفظ ولاجماع

المفسرين وغيرهم في

اطلاق (يا أيها الذين

آمنوا)

تهمة فلا يقبل . وقوله فلم يبق أحد من الصحابة الا عوتب في القرآن الا عليا انما يشير به الى الآية
الأمرة بالصدقة بين يدي النجوى فانه قد ذكر غير واحد انه لم يعمل بها أحد الا علي ونزل قوله
(أشهدتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) الآية وفي كون هذا عتابا
نظر فانه قد قبل ان الامر كان ندبا لا إيجابا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل الفعل فلم يصدر من أحد منهم
خلافه . وقوله عن علي انه لم يعاتب في شيء من القرآن فيه نظر أيضا فان الآية التي في الانفال التي
فيها المعاتبة على أخذ الفداء عمت جميع من أشار بأخذه ولم يسلم منها الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فلم بهذا وبما تقدم ضعف هذا الاثر والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنا الليث حدثني يونس قال قال محمد بن مسلم قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لعمر
ابن حزم حين بعثه الى نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم فيه « هذا بيان من الله ورسوله
(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكتب الآيات منها حتى بلغ (ان الله سريع الحساب) وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر ابن محمد
ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمر بن حزم حين
بعثه الى اليمن يفتيه أهلها ، ويعلمهم السنة ، يأخذ صدقاتهم فكتب له كتابا وعيدا وأمره فيه بأمره فكتب
« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) عهد من محمد
رسول الله ﷺ لعمر بن حزم حين بعثه الى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون »

قوله تعالى (أوفوا بالعقود) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود وحكى ابن
جرير الاجماع على ذلك قال والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الخلف وغيره وقال علي بن أبي حمزة
عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني العهود يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض

والقرآن ، وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ^(١) (أحلت لكم مبيع الأنعام) قال الحسن وقتادة
هي الانعام كلها وهي الابل والبقر والغنم وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الانعام
وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مبيعة الانعام هي الاجنة ومثله عن الشعبي قال
هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحررت ، ذهب أكابر أهل العلم الى تحليله
قال الشيخ رحمه الله تعالى : برأت على أبي عبد الله محمد بن الفضل الخرقى فقلت قرأ على أبي سهل
محمد بن عمر ابن طرفة الشجري وأنت حاضر فقيل له حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر ابن داسة
أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مخلد عن أبي الوداء عن أبي سعيد رضي الله عنهم قال
قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطونها الجنين أنلقيه أم نأكله ؟ فقال « كلوه
إن شئتم فان ذكاه ذكاة أمة » وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال « ذكاة الجنين

(١) هذا المعنى
هو المتبادر من لفظ
الآية دون ما قبله كله

وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكسوا ثم شدد في ذلك فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) الى قوله (سوء الدار) وقال الضحاك (أوفوا بالعقود) قال ما أحل الله وحرم وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالايمن بالنبي والكتاب ان يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام . وقال زيد بن أسلم (أوفوا بالعقود) قال هي ستة عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين ^(١) وقال محمد بن كعب هي خمسة منها حلف الجاهلية وشركة المفوضة . وقد استدل بعض من ذهب الى انه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية (أوفوا بالعقود) قال فنهذه تدل على لزوم العقد وثبوته فيقتضي نفي خيار المجلس وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وخالفهما في ذلك الشافعي وأحمد والجمهور . والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي لفظ آخر للبخاري « اذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا » وهذا صريح في اثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع وليس هذا منافيا لازوم العقد بل هو من مقتضياته شرعا فالتزامة من تمام الوفاء بالعقود

وقوله تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) هي الابل والبقر والغنم قاله أبو الحسن وقتادة وغير واحد قال ابن جرير وكذلك هو عند العرب وقد استدل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين اذا وجد ميتا في بطن أمه اذا ذبحت وقد ورد في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجالد عن أبي الوداك جبير بن نوفل عن أبي سعيد قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين أنلقه أم نأكله فقال « كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه » وقال الترمذي حديث حسن . قال أبو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عتاب بن بشير حدثنا عبيد الله ابن أبي زياد القداح المكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال « ذكاة الجنين ذكاة أمه » تفرد به أبو داود

ذكاة أمه « وشرط بعضهم الاشعار قال ابن عمر : ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتا بعد ذكاة الام ، وقال السكابي بهيمة الانعام وحشها وهي الطباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها أبهمت عن التمييز وقيل لانها لا نطق لها ﴿ إلا ما تلى عليكم ﴾ أي ما ذكر في قوله (حرمت عليكم الميتة - إلى قوله - وما ذبح على النصب ﴾ غير محلي الصيد وهو نصب على الحال أي لا محلي الصيد ومعنى الآية أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما كان منها وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام فذلك قوله تعالى ﴿ وأنتم حرم ﴾ . إن الله يحكم ما يريد * يأبها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴿ نزلت في الخطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري أنى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له إلام تدعو الناس ؟ فقال له « إلى شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله

(١) هذا صحيح ومثله عقد الاجارة فالعدد لا مفهوم له والحق أن العقود جمع عقد وهو ما يتعاقد عليه الناس مطلقا وجمع لتعدد انواعه ويشترط في وجوب الوفاء به الا يكون على معصيته ثبتت بالنص

قوله (الا ما يتلى عليكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وقال قتادة يعني بذلك الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه والظاهر والله أعلم ان المراد بذلك قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) فان هذه وان كانت من الانعام الا انها تحرم بهذه العوارض ولهذا قال (الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) يعني منها فانه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه ولهذا قال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم) أي الا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الاحوال وقوله تعالى (غير محلي الصيد وأنتم حرم) قال بعضهم هذا منصوب على الحلال والمراد بالانعام ما يعم الانسي من الابل والبقر والغنم وما يعم الوحشي كالظباء والبقر والحمر فاستثنى من الانسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الاحرم وقيل المراد أحلنا لكم الانعام ! لا ما استثنى منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أي أبجنا تناول الميتة للضطر بشرط أن يكون غير باغ ولا متعد وهكذا هنا أي كما أحلنا الانعام في جميع الاحوال فحرموا الصيد في حال الاحرام فان الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه ولهذا قال تعالى (ان الله يصمكم ما يريد) ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) قال ابن عباس يعني بذلك مناسك الحج وقال مجاهد الصفا والمروة ، والهدي والبدن من شعائر الله وقيل شعائر الله محارمه أي لا تحلوا محارم الله التي حرمها تعالى ولهذا قال تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال وتأخير اجتناب المحارم كما قال تعالى (يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وقال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) الآية وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة ان رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين

واقام الصلاة وإيتاء الزكاة » فقال حسن الا أن لي امرأة لا أقطع أمرا دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه « يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان الشيطان » ثم خرج شرح من عنده فقال رسول الله ﷺ « لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم » فربسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدا الهدى فقال للمسلمون للنبي ﷺ هذا الخطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي ﷺ « انه قلد الهدى » فقالوا يارسول الله هذا شيء كنا نفعل في الجاهلية فأبى النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) قال ابن عباس رضي الله عنها ومجاهد هي مناسك الحج ، وكان المشركون يمجنون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم

جمادى وشعبان» وهذا يدل على استمرار تحريمها الى آخر وقت كما هو مذهب طائفة من السلف. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولا الشهر الحرام) يعني لا تستحلوا القتال فيه ، وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك الجزري واختاره ابن جرير أيضا وذهب الجمهور الى ان ذلك منسوخ وانه يجوز ابتداء القتال في الاشهر الحرم واحتجوا بقوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) والمراد أشهر التسيير الاربعة قالوا فلم يستثن شهرا حراما من غيره ، وقد حكى الامام أبو جعفر الإجماع على ان الله قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها من شهور السنة قال وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو امان ولهذا المسئلة بحث آخر له موضع أبسط من هذا وقوله تعالى (ولا الهدي ولا القلائد) يعني لا تتركوا الاهداء الى البيت الحرام فان فيه تعظيم شعائر الله ولا تتركوا تقليدها في اعناقها تتميز به عما عداها من الانعام وليعلم أنها هدي الى الكعبة فيجتنبها من يريد بها سوء وتبعث من يراها على الايمان بمثلها فان من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، ولهذا لما حजर رسول الله ﷺ بات بذى الحليفة وهو وادي العقيق فلما أصبح طاف على نسائه وكن تسعاً ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين ثم أشعره هديه وقلده وأهل للحج والعمرة وكان هديه ابلا كثيرة تنيف على الستين من أحسن الاشكال والالوان كما قال تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) وقال بعض السلف اعظامها استحسانها واستسمانها ، قال علي بن أبي طالب أمرنا رسول الله ﷺ ان نستشرف العين والاذن رواه أهل السنن وقال مقاتل بن حيان قوله (ولا القلائد) فلا تستحلوه وكان أهل الجاهلية اذا خرجوا من أوطانهم في غير الاشهر الحرم قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر وتقصد مشركو الحرم من لحاء شجره فيأمنون به رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عباد بن العوام عن سفیان بن حسين عن الخكم عن

فنهائم الله عن ذلك ، وقال أبو عبيدة : شعائر الله هي الهدايا المشعرة ، والاشعار من الشعار وهي العلامة واشعارها اعلامها بما يعرف انها هدي والاشعار ههنا أن يطعن في صحة سنان البعير بمحذبة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة انها هدي وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الابل لما أخبرنا عبد الواحد المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فتلث قلائد بدن النبي ﷺ بيدي ثم قلدها وأشعرها وأهداها فما حرم عليه شيء كان أحل له . وقاس الشافعي البقر على الابل في الاشعار ، وأما الغنم فلا تشعر بالجرح فانها لا تحتمل الجرح لضعفها ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يشعر الهدي ، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا تحلوا شعائر الله) هي أن تصيد وأنت محرم بدليل قوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا) وقال السدي : أراد حرم الله ، وقيل المراد منه النهي عن القتل

مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) وحدثنا المنذر بن شاذان حدثنا زكريا بن عدي حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف قال قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء ؟ قال لا ، وقال عطاء كانوا يتقلدون من شجر الحرم فيأمنون فنهى الله عن قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله

وقوله تعالى (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أي ولا تستحلوا قتال القاصدين الى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغبيا في رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه قال مجاهد وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمير والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغير واحد في قوله (يبتغون فضلا من ربهم) يعني بذلك التجارة وهذا كما تقدم في قوله (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقوله (ورضوانا) قال ابن عباس يرضون الله بحبهم قد ذكر عكرمة والسدي وابن جرير أن هذه الآية نزلت في الحطيم بن هند البكري كان قد اغار على سرح المدينة فلما كان من العام المقبل اعتمر الى البيت فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا عليه في طريقه الى البيت فأنزل الله عز وجل (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

وقد حكى ابن جرير الاجماع على أن المشرك يجوز قتله اذا لم يكن له أمان وان أم البيت الحرام أو بيت المقدس وأن هذا الحكم منسوخ في حقهم والله أعلم . فلما من قصده بالاحاد فيه والشرك عنده والكفر به فهذا يمنع قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ولهذا بعث رسول الله (ص) عام تسع لما أمر الصديق على الحجيج عليا وأمره أن ينادي على سبيل النيابة عن رسول الله (ص) براءة وان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ولا آمين البيت الحرام) يعني من توجه قبل البيت الحرام فكان المؤمنون والمشركون يحجون فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعدها (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد

في الحرم ، وقال عطاء : شعائر الله حرمت الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة . قوله (ولا الشهر الحرام) أي بالقتال فيه ، وقال ابن زيد : هو النسيء وذلك أنهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (ولا الهدي) هو كل ما يهدي الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة (ولا القلائد) أي الهدايا المقلدة يريد ذوات القلائد ، وقال عطاء أراد أصحاب القلائد ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وألباسهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض لهم فنهى الشرع عن استحلال شيء منها ، وقال مطرف بن الشخير هي القلائد نفسها وذلك ان المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة ويتقلدون بها فنهوا عن نزع شجرها

قوله تعالى (ولا آمين البيت الحرام) أي قاصدين (البيت الحرام) يعني الكعبة فلا تتعرضوا

الحرام بعد عامهم هذا) الآية وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله) وقال (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فنفي المشركين من المسجد الحرام وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) قال منسوخ كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من الشجر فلم يعرض له أحد فإذا رجع تقلد قلادة من شعر فلم يعرض له أحد وكان المشرك يومئذ لا يصعد عن البيت فامروا أن لا يقتاتوا في الشهر الحرام ولا عند البيت فنسخها قوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (ولا القلائد) يعني إن تقلدوا قلادة من الحرم فامنؤهم قال ولم تزل العرب تعبر من أخفر ذلك قال الشاعر

ألم تقتلوا الحرحين إذ أعورا لكم يمران بالأيدي اللحاء المضفرا (١)

(١) في النسخ

أعوزا بالزاي وهو غلط فهو بالراء ومعناه مكنا كما من عورتها وفي لسان العرب * ألم تقتلوا الحرحين إذا عرضا لكم * وفسر الحرحين بالرجلين الأبيضين المشبهين للودع لأن الحرجة بالكسر الودعة . وأعرضوا بمعنى عرضوا أو تعرضوا ولاحوالك

وقوله تعالى (وإذا حلتم فاصطادوا) أي إذا فرغتم من احرامكم واحلتم منه فقد أجبنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الاحرام من الصيد ، وهذا أمر بعد الخطر والصحيح الذي ثبت على السهر أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي فإن كان واجباً رده واجباً وإن كان مستحباً فمستحب أو مباحاً فمباح ومن قال أنه على الوجوب ينتقض عليه آيات كثيرة ومن قال إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرى والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه (٢) كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم .

وقوله (ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) من القراء من قرأ أن صدوكم بفتح الألف من أن ومعناها ظاهر أي لا يحملنكم بغض قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام وذلك عام الحديبية علي أن تعتدوا حكم الله فيهم فنتقصوا منهم ظملاً وعدواناً بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد وهذه الآية كما سيأتي من قوله (ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدوا هو أقرب للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فإن العدل واجب على كل أحد في كل حال وقال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . والعدل به قامت السموات والأرض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل

لهم ﴿ يبتغون ﴾ ﴿ يطلبون ﴾ فضلاً من ربهم ﴿ يعني الرزق بالتجارة ﴾ ﴿ ورضوانا ﴾ أي على زعمهم لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان ، وقال قتادة هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها ، وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجون ، وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ويقول (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فلا يجوز أن يجمع مشرك ولا يأمن كافر بالهدي والقلائد قوله عز وجل ﴿ وإذا حلتم ﴾ أي من احرامكم ﴿ فاصطادوا ﴾ أمر بإباحة أباح للحلال أخذ الصيد كقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) ﴿ ولا يجرمكم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتلة لا يحملنكم ، يقال جرمني فلان على أن صنعت كذا أي حملني ، وقال الفراء لا يكسبنكم

(٢) يعني أن الامر الوارد بعد النهي يرفع النهي فيعود الحكم إلى ما كان عليه . ويرد عليه الامر بزيارة القبور بعد النهي عنه ولعل استحبابها بعد الامر لوصفها بتذكير الآخرة

ابن عفان حدثنا عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآية والشأن هو البغض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شأنه أشنؤه شأننا بالتحريك مثل قولهم جزان ودرجان ورقلان من جز ودرج ورقل وقال ابن جرير : من العرب من يسقط التحريك في شأن فيقول شأن ولم أعلم أحدا قرأ بها. ومنه قول الشاعر

وما العيش إلا ما تحب وتشتهي وان لام فيه ذو الشأن وفندا

وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) بأمر تعالى عباد المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم قال ابن جرير الأثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم، وقد قال الامام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن جده أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره اذا كان ظالماً ؟ قال « تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره » انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه، وأخرجاه من طريق ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال « تمنعه من الظلم فذاك نصرته » وقال أحمد : حدثنا يزيد حدثنا سفيان بن سعيد عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يخاطب الناس ويصبر على اذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخاطب الناس ولا يصبر على اذاهم » وقد رواه أحمد أيضاً في مسند عبد الله بن عمر حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ انه قال

يقال جرم أي كسب وفلان جريمة أهله أي كسبهم وقيل لا يدعونكم ﴿ شأن قوم ﴾ أي بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنت، قرأ ابن عامر وأبو بكر (شأن) بسكون النون الاولى، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح أجود لان المصادر أكثرها فعلاً بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الالف أي لأن صدوكم، ومعنى الآية ولا يحمانكم عداوة قوم على الاعتداء، لأنهم صدوكم، وقال محمد بن جرير لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم ﴿ أن تعتدوا ﴾ عليهم بالقتل وأخذ الأموال ﴿ وتعاونوا ﴾ أي ليعن بعضكم بعضاً ﴿ على البر والتقوى ﴾ قيل البر متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل البر الاسلام، والتقوى السنة ﴿ ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ﴾ قيل الأثم الكفر، والعدوان الظلم، وقيل الأثم المعصية

« المؤمن الذي يحافظ الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يحافظهم ولا يصبر على أذاهم » وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة وابن ماجه من طريق اسحاق بن يوسف كلاهما عن الاعمش به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم ابن عبد الله بن محمد أبو شيبة الكوفي حدثنا بكر بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن فضيل بن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ (الدال على الخير كفاعله) ثم قال لا فعله يروى الا بهذا الاسناد قلت وله شاهد في الصحيح « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه الى يوم القيامة لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من اتبعه الى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عمرو بن اسحاق بن ابراهيم بن زريق الحمصي حدثنا أبي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عباس بن يونس ان أبا الحسن عمران بن صخر^(١) حدثه ان رسول الله ﷺ قال « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام »

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المِيتَةُ والدم ولحم الخنزير وما أهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم . أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣)

يخبر تعالى عباده خبراً متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي مامات من الحيوان حنف أنفه من غير ذكاة ولا اصطيد وما ذاك إلا لما فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتقن فهي ضارة للدين وللبدن فهذا حرما الله عز وجل ، ويستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها لما رواه مالك في موطنه والشافعي وأحمد في مسنديهما وأبو داود والترمذي والنسائي

والعدوان البدعة ، أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القرشي أنا الحسن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبد الرحمن بن جبيرة بن نفيير ابن مالك الحضرمي عن أبيه عن النواص بن سمعان الانصاري قال : سئل رسول الله ﷺ عن البر والاثم قال « البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطعم عليه الناس » ﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴿ أي ماذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى ﴾ والمنخنقة ﴿

(١) كذا في
الأصول والصواب
عمران بالنون وفي
الازهرية عمران بن
نجر والحديث معزو
في الجامع الصغير
إلى الطبراني والضياء
عن أوس بن شرحبيل
أقول ورجح بعضهم
أنه شرحبيل بن أوس
وقد ذكر الأسان في
أسماء الصحابة مع ذكر
الخلاف وأن عمران
روي عنه ولم يذكر
اسم أبيه

وابن ماجه في سننهم وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وهكذا الجراد لما سيأتي من الحديث وقوله (والدم) يعني به المسفوح كقوله (أو دماً مسفوحاً) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير قال بن أبي حاتم حدثنا كثير ابن شهاب المذحجي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال كلوه فقالوا أنه دم فقال إنما حرم عليكم الدم المسفوح. وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة قالت إنما نهى عن الدم المسفوح وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالدابة والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال » وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف قال الحافظ البيهقي ورواه اسماعيل بن أبي إدريس عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً قلت وثلاثهم كلهم ضعفاء ولكن بعضهم أصح من بعض، وقد رواه سليمان بن بلال أحد الثقات عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه قال الحافظ أبو زرعة الرازي وهو أصح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا بشير بن شريح عن أبي غالب عن أبي أمامة وهو صدي بن عجلان قال بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله وأعرض عليهم شرائع الإسلام فأتيهم فيمنا نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة من دم فاجتمعوا عليها يأكلونها فقالوا هلم يا صدي فكل قال قلت ويحكم إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم فأقبلوا عليه قالوا وما ذاك فتلوت عليهم هذه الآية (حرمت عليكم الميتة والدم) الآية ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بإسناد مثله وزاد بعده هذا السياق قال فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبون عليّ فقلت ويحكم استقوني شربة من ماء فاني شديد العطش قل وعليّ عبا في قتالوا لا ولكن ندعك حتى تموت عطشاً قال فاغتممت وضربت برأسي في العباء ونمت على الرضا في حر شديد قال فأتاني آت في منامي بقدر من زجاج لم ير الناس أحسن منه وفيه شراب لم ير الناس ألد منه فامكنني منه فشربته فلما فرغت من شرابي استيقظت فلا والله ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة، ورواه الحاكم في مستدركه عن علي

وهي التي تخنق وتموت^(١) قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها ﴿ والموقودة ﴾ هي المقتولة بالخشب^(٢) قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها ﴿ والمتردية ﴾ هي التي تنردي من مكان عال أو في بئر فتتموت ﴿ والنطيحة ﴾ هي التي تنطحها أخرى فتتموت وهاء التأنيث تدخل في الفعل إذا كان بمعنى الفاعل فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فإذا حذف الاسم وأفردت الصفة أدخلوا الهاء فقالوا رأينا كحيله وخضيبه

(١) في كتب اللغة أن المخنقة هي التي تخنق بفعل نفسها (٢) الصحيح أنها التي تضرب بغير محدد كخشب أو حجر أو غيرها حتى تتحلل قواها وتموت

ابن حماد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عبد الله بن سلمة بن عياش العامري حدثنا صدقة ابن هرم عن أبي غالب عن أبي امامة وذكر نحوه وزاد بعد قوله بعد تلك الشربة فسمعهم يقولون أناكم رجل من سرقة قومكم فلم تجمعوه بمذقة ، فأترني بمذقة فقلت لا حاجة لي فيها ان الله أطعمني وسقاني وأريتهم بطي فأسلهوا عن آخرهم وما أحسن ما أنشد الاعشى في قصيدته التي ذكرها ابن اسحاق

راياك والميتات لا تقرنهما ولا تأخذن عظما حديدا فتقصدا

أي لا تفعل فعل الجاهلية وذلك ان أحدهم كان اذا جاع يأخذ شيئا محمداً من عظم ونحوه فيفصد به بغيره أو حيواناً من أي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة ثم قال الاعشى

وذا النصب المنسوب لا تأتينه ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا

قوله (ولحم الخنزير) يعني انسيه ووحشيه واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم ولا يحتاج الى تحذلق الظاهرية في جهودهم ههنا وتعسفهم في الاحتجاج بقوله (فانه رجس أو فسقاً) يعنون قوله تعالى (الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس) أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه وهذا بعيد من حيث اللغة فانه لا يعود الضمير الا الى المضاف دون المضاف اليه والأظهر أن اللحم يعم جميع الاجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لعب بالخنزير فكنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه فاذا كان هذا التنفير لمجرد اللبس فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الاجزاء من الشحم وغيره . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام» فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال «لا هو حرام» وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان انه قال لمرقل ملك الروم نهانا عن الميتة والدم

وقوله (وما أهل غير الله به) أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لان الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فتنى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو

وهنا أدخل الماء لانه لم يتقدمها الاسم فلو أسقط الماء لم يدر انها صفة مؤنث أم مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة وأكلة السبع ﴿وما أكل السبع﴾ يريد ما بقي مما أكل السبع وكان أهل الجاهلية يأكلونه ﴿إلا ما ذكيت﴾ يعني إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الاشياء ، وأصل الذكاة الاتمام يقال ذكيت النار اذا أتممت اشتعالها ، والمراد هنا اتمام فري الأوداج وانهار الدم قال النبي ﷺ «ما أهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل غير السن والظفر» وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وكاله أن يقطع الودجين معهما ، ويجوز بكل محدد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر الا

(م ٨ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

وثن أو غير ذلك من سائر الخلوقات فأبها حرام بالاجماع . وإنما اختلف العلماء في متروك التسمية إما عمداً أو نسياناً كما سيأتي تقريره في سورة الانعام وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن السنجاني حدثنا نعيم ابن حماد حدثنا بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال نزل آدم بتحريم أربع (الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وإن هذه الأربعة أشياء لم تحل قط ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والارض فلما كانت بنو اسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنو بهم فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام نزل بالامر الاول الذي جاء به آدم وأحل لهم ماسوى ذلك فكذبوه وعصوه وهذا أثر غريب وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ربيعة عن عبد الله قال سمعت الجارود بن أبي سبرة قال هو جدي قال كان رجل من بني رباح يقال له ابن وائل وكان شاعراً نافر غالباً أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من ابنا وهذا مائة من ابنا اذ اوردت الماء فلما اوردت الماء قاما اليها بسيفيهما فجعلا يكشفتان عراقيهما قال فخرج الناس على الحرات والبغال يريدون اللحيم ، قال وعلي بالكوفة قل فخرج علي على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي « يا أيها الناس لاتأكلوا من لحومها فانها أهل بها لغير الله . هذا أثر غريب ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود حدثنا هارون بن عبد الله ثنا ابن حماد بن مسعدة عن عوف عن أبي ريمانة عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الاعراب ، ثم قال أبو داود محمد بن جعفر هو غندر اوقفه على ابن عباس تفرد به أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا هرون بن زيد بن أبي الزرقاء حدثنا أبي حدثنا جرير بن حازم عن الزبير بن حريث قال سمعت عكرمة يقول إن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل ، ثم قال أبو داود أكثر من رواه غير ابن جرير لا يذكر فيه ابن عباس تفرد به أيضاً

قوله (والمنخقة) وهي التي تموت بالخنق إما مقصداً وإما اتفاقاً بان تتخبل في وثاقها فتتموت به فهي حرام وأما (الموقودة) فهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محد حتى تموت كما قال ابن عباس وغير واحد هي التي تضرب بالحشبة حتى يوقدها فتتموت قال قتادة كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها وفي الصحيح أن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب قال

السن والظفر فمنه النبي ﷺ عن الذبح بها وإنما يحل ما ذكته بعد ما جرحه السبع وأكل شيئاً منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فأما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالاً وإن ذبحته ، وكذلك المتردية والنطيحة إذا أدركتها حية قبل أن تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً ، ولو رمى الى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الارض ومات كان حلالاً لان الوقوع على الارض من ضرورته ، فان سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء فيحل كيف وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح (وما ذبح على النصب) قيل النصب جمع ، واحده نصب وقيل هو واحد وجمعه أنصاب

(١) فيه أن أن صيد الجوارح لا يدخل في هذا الباب فهو شيء أحله الله في آية أخرى على الوجه المعروف عند الناس في كل زمان لا لأنه تذكية (٢) يعني أصحاب الشافعي يرحمه الله تعالى وإلا فالقاعدة فيها خلاف معروف في الأصول (٣) فيه أن تحريم الوقيذ إما أن يكون لتعذيب الحيوان لأجل إبطاله كاهو الظاهر وهذا لا يتحقق فيما مات بثقل الكلب وإما أن يكون تعديدا فلا يدخله القياس (٤) لأنسلم أن مانعة الخلو هنا ذات طرفين كما ذكره فواقع عليه الجارح فأت ليس نطيحا ولا منخفا ولا في حكمهما بل هو صيد قتله الجارح وأمسه على صاحبه فله حكم منصرف كما أنه ليس وقيدا

فقال «كل شراب أسكر فهو حرام» أفيقول فقيه إن هذا اللفظ مخصوص بشراب العسل؟ وهكذا هذا، كما سألوه عن شيء من الذكاة فقال لهم كلاما عاما يشمل ذلك المسؤول عنه وغيره لأنه عليه السلام كان قد أوتي جوامع الكلم، إذا تقرر هذا فما صدمه الكلب أو غمه بثقله ليس مما أنهر دمه فلا يحل لمفهوم هذا الحديث فإن قيل هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء لأنهم إنما سألوه عن الآلة التي يذكي بها ولم يسأله عن الشيء الذي يذكي ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر حيث قال «ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فهدى الحبشة» والمستثنى بدل على جنس المستثنى منه وإلا لم يكن متصلا فدل على أن المسؤول عنه هو الآلة فلا يبقى فيه دلالة لما ذكرتم فالجواب عن هذا بان في الكلام ما يشكل عليكم أيضا حيث يقول «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه» ولم يقل فاذبحوا به فهذا يؤخذ منه الحكمان معا يؤخذ حكم الآلة التي يذكي بها وحكم المذكي وأنه لا بد من أنهار دمه بآلة ليست سنا ولا ظنرا هذا مسلك (١)

والمسلك الثاني طريقة المزني وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل بعرضه فلا تأكل وإن خرق فكل والكلب جاء مطلقا فيحمل على ما قيد هنا من الخرق لأنهما اشتركا في الموجب وهو الصيد فيجب الحل هنا وإن اختلف السبب كما رجب حل مطلق الاعتاق في الظهار على تقييده بالآيمان في القتل بل هذا أولى وهذا يتوجه له على من يسلم أصل هذه الناعدة من حيث هي وليس فيها خلاف بين الأصحاب (٢) قاطبة فلا بد لهم من جواب عن هذا، وله أن يقول هذا قتله الكلب بثقله فلم يحل قياسا على ما قتله السهم بعرضه والجواب أن كلامنا آله للصيد وقد مات بثقله فيهما ولا يعارض ذلك بعموم الآية لأن القياس مقدم على العموم كما هو مذهب الأئمة الأربعة والجمهور وهذا مسلك حسن أيضا (٣) مسلك آخر وهو أن قوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) عام فيما قتلان بجرح أو غيره لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو (٤) إما أن يكون نطيحا أو في حكمه أو منخفا أو في حكمه وأيا ما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك لوجوه (أحدها) أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم وإن «أصابه بعرضه فانما هو وقيد فلا تأكله» ولم نعلم أحدا من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية فقال إن الوقيذ معتبر حالة الصيد والنطيح ليس معتبرا

وزلم بفتح الزاي وضمها كانت أزالاهم سبعة قداح مستوية من شوحط تكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد «نعم» وعلى واحد «لا» وعلى واحد «منكم» وعلى واحد «من غيركم» وعلى واحد «ملصق» وعلى واحد «العقل» وواحد غفل ليس عليه شيء، فكانوا إذا أرادوا أمرا من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره أو تداوروا في نسب أو اختلفوا في تحمل عقل جاؤا إلى هبل وكان أعظم أصنام قريش بمكة و جاؤا بمائة درهم أعطوها صاحب القداح حتى يجبل القداح ويقولوا يا الهنا انا أردنا كذا وكذا فان خرج «نعم» فعلوا وان خرج «لا» لم يفعلوا ذلك حولائهم عادوا إلى القداح ثانية فاذا أجالوا

(١) الاصل في

العصام أن يتناول ما
يصالح له وهو هنا
ما يصطاد عادة
بالجوارح ولا يدخل
فيه المحرم لذاته
كالبيته والخنزير فان
فرض تناوله له كان
حراماً مراداً به
الخصوص من أول
وهلة لاحاماً مخصوصاً
وهو لا يفيد في هذا
البحث

(٢) هذا خير

مسلم أصلاً ولا فرطاً
فلم يستعلة تحريم
الميتة إحتقان الدم
والرطوبات فيها. وما
يخرقه المعراض
بحديدته لا يخرج منه
إلا القليل من الدم
وكذا ما يجرحه الكلب
أو الشاهين مثلاً

(٣) يظهر أن المؤلف

لم يصطد بالجوارح ولم
يرصدها. والواقع
المعروف عند أهلها
غير ما ذكره الكلب
لا يجرح ما يصطاده
بظفره ولا بنابه
وإنما يأخذه بضمه إذا
كان صغيراً كالطير أو
الارنب الصغير أو =

فيكون القول محل المتنازع فيه خرقاً للاجماع لا فائلاً به وهو محظور عند كثير من العلماء (الزاني) أن
تلك الآية (فكلموا مما أمسكن عليكم) ليست على عمومها بالاجماع بل مخصوصة بما صلدن من الحيوان
المأكول وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق^(١) والعموم المحفوظ مقدم على غير المحفوظ
(المسلك الآخر) أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء لانه قد احتقن فيه الدماء وما
يتبعها من الرطوبات^(٢) ولا تحمل قياساً على الميتة (المسلك الآخر) أن آية التحريم أغنى قوله حرمت عليكم
الميتة الى آخرها محكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص وكذا ينبغي أن تكون آية التحليل محكمة أغنى
قوله تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل الطيبات الاية) فينبغي أن لا يكون بينهما تعارض أصلاً
وتكون السمة جاءت لبيان ذلك وشاهد ذلك قصة السهم فانه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية وهو
ما إذا خرقه المعراض فيكون حلالاً لانه من الطيبات وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم وهو
ما إذا أصابه بعض فلا يؤكل لانه وقيد فيكون أحد أفراد آية التحريم وهكذا يجب أن يكون حكم
هذا سواء ان كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل وإن لم يجرحه بل صدمه أو قذفه
بمثله فهو نطيح أو في حكمه فلا يكون حلالاً

(فان قيل) فلم لا فصل في حكم الكلب فقال ما ذكرتم أن جرحه فهو حلال وإن لم يجرحه فهو
حرام (فالجواب) أن ذلك نادر لأن من شأن الكلب أن يقتل بظفره أو نابه أو بهما معاً وأما اصطاده
هو الصيد فنادر وكذا قتله إياه بثقله فلم يحتج الى الاحتراز من ذلك لندوره^(٣) أو لظهور حكمه عند
من علم تحريم الميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة. وأما السهم والمعراض فتارة يمتدليء السوء
رعي رامييه أو لاهو أو نحو ذلك بل خطؤه أكثر من أصابته فهذا ذكر كلام من حكمه مفصلاً والله أعلم
ولهذا لما كان الكلب من شأنه أنه قد يأكل من الصيد ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد فقال
« أن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو
أيضاً مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين فقالوا لا يحمل ما أكل منه الكلب حكمي ذلك عن

على نسب فان خرج منكم كان وسيطاً منهم وان خرج من غيركم كان حليماً وان خرج ملصق كان
على منزلته لانسب له ولا حلف، وإذا اختلفوا في عقل فمن خرج عليه قدح العقل حله وان خرج
الغفل أجالوا نانياً حتى يخرج المكتوب فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرمه وقال ﴿ ذلكم فسق ﴾ قال
سعيد بن جبيرة الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد هي كعاب فارس والرم التي
يتقاصرون بها، وقال الشعبي وغيره: الازلام للعرب والكماب للعجم، وقال سفيان بن وكيم: هي
الشطرنج، وروينا أن النبي ﷺ قال « العيافة والطرق والطيرة من الجيت » والمراد من الطرق
= يلتزمه ويمنعه من الفرار حتى يجيء صاحبه أو يأخذه وقد يضر به على وجهه أو يعضه حتى يشغله أو يئذه
من الفرار، وكذلك جوارح الطير تأخذ صيدها الصغير يديها وذكر لنا أنها تقلع عيني الكبير ليمتنع من الفرار

أبي هريرة وابن عباس وبه قال الحسن والشعبي والنخعي وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحباؤه وأحمد بن حنبل والشافعي في المشهور عنه وروى ابن جرير في تفسيره عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم يؤكل ولو لم يبق منه إلا بضعة وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم وأوماً في الجديد إلى قولين قال ذلك الإمام أبو نصر بن البزيع وغيره من الأصحاب عنه وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوي عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ أنه قال في صيد الكلب «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك» ورواه أيضاً النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أعرابياً يقال له أبو ثعلبة قال يا رسول الله فذكر نحوه وقال محمد بن جرير في تفسيره حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى هو اللاجوني حدثنا محمد بن دينار هو الطاحي عن أبي إياس وهو معاوية بن قرّة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي ثم إن ابن جرير عليه بأنه قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقوفاً. وأما الجمهور فقدّموا حديث عدي على ذلك وراموا تضعيف حديث أبي ثعلبة وغيره وقد حمله بعض العلماء على أنه إن أكل بعد ما انتظر صاحبه فطال عليه الفصل ولم يجي فأكل منه لجوعه ونحوه فإنه لا بأس بذلك والحالة هذه لا يخشى أنه إنما أمسك على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة فإنه يظهر منه أنه أمسك على نفسه والله أعلم. فاما الجوارح من الطيور فنص الشافعي على أنها كالكلب فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ولا يحرم عند الآخرين واختار المزمعي من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد قالوا لا نه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه وأيضاً فإنها لا تعلم إلا بأكلها من الصيد فيعفى عن ذلك، وأيضاً فإن نص إنما ورد في الكلب لا في الطيور وقال الشيخ أبو علي في الإفصاح إذا قلنا يحرم ما أكل منه الكلب ففي تحريم ما أكل منه الطيور وجهان. وأنكر القاضي أبو الطيب هذا التفرع والترتيب لنص الشافعي رحمه الله على التسوية بينهما والله سبحانه وتعالى أعلم وأما المتردية فهي التي تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك فلا تحل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المتردية التي تسقط من جبل وقال قتادة هي التي تردي

الضرب بالخصاء، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا ابن فنجدية أنا فضل الكندي أخبرنا الحسن بن داود الخشاب أنا سويد بن سعيد أنا أبو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة» في اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً وذلك أن الكفار كانوا يطعمون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام أيسوا ويئس بمعنى واحد فلا تخشعوا واخشون اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت

في بئر وقال السدي هي التي تقع من جبل أو تتردى في بئر. وأما النطيحة فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها فهي حرام وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها والنطيحة فعيلة بمعنى مفعوله أي منطوحة وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث فيقولون عين كحيل وكف خضيب ولا يقولون كف خضيب ولا عين كحيله وأما هذه فقال بعض النحاة إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الاسماء كما في قولهم طريقة طويلة وقال بعضهم إنما أني بتاء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة بخلاف عين كحيل وكف خضيب لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام وقوله تعالى (وما أكل السبع) أي ما عدا عليها أسداً أو فهداً أو نمراً أو ذئباً أو كلباً فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحها فلا تحل بالاجماع وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين وقوله (الماذكيتم) عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة وذلك إنما يعود على قوله (والممنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (الماذكيتم) يقول الما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكي وصكذا روي عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علي في الآية قال إن مصعت بذنبيها أو ركضت برجلها أو طرفت بعينها فكل. وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم وعباد قال حدثنا حجاج عن حصين عن الشعبي عن الحارث عن علي قال إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها وهكذا روي عن طاوس والحسن وقتادة وعبيد بن عمير والضحاك وغير واحد أن المذكاة متى تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح فهي حلال وهذا مذهب جمهور الفقهاء وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل قال ابن وهب سئل مالك عن الشاة التي يحرق جوفها السبع حتى تخرج أمعاؤها فقال مالك لا أرى أن تذكي أي شيء يذكي منها؟ وقال أشهب سئل مالك عن الضبع يعدو على الكبش فيدق ظهره أترى أن يذكي قبل أن يموت فيؤكل فقال إن كان قد بلغ الشجرة فلا أرى أن يؤكل وإن كان أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأساً قيل له وثب عليه فدق ظهره فقال لا يعجبني هذا لا يعيش منه قيل له فالذئب يعدو على الشاة فيثقب بطنها ولا يثقب الأمعاء

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴿١﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقررونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال آية آية؟ قال (اليوم أكملت لكم دينكم

فقال اذا شق بطنها فلا أرى أن تؤكل هذا مذهب مالك رحمه الله وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك رحمه الله من الهور التي باغ الحيران فيها الى حالة لا يعيش بعدها فيحتاج الى دليل مخصوص للآية والله اعلم وفي الصحيحين عن رافع بن خديج انه قال قلت يا رسول الله أنا لاقو العدو غدا وليس بيننا مدى أفنديج بالنصب ؟ فقال « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة » وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعا وفيه نظر ، وروى عن عمر موقوف وهو أصح « ألا ان الزكاة في الخلق والآية » ولا تعجلوا الانفس أن ترهق. فأما الحديث الذي رواه الامام احمد واهل السنن من رواية حماد بن سلمة عن أبي الصرراء الدارمي عن أبيه قال قلت يا رسول الله أما نكون الذكاة الا من الآلة والخلق ؟ فقال « لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك » وهو حديث صحيح ولكنه محمول على ما لا يقدر على ذبحه في الخلق والآلة وقوا (وما ذبح على النصب) قال مجاهد وابن جريج كانت النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريج وهي ثلثمائة وستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها الى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب وكذا ذكره غير واحد فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم اكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله وينبغي ان يحمل هذا على هذا لانه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله . وقوله تعالى (وأن تستقسموا بالاذلام) أى حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالاذلام واحدا زلم وقد تفتح الزاى فيقال زلم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب افعل وعلى الآخر لا تفعل والثالث غفل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل ليس عليه شيء . فاذا أجالها فطعم سهم الامر فعله أو النهي تركه وان طلع الفارغ أعاد والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الازلام هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا الحجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان ابن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وان تستقسموا بالاذلام) قال والاذلام قداح كانوا يستقسمون بها في الامور وكذا روى عن مجاهد و ابراهيم النخعي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وقال ابن عباس هي قداح كانوا يستقسمون بها الامور وذكر محمد بن اسحاق وغيره ان أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له هبل منصوب وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزل فيه على النبي ﷺ وهو قثم بعرفة يوم الجمعة ، أشار عمر الى أن ذلك اليوم كان عيدا لنا ، قال ابن عباس : كان في ذلك اليوم خمسة أعياد - جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ، ولم تجتمع أعياد أهل المال في يوم قبله ولا بعده ، وروى هرون بن عنبرة عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ « ما يبكيك يا عمر ؟ » فقال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كل فانه لم يكمل شيء إلا نقص ، قال « صدقت » وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ

على بئردااال الكعبة فيها تواضع المدايا وأموال الكعبة فيه وكان عنده سبعة ازالام مكتوب فيها ما يتحاكون فيه مما أشكل عليهم فماخرج لهم منها رجعوا اليه ولم يعدلوا عنه . وثبت في الصحيحين ان النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد ابراهيم واسماعيل مصورين فيها وفي أيديهما الزلاام فقال قاتلهم الله لقد علموا انها لم يستقسما بها أبدا . وفي الصحيح ان سراقه بن مالك بن جعشم لما خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر وهما ذاهبان الى المدينة مهاجرين قال فاستقسمت بالازلاام هل أضرم أم لا ؟ فخرج الذي أكره لا يضرم قال فعصيت الزلاام واتبعتهم ثم إنه استقسم بها ثانية وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره لا يضرم وكان كذلك وكان سراقه لم يسلم اذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك . وروى ابن مردويه من طريق ابراهيم بن يزيد عن رقية عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « ان يلج الدرجات من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائرا » وقال مجاهد في قوله وان تستقسموا بالازلاام قال هي سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقاصرون . وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الزلاام انها موضوعة للقمار فيه نظر اللهم الا ان يقال انهم كانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار أخرى والله أعلم فان الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال في آخر السورة (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلاام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله منتهون) وهكذا قال ههنا (وأن تستقيموا بالازلاام ذلكم فسق) أي تعاطيه فسق وغبي وضلالة وجهالة وشرك وقد أمر الله المؤمنين اذا ترددوا في أمورهم ان يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الامر الذي يريدونه كما رواه الامام أحمد والبخاري وأهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الامور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول « اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بتدريك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر - ويسميه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه وأصرفه غني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضي به » لفظ أحمد وقال

وغاش بعدها احدى وثمانين يوما ، ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة ، وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول ، وكانت هجرته في الثاني عشر من شهر ربيع الاول ، أما تفسير الآية قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) يعني يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم ، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود

الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث ابن أبي الموالى وقوله (اليوم يؤس الذين كفروا من دينكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني يسوا أن يراجعوا دينهم وكذا روي عن عطاء بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ان الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم» وبمقتل أن يكون المراد أنهم يسوا من مشابهة المسلمين لما يميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله ولهذا قال تعالى أمراً لعباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا أحداً إلا الله فقال (فلا تخشوا واخشوا) أي لا تخافوا في مخالفتكم إياهم واخشوني أنصركم عليهم وأبيدهم وأظفركم بهم وأشف صدوركم منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة

وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الانبياء وبعثه الى الانس والجن فلا حلال الا ما أحله ، ولا حرام الا ما حرمه ، ولا دين الا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى (ونمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي فلما أكل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) أي فارضوه أنتم لانفسكم فانه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو الاسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبداً ، وقد آتاه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً . وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات أسماء بنت عميس : حبجبت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة فيمنما نحن نسير اذ تجلى له جبريل قال رسول الله ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه برداً كان علي . وقال ابن جرير وغير واحد مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً رواها ابن جرير ثم قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضيل عن

والاحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ويروى عنه ان آية الربا نزلت بعدها ، وقال سعيد بن جبير وقتادة (أكملت لكم دينكم) فلم يحج معكم مشرك ، وقيل أظهرت دينكم وأمنتكم من العدو ، وقوله عز وجل (وأتممت عليكم نعمتي) يعني وأنجزت وعدي في قولي (ولأنتم نعمتي عليكم) فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين ، وعليها ظاهرين ، وحجوا مطمئنين ، لم يخافهم أحد من

هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت (اليوم أكملت لكم دينكم) وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبي ﷺ « ما يبكيك » قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكل فإنه لم يكل شيء، إلا نقص . فقال « صدقت » ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء » وقال الامام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين انكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا يا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال وأي آية ؟ قال قوله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » فقال عمر والله اني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة اني نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم الجمعة . ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي أيضا من طرق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال قالت اليهود لعمر إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر اي، لا أعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة - قال سفيان وأشك أن يوم الجمعة أم لا - (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية ، وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو نورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ؟ وإن كان شكافي كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم الجمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فإن هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم . وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا رجاء بن أبي سلمة أخبرنا عبادة بن نسي أخبرنا أميرنا اسحق قال أبو جعفر بن جرير هو اسحق بن حرشة عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال قال كعب لو أن غير هذه الامة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه فقال عمر أي آية يا كعب ؟ فقال (اليوم أكملت لكم دينكم) فقال عمر قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد . وقال ابن جرير : حدثنا أبو بكر حدثنا قبيصة حدثنا جهماد بن سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم أن ابن عباس قرأ (اليوم أكملت لكم دينكم) وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فقال يهودي لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس فأنها نزلت في يوم عشرين اثنين

المشركين ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ سمعت عبد الواحد قال سمعت عبد الواحد المليجي قال سمعت أبا محمد بن حاتم قال سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي سمعت أبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي سمعت عبد الملك بن مسلمة أنا مروان المصري سمعت ابراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر

يوم عيد ويوم جمعة . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى بن هرون حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس ابن الربيع عن اسمعيل بن سليمان عن أبي عمر البزار عن ابن الحنفية عن علي قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو قائم عشية عرفة (اليوم أكملت لكم دينكم)

وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر اسمعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) حتى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة . وروى ابن مردويه من طريق محمد بن اسحق عن عمرو بن موسى بن دحية عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً (يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف على الموقف . فاما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنشل بن عبد الله الصغاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح بدار يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين — اليوم أكملت لكم دينكم ، ورفع الذكرك يوم الاثنين فانه أثر غريب واسناده ضعيف وقد رواه الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنشل الصغاني عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبيء يوم الاثنين وخرج مهاجر آمن مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ووقع الحجر الاسود يوم الاثنين . هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين فانه أعلم ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوي والله أعلم وقال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) يقول ليس بيوم معلوم عند الناس قال : وقد قيل إنها نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع ، ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، قالت وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غد يرخم حين قال لعلي « من كنت مولاه فعلى مولاه » ثم رواه عن أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا ، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأول ملوك الاسلام معاوية بن أبي سفيان وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وسمرة بن جندب رضي الله عنه ، وأرسله الشعبي وقتادة ابن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله

ابن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال جبريل قال الله تعالى هذا دين رضيت له نفسي وإن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحته موه »

وقوله (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فإن الله غفور رحيم) أي فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة الجأته إلى ذلك فله تناوله والله غفور رحيم له لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتهاره إلى ذلك فيتجاوز عنه ويغفر له

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب أن تؤتى رخصته ، كما يكره أن تؤتى معصيته » لفظ ابن حبان ، وفي انظر لاحد « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الأثم مثل جبال عرفة » ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجباً في بعض الاحيان وهو ما اذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوباً ، وقد يكون مباحاً بحسب الاحوال ، واختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق ، أو له أن يشبع ، أو يشبع ويتزود ؟ على أقوال كما هو مقرر في كتاب الاحكام ، وفيما اذا وجد ميتة وطعام الغير أو صيداً وهو محرم هل يتناول الميتة أو ذلك الصيد ويلزمه الجزاء أو ذلك الطعام ويضمن بدله ؟ على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله . وليس من شرط جواز تناول الميتة أن يمضي عليه ثلاثة أيام لا يجد طعاماً كما قد يتوهمه كثير من العوام وغيرهم ، بل متى اضطر إلى ذلك جاز له ، وقد قال الامام احمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الازاعي حدثنا حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا يا رسول الله : انا بأرض تصيبنا بها الخمصة فتني تحمل لنا بها الميتة ؟ فقال « اذا لم تصطبحوها ، ولم تغتبقوها ، ولم تحتفوا بها بقلأ فشا نسكم بها » (١) تفرد به احمد من هذا الوجه وهو اسناد صحيح على شرط الصحيحين ، وكذا رواه ابن جرير عن عبد الأعلى بن واصل عن محمد بن القاسم الاسدي عن الازاعي به ، لكن رواه بعضهم عن الازاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ومنهم من رواه عن الازاعي عن حسان عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به ، ورواه ابن جرير عن هناد بن السري عن عيسى بن يونس عن حسان عن رجل قد سمي له فذكره ، ورواه أيضاً عن هناد عن ابن المبارك عن الازاعي عن حسان مرسلًا وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون قال : وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه فكان فيه : ويجزي من الاضطرار غبوق أو صبوخ . حدثنا أبو كريب حدثنا هشيم عن الخصيب بن زيد التميمي حدثنا الحسن أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : متى يحل الحرام ؟ قال فقال « إلى متى يروى

(١) تحتفوا روي

بالهمز قيل وهو من الحفاء وهو نبات أو البردي من التمراي الايض الرطب منه واستشكل بانه ليس بقلا وصحح بعضهم عدم همزه من الاحتفاء وهو المبالغة في طلب البقل اي نبات الارض

قوله عز وجل ﴿ فمن اضطر في مخمصة ﴾ أي جهد في مجاعة والخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاوياً خاوياً ﴿ غير متجانف لأثم ﴾ أي مائل الى اثم وهو أن يأكل فوق الشبع ، وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ وفيه اضرار أي فأكله فإن الله غفور رحيم . أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيدة القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الازاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي قال رجل

أهلك من اللبن أو تبيخي مبرتهم » حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن جده عروة بن الزبير عن جدته أن رجلا من الأعراب أتى النبي ﷺ يستفتيه في الذي حرم الله عليه والذي أحل له ، فقال النبي ﷺ « يحل لك الطيبات ويحرم عليك الحبائث إلا أن تفتقر إلى طعام لك فتأكل منه حتى تستغني عنه » فقال الرجل : وما فتري الذي يحل لي وما غنائي الذي يغنيني عن ذلك ؟ فقال النبي ﷺ « إذا كنت ترجو غنا تطلبه فتباعد من ذلك شيئا فاطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني عنه » فقال الأعرابي ما غنائي الذي أدعه إذا وجدته فقال ﷺ « إذا رويت أهلك غبوقا من الليل فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام مالك فإنه ميسور كله فليس فيه حرام » ومعنى قوله « ما لم تصطبخوا » يعني به الغداء « وما لم تعتقبوا » يعني به العشاء « أو تحتفئوا بقلأ فشا أنكم بها » فكلوا منها . وقال ابن جرير : يروى هذا الحرف يعني قوله « أو تحتفئوا » على أربعة أوجه : تحتفئوا بالهمزة (وتحتفئوا) بتخفيف الياء والحاء (وتحتفئوا) بتشديد (وتحتفئوا) بالحاء وبالتخفيف ويحتمل الهمز كذا رواه في التفسير

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا الفضل بن دكن حدثنا وهب ابن عقبة العامري سمعت أبي يحدث عن النجيم العامري أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : ما يحل لنا من الميتة ، قال « ما طعامكم » قلنا نصطيح ونقتبى . قال أبو نعيم : فسمعه لي عقبة . قدح غدوة وقدح عشية قال : ذلك وأبي الجوع ، وأحل لهم الميتة على هذه الحال . تفرد به أبو داود وكأنهم كانوا يصطبحون ويعتقبون شيئا لا يكفيهم فأحل لهم الميتة لتمام كفايتهم ، وقد يحتاج به من يرى جواز الأكل منها حتى يبايع حد الشبع ، ولا يتقيد ذلك بسد الزمق والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا ممالك عن جابر عن سمرة أن رجلا نزل الحرة ومعه أهله وولده فقال له رجل إن ناقتي ضلت فإن وجدتها فامسكها فوجدتها ولم يجد صاحبها فرضت فقالت له امرأته : انحرها فأبى فنقمت^(١) فقالت له امرأته : اسلخها حتى نقدد شحمها ولحمها فأنكاه قال لا حتى أسأل رسول الله ﷺ فأتاه فسأله فقال « هل عندك غني يغنيك » قال لا قال « فكلوها » قال فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال : هلا كنت نحرتها ؟ قال استحييت منك تفرد به وقد يحتاج به من يجوز الأكل والشبع والتزود منها مدة يغلب على ظنه الاحتياج إليها والله أعلم .

وقوله (غير متجانف لائم) أي متعاطل معصية الله فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر كما قال في سورة البقرة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) وقد استدل بهذه الآية

بارسول الله إنا نكون بالارض فتصديننا المخصبة فتحي تحمل لنا الميتة ؟ فقال « ما لم تصطبخوا أو تعتقبوا »

من يقول بأن المعاصي يسفره لا يترخص بشيء من رخص السفر^(١) لأن الرخص لا تنال بالمعاصي والله أعلم

يسألونك ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين

تعلمونهم مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم عليه الله واتقوا الله إن الله

سريع الحساب (٤)

لما ذكر تعالى محرمه في الآية المتقدمة من الحباث الضارة لمتناولها إما في بدنه أو في دينه أو فيها واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة كما نال (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه)

قال بعدها (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) كما في سورة الاعراف في صفة محمد ﷺ أنه يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الحباث . قال ابن أبي حاتم . حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي بكير

حدثني عبد الله بن لميعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن بهلول الطائنين سألا رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله : قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها ، فنزلت

(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) قال سعيد . يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل : الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيده وهو الحلال من الرزق ، وقد سئل الزهري عن

شرب البول للتداوي فقال : ليس هو من الطيبات . رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن وهب : سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس فقال : ليس هو من الطيبات ، وقوله تعالى (وما علمتم من

الجوارح مكلبين) أي أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق ، وأحل لكم ما صدقوه بالجوارح وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباهاها فهو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين

والائمة ومن قال ذلك علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وما علمتم من الجوارح مكلبين) وهن قوله (يسألونك ماذا أحل لهم) الآية . قال سعيد ابن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم

وزيد بن المهمل الطائنين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير قالوا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية ، وقيل إن سبب نزولها أن النبي ﷺ

لما أمر بقتل الكلاب قالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها ؟ فنزلت هذه الآية فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشر أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الزيايدي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط » والاول أصح في سبب نزول الآية (قل أحل لكم الطيبات) يعني الذبائح على اسم

الله تعالى ، وقيل كل ما تستطيه الغرب وتستلذه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة (وما علمتم من الجوارح) يعني وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح ، واختلفوا في هذه الجوارح

(١) هذه الرخصة

ليست خاصة بالسفر

والآية لا تدل لغة

على ما ذكر فالتحقيق

أن المتجاف للآثم

هنا هو المائل إليه وهو

الباغي والعادي هناك

والاول المريد لأكل

الحرم لذاته على كل

حال من بغى الشيء

طلبه والثاني المتجاوز

لحد الضرورة أو

الحاجة على الخلاف

من عدا الشيء تجاوزه

وفي المسألة مذهبان

معروفان أرجحها

أيسرها

الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد والجوارح يعني الكلاب الضواري والفهود والصقور وأشباهها . رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال وروى عن خثيمة وطارس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك ، وروى عن الحسن أنه قال : الباز والصقر من الجوارح ، وروى عن علي بن الحسين مثله ، ثم روى عن مجاهد أنه كره صيد الطير كله وقرأ قوله (وما علمتم من الجوارح مكلبين) قال وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك ونقله ابن جرير عن الضحاك والسدي ، ثم قال حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال : أما ماصد من الطير البازات وغيرها من الطير فما أدركت فهو لك وإلا فلا تطعمه ، قالت والمحكي عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لأنها تكلب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب فلا فرق وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم واختاره ابن جرير ، واحتج في ذلك بما رواه عن هناد : حدثنا عيسى بن يونس عن مجاهد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال « ما أمسك عليك فكل » واستثنى الإمام أحمد صيد الكلب الأسود لأنه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود » فقلت ما بال الكلب الأسود من الأحمر ، فقال الكلب الأسود شيطان ، وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم قال « ما يلهم بالكلاب اقتلوا منها كل أسود بهيم » وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن جوارح من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خيراً أي كسبهم خيراً ، ويقولون فلان لا جرح له أي لا كسب له وقال الله تعالى (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي ما كسبتم من خير وشر وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية الشريفة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا زيد بن حباب حدثني يونس بن عبيدة حدثني أبان بن صالح عن العتاق بن حكيم عن سلمى أم رافع عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب فقلت فجاء الناس فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فسكت فأنزل الله (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم

فقال الضحاك والسدي : هي الكلاب دون غيرها ، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن تدرك ذكاه وهذا غير معمول به بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكوااسب من سباع البهائم كالنهد والنمر والكلب ، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيدها جميعاً ، سميت جارحة لجرحها أربابها أقواتهم من الصيد أي كسبها ، يقال فلان جارحة أهله أي كسبهم مكلبين) والمكلب الذي يغري الكلب على الصيد ويقال للذي يعلمها أيضاً مكلب ، والكلاب صاحب الكلاب ، ويقال للصائد بها أيضاً كلاب ، ونصب مكلبين على الحال أي في حال تكليبيكم هذه الجوارح أي اغرائكم إياها على الصيد ، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم والمراد جميع جوارح الصيد (تعلمونهن) تؤدبونهن آداب أخذ الصيد (مما علمكم الله) أي من العلم الذي علمكم الله ،

الطييات وما علمتم من الجوارح مكليين الآية) فقال النبي ﷺ إذا أرسل الرجل كلبه وسمى فأمسك عليه فيما كل ما لم يأكل «وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب بإسناده عن أبي رافع قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ليستأذن عليه فأذن له فقال قد أذن لك يا رسول الله قال أجل «ولكننا لا تدخل بيتا فيه كلب» قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبج عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاءوا فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله ﷺ قال فأنزل الله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطييات وما علمتم من الجوارح مكليين) ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح به وقال صحيح ولم يخرجاه وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي فجاء عاصم بن عدي وسعد بن خيشمة وعويم ابن ساعدة فقالوا ماذا أحل لنا يا رسول الله فنزلت الآية ورواه الحاكم من طريق سماك عن عكرمة وكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية أنه في قتل الكلاب

وقوله تعالى (مكليين) يحتمل أن يكون حالا من الضمير في علمتم فيكون حالا من الفاعل ويحتمل أن يكون حالا من المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهم مكليين للصيد وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها فيستدل بذلك والحالة هذه على أن الجوارح إذا قتل الصيد بصدمته ولا بمخالبه وظفره أنه لا يحل كما هو أحد قولي الشافعي^(١) وطائفة من العلماء ولهذا قال (تعلمونهم مما علمكم الله) وهو أنه إذا أرسله استرسل وإذا أشلاه استشلى وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسكه لنفسه ولهذا قال تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) فنفى كل الجوارح معلما وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت إرساله حل الصيد وإن قتله بالاجماع. وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قلت

قال السدي: أي كما علمكم الله من بمعنى الكاف ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ أراد أن الجارحة المعلمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالا، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء إذا أشليت استشلت، وإذا زجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مرارا وأقله ثلاث مرات كانت معلة يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال «إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك وقتل فكل، وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن فلا تأكل فانك لا تدري أيها قتل، وإذا رميت

(م ١٠ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

(١) اقتصر عليه
لموافقته لما أطال في
الاستدلال عليه ووفقنا
كل دليل له قال النبي
(ص) لعدي بن حاتم
(فإن أخذ الكلب ذكاة)
قال الحافظ في شرحه
من الفتح: فلو قتل
الكلب بظفره أو نايه
حل وكذا بثقله على
أحد القولين للشافعي
وهو الراجح عندهم

يارسول الله أني أرسل الكلاب المعلمة وإذا ذكر اسم الله فقال «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما أمسك عليك قلت وإن قتل قال «وان قتلان ما لم يشر كذا كذا ليس فيها فأنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره فأصيب «قلت له فاني أربي بالمعروض الصيد فقال «إذا رميت بالمعروض فخرق فكله ، وإن أصابه بعرض فانه وقيد فلا تأكله « وفي لفظ لها «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أمسك عليك فأدر كنهه حيا فاذبحه وان أدر كنهه قد قتل ولم يأكل منه فكله فان أخذ الكلب ذكاته « وفي رواية لها «فإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون أمسك على نفسه « فهذا دليل للجهمور وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث ، وحكي عن طائفة من السلف أنهم قالوا لا يحرم مطلقا ﴿ ذكر الآثار بذلك ﴾

قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال قال سلمان الفارسي: كل وإن أكل ثلثيه يعني الصيد إذا أكل منه الكلب وكذا رواه سعيد بن أبي عمرو وعمر بن عامر عن قتادة وكذا رواه محمد بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سلمان ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن حميد عن بكر بن عبد الله المزني والقاسم أن سلمان قال: إذا أكل الكلب فكل وإن أكل ثلثيه ، وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني مخرمة ابن بكير عن أبيه عن حميد بن مالك بن خنيم اللؤلؤي أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب فقال: كل وإن لم يبق منه إلا حذية^(١) يعني بضعة ورواه شعبة عن عبد ربه بن سعيد عن بكير بن الأشج عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: كل وإن أكل ثلثيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عامر عن أبي هريرة قال: إذا أرسلت كلبك فاكل منه فإن أكل ثلثيه وبقي ثلثه فكله . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر قال سمعت عبدا لله . وحدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما أمسك عليك أكل أو لم يأكل وكذا رواه عبيد الله

(١) هي تصغير حذوة وهي القطعة من اللحم والحذو القطع

الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل ، وإن وقع في الماء فلا تأكل « واختلفوا فيما إذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه روي ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي ، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قول الشافعي لقوله ﷺ « وإن أكل فلا تأكل فأنما أمسك على نفسه » ورخص بعضهم في أكله ، روي ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص ، وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الحشني قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل وإن أكل منه » وأما غير المعلم من الجوارح إذا أخذ صيدا أو المعلم إذا جرح بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل فلا يكون حلالا إلا أن يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون حلالا ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي

ابن عمر وابن أبي ذئب وغير واحد عن نافع فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر وهو محكي عن علي وابن عباس واختلف فيه عن عطاء والحسن البصري وهو قول الزهري وربيعه ومالك واليه ذهب الشافعي في القديم وأوما إليه في الجديد

وقد روي من طريق سلمان الفارسي مرفوعا فقال ابن جرير حدثنا عمران بن بكار الكلاعي حدثنا عبد العزيز بن موسى الألاجوني حدثنا محمد بن دينار وهو الطاجي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال «إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي» ثم قال ابن جرير وفي اسناد هذا الحديث نظر، وسعيد غير معلوم له سماع من سلمان وثقات برؤونه من كلام سلمان غير مرفوع وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح لكن قد روي هذا المعنى مرفوعا من وجوه أخر فقال أبو داود حدثنا محمد بن منهل الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال يا رسول الله إن لي كلابا مكلبة فأفتني في صيدها فقال النبي ﷺ «إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك» فقال ذكيا وغير ذكي وإن أكل منه؟ قال «نعم وإن أكل منه» فقال يا رسول الله أفتني في قوسي قال «كل ما ردت عليك قوسك» قال ذكيا وغير ذكي؟ قال «وإن تغيب عنك مالم يصيل»^(١) أو تجد فيه أثر غير سهمك» قال أفتني في آية المجوس إذا اضطربنا إليها قال «اغسلها وكل فيها» هكذا رواه أبو داود وقد أخرجه النسائي وكذا رواه أبو داود من طريق يونس بن سيف عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ثعلبة قال قال رسول الله ﷺ «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك» وهذان اسنادان جيدان، وقد روي الثوري عن سماك بن حرب عن عدي قال قال رسول الله ﷺ «ما كان من كلب ضار أمسك عليك فكل» قلت وإن لم أكل قال «نعم» وروي عبد الملك بن حبيب حدثنا أسد بن موسى عن ابن أبي زائدة عن الشعبي عن عدي بثله فهذه آثار دالة على أنه يغتفر وإن أكل منه الكلب وقد احتج بها من لم يحرم الصيد باكل الكلب وما أشبهه كما تقدم عن حكيمه عنهم وقد توسط آخرون فقالوا إن أكل عقب ما أمسكه فانه يحرم لحديث عدي بن حاتم، وللعلة التي أشار إليها النبي ﷺ «فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه» وأما إن أمسكه ثم انتظر صاحبه فطال عليه وجاع فأكل منه لجوعه فانه لا يؤثر في التحريم وحملوا على ذلك حديث أبي ثعلبة الخثني. وهذا تفريق حسن، وجمع بين الحديثين صحيح. وقد اتفق

(١) أي يصل
بكسر الصاد وتشديد
اللام أي ينتن

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن يزيد أنا حيوة أخبرني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي ادريس عن أبي ثعلبة الخثني قال قلت يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أننا نأكل في آيتهم؟ وبأرض صيد أميد بقوسي وبكلبي الذي ليس بعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟ قال «أما ما ذكرت من آية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها» وما صدت

الاستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه النهاية أن لو فصل من فصل هذا التفصيل وقد حقق الله أميته وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الاصحاب منهم . وقال آخرون قولاً رابعاً في المسئلة وهو التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي ، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم لأنه لا يقبل التعليم إلا بالاكل . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا اسباط بن محمد حدثنا أبو اسحق الشيباني عن حماد عن ابراهيم عن ابن عباس انه قال في الطير إذا أرسلته فقتل فكل فإن الكلب إذا ضربته لم يعد وإن تعليم الطير أن يرجع الى صاحبه وليس بضرب فاذا أكل من الصيد وثنت الریش فكل ، وكذا قال ابراهيم النخعي والشعبي وحماد بن أبي سليمان . وقد يحتاج لهؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا المحاربي حدثنا مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فما يحل لنا منها ؟ قال « يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهم مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » ثم قال « ما أرسلت من كلب وذكر اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك » قلت وإن قتل قال « وإن قتل ما لم يأكل » قلت يا رسول الله وإن خالطت كلابنا كلاباً غيرها قال « فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك » قال قلت إنا قوم نرمي فما يحل لنا قال - ما ذكرت اسم الله عليه وخزقت فكل » فوجه الدلالة لهم أنه اشترط في الكلب أن لا يأكل ولم يشترط ذلك في البزاة فدل على التفرقة بينهما في الحكم والله أعلم

وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) أي عند إرساله له كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك » وفي حديث أبي ثعلبة الخرجي في الصحيحين أيضاً « إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذا ذكر اسم الله » ولهذا اشترط من الأئمة كالامام أحمد رحمه الله في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث وهذا القول هو المشهور عن الجمهور أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال كما قال السدي وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (واذكروا اسم الله عليه) يقول إذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وإن نسيت فلا تخرج . وقال بعض الناس المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال « سم الله وكل يمينك وكل ما يليك » وفي صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا يا رسول الله إن قومنا يأتوننا حديث عهدهم بكفر بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا ؟ فقال « سموا الله أنتم واكلوا »

بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل ، وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل » ﴿ واتقوا الله أن الله سريع الحساب ﴾ ففيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح ، وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم

﴿حديث آخر﴾ وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن بديل عن عبد الله بن عبيد ابن عمير عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلةمتين فقال النبي ﷺ «أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفناكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره» وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن عمير وعائشة فانه لم يسمع منها هذا الحديث بدليل مارواه الامام أحمد : حدثنا عبد الوهاب أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان امرأة منهم يقال لها أم كلثوم حدثته عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعاما في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي جائع فأكله بلةمتين فقال «أما إنه لو ذكر اسم الله لكفناكم فاذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره» رواه أحمد أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي به وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿حديث آخر﴾ وقال احمد : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا جابر بن صبح حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وصحبته الى واسط فكان يسمى في أول طعامه وفي آخر لقمة يقول بسم الله أوله وآخره فقلت له انك تسمى في أول ما تأكل أرأيت قولك في آخر ما تأكل بسم الله أوله وآخره فقال أخبرك أن جدي أمية بن مخشي وكان من أصحاب النبي ﷺ سمعته يقول إن رجلا كان يأكل والنبي ينظر فلم يسم حتى كان في آخر طعامه لقمة قال بسم الله أوله وآخره فقال النبي ﷺ «والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمي فلم يبق شيء في بطنه حتى قاءه» وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الراسي أبي بشر البصري وثقه ابن معين والنسائي وقال أبو الفتح الأزدي لا تقوم به حجة .

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن خثيمة عن أبي حذيفة - قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الامام أحمد واسمه سلمة بن الهيثم بن حبيب - من أصحاب ابن مسعود عن حذيفة قال كنا إذا حضرنا مع النبي على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده وإننا حضرنا معه طعاما ما فجاءت جارية كأنما تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها وجاء أعرابي كأنما يدفع فذهب يضع يده في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيده فقال رسول الله ﷺ «إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه» وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده ان يده في يدي

ابن الحسن بن علوية الجوهري قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقرئ بالبصرة أنا عمر بن شيبة أنا ابن أبي عدي عن سعيد بن قتادة عن أنس قال ضحك رسول الله ﷺ بكبشين أملكين أقرنين

مع يدها « يعني الشيطان وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث الأعمش به .

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي قال « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء » لفظ أبي داود

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال للنبي ﷺ انا يأكل وما تشبع قال « فلعنكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه » ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم

اليوم أ ل لکم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لکم وطعامکم ل لهم،
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم من
أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان . ومن يكفر بالآيئين فقد حسب

عماه وهو في الآخرة من الخاسرين (٥)

لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الحباث وما أحله لهم من الطيبات قال بعده (اليوم أحل لكم الطيبات) ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعطاء بن الحسن ومكحول وإبراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان يعني ذبائحهم وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله (١) وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزله عنه تعالى وتقدس . وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مغفل قال أدلى بحراب من شحم يوم خيبر فحضنته وقلت لأعطي اليوم من هذا أحداً والتفت فإذا النبي ﷺ يتبسم فاستدل به الفتية على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنمة قبل القسمة وهذا

(١) هذا التعليل
يصح في اليهود دون
النصارى

ذبائحها بيده وسمى وكبر قال آيته واضحة قدمه على صفاحها ويذبحها بيده ويقول « بسم الله والله أكبر »
قوله عز وجل ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ يعني الذبائح على اسم الله عز وجل ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث محمد ﷺ حلال لكم ، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته ، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال ابن عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب أكبر أهل العلم إلى أنه يحل ، وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول

ظاهر واستدل به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة على أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم كالشحوم ونحوها مما حرم عليهم فالمالكية لا يجوزون للمسلمين أكله لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) قالوا وهذا ليس من طعامهم واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث وفي ذلك نظر لانه قضية عين ويحتمل ان يكون شحما يعتقدون حله كشحم الظئر والحوايا ونحوها والله أعلم وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح ان أهل خيبر أهدوا رسول الله ﷺ شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فمضى منه نهشة فأخبره الذراع انه مسوم فلفظه وأثر ذلك في ثنايا رسول الله ﷺ وفي أبهره وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتل اليهودية التي سمعتها وكان اسمها زينب فقتلت بشر بن البراء . ووجه الدلالة منه انه عزم على أكلها ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا ، وفي الحديث الآخر ان رسول الله ﷺ أضافه يهودي على خبز شعير وإهالة سنخة يعني ودكا زنخا وقال ابن أبي حاتم قريء على العباس بن الوليد بن مزيد أخبرنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان بن المنذر عن مكحول قال أنزل الله (ولأنأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخه الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب وفي هذا الذي قاله مكحول رحمه الله نظر فانه لا يلزم من أباحتهم طعام أهل الكتاب أباحتهم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم وقرابينهم وهم متعبدون بذلك ولهذا لم يبيح ذبائح من عداهم من أهل الشرك ، ومن شابههم لأنهم لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم بل ولا يتوقفون فيما يأكلونه من اللحم على ذكاة بل يأكلون الميتة بخلاف أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن يتمسك بدين إبراهيم وشيث وغيرهما من الانبياء على أحد قولي العلماء . ونصاري العرب كبني تغلب وتوخ وبهرا وجدام ولخم وعاملة ومن أشبههم لا تؤكل ذبائحهم عند الجمهور

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن محمد بن عبيدة قال قال علي لا تأكلوا ذبائح بني تغلب لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر ، وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن انها كانا لا يريان بأسا بذبحة نصاري بني تغلب . وأما الجحوس فأنهم وان اخذت منهم الجزية تبعوا واخافا لاهل الكتاب

سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قال : يحل فان الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ، وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله واذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك

قوله عز وجل ﴿ وطعامكم حل لهم ﴾ فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع . قال الزجاج : معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين وقيل لأنه ذكر عقيقه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال : حلال لكم أن تطعموهم حرام

فانهم لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نسائهم خلافا لابي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل. ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال عنه الامام أحمد أبو ثور كاسمه يعني في هذه المسئلة وكأنه تمسك بعموم حديث. روي مرسلا عن النبي ﷺ انه قال «سواءهم سنة أهل الكتاب» ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وإنما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عداكم من أهل الأديان لا يحل^(١) وقوله تعالى (وطعامكم حل لكم) أي ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم وليس هذا اخبارا عن الحكم عندهم اللهم إلا ان يكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها والاول أظهر في المعنى أي وانكم ان تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم وهذا من باب المكافأة والمقابل والمجازاة كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله ابن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه قالوا لانه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه فجازاه النبي ﷺ ذلك بذلك فأما الحديث الذي فيه «لا تصحب^(٢) الا مؤمنا ولا يأكل طعامك» الا في فمحمول على الذنب والاستحباب والله أعلم

(١) فيه ان هذا مفهوم القبح وهو ليس بحجة

(٢) في الجامع الصغير وغيره (لا تصاحب) الخ

وقوله (والمحصنات من المؤمنات) أي وأحل لكم نكاح الحرائر اعفائف من النساء المؤمنات وذكر هذا ترطئة لما بعده وهو قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فيقول اراد بالمحصنات الحرائر دون الاماء حكاه ابن جرير عن مجاهد وإنما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل ان يكون أراد ما حكاه عنه ويحتمل ان يكون أراد بالحرة العفيفة كما قال في الرواية الاخرى عنه وهو قول الجمهور ههنا وهو الاشبه لئلا يجتمع فيها ان تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالسكينة ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل «حشفا وسوء كيلة» والظاهر من الآية ان المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الاخرى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) ثم اختلف المفسرون والعلماء في قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هل يعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة حكاه ابن جرير عن

عليكم أن تزوجوهم. قوله عز وجل ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ هذا راجع إلى الاول منقطع عن قوله (وطعامكم حل لكم) واختلفوا في معنى المحصنات فذهب أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة وهو قول مجاهد. وقال هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى (فما ملكتم أيمانكم من قياتكم المؤمنات) يجوز نكاح الامة بشرط أن تكون مؤمنة وجوز أكثرهم نكاح الامة الكتابية الحرة. وقال ابن عباس: لا يجوز وقرأ (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) — إلى قوله —

طائفة من السلف ممن فسر المحصنة بالعفيفة وقيل المراد بأهل الكتاب ههنا الاسرائيليات وهو مذهب الشافعي وقيل المراد بذلك الذميات دون الماريات لقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شرًا أعظم من أن تقول ان ربها عيسى وقد قال الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب حدثنا القاسم بن مالك يعني المزني حدثنا اسمعيل ابن سميع عن أبي مالك الغفاري عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) قال فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدما (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فنكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأسًا أخذوا بهذه الآية الكريمة (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ان قيل بدخول الكتابيات في عمومها والافلا معارضة بينهما وبينها لان أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع كقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيمهم البيعة) وكقوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمة المؤمنة أن أسلمتم فأن أسلموا فقد اهتدوا) الآية وقوله (اذا آتيموهن أجورهن) أي مهورهن أي كاهن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس وقد أفتي جابر بن عبد الله وعامر الشعبي وابراهيم النخعي والحسن البصري بأن الرجل اذا نكح امرأة فزنت قبل دخوله بها انه يفرق بينهما ، وترد عليه ما بذل لها من المهر رواه ابن جرير عنهم

وقوله (محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) فكما شرط الاحصان في النساء وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهوان يكون الرجل أيضا محصنا عفيفا ولهذا قال غير مسافحين وهم الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية ولا يردون أنفسهم عن جاءهم ولا متخذي اخدان أي ذوي العشقات الذين لا يفعلون الامعنه كما تقدم في سورة النساء سواء ، ولهذا ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى انه لا يصح نكاح المرأة حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون) فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ، ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه ، وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية العفائف من الفريقين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو قول الحسن . وقال الشعبي : احصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة ﴿ اذا آتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ﴾ غير عالنين بالزنا ﴿ ولا متخذي أخدان ﴾ أي غير مسرين تسروهن بالزنا . قال الزجاج : حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحل على جهة الاحصان وهو التزوج ﴿ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ قال مقاتل بن حيان يقول : ليس احصان المسلمين اياهن والذي يخرجهن من الكفر أو يعني عنهن شيئاً وهي للناس عامة

البغوي حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذلك لا يصح عنده عند الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا لهذه الآية وللحديث «لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله» وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب - لقد هممت أن لأدّم أحدا أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج محصنة فقال له أبي بن كعب يا أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد يقبل منه إذا تاب وسيأتي الكلام على هذه المسئلة مستقصى عند قوله (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) ولهذا مالنا إلى ههنا (ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)

ياعيا الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم إن الله تعالى تبارك وتعالى (٦)

قال كثيرون من السلف في قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) يعني وأنتم محدثون وقال آخرون إذا قمتم من النوم إلى الصلاة وكلاهما قريب . وقال آخرون بل المعنى أعم من ذلك فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب وقد قيل إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الإسلام ثم نسخ

وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال قال النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر يا رسول الله أنك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال «أني عمدا فعلته ياعمر» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد ووقع في سنن

(ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى (ومن يكفر بالآيمان) أي بالله الذي يجب الإيمان به . وقال الكلبي بالآيمان أي بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله . وقال مقاتل : بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن وقيل (ومن يكفر بالآيمان) أي يستحل الحرام ويحرم الحلال (فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) قال ابن عباس خسر اثواب قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله

ابن ماجه عن سفيان عن محارب بن دثار بدل علقمة بن مرثد كلاهما عن سليمان بن بريدة به وقال الترمذي حسن صحيح .

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي حدثنا الفضل بن المبرشر قال رأيت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد فإذا بل أو أحدث توضع ومسح بفضله طهوره الخفين فقلت أبا عبد الله شيء يصنعه برأيك؟ قال بل رأيت النبي ﷺ يصنعه فأنا أصنعه كما رأيت رسول الله يصنعه وكذا رواه ابن ماجه عن اسمعيل بن توبة عن زياد البكائي به وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق حدثني محمد بن يحيى بن حبان الانصاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال رأيت وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر عن هو؟ قال حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن النسييل حدثها أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه^(١) أمر بالسؤال عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك كان يفعله حتى مات وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الجمعي عن أحمد بن خالد الذهبي عن محمد بن اسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ثم قال أبو داود ورواه ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحق فقال عبيد الله بن عمر يعني كما تقدم في رواية الامام أحمد وأيا ما كان فهو اسناد صحيح وقد صرح ابن اسحق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان فزال محذور التدليس لكن قال الحافظ ابن عساكر رواه شعبة ابن الفضل وعلي بن مجاهد عن ابن اسحق عن محمد بن طلحة ابن يزيد بن ركانة عن محمد بن يحيى بن حبان به والله أعلم وفيه ابن عمر هذا ومدامته على اسباغ الوضوء لكل صلاة دلالة على استحباب ذلك كما هو مذهب الجمهور .

وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضؤون لكل صلاة . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت مسعود بن علي الشيباني سمعت عكرمة يقول كان علي رضي الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية وحدثنا ابن المثني حدثني وهب ابن جرير أخبرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال رأيت علياً صلى الله عليه وسلم

تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي إذا أردت القراءة ، وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية (إذا قمتم إلى الصلاة) وأنتم على غير طهر قال النبي ﷺ « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد . أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو

(١) وفي الازهرية
على رسول الله (ص)

قعد للناس في الرحبة ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه ثم مسح برأسه ورجليه وقال هذا وضوء من لم يحدث وحديث يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم ان علياً لم يكتل من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز فقال هذا وضوء من لم يحدث . وهذه طرق جيدة عن علي يقوي بعضها بعضاً . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن يسار حدثنا بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال توضأ عمر ابن الخطاب وضوءاً فيه تجوز خفيفاً فقال هذا وضوء من لم يحدث وهذا اسناد صحيح . وقال محمد بن سيرين كان الخلفاء يتوضؤون لكل صلاة وأما مارواه أبو داود الطيالسي عن أبي هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء فهو غريب عن سعيد بن المسيب ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد وأما مشروعيته استحباباً فقد دلت السنة على ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عمرو بن عامر الانصاري سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة قال قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال كنا نصلي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم يحدث ، وقد رواه البخاري وأهل السنن من غير وجه عن عمرو بن عامر به وقال ابن جرير حدثنا أبو سعيد البغدادي حدثنا اسحق بن منصور عن هريم عن عبد الرحمن ابن زياد هو الافريقي عن غطيف عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات » ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس عن الافريقي عن أبي غطيف عن ابن عمر فذكره وفيه قصة وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الافريقي به نحوه وقال الترمذي وهو اسناد ضعيف وقال ابن جرير وقد قال قوم إن هذه الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب الا عند القيام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال وذلك لأنه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الاعمال كلها حتى يتوضأ . حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن جابر عن عبد الله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أراق البول لا نكلمه ولا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى نزلت آية الرخصة « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة » الآية ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم عن أبي كريب به نحوه وهو حديث غريب جداً وجابر هذا هو ابن زيد الجعفي ضعفه .

وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله

ابن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سلمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه . وقال زيد بن أسلم : معنى الآية (إذا قمتم الى الصلاة) من النوم . وقال بعضهم : هو أمر على طريق الندب ندب من قام الى الصلاة أن يجد لها طهارة وإن كان على طهر ، روى ابن عمر رضي الله عنه عنهما أن النبي ﷺ قال « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء .

ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء فقدم إليه طعام فقالوا ألا تأتيناك بوضوء فقال (إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة) وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب عن اسماعيل وهو بن علي بن به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الخويرة عن ابن عباس قال كنا عند النبي ﷺ فأتى الخلاء ثم إنه رجع فأتى بطعام فقيل يا رسول الله ألا تنوضأ فقال (لم أصل فأتوضأ)

وقوله (فاغسلوا وجوهكم) قد استدلت طائفة من العلماء بقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) على وجوب النية في الوضوء لأن تقدير الكلام (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) كما تقول العرب إذا رأيت الأمير فقم أي له وقد ثبت في الصحيحين حديث الأعمال بالنيات (وإنما لكل أمرى ما نوى) ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء ويتأكد ذلك عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده) وحد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ولا اعتبار بالصاع ولا بالغم إلى منتهى اللحية والذقن طولاً ، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ، وفي التزعين والتخفيف خلاف هل هما من الرأس أو الوجه ، وفي استرسال من اللحية عن محل الفرض قولان (أحدهما) أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه تقع به المواجهة . وروى في حديث أن النبي ﷺ رأى رجلاً مغطياً لحيته فقال اكشفها فإن اللحية من الوجه . وقال مجاهد هي من الوجه ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام إذا نبتت لحيته طلع وجهه ، ويستحب المتوضي أن يخلل لحيته إذا كانت كثيفة . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عامر بن حمزة عن شقيق قال رأيت عثمان توضأ فذكر الحديث قال وخلل اللحية ثلاثاً حين غسل وجهه ثم قال رأيت رسول الله ﷺ فعل الذي رأيتموني فعلت رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح وحسنه البخاري

وقال أبو داود حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا أبو المليح حدثنا الوليد بن زوران عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أمم كفاً من ماء فادخله تحت حنكه يخلل به لحيته

عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر ، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة . وقال بعضهم : هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة . أخبرنا أبو القاسم الحنفي أنا أبو الحارث الطاهري أنا الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عيينة عن

وقال «هكذا أمرني به ربي عز وجل» تفرد به أبو داود وقد روي هذا الوجه من غير وجه عن أنس قال البيهقي وروينا في تخليل اللحية عن عمار وعائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ ثم عن علي وغيره وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر والحسن بن علي ثم عن النخعي وجماعة من التابعين وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه في الصحاح وغيرها أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق فاختلف الأئمة في ذلك هل هما واجبان في الوضوء والغسل كما هو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله أو مستحبان فيهما كما هو مذهب الشافعي ومالك لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة عن رفاع بن رافع الزرقي أن النبي ﷺ قال المسمي «صلاته» توضأ كما أمرك الله أو يجبان في الغسل دون الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الإمام أحمد لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «من توضأ فليستنشق» وفي رواية «إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم لينثر» والائتنار هو المبالغة في الاستنشاق

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا سليمان بن بلال عن زبد بن أسلم عن عطية بن يسار عن ابن عباس أنه توضأ فغسل وجهه أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا يعني أضائها إلى يده الأخرى فغسل بها وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء ثم رش على رجليه اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجليه اليسرى ثم قل هكذا رأيت رسول الله ﷺ يعني يتوضأ . ورواه البخاري عن محمد بن عبد الرحيم عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزازي به وقوله (وايديكم إلى المرافق) أي مع المرافق كما قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم) أنه كان حوبا كبيرا) وقد روى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي عن طريق القاسم بن محمد عبد الله بن محمد بن عقيل عن جده عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث وجده ضعيف والله أعلم

وبستحب للمتوضي أن يشرع في العضد فيغسله مع ذراعيه لما روى البخاري ومسلم من حديث نعيم المجر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل» وفي صحيح مسلم عن قتادة عن

عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأني بطعام فقليل له الا تتوضأ فقال «لم اصل فأتوضأ» قوله عز وجل ﴿فأغسلوا وجوهكم﴾ وحد الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا يجب غسل جميعه في الوضوء ، ويجب أيضا إيصال الماء إلى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعدار والعنقة وإن كانت كشفة ، وأما العارض واللحية فان كانت كشفة لا ترى البشرة من تحتها

خلف بن خليفة عن أبي مالك الاشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال سمعت خليلي ﷺ يقول « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »

وقوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) اختلفوا في هذه الباء هل هي للاصاق وهو الاظهر أو للتبعيض وفيه نظر على قواين ومن الاصوليين من قال هذا مجمل فايرجع في بيانه الى السنة وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وهو جد عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي ﷺ هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد نعم فدعا بوضوء فافرغ على يديه فغسل يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجله . وفي حديث عبد خير عن علي في صفة وضوء رسول الله ﷺ نحوه هذا وروى أبو داود عن معاوية والمقداد بن معد يكرب في صفة وضوء رسول الله ﷺ مثله في هذه الاحاديث . دلالة لمن ذهب الى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الامام مالك واحمد بن حنبل لاسيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما اجمل في القرآن . وقد ذهب الحنفية الى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية وذهب اصحابنا الى انه إنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ولا يتقدر ذلك بحدد بل لو مسح بعض شعرة من رأسه أجزأه^(١) واحتج الفريقان بحديث الغيرة بن شعبة قال تخلف النبي ﷺ فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأتيت بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه فغسل ذراعيه ومسح بनावيته ، وعلى العمامة وعلى خفيه . وذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره فقال لهم أصحاب الامام احمد إنما اقتصر على مسح الناصية لانه كل مسح بقية الرأس على العمامة ونحن نقول بذلك انه يقع عن الموضع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة وانه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين فهذا اولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية او بعض الرأس من غير تكميل على العمامة والله أعلم . ثم اختلفوا في أنه هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثاً كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين فقال عبد الرزاق عن

(١) هذا لا يسمى

مسحاً للرأس ولا

بالرأس قطعاً

لا يجب غسل باطنها في الوضوء ، بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهرها ما استرسل من اللحية عن الذقن فيه قولان (أحدهما) لا يجب ، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه : لان الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه كذلك النازل عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله (والقول الثاني) يجب امرار الماء على ظاهره لان الله تعالى أمر بغسل الوجه والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو ، ويقال في اللغة : بقل وجهه فلان وخرج

معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن حمران بن أبان قال رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم مسح برأسه ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً مثل ذلك ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحوه وضوئي هذا ثم قال « من توضأ نحوه وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري به نحوه هذا . وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة عن عثمان في صفة الوضوء ومسح برأسه مرة واحدة وكذا من رواية عبد خير عن علي مثله .

واحتج من استحب تكرار مسح الرأس بعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال أبو داود حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا عبد الرحمن بن وردان حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني حمران قال رأيت عثمان ابن عفان توضأ فذكر نحوه ولم يذكر المضمضة والاستنشاق قال فيه ثم مسح رأسه ثلاثاً ثم غسل رجله ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ هكذا وقال « من توضأ هكذا كفاه » تفرد به أبو داود ثم قال وأحاديث عثمان في الصحاح تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة .

قوله (وأرجلكم إلى الكعبين) فرى وأرجلكم بالنصب عطف على فافعلوا وجوهكم وأيديكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها وأرجلكم يقول رجعت إلى الغسل وروي عن عبد الله بن مسعود وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وإبراهيم والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان والزهري وإبراهيم التيمي نحوه ذلك وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قاله السلف ومن ههنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافاً لابن حنيفة حيث لم يشترط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه اجزأه ذلك لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء والواو لا تدل على الترتيب وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقاً ففهم من قال الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة لأنه مأثور به بقاء التعقيب وهي مقتضية للترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً ثم لا يجب الترتيب بعده بل النازل اثنان أحدهما يوجب الترتيب كما هو واقع في الآية ، والآخر يقول

وجهه إذا نبتت لحيته . قوله تعالى (وأيديكم إلى المرافق) أي مع المرافق كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي مع أموالكم . وقال (من أنصاري إلى الله ؟) أي مع الله وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين ، وفي الرجل يجب غسل الكعبين . وقال الشعبي ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين في غسل اليد والرجل لأن حرف إلى للغاية والحد فلا يدخل في المحدود ، قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا ، وقيل الشيء إذا حد إلى جنسه يدخل فيه للغاية ، وإذا

لا يجب الترتيب مطلقاً والآية ذات على وجوب غسل الوجه ابتداءً فوجب الترتيب فيما بعده لاجتماع لا فارق، ومنهم من قال لا نسلم ان الواو لا تدل على الترتيب بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء، ثم نقول بتقدير تسليم كونها لا تدل على الترتيب اللغوي هي دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب، والدليل على ذلك أنه ﷺ لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به» لفظ النسائي «أبدأ بما بدأ الله به» وهذا لفظ أمر واسناده صحيح فدل على وجوب البداء بما بدأ الله به وهو معنى كونها تدل على الترتيب شرعاً والله أعلم^(١). ومنهم من قال لما ذكر الله تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا الترتيب فقطع النظير عن النظير وأدخل الممسوح بين المغسولين دل ذلك على إرادة الترتيب. ومنهم من قال لاشك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ مرة مرة ثم قال «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به» قالوا فلا يخلوا ما أن يكون توضأ مرتباً فيجب الترتيب، أو يكون توضأ غير مرتب فيجب عدم الترتيب ولا قائل به فوجب ما ذكرناه وأما القراءة الاخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالخفض. فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس وقد روي عن طائفة من السلف ما يؤهم القول بالمسح. فقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا حميد قال قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده يا أبا حمزة إن الحجاج خطبنا بالاهواز ونحن معه فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال أنس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) قال وكان أنس اذا مسح قدميه بلهما، اسناد صحيح اليه.

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا عاصم الاحول عن أنس قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل، وهذا أيضاً إسناد صحيح. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب

حد إلى غير جنسه لا تدخل كقوله تعالى (ثم أمموا الصيام إلى الليل) لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار. قوله تعالى ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم. وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح، واحتج من أجاز مسح بعض الرأس بما أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى ابن حسان عن حماد بن زيد وابن علية عن أيوب السجستاني عن ابن سبير عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث، وبه قال الاوزاعي وأحمد وإسحق، ولم يجوز أكثر أهل العلم المسح على العمامة

(م ١٢ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

«١» وجهه
أنه (ص) أمر
بالبدء به لأن الله
تعالى بدأ به فكان
تعليلاً يدل اتباع ذلك
في مثله فيقدم كل ما
قدمه الله تعالى على ما
بعده كأعضاء الوضوء

حدثنا محمد بن قيس الخرساني عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال :
الوضوء غسلتان ومسحتان وكذا روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا أبو معمر المنقري حدثنا عبد الوهاب حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن
عباس (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) قال هو المسح ثم قال وروى عن ابن عمر وعقمة
وأبي جعفر محمد بن علي والحسن في إحدى الروايات وجابر بن زيد ومجاهد في إحدى الروايات نحوه
وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال رأيت عكرمة بمسح على رجله
قال وكان يقوله . وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس عن داود بن أبي هند عن الشعبي
قال نزل جبريل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً ويلبى ما كان مسحاً
وحدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد أخبرنا إسماعيل قلت لعامر إن ناساً يقولون إن جبريل نزل بغسل الرجلين
فقال نزل جبريل بالمسح فلهذا آثار غريبة جداً وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف
لما سنده من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة
وتناسب الكلام كما في قول العرب حجر ضب خرب وكقوله تعالى (عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق) وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان
عليهما الخفان قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله، ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين ولكن المراد
بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لا بد
منه للآية والاحاديث التي سنورها، ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف
ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال أخبرنا أبو علي الروزبادي حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محوية
العسكري حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت
المنزالي بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة
حتى حضرت صلاة العصر ثم أتى بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه

بدلاً عن مسح الرأس، وقال في حديث المغيرة إن فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية، وفيه دليل
على أن مسح جميع الرأس غير واجب

قوله عز وجل ﴿وَأَرْجِلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحض
(وَأَرْجِلَكُمْ) بنصب اللام، وقرأ الآخرون (وَأَرْجِلِكُمْ) بالخفض، فمن قرأ (وَأَرْجِلَكُمْ) بالنصب
فيكون عطفاً على قوله (فَاغْسِنُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ) أي واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفض فقد
ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، وروى عن ابن عباس أنه قال : الوضوء غسلتان
ومسحتان، ويروى ذلك عن عكرمة وقاتادة، وقال الشعبي : نزل جبريل بالمسح . وقال ألا ترى
التيمم يمسح ما كان غسلاً ويلبى ما كان مسحاً، وقال محمد بن جرير : يتخير المتوضي بين المسح على

ورجليه ثم قام فشرب فضائه وهو قائم ثم قال إن ناسا يكرهون الشرب قائماً وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت وقال « هذا وضوء من لم يحدث » رواه البخاري في الصحيح عن آدم ببعض معناه. ومن أوجب من الشيعة مسحها كما يمسح الخنثى فقد ضل وأضل وكذا من جوز مسحها وجوز غسلها فقد أخطأ أيضاً ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلها للاحاديث وأوجب مسحها للآية فلم يحقق مذهبه في ذلك فان كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب ذلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء لانهم يلبان الارض والطين وغير ذلك فأوجب ذلكما ليذهب ما عليهما ولكنه عبر عن ذلك بالمسح فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما فحكاه من حكاه كذلك ولهذا يستشكله كثير من القتها. وهو معذور فانه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدمه أو تأخر عليه لاندراجيه فيه وإنما أراد الرجل ما ذكرته والله أعلم. ثم تأملت كلامه أيضاً فاذا هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله (وأرجلكم) خفضا على المسح وهو كذلك ونصبا على الغسل فأوجبهما أخذاً بالجمع بين هذه وهذه .

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه ﴾

قد تقدم في حديث أمير المؤمنين عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن عمار يكره أن رسول الله ﷺ يغسل الرجلين في وضوئه إما مرة وإما مرتين أو ثلاثاً على اختلاف رواياتهم وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ توضأ فغسل قدميه ثم قال « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به »

وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادى بأعلى صوته « أسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار » وكذلك هو في الصحيحين

الخطين وبين غسل الرجلين ، وذهب جماعة أهل العلم من الصحابة والتابعين إلى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم كما قال تبارك وتعالى (عذاب يوم أليم) فالأليم صفة العذاب ، ولكنه أخذ أعراب اليوم للمجاورة وكقولهم : جحر ضب خرب . فالخرب نعت الجحر وأخذ أعراب الصب للمجاورة ، والدليل على وجوب غسل الرجلين ما أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب أنا يحيى محمد بن يحيى أنا الحجي ومسدد قالوا أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادانا بأعلى صوته « ويل للاعقاب من النار » أخبرنا

عن أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال «اسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار» وروى الليث بن سعد عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحرث بن حرز انه سمع رسول الله ﷺ يقول «ويل للاعقاب ويطون الاقدام من النار» رواه البيهقي والحاكم وهذا إسناد صحيح وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق انه سمع سعيد بن أبي كرب أو شعيب بن أبي كرب قال سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ويل للعراقيب من النار» وحدثنا أسود بن عامر أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن أبي كرب عن جابر بن عبد الله قال رأى النبي ﷺ في رجل رجل مثل الدرهم لم يغسله فقال «ويل للاعقاب من النار» ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الاحوص عن أبي اسحاق عن سعيد به نحوه وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي اسحاق الشيعي عن سعيد بن أبي كرب عن جابر عن النبي ﷺ مثله ثم قال حدثنا علي ابن مسلم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا حفص عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر ان رسول الله ﷺ رأى قوما يتوضون لم يصب أعقابهم الماء فقال «ويل للعراقيب من النار» وقال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أيوب بن عقبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقب قال قال رسول الله ﷺ «ويل للاعقاب من النار» تفرد به أحمد

وقال ابن جرير حدثني علي بن عبد الأعلى حدثنا المحارب عن مطر بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ «ويل للاعقاب من النار» قال فما بقى في المسجد شريف ولا وضع الا نظرت اليه قلب عرقويه ينظر اليهما . وحدثنا ابو كريب حدثنا حسين عن زائدة عن ليث حدثني عبد الرحمن بن سابط عن أبي امامة أو عن اخي أبي امامة ان رسول الله ﷺ ابصر قوما يصلون وفي عقب احداهم أو كعب احداهم مثل موضع الدرهم أو موضع الظفر لم يمسه الماء فقال «ويل للاعقاب من النار» قال فجعل الرجل اذا رأى في عقبه شيئاً لم يصبه الماء أعاد وضوءه . ووجه الدلالة من هذه الاحاديث

عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال : رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تيمم وضوءه واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل رجله اليسرى ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال «من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال بعضهم أراد بقوله (وأرجلكم) المسح على الخفين كما روي أن النبي ﷺ كان إذا ركب وضع يديه على ركبتيه، وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، ويقال قبل فلان رأس الأمير ويده وان كانت العمامة على رأسه ويده في كفه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

ظاهرة وذلك انه لو كان فرض الرجلين مسحها او انه يجوز ذلك فيهما لما تواعد على تركه لان المسح لا يستوعب جميع الرجل بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف وهكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى وقد روى مسلم في صحيحه من طريق ابي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ وقال « ارجع فأحسن وضوءك » وقال الحافظ ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحق الصنعائي حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جرير بن حازم انه سمع قتادة بن دعامة قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا جاء الى النبي ﷺ قد توضأ وترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له رسول الله ﷺ « ارجع فأحسن وضوءك » وهكذا رواه ابو داود عن هارون بن معروف وابن ماجه عن حرملة بن يحيى كلاهما عن ابن وهب به وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقة لكن قال ابو داود ليس هذا الحديث بمعروف لم يروه الا ابن وهب وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد اخبرنا يونس وحميد عن الحسن أن رسول الله ﷺ بمعنى حديث قتادة

وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية حدثني يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي ﷺ رأى رجلا يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمر رسول الله ﷺ أن يعيد الوضوء . ورواه ابو داود من حديث بقية وزاد الصلاة وهذا اسناد جيد قوي صحيح والله أعلم .

وفي حديث حمران عن عثمان في صفة وضوء النبي ﷺ أنه خلل بين أصابعه وروى أهل السنن من حديث اسمعيل بن كثير عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء فقال « أسبغ الوضوء واخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائما »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي قال قال أبو أمامة حدثنا عمرو بن عبسة قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال « ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينثر إلا خرت خطاياه من

اسماعيل أنا أبو نعيم زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال : كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال « أمعك ماء ؟ » فقلت نعم فنزل عن راحلته فمشی حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من الاداة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال « دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما

قوله تعالى (إلى الكعبين) فالكعبان هما العظامان الناتئان من جانبي القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين ، وفرائض الوضوء غسل الاعضاء الثلاثة كما

فه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أطراف أظفارها ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » قال أبو أمامة ياعمر بن الخطاب ما تقول سمعت هذا من رسول الله ﷺ أعطى هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن عبسة يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي ومباي حاجة أن أكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً . لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك وهذا إسناد صحيح وهو في صحيح مسلم من وجه آخر وفيه ثم يغسل قدميه كما أمره الله فدل على أن القرآن يأمر بالغسل ، وهكذا روى أبو اسحق السبيعي عن الحرث بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « اغسلوا القدمين إلى الكعبين كما أمرتم » ومن ههنا يتضح لك المراد من حديث عبد خير عن علي أن رسول الله ﷺ رش على قدميه الماء وهما في النعلين فدل كهما إنما أراد غسلاً خفيفاً وهما في النعلين ولا مانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها ولكن في هذا رد على المتعمقين والمتنطعين من الموسوسين ، وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه وهو من روايته عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال « أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه » وهو حديث صحيح . وقد أجاب ابن جرير عنه بأن الثقة الحفاظ روه عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال فبال قائماً ثم توضأ ومسح على خفيه قالت ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون في رجله خفان وعليهما نعلان وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى عن شعبة حدثني يعلى عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه ثم قام إلى الصلاة . وقد رواه أبو داود عن مسدد وعباد بن موسى كلاهما عن هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه وقد رواه ابن جرير من طريق شعبة ومن

ذكر الله تعالى ومسح الرأس ، واختلف أهل العلم في وجوب النية فذهب أكثرهم إلى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر إلى النية كسائر العبادات ، وذهب بعضهم إلى أنها غير واجبة وهو قول الثوري ، واختلفوا في وجوب الترتيب وهو أن يغسل أعضاءه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول مالك والشافعي وأحمد واسحق رحمهم الله ، ويروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه واحتج الشافعي بقول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وبدء النبي ﷺ بالصفا وقال « نبدأ بما بدأ الله به » وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلاً بما بدأ الله تعالى بذكره ، وذهب جماعة إلى أن الترتيب سنة وقالوا: الواوات المذكورة في الآية للجمع لا للترتيب كما قال

طريق هشيم ثم قال وهذا محمول على انه توضاً كذلك وهو غير محدث إذ كان غير جائز ان تكون فرائض الله وسنن رسوله متنافية متعارضة وقد مرح عنه صلى الله عليه وسلم الامر بعموم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عذر من انتهى اليه وبلغه ، ولما كان القرآن أمراً بغسل الرجلين كما في قراءة النصب وكما هو الواجب في حمل قراءة الحفص عليها توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة لخصه المسح على الخفين وقد روي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن لم يصح اسناده ثم الثابت عنه خلافه وليس كما زعموه فإنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة وقال الامام أحمد . حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن عاتكة عن عبد الكريم ابن مالك الجزري عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي قال أنا أسلمت بعد نزول المائدة وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمت تفرد به أحمد . وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن ابراهيم عن همام قال قال جرير ثم توضاً ومسح على خفيه فقبل تفعل هذا ؟ فقال نعم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضاً ومسح على خفيه قال الأعمش قال ابراهيم فكان يعجبهم هذا الحديث لان اسلام جرير كان بعد نزول المائدة . لفظ مسلم

وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلاً كما هو مقرر في كتاب الاحكام الكبير مع ما يحتاج الى ذكره هناك من تأقيت المسح أو عدمه أو التفصيل فيه كما هو مبسوط في موضعه وقد خافت الروافض في ذلك بلا مستند بل بجعل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن نكاح المتعة وهم يستيجونها ، وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة ، وهم يخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الامر والله الحمد ، وهكذا خالفوا الأئمة والسلف في الكعبين اللذين في القدمين فعندهم أنهما في ظهر القدم . فعندهم في كل رجل كعب وعند الجمهور ان الكعبين هما العظامان

تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية وانفقوا على انها لا تجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات إلى أهل السهمان ، ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راعى الترتيب بين أهل السهمان وفي الوضوء لم ينقل انه توضاً إلا مرتباً كما ذكر الله تعالى ، وبيان الكتاب يؤخذ من السنة كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) لما قدم الركوع على السجود ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعل إلا كذلك ، فكان مراعاة الترتيب فيه واجبا كذلك الترتيب هنا قوله عز وجل ﴿ وان كنتم جنبا فاطهروا ﴾ أي اغتسلوا : أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضاً كما يتوضأ للصلاة

الناتان عند مفصل الساق والقدم . قال الربيع قال الشافعي لم أعلم مخالفاً في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه في الوضوء هما الناتان وهما مجمع مفصل الساق والقدم هذا لفظه فعند الأئمة رحمهم الله في كل قدم كعبان كما هو المعروف عند الناس وكما دلت عليه السنة ففي الصحيحين من طريق جمران عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله اليمنى الى الكعبين واليسرى مثل ذلك

وروي البخاري تعليقا مجزوما به وأبوداود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسيني ابن الحرث الجدي عن النعمان بن بشير قال أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال « أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتقيمن صفوفكم أوليخالفن الله بين قلوبكم » قال فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه وركبته بركبة صاحبه ومنكبه بمنكبه . لفظ ابن خزيمة فليس يمكن أن يلزق كعبه بكعب صاحبه إلا والمراد به العظم الثاني في الساق حتى يحاذي كعب الآخر فدل ذلك على ما ذكرناه من أنهما العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم كما هو مذهب أهل السنة . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسمعيل ابن موسى أخبرنا شريك عن يحيى بن الحرث التيمي يعني الخابر قال نظرت في قتلى أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم تنكيلا بهم في مخالفتهم الحق وإسراهم عليه .

وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء فلا حاجة بنا الى إعادته لئلا يطول الكلام . وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك لكن البخاري روى هنا حديثاً خاصاً بهذه الآية الكريمة فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فاناخ رسول الله ﷺ ونزل فتنى رأسه في حجري راقداً فاقبل أبو بكر فذكرني لكزة شديدة وقال حبست الناس في قلادة فتمنيت الموت لمكان رسول الله ﷺ مني وقد أوجعني ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فامسحوا بوجوهكم) إلى آخر الآية فقال أسيد بن الخضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم الا بركة لهم

وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر بل

ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كما هو قوله تعالى ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم ﴾ بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم

أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء الا من بعض الوجوه كما تقدم بيانه وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير

وقوله تعالى (ولا يكن يريده ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرافة والرحمة والتسهيل والسماحة وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بان يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة كما رواه الامام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عقبه بن غامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فادركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فادركت من قوله « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة » قال قلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود منها فنظرت فاذا عمر رضي الله عنه فقال إني قد رأيتك جئت آنفاً قال « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء يقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » لفظ مسلم

وقال مالك عن نهمشل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » رواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن مالك به .

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن كعب بن مرة قال قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه الا خرجت خطاياه منهما فاذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه فاذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه فاذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله » هذا لفظه وقد رواه الامام أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور عن سالم عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي عن النبي ﷺ قال « واذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين يديه واذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه واذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه واذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله » قال شعبة ولم يذكر مسح الرأس وهذا إسناد صحيح

﴿ من حرج ﴾ ضيق ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ من الاحداث والجنابات والذنوب ﴿ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ قال محمد بن كعب القرظي اتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تبارك وتعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام

وروى ابن جرير من طريق شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه» وروى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض والصوم جنة والصبر ضياء والصدقة برهان والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وفي صحيح مسلم من رواية سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة بغير طهور» وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبي المليح الهذلي يحدث عن أبيه قال كنت مع رسول الله ﷺ في بيت فسمعت يقول «إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول» وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثقه الذي واثقكم به إذا قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن

الله عليم بذات الصدور (٧) يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما

بن عروة عن أبيه عن حمران أن عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثاً ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد يوماً فجاءه المؤذن فأذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال : والله لأحدثنكم حديثاً لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من امرئ مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها» قال مالك أراه يريد هذه الآية (أقم الصلاة لذكري) ورواه ابن شهاب ، وقال عروة الآية (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم الحجر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد فتوضأ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع أن يطيل منكم غرته فليفعل»

قوله تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يعني النعم كلها ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون ﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع

تعملون (٨) وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (٩) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١)

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وارساله اليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ومناصرته ومؤازرته والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند اسلامهم كما قالوا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في مشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وان لا تنازع الامر أهله، وقال الله تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذتميثاقكم إن كنتم مؤمنين) وقيل هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد ﷺ والالتحاق لشرعه رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم (ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا) قاله مجاهد ومقاتل بن حيان والقول الاول أظهر وهو المحكي عن ابن عباس والسدي واختيار ابن جرير ثم قال تعالى (واتقوا الله) تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال ثم أعلمهم انه يعلم مايتخالج في الضمائر من الاسرار

والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد ومقاتل يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ﴿ واتقوا الله ان الله عليه بدات الصدور ﴾ بما في القلوب من خير وشر قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ أي كونوا له قائمين بالعدل قوالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في أعمالهم وأقوالهم ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ ولا يحمِلنكم ﴿ شئان قوم ﴾ بغض قوم ﴿ على أن لا تعدلوا ﴾ أي على ترك العدل فيهم لعداوتهم ثم قال ﴿ اعدلوا ﴾ يعني في أوليائكم وأعدائكم ﴿ هو أقرب للتقوى ﴾ يعني إلى التقوى ﴿ واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ﴾ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴿ وهذا في موضع النصب لان فعل الوعد واقع على المغفرة ورفعها على تقدير أي وقال لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم * يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ بالدفع عنكم ﴾ إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ﴿ بالقتل ﴾ . وقال قتادة : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ يبطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وبأصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك

والخواطر فقال (إن الله عليم بذات الصدور) وقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) أي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة وكونوا (شهداء بالقسط) أي بالعدل لا بالجور وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال نحائي أبي نحلا فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاءه يشهده على صدقي فقال أكل ولدك فخلت مثله؟ قال لا قال «اتقوا الله واعدوا في أولادكم» وقال -إني لأشهد على جور- قال فرجع أبي فرد تلك الصدقة وقوله تعالى (ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدوا) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صدقاً كان أو عدوا ولهذا قال (اعدوا هو أقرب للتقوى) أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهو أذكى لكم) وقوله: هو أقرب للتقوى من باب استعمال الفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وكقول بعض الصحابييات لعمر أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ثم قال تعالى (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) أي وسيجزىكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولهذا قال بعده (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجر عظيم) وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده لا ينالونها بأعمالهم بل برحمته منه وفضله وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم وهو تعالى الذي جعلها أسباباً إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل منه وله فله الحمد والمنة ثم قال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجوز فيه بل هو الحكم العدل الحكيم القدير

وأُنزل الله صلاة الخوف، وقال الحسن: كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل، فقال رجل من المشركين: هل لكم في أن أقتل محمداً؟ قالوا وكيف تقتله؟ قال أفنتك به، قالوا وددنا أنك قد فعلت ذلك فأثنى النبي ﷺ والنبي ﷺ متقلداً سيفه فقال يا محمد: أرني سيفك فأعطاه إياه، فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة إلى السيف، ومرة إلى النبي ﷺ وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال «الله» فتهنأه أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف^(١) ومضى فأُنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مجاهد وعكرمة والكلابي وابن يسار عن رجاله بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو أخذ النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكباً من المهاجرين والانصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر واقتتلوا فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه الثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم. فقال أحد النفر: قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال: الله أكبر. الجنة ورب العالمين، فرجع أصحابه

(١) أي أغمدته

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر أن النبي ﷺ نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاء يستظلون تحتها وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله ﷺ فاخذه فسله ثم أقبل على النبي ﷺ فقال من يمنعك مني قال الله عز وجل قال الاعرابي مرتين أو ثلاثاً من يمنعك مني؟ والنبي ﷺ يقول الله قال فشام الاعرابي السيف فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه ولم يعاقبه . وقال معمر كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فارسلوا هذا الاعرابي وتأول (اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا اليكم أيديهم الآية) وقصة هذا الاعرابي وهو غورث بن الحرث ثابتة في الصحيح وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولأصحابه طعاماً ليقتلوه فأوحى الله اليه بشأنهم فلم يأت الطعام وأمر أصحابه فأتوه رواه ابن أبي حاتم وقال ابو مالك نزلت في كعب بن الاشرف وأصحابه حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه في دار كعب بن الاشرف رواه ابن أبي حاتم وذكر محمد بن اسحاق بن يسار ومجاهد وعكرمة وغير واحد انها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحى لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين ووكلوا عمرو بن جحاش ابن كعب بذلك وأمره أن يجلس النبي ﷺ تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحى من فوقه فاطلع الله النبي ﷺ على ما هموا عليه فرجم الى المدينة وتبعه أصحابه فانزل الله في ذلك هذه الآية وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني من توكل على الله كفاه الله ما أهمه وحفظه من شر الناس وعصمه ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو اليهم فحاصرهم حتى أنزلهم فاجلاهم

فلقيارجلين من بني ساييم وبين النبي ﷺ وبين قومهما مودة فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية فخرج معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطليحة وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهم حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عتاقهم وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات قالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه فخلاً بعضهم ببعض وقالوا : انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمر بن جحاش : أنا، فجاء إلى رحا عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال « لا تبرح من مكانك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك غني فقل توجه إلى المدينة » ففعل ذلك علي رضي الله

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكاة وعامنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولا دخلنكم جنت تجري من تحتها الأنهر فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) فبما نقضهم ميثقهم لعنهم وجعلنا قلوبهم قسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣) ومن الذين قالوا إنا نصرى أخذنا ميثقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون (١٤)

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قباهم من أهل الكتابين اليهود والنصارى فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم، وطر دأ عن بابه وجنابه، وحجبا بالقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح فقال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) يعني عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه، وقد ذكر ابن عباس عن ابن اسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى

عنه حتى تناثروا إليه ثم تبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ﴿فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾

قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحا من أرض الشام وهي الأرض المقدسة وكان لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان وقال: يا موسى إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها واجاهد من فيها من العدو فإني ناصر لك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به، فاختر موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحا بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون

عليه السلام لقتال الجبابرة فامر بان يقيم نقباء من كل سبط نقيب قال محمد بن اسحاق فكان من سبط روبيل شامون بن ركون ومن سبط سمعون شافاط بن حري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط أتين ميخائيل بن يوسف ومن سبط يوسف وهوسبط إفرام يوشع بن نون ومن سبط بنيامين فلطيم بن دفون ومن سبط زبولون جدي بن شوري ومن سبط منشا بن يوسف جدي بن موسى ومن سبط دان خملائيل بن حمل ومن سبط اشارسا طور بن ملكيل ومن سبط نفتالي بجر بن وقسي ومن سبط يساخر لايل بن مكيد وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على اسباط بني اسرائيل وأسماء مخالفة لما ذكره ابن اسحاق والله أعلم قال فيها فعلى بني روبيل اليصور بن سادون وعلى بني سمعون شموال بن صورشكي وعلى بني يهوذا الحشون بن عمياذاب وعلى بني يساخر شال بن صاعون وعلى بني زبولون الياب بن حالوب وعلى بني أفرام منشا بن عمهور وعلى بني منشا حمليائيل بن يرضون وعلى بني بنيامين أيدين بن جدعون وعلى بني دان جعيدر بن عميشدي وعلى بني أشار نحائيل بن عجران وعلى بني كان السيف بن دعوايل وعلى بني نفتالي أجذع بن عمينان

وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الانصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيباً ثلاثة من الاوس وهم أسيد بن الحضير وسعد بن خيشمة ورفاعة بن عبد المنذر ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم أبو امامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنيش^(١) رضي الله عنهم وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعره كما أورده ابن اسحاق رحمه الله والمقصود ان هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتمذ عن أمر النبي ﷺ لهم بذلك وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى

(١) قوله عمر بن حنيش
كذا بالاصل وحرر

علمها فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق^(١) وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراعاً ، وكان يحتجز بالسحاب وبشرب منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ، ويروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ماعلى الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه على يدي موسى عليه السلام ، وذلك أنه جاء وقد صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخاً في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدد فقور الصخرة بمنقاره فوقع في عنقه فصرعه فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله ، وكانت أمه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريباً من الارض ، فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته وقال : انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال : ألا أظنهم برجلي فقالت امرأته لا ، بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك ، وروي أنه جعلهم في كه

(١) ما ذكر في وصف
عوج بن عنق كله من
خرافات الاسرائيليات

حدثنا حماد بن زيد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألت رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم وقد سألتنا رسول الله ﷺ فقال « اثنا عشر كعباءة بني إسرائيل » هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي ﷺ يقول « لا يزال أمر الناس ما ضيا ما واهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي فسألت أي ماذا قال النبي ﷺ؟ قال كلهم من قریش وهذا لفظ مسلم. ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره فذكر أنه باطلي، اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه فيملا الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا فان ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشر من الروافض لجأهم وقلة عقلمهم في التوراة البشارة باسمعيل عليه السلام وان الله يقيم من صلبه اثني عشر عظاما وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجبلية ممن أسلم من اليهود اذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلا وسفها لقلة علمهم وعلم من اقنعهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي ﷺ وقوله تعالى (وقال الله اني معكم) أي بحفظي وكلاءتي ونصري (لن أقيم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي) أي صدقتهم فيما يجيئونكم به من الوحي (وعزرتهم) أي نصرتهم ووازرتمهم على الحق (وأقرضتم الله قرضا حسنا وهو الانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته) لا كفرن

وأتي بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه فقال الملك : ارجعوا فاخبروهم بما رأيتم ، وكان لا يحمل عنقوداً من عندهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة ، ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم . وقال بعضهم لبعض : يا قوم انكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتبوا واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك ثم أنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا رجلاً من ذلك قوله تعالى (واتخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) وقال الله اني معكم ناصركم على عدوكم ، ثم ابتداء الكلام فقال (لن أقيم الصلاة) يا معشر بني إسرائيل (وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم وقيل وقرتمهم وعظمتهم) وأقرضتم

عنكم سيأتكم) أي ذنوبكم أحوها واسترها ولا أوأخذكم بها (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي ادفع عنكم المحذور واحصل لكم المقصود

وقوله (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) أي فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجعله وعامله معاملة من لا يعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى إلى الضلال ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده فقال (فما نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدهم عن الحق وطردهم عن الهدى (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي فلا يتعضون بموعظة الغلظة وقساوتها (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي فسدت فهمهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل عياداً بالله من ذلك (ونسوا حظاً مما ذكرنا به) أي وتركوا العمل به رغبة عنه وقال الحسن تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها وقال غيره تركوا العمل^(١)

فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة (ولا تزال تطاع على خائنة منهم) يعني مكرهم وغدرهم لك ولاصحابك وقال مجاهد وغيره يعني بذلك تماثلهم على الفتك برسول الله ﷺ (فأعف عنهم واصفح) وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف ما علمت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله أن يهديهم ولهذا قال تعالى

الله قرضاً حسناً ﴿ قيل هو اخراج الزكاة ، وقيل هو النفقة على الاهل ﴾ ﴿ لا كفرن عنكم سيأتكم ﴾ ﴿ لا يحون عنكم سيأتكم ﴾ ﴿ ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي أخطأ قصد السبيل يريد طريق الحق وسواء كل شيء وسطه ﴿ فما نقضهم ﴾ أي فبنقضهم وما صلة ﴿ ميثاقهم ﴾ قال قتادة : نقضوه من وجوه لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبدوا كتابه وضيعوا فرائضه ﴿ لعناهم ﴾ قال عطاء : أبعدهم من رحمتنا . قال الحسن ومقاتل : عذبناهم بالمسخ ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ وقرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير ألف وهما لغتان مثل الزاكية والزكية ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : قاسية أي يابسة ، وقيل غليظة لاتلين ، وقيل معناه أن قلوبهم ليست بخالصة الايمان ، بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القاسية وهي الرديئة المغشوشة ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ قيل هو تبديلهم نعت النبي ﷺ وقيل تحريفهم بسوء التأويل ﴿ ونسوا حظاً مما ذكرنا به ﴾ أي وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد ﷺ وبيان نعته ﴿ ولا تزال ﴾ يا محمد ﴿ تطاع على خائنة منهم ﴾ أي على خيانة فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية ، وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء المبالغة مثل راوية ونسابة وعلامة وحسابه ، وقيل على فرقة خائنة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : على خائنة أي على معصية وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهم بقتله وسمه

(م ١٤) — تفسير ابن كثير والبغوي — (ج ٣)

«١» هذا معنى ما قبله وأقوى منها كلها أنهم أضاعوا خطباً من التوراة فلم يحفظوها كلها، وهو أنه كان قد فقد منهم الكتاب بتخريب بيت المقدس ثم كتب لهم عزرا ما كان يحفظ منه محرراً

(إن الله يحب المحسنين) يعني به الصفح عن أساء اليك وقال قتادة هذه الآية فاعف عنهم واصفح منسوخة بقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية .

وقوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم) أي ومن الذين ادعوا لانفسهم أنهم نصارى متابعون للمسيح بن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرتة وموازرتة واقتفاء آثاره وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى أهل الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى (ففسدوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً ولا يزالون كذلك الى قيام الساعة ولذلك طوائف النصراني على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويعلن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الاخرى ولا تدعها تلج معبدها فالملكية تكفر اليعقوبية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والآريوسية كل طائفة تكفر الاخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ثم قال (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه الى الرب عز وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيراً من جعلهم له صاحبة وولداً تعالى الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

يأهل الكتب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتب ويعفو

ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت منهم ﴿إلا قليلاً منهم﴾ لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ أي أعرض عنهم ولا تعرض لهم ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ وهذا منسوخ بآية السيف

قوله عز وجل ﴿ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم﴾ قيل أراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما والصحيح أن الآية في النصراني خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود . وقال الحسن فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة ﴿فسدوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾ بالاهواء المختلفة والجدال في الدين قال مجاهد وقتادة : يعني بين اليهود والنصارى ، وقال الربيع هم النصراني وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الاخرى ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ في الآخرة

قوله عز وجل ﴿يأهل الكتاب﴾ يريد يأهل الكتابين ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ أي من التوراة والانجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك ﴿ويعفو

عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلم ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦)

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق الى جميع أهل الارض عربهم وعجمهم أميهم وكتابتهم وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) أي بين ما بدلوه وحرفوه وأولوه واقترؤا على الله فيه وبسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب قوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) فكان الرجم مما أخفوه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) أي طرق النجاة والسلامة وناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) أي ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أيين المسالك فيصرف عنهم المخدور ، ويحصل لهم أحب الأمور ، وينفي عنهم الضلالة ويرشدكم إلى أقوم حالة

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟ والله مالك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (١٧) وقالت اليهود والنصرى نحن ابنوا الله وأحبوه

عن كثير أي يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به ﴿ قد جاءكم من الله نور ﴾ يعني محمداً ﷺ وقيل الاسلام ﴿ وكتاب مبين ﴾ أي بين وقبل مبين وهو القرآن ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه ﴾ رضاء ﴿ سبل السلام ﴾ قيل السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله ، وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد به طرق السلامة ﴿ ويخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ أي من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ﴿ بإذنه ﴾ بتوفيقه وهدايته ﴿ ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ وهو الاسلام

قوله تبارك وتعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وهم اليعقوبية من النصرارى يقولون المسيح هو الله تعالى ﴿ قل فمن يملك من الله شيئاً ﴾ أي من يقدر أن يدفع من أمر

قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. والله ملك السموات

والارض وما بينهما وإليه المصير (١٨)

يقول تعالى مخبراً وحاكياً بكفر النصاري في ادعائهم في المسيح بن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً) أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال (والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) أي جميع الموجودات ملكه وخلقها وهو القادر على ما يشاء لا يسأل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصاري عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة

ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم واقترائهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي نحن منتسبون الى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا وتلقوا عن كتابهم ان الله تعالى قال لعبده اسرائيل أنت ابني بكري فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه. وقد رد عليهم غير واحد من أسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والاكرام كما نقل النصاري عن كتابهم أن عيسى قال لهم اني ذاهب الى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم ومعلوم أنهم لم يدعوا لانفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه

قال الله تعالى راداً عليهم (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي لو كنتم كاتدعون ابناؤه وأحباؤه فلم أعددت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم واقترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء أن تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرد عليه فتتلا عليه الصوفي هذه الآية قل فلم يعذبكم بذنوبكم وهذا الذي قاله حسن وله شاهد في المسند الامام أحمد حيث قال حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال قال النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلم أرأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه التلمي ولدها في النار قال فحفظهم^(١) النبي ﷺ فقال « لا

«١» كذا وفي
الازهرية: فحفظهم

الله شيئاً اذا قضاه ﷻ إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً، والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير * وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قيل أرادوا أن الله تعالى لنا كلاب في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة. وقال ابراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة: يا أبناء أبحاري. فبدلوا يا أبناء أبحاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله، وقيل معناه نحن أبناء الله، يعني أبناء رسل الله. قوله تعالى ﷻ قل فلم يعذبكم بذنوبكم يريد إن كن الأمركا زعمتم أنكم أبناءه وأحباؤه فان الاب لا يعذب ولده،

والله ما يلقي حبيبه في النار» تفرد به أحد (بل أنتم بشر من خلق) أي لكم اسوة أمثالكم من بني دم وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أي هو فعال لما يريد لا معتب لحكمه وهو سريع الحساب (والله ملك السموات والارض وما بينهما) أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه (واليه المصير) أي المرجع والمآب اليه فيحكم في عبادته ما يشاء وهو العادل الذي لا يجوز وروى محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وأتى رسول الله ﷺ نعان بن أصاب وجرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلما موه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم الى الله وحذرهم تقمته فقالوا ما نخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباءه كقول النصارى فانزل الله فيهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه) الى آخر الآية رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ورويا أيضاً من طريق اسباط عن السدى في قول الله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه) أما قولهم (نحن أبناء الله) فانهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل أن ولدك بكرى من الولد فيدخلهم النار فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجوهم فذلك قولهم ان تمسنا النار الا أياماً معدودات

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا

من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (١٩) يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل اليهم رسوله محمد ﷺ خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة من الرسل أي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال أبو عثمان النهدي وقتادة في رواية عنه كانت ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربعائة وبضع وثلاثون سنة وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي أنه قال ومن رفع المسيح الى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة والمشهور هو القول الاول وهو انها ستمائة سنة ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة ولا منافاة بينهما فان القائل الاول أراد ستمائة سنة شمسية والاخر أراد قرية وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين

والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم مقرون أنه معذبكم وقيل (فلم يعذبكم) أي لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير ﴿ بل أنتم بشر من خلق ﴾ كسائر بني آدم مجزون بالاساءة والاحسان ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ فضلاً ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ عدلاً ﴿ والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ﴾ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ﷺ يبين لكم ﴿ اعلام الهدى وشرائع الدين ﴾ على فترة

(١) التحقيق الموافق
لحساب الفلكي أن
الهجرة النبوية كانت
سنة ٦٢٢ ميلاد المسيح
والبعثة كانت قبل
الهجرة بشهرين
باعتبار التبليغ فهذا
قريب مما اعتمد
المؤلف

وازدادوا تسعا) أي قرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب (١) وكانت الفترة بين
عيسى بن مريم وآخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق كثبت في صحيح البخاري
عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (أن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي) وهذا
فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القاضي وغيره والمقصود
إن الله بعث محمدا ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان
والنيران والصليبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أعم العم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد،
والظغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، الا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من
بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين، كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام
حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال
في خطبته «وان ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال فحلته عبادي حلال،
واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وان الشياطين أتتهم فاضلهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم،
وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، ثم ان الله عز وجل نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم
وعجمهم الا بقايا من بني إسرائيل وقال انما بعثتك لا بتليك وأتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله
الماء تقرأه نائما ويقظان، ثم ان الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت يارب اذن يثلقوا رأسي فيدعوه خبزة
فقال استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغرك، وانفق عليهم فسنفق عليك، وابعث جيشا نبعت خمسة
أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة ذوو سلطان مقسط موفق متصدق، ورجل رحيم
رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدق، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا دين
له، والذين هم فيكم تبع أو تبعوا - شك يحيى - لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وان دق
الآخانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك. وذكر البخل والكذب والشظير (٢)

ثم رواه الامام احمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير وفي رواية
شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث من مطرف وقد ذكر الامام احمد في مسنده ان قتادة لم يسمعه من
مطرف وإنما سمعه من أربعة عنه ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الاثر عن الحسن قال حدثني مطرف
عن عياض بن حماد فذكره ورواه النسائي من حديث غندر عن عوف الاعرابي به والمقصود من ايراد هذا
الحديث قوله «وان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من بني إسرائيل» وفي
لفظ مسلم من أهل الكتاب فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمدا ﷺ فهدى

(٢) هو بالشين والظاء
المعجمتين وفسر
بالفحاش وسيء الخلق

من الرسل) أي انقطاع من الرسل واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ .
قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكوفي خمسمائة
وأربعون سنة. وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن

الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركم على المحجة البيضاء والشرعة الفراء ولهذا قال تعالى (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) أي لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيره ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمدا ﷺ (والله على كل شيء قدير) قال ابن جرير معناه أي قادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني

وإذ قال موسى لقومه يقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين (٢٠) يقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خسرين (٢١) قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داحلون (٢٢) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غلبون ، ودلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون (٢٤) قال ربي اني لأملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (٢٦)

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلائه لديهم في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقهم المستقيمة فقال تعالى عيسى عليه السلام ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ ﴿ أن تقولوا ﴾ كيلا تقولوا ﴿ ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ﴾ قوله عز وجل ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ﴾ أي منكم أنبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ أي فيكم ملوكا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أصحاب خدوم وحشم قال قتادة : كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم . وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « كان بنو اسرائيل اذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا » وقال أبو عبد الله الجلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال نعم ، قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم

(واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) أى كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم ابراهيم الى من بعده وكذلك كانوا لا يزال فيهم الانبياء يدعون الى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى بن مريم عليه السلام ثم أوحى الله الى خاتم الانبياء والرسول على الاطلاق محمد بن عبد الله المنسوب الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلوات الله عليهم وقوله (وجعلكم ملوكا) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم أو غيره عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال الخادم والمرأة والبيت وروى الحاكم في مستدركه من حديث الثوري أيضا عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال المرأة والخادم (وآتاكم ما لم يؤت أحدكم من العالمين) قال الذين هم بين ظهرائهم يومئذ ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس قال كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له الزوجة والخادم والدار سمى ملكا وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى انبأنا ابن وهب انبأنا أبو هانيء أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السنان من فقراء المهاجرين فقال عبد الله تلك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الاغنياء . فقال ان لي خادما قال فأنت من الملوك وقال الحسن البصري هل الملك الامر بك وخادم ودار رواه ابن جرير ، ثم روى عن الحكم ومجاهد ومنصور وسفيان الثوري نحوه من هذا وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران وقال ابن شوذب كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له منزل وخادم واستؤذن عليه فهو ملك ، وقال قتادة كانوا أول من اتخذ الخدم وقال السدي في قوله (وجعلكم ملوكا) قال يملك الرجل منهم نفسه وماله وأهله رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنا الزبير بن بكار حدثنا أبو زمرة أنس بن عياض سمعت زبدي بن أسلم يقول وجعلكم ملوكا فلا أعلم الا انه قال قال رسول الله صلوات الله عليهم من كان له بيت وخادم فهو ملك

قال فأنت من الاغنياء ، قال فان لي خادما ، قال فأنت من الملوك . قال السدي (وجعلكم ملوكا) أحراراً يملكون أمر أنفسهم بعد ما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم . وقال الضحاك : كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ، فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك ﴿﴾ وآتاكم ما لم يؤت أحدكم من العالمين ﴿﴾ يعني عالمي زمانكم . قال مجاهد : يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام

قوله تعالى ﴿﴾ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ﴿﴾ اختلفوا في الارض المقدسة قال مجاهد : هي الطور وما حوله . وقال الضحاك : إيليا وبيت المقدس . وقال عكرمة والسدي : هي أريحاء . وقال السكبي : هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن . وقال قتادة : هي الشام كلها . قال كعب : وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده . قوله عز

وهذا مرسل غريب . وقال مالك : بيت وخادم وزوجة^(١) وقد ورد في الحديث « من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سر به عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وقوله (وآتاكم مالم يئوت أحدا من العالمين) يعني عالمي زمانكم فانهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبض وسائر أصناف بني آدم كما قال (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) وقال تعالى اخبارا عن موسى لما قالوا اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة (قال انكم قوم تجهلون * ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبعيكم إلهة وهو فضلكم على العالمين) والمقصود انهم كانوا أفضل أهل زمانهم والا فهذه الامة أشرف منهم وأفضل عند الله وأكمل شريعة وأقوم منهاجا وأكرم نبيا وأعظم ملكا وأغزر أرزاقا وأكثر أموالا وأولادا وأوسع مملكة وأدوم عزا قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ذكرنا الاحاديث المتواترة في فضل هذه الامة وشرفها وكرمها عند الله عند قوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس) من سورة آل عمران ، وروي ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبيرة أنهم قالوا في قوله (وآتاكم مالم يئوت أحدا من العالمين) يعني أمة محمد ﷺ فكأنهم أرادوا ان هذا الخطاب في قوله (وآتاكم مالم يئوت أحدا) مع هذه الامة والجهور على انه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا . وقيل المراد وآتاكم مالم يئوت أحدا من العالمين يعني بذلك ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى ويظلمهم به من الغم وغير ذلك مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات فآله أعلم

ثم قال تعالى مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني اسرائيل على الجهاد والدخول الى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله الى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجدوا فيها قوما من العمالة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها فامرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول اليها وبقتال اعدائهم وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم ففكوا

وجل (كتب الله لكم) يعني كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم . وقال ابن اسحاق : وهب الله لكم ، وقيل جعلها لكم . وقال السدي : أمركم الله بدخولها . وقال قتادة : أمروا بها كما أمروا بالصلاة أي فرض عليكم ﴿ ولا تتردوا على أدياركم ﴾ أعقابكم بخلاف أمر الله ﴿ فتقبلوا خاسرين ﴾ قال الكلبي : صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقبل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ﴾ وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الاخبار لما رجعوا الى موسى وأخبروه بما عاينوا . قال لهم موسى « اكنتموا شأنهم ولا تخبروا به أحدا من أهل العسكر فيفشلوا » فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلا من بني نون بن يوسف عليه السلام فتي موسى ، والآخري كالب بن يوفناختين

(١) سقط هذا الاثر من النسخة المطبوعة

وعصوا وخالفوا أمره فعوقبوا بالذهاب في التيه والتماذي في سيرهم حاثرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه الى مقصد مدة أربعين سنة عتوبة لهم على تفریطهم في أمر الله تعالى . فقال تعالى مخبراً عن موسى انه قال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اى المطهرة وقال سفیان الثوري عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ادخلوا الارض المقدسة قال هي الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغيره احدثوا سفیان الثوري عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هي أريحاء وكذا ذكر عن غير واحد من المفسرين وفي هذا نظر لان أريحاء ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم الى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر حين اهلك الله عدوهم فرعون الاله الا ان يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس كما قاله السدي فيما رواه ابن جرير عنه لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس

وقوله تعالى (التي كتب الله لكم) أي التي وعدكموها الله على انسان أبيكم اسرائيل انه وراثة من آمن منكم (ولا تردوا على ادباركم) اي ولا تنكروا عن الجهاد (فتنقلبوا خاسرين) قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون (أي اعتذروا بأن في هذه البلدة التي امرتنا بدخولها وقتال أهلها قوما جبارين اي ذوي خلق هائلة وقوى شديدة وانا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاواتهم ولا يمكننا الدخول اليها ماداموا فيها فان يخرجوا منها دخلناها والا فلا طاقة لنا بهم . وقد قال ابن جرير حدثني عبدالكريم بن الهيثم حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفیان قال قال ابو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس قال امر موسى ان يدخل مدينة الجبارين قال فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة وهي أريحاء فبعث اليهم اثني عشر عينا من كل سبط منهم عين لياتوه بخبر القوم قال فدخلوا المدينة فرأوا أمرا عظيم من هيئتهم وجسمهم وعظمتهم فدخلوا حائطا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار وينظر الى آثارهم فتبعهم فكلمهم فكلما أصاب واحدا منهم اخذه فجعله في كه مع الفاكهة حتى التقط الاثني عشر كاهم فجعلهم في كه مع الفاكهة وذهب بهم الى ملكهم فشرهم بين يديه ، فقال لهم الملك قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فاخبروا صاحبكم قال فرجعوا الى موسى فاخبروه بما عاينوا من أمرهم . وفي هذا الاسناد انظر (١) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه بعث منهم اثني عشر رجلا وهم النقباء الذين ذكرهم الله فبعثهم لياتوه بخبرهم فساروا فلقبهم رجل من الجبارين فجعلهم في كسائه فحلمهم حتى أتى

(١) والتمن خرافة

اسرائيلية

موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهودا وهما من النقباء فعلمت جماعة من بني اسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا في أرض مصر ، أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعال نجعل علينا رأسا وننصرف إلى مصر فذلك قوله تعالى اخباراً عنهم (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) ﴿ وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ﴾ أصل الجبار

بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا اليه فقالوا من أنتم قالوا نحن قريه موسى بعثنا نأتيه بنحبركم فاعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم اذهبوا الى موسى وقومه فقولوا لهم هذا قدر فاكهمهم، فرجعوا الى موسى فاخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتلهم قالوا يا موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون. رواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال رأيت أنس بن مالك أخذ عصا فذرع فيها شيء لا ادري كم ذرع ثم قاس بها في الارض خمسين او خمسا وخمسين ثم قال هكذا طول العماليق

وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا أخباراً من وضع بني اسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلاث ذراعاً تحرير الحساب. وهذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن» ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً وأنه كان ولد زنية وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته. وهذا كذب واقتراء، فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الارض من الكافرين فقال (رب لا تنذر على الارض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين) وقال تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم^(١)

وقوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) أي فلما نكل بنو اسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ حرّضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما من يخاف أمر الله ويخشى عقابه، وقرأ بعضهم (قال رجلان من الذين يخافون) أي من لهما بهابة وموضع من الناس ويقال إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله فقالوا (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) وعلى

المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة إذا كانت طويلة متمتعة عن وصول الأيدي إليها وسعى أولئك القوم جبارين لا تمتنعهم بطولهم وقوة أجسادهم وكانوا من العاقلة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهما بالانصراف إلى مصر خرج موسى وهرون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما في قوله (قال رجلان من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى، وقرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء وقال الرجلان من الجبارين فأسلما واتبعوا موسى (أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة قالوا (ادخلوا عليهم الباب) يعني قرية الجبارين (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) لأن الله منجز وعده وإنا رأيناهم فكانت أجسادهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم (وعلى

(١) هو ملك باسان
ذكر في سفر العدد
والثنية من التوراة
وسفر يشوع وقد
انهزم في معركة وقتل
هو وأولاده واقتسم
بنو اسرائيل مدنه
الستون المحصنة اه من
قاموس الكتاب
المقدس. وذكر أن
معنى اسم الاعوج أو
المائل. وقال الفيروز
آبادي هو عوج بن
عوق بضم العين فيها

الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها الله لكم فلم ينفع ذلك فيهم شيئاً (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم ، وتخلف عن مقاتلة الأعداء ، ويقال إنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملائكة بني اسرائيل أعظاما لما هوأ به وشق يوشع بن نون وكالبن بن يوفنا^(١) ثيابهما ولأما قومهما على ذلك فيقال إنهم رجوها ، وجرى أمر عظيم وخطر جليل وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النضير الذين جاؤا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اقتناص العير واقرب منهم النضير وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الالف في العدة والبيض والياب فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله ﷺ يقول «أشير واعي أيها المسلمون» وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الانصار لانهم كانوا جمهور الناس يومئذ . فقال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يا رسول الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق^(٢) في اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقالت الانصار : يا معشر الانصار إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا : إذا لا نقول له كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) والذي بعثك بالحق لو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعنك ورواه الامام احمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن انس به ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن حميد به ورواه ابن حبان عن أبي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن معمر بن سليمان عن حميد به وقال ابن مردويه أنا عبد الله بن جعفر أنا اسماعيل بن عبد الله ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم ثنا محمد بن شعيب عن الحكم بن أيوب عن عبد الله بن ناسخ عن عتبة بن عبيد السامي قال قال النبي ﷺ لأصحابه «ألا تقاتلون؟ قالوا نعم ولا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

(١) وفي الازهرية :
يوقنا باللقاف . وضبط
في سفر العدد يفنه بفتح
الياء وضم الفاء
وتشديد النون

(٢) «صبر وصدق
بضتين فيهما جمع
صبور وصدق

الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) فأراد بنو اسرائيل أن يرجوها بالحجارة وعصوها قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو نعيم أنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال : سمعت ابن مسعود يقول : لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به : أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال :

(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه كما قال الامام أحمد حدثنا وقيم ثنى سفيان عن مخارق بن عبد الله الاحسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر يارسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بني اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، هكذا رواه أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه من طريق أخرى فقال : حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به : أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك . وهكذا رواه البخاري في المغازي . وفي التفسير من طرق عن مخارق به ولفظه في كتاب التفسير عن عبد الله قال قال المقداد يوم بدر يارسول الله : لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن امض ونحن معك . فذكر أنه سري عن رسول الله ﷺ ، ثم قال البخاري رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق أن المقداد قال للنبي ﷺ وقال ابن جرير : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدى وحيل بينهم وبين مناسكهم « اني ذاهب بالهدى فناحره عند البيت » فقال له المقداد بن الاسود : أما والله لا نكون كالملا من بني اسرائيل إذ قالوا للبيهم (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تتابعوا على ذلك ، وهذا إن كان محفوظاً يوم الحديبية فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر .

وقوله (قال رب اني لأملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) يعني لما نكل بنو اسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام . وقال داعياً عليهم (رب اني لأملك إلا نفسي وأخي) أي ليس أحد يطيعني منهم فيممثل أمر الله ويحيب إلى ماعدوت إليه إلا أنا وأخي هارون

لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك ومن خلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ما قال . فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وههم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم ﴿ قال ربي اني لأملك إلا نفسي وأخي ﴾ قيل معناه لا يملك إلا نفسه ، وقيل معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي ﴿ فافرق ﴾ فافصل ﴿ بيننا ﴾ وقيل فافض بيننا ﴿ وبين القوم الفاسقين ﴾ العاصين ﴿ قال ﴾

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال العوفي عن ابن عباس يعني اقض بيني وبينهم . وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا قال الضحاك أقض بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم وقال غيره افرق افصل بيننا وبينهم كما قال الشاعر

يارب فافرق بينه وبينني أشد مافرت بين اثنين

وقوله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) الآية . لمادعا عليهم موسى عليه السلام حين نكسوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسرون دائماً لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسوى عليهم ، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة ، فاذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين ، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران . وهناك نزات التوراة وشرعت لهم الاحكام ، وعملت قبة العهد ويقال لها قبة الزمان قال يزيد بن هارون عن أصبع بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد ابن جبير سألت ابن عباس عن قوله (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) الآية . قال فتاها في الارض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسرون ليس لهم قرار ، ثم ظال عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسوى وهذا قطعة من حديث الفتون ، ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام نبياً خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني اسرائيل هناك في تلك المدة ، ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله (قال فانها محرمة عليهم) هذا وقف تام وقوله (أربعين سنة) منصوب بقوله (يتيهون في الارض) فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني اسرائيل من الجيل الثاني فقصدهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي . فحبسها الله تعالى حتى فتحها ^(١) وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني اسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجداً وهم يقولون بركة أي حط عنا ذنوبنا فبدلوا ماأمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة في شعرة ، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة

(١) هذه خارقة مأخوذة من سفر يوشع بالمعنى ولا يصح فيها خبر عندنا

الله تعالى (فانها محرمة عليهم) قيل ههنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد وإنما أراد تحريم منع ، فأوحى الله تعالى إلى موسى لأحر من عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولا يتيههم في هذه البرية (أربعين سنة) مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة ولا لقين جيئهم في هذه القفار ، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر البدي حدثنا سفيان عن أبي سعد عن
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله (فأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) قال
فتأهوا أربعين سنة قال فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة ، فلما مضت
الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو الذي
قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبوا
فنادى الشمس أي مأمور وانك مأمورة فوقفت حتى افتتحها فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط
فقر به إلى النار فلم تأته فقال فيكم الغلول فدعاهم موسى الأسباط وهم اثنا عشر رجلاً فبايعهم والتصقت
يد رجل منهم بيده فقال : الغلول عندك فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب لها عينان من ياقوت
وأسنان من لؤلؤ فوضعه مع القران فأنت النار فأكلتها وهذا السياق له شاهد في الصحيح ، وقد اختار
ابن جرير أن قوله (فأنها محرمة عليهم) هو العامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين
سنة وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد قال : ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ففتح بهم بيت
المقدس ثم احتج على ذلك قال باجماع علماء أخبار الأولين أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام
قال : فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه قال :
وأجمعوا على أن بلعام بن باعورا أعان الجبارين بالدعاء على موسى قال وما ذاك إلا بعد التيه لأنهم
كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه ، هذا استدلاله ، ثم قال : حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية
حدثنا قيس بن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع
ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع فوثب فأصاب كعب عوج فقتله فكان جسراً لأهل النيل
سنة وروي أيضاً عن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوف هو البكالي قال
كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في
السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً وكان جسراً للناس يرون عليه ،
وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) تسلية لموسى عليه السلام عنهم أي لا تأسف ولا تحزن عليهم

(فأنها محرمة عليهم أربعين سنة) ﴿ يتيهون ﴾ يتحIRON ﴿ في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾
أي لا تحزن على مثل هؤلاء القوم : فلبثوا أربعين سنة في ستة فراعس وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا
يسيرون كل يوم جادين ، فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه ، وقيل إن موسى وهارون
عليهما السلام لم يكونا فيهم والاصح أنهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة ، إنما كانت العقوبة لا ولئك
القوم ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحا أحد
ممن قالوا إنما لن ندخلها أبداً ، فلما هلكوا وانقضت الأربعون سنة ونشأت النواشيء من ذرايرهم
ساروا إلى حرب الجبارين ، واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح ، فقال قوم

فما حكمت عليهم به فانهم مستحقون ذلك . وهذه القصة تضمنت تقرير اليهود وبيان فضائلهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أصراهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الاعداء ومجالاتهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيته من خلقه في ذلك الزمان وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والفرق

إنما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته فسار موسى عليه السلام اليهم من بقي من بني إسرائيل فدخلها يوشع فقاتل الجبابرة ، ثم دخلها موسى عليه السلام فأقام فيها ماشاء الله تعالى ، ثم قبضه الله تعالى ولا يعلم قبره أحد ، وهذا أصبح الاقاريل لاتفاق العلماء أن عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام وقال الآخرون إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام وقالوا مات موسى وهارون جميعاً في التيه

﴿ فصل في ذكر وفاة هارون ﴾

قال السدي : أوحى الله عز وجل إلى موسى أني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم يز مثلاً ، وإذا بيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ریح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه فقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال فنبه عليه ، فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي ، قال له موسى لا ترهب إني أكنفك أمر رب هذا البيت فقم قال يا موسى نعم أنت معي فان جاء رب البيت غضب علي وعلى جميعاً ، فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خذ عنتي ، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا ان موسى قتل هارون وحسده على حب بني إسرائيل له فقال موسى عليه وسلم : ويحكم كان أخي فكيف أقتله ؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلتها فأذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل انه قد مات فبرأه الله تعالى مما قالوا . ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم وأبكم . وقال عمرو بن ميمون مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه كانا قد خرجا الى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف الى بني إسرائيل فقالوا قتلته لحبنا إياه وكان محبباً في بني إسرائيل ، فتضرع موسى عليه السلام الى ربه عز وجل فأوحى الله اليه أن انطلق بهم الى قبره

له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام ، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ، ولا يسترها الذيل ، هذا وهم في جهلهم يعمهون ، وفي غيهم يترددون ، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ، ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقبح فاني باعته فانطلق بهم إلى قبره فناده يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك ؟ قال لا ولكني مت قال فعد إلى مضجعك وانصرفوا

وأما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت فنبا يوشع بن نون فسكان يغدو ويروح عليه قال فيقول له موسى عليه السلام يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتديء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ، فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت . أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران فقال له أجب ربك - قال - فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت فقأها - قال - فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال : لك أرسلتني إلى عبدك لا يريد الموت وقد فقأ عيني - قال - فرد الله إليه عينه وقال أرجع إلى عبدك فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم قال ثم تموت قال فلا ن من قريب ، رب أدتني من الأرض المقدسة رمية بحجر - قال رسول الله ﷺ - لو أتني عنده لاريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر »

وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ، ولا مثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لم تحفرون هذا القبر ؟ قالوا لعبد كريم على ربه ، فقال ان هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعاً ، فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك ؟ قال وددت ، قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة . وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعين سنة بعث الله يوشع نبياً فأخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضحج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزمهم

الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقروء ، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويتضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لأن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين (٢٩) فطوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين (٣١)

يقول تعالى مبدئاً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهايل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه الله عز وجل ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين فقال تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أي اقصص على

وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصاة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلولا ففرمهم أن يباعدوا فباعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال لهم ما عندك فأثناء برأس ثور من ذهب مكمل باليواقيت والجواهر كان قد غلبه فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبره أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين سنة.

قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴾ وهما هايل وقابيل ويقال له قاين ﴿ إذ قربا قربانا ﴾ وكان سبب قربانها على ما ذكره أهل العلم أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن مثلاً ما

هؤلاء البغاة الحسدة اخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم وهاهايل وقايل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف وقوله (بالحق) أي على الجلية والامر الذي لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالى (إن هذا لهو القصص الحق) وقوله (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) وقال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) وكان من خبرها فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه اضرورة الحال ، ولكن قالوا كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن للذكر البطن الآخر وكانت أخت هايل دميمة وأخت قايل وضيفة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهي له فتمتل من هايل ولم يتقبل من قايل فكان من أمرها ما قصه الله في كتابه

﴿ ذكر أقوال المفسرين ههنا ﴾

قال السدي فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي ﷺ انه كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما هايل وقايل وكان قايل صاحب زرع وكان هايل صاحب زرع وكان قايل اكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هايل وأن هايل طلب أن ينكح أخت قايل فأبى عليه وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوج بها فأمره أبوه أن يزوجها هايل فأبى وانهما قربا قربانا الى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما أتى مكة ينظر اليها قال الله عز وجل هل تعلم أن لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال ان لي بيتا في مكة فأتته فقتل آدم السماء احفظني ولدي بالامانة فأبت ، وقال للارض فأبت ، وقال للجبال فأبت ، فقال لقايل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم قربا قربانا وكان قايل يفخر عليه فقال أنا أحق

وجارية وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قايل وتوأمته اقلما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله عز وجل في نسل آدم عليه السلام ، قال ابن عباس : لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً واختلفوا في مولد قايل وهايل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الارض بمائة سنة فولدت له قايل وتوأمته اقلما في بطن واحد ، ثم هايل وتوأمته لبوداً في بطن . وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول أن آدم كان بغشي حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقايل وتوأمته اقلما فلم تجد عليهما وحماً ولا وصياً ولا طلقاً حتى

بها منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والذي فلما قربا قرب هايل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففر بها واكها فنزلت النار فأكلت قربان هايل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لاقتلناك حتى لا تنكح أختي فقال هايل إنما يتقبل الله من المتقين رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خثيم قال اقبلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال نهى أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأمر أن ينكحها غيره من أخوتها ، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة وولد له أخرى قبيحة دميعة فقال أخو الدميعة انكحني أختك وانكحك أختي فقال لا أنا أحق بأختي فقربا قربانا فتقبل من صاحب السكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله اسناد جيد وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (اذ قربا قربانا فقربا) قربانها فناء صاحب الغنم بكبش أعين أقرون أبيض ، وصاحب الحرث بصبرة من طعامه فقبل الله الكبش فخرنه في الجنة أربعين خريفا وهو السكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام اسناد جيد .

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المغيرة عن عبد الله ابن عمرو قال إن ابني آدم اللذين قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم وأنهما أمرا أن يقربا قربانا وأن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه واسمها وأحسنها طيبة بها نفسه وإن صاحب الحرث قرب أشر حرثه الكودن والزوان غير طيبة بها نفسه ، وإن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ولم يتقبل قربان صاحب الحرث وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه قال وإيم الله أن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط يده إلى أخيه ، وقال اسمعيل ابن رافع المدني القاص بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان كان أحدهما صاحب غنم وكان أنتج له حمل في غنمه فاحبه حتى كان يؤثره بالليل وكان يحمله على ظهره من حبه حتى لم يكن له مال أحب إليه منه فلما أمر بالقربان قرب به لله عز وجل فقبله الله منه فما زال يرتع في الجنة حتى فدي به ابن إبراهيم عليه السلام رواه ابن جرير .

ولدتها ولم تر معها دما فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بها هايل وتوأمته فوجدت عليهما الوحش والوحش والطلق والدم وكان آدم إذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى فكان الرجل منهم يتزوج أبة أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخوانهم ، فلما ولد قابيل وتوأمته أقليا ثم هايل وتوأمته لبودا وكانت بينهما سنتان في قول السكبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قابيل لبودا أخت هايل وينكح هايل أقليا أخت قابيل ، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هايل فذكر ذلك آدم لولده فرضي هايل وسخط قابيل وقال هي أختي أنا أحق

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الانصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن علي ابن الحسين قال قال آدم عليه السلام لهايل وقايل ان ربي عهد الي أنه كائن من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا حتى تقرر عيني اذا تقبل قربانكما فقربا وكان هايل صاحب غنم فقرب اكولة غنم خيره مائه وكان قايل صاحب زرع فقرب مشاقه من زرعه فانطلق آدم معهما، ومعهما قربانهما فصعدا الجبل فوضعا قربانهما ثم جلسوا ثلاثتهم آدم وهما ينظران الى القربان فبعث الله نارا حتى اذا كانت فوقهما دنا منها عنق فاحتمل قربان هايل وترك قربان قايل فانصرفوا وعلم آدم أن قايل مسخوط عليه فقال ويلك يا قايل رد عليك قربانك فقال قايل أحببته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه ورد على قرباني فقال قايل لهايل لا تقتلنك وأستريح منك دعا لك أبوك فصلي على قربانك فتقبل منك وكان يتواعد بالقتل الى أن احتبس هايل ذات عشية في غنمه فقال آدم يا قايل أين أخوك قال وبعثني له راعيا لا أدري فقال آدم ويلك يا قايل انطلق فاطلب أخاك فقال قايل في نفسه الليلة أقتله وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو منقلب فقال يا هايل تقبل قربانك ورد على قرباني لا تقتلنك فقال هايل قربت أطيب مالي، وقربت أنت أخبت مالك وإن الله لا يقبل الا الطيب انما يتقبل الله من المتقين فلما قالها غضب قايل فرفع الحديدة وضربه بها فقال ويلك يا قايل أين أنت من الله كيف يحجزيك بعملك فقتله فطرحه في حوبة من الارض، وحنى عليه شيئا من التراب

وروي محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول أن آدم أمر ابنه قايل أن ينكح أخته توامة هايل وأمر هايل أن ينكح أخته توامة قايل فسلم لذلك هايل ورضي وأبى ذلك قايل وكره تكهما عن اخت هايل ورغب باخته عن هايل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض وأنا أحق باختي ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الاول كانت اخت قايل من أحسن الناس فضن بها على أخيه وارادها لنفسه والله أعلم أي ذلك كان فقال له أبوه يابني انها لا تحل لك فأبى قايل أن يقبل ذلك من قول أبيه قال له أبوه يابني قرب قربانا ويقرب أخوك هايل قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكان قايل على بذر الارض وكان هايل على رعاية الماشية فقرب قايل قمحا وقرب هايل أبكارا من أبكار غنمه وبعضهم يقول قرب بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هايل وترك قربان قايل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله رواه ابن جرير

بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له أبوه: إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرايين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا قربانا وكان قايل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي يقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبداً، وكان هايل صاحب

وروى العوفي عن ابن عباس قال من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فيينا ابنا آدم قاعدان اذ قالوا لو قربنا قربانا وكان الرجل اذا قرب قربانا فرضيه الله أرسل اليه ناراً فتأكله وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قربانا وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً وأن صاحب الغنم قرب خبير غنمه واسمها وقرب الآخر بعض زرعه فجاءت النار فنزلت بينهما فأكلت الشاة وتركت الزرع وإن ابن آدم قال لآخيه أمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قربانا فتقبل منك ورد علي فلا والله لا ينظر الناس الي و أنت خير مني فقال لاقتلنك فقال له أخوه ما ذنبني إنما يتقبل الله من المتقين. رواه ابن جرير فهذا الاثر يقتضي أن تقرب القربان كان لآعن سبب ولا عن تداريء في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم وهو ظاهر القرآن (اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونة ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هايل وإن الذي قرب الطعام هو قايل وأنه تقبل من هايل شاته حتى قال ابن عباس وغيره أنها الكبش الذي فدى به الذبيح وهو مناسب والله أعلم ولم يتقبل من قايل . كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد أيضاً ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال الذي قرب الزرع قايل وهو المتقبل منه وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيداً والله أعلم

ومعنى قوله (إنما يتقبل الله من المتقين) أي من اتقى الله في فعله ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء بن زيد حدثنا اسمعيل بن عياش حدثني صفوان بن عمرو عن تميم يعني ابن مالك المقري قال سمعت أبا الدرداء يقول لأن استيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب الي من الدنيا وما فيها إن الله يقول (إنما يتقبل الله من المتقين) وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عمران حدثنا اسحق بن سليمان يعني الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد ابن المتقون ؟

غضب فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هايل ولم تأكل قربان قايل فذلك قوله عز وجل ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ يعني هايل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ يعني قايل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قايل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم أتى قايل هايل وهو في غنمه ﴿ قال لاقتلنك ﴾ قال ولم ؟ قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني ، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميعة فيحدث الناس أنك خير مني ، ويفتخر ولدك علي ولدي ﴿ قال ﴾ هايل وما ذنبني ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ان بسطت ﴾ أي مددت ﴿ الي ﴾

فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة
الاولثان واخلصوا العبادة فيمرون الى الجنة .

وقوله (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب
العالمين) يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه لتقواه حين تواعده أخوه بالقتل على غير
ما ذنب منه اليه (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك) أي لا اقبالك على
صنيعك الفاسد بمثله فاكون أنا وانت سواء في الخطيئة (اني اخاف الله رب العالمين) أي من ان
أصنع كما تريد ان تصنع بل اصبر واحتسب قال عبدالله بن عمرو : وايم الله ان كان لاشد الرجلين ولكن
منعه التخرج يعني الورع ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « اذا تواجه المسلمان
بسييفيهما فالتقاتل والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال إنه كان حريصا
على قتل صاحبه .

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ايث بن سعد عن عياش بن عباس عن بكير بن عبدالله
عن بشر بن سعيد أن سعد بن ابي وقاص قال عند فتنة عثمان اشهد ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة
القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قال افرأيت ان دخل على بيتي فبسط
يده الي ليقتلني فقال كن كابن آدم » وكذا رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد وقال هذا حديث حسن
وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الارت وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى
وخرشة ورواه بعضهم عن الياث بن سعد وزاد في الاسناد رجلا قال الحافظ ابن عساكر الرجل هو
حسين الاشجعي قلت وقد رواه أبو داود من طريقه فقال حدثنا يزيد بن خالد الرملي حدثنا الفضل عن
عياش ابن عباس عن بكير عن بشر بن سعيد عن حسين بن عبد الرحمن الاشجعي انه سمع سعد بن
أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال فقلت يارسول الله أرأيت ان دخل بيتي وبسط يده
ليقتلني قال فقال رسول الله ﷺ « كن كابن آدم وتلا (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي

يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين) قال عبدالله بن عمرو وايم
الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط إلى أخيه يده وهذا في الشرع جائز
لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه . قال مجاهد : كتب عليهم في
ذلك الوقت اذا أراد رجل قتل رجل أن يمتنع ويصبر (اني أريد أن تبوء) ترجع وقيل تحتمل
(بأثمي وأثمك) أي بأثم قتلي إلى أثمك ، أي أثم معاصيك التي عملت من قبل هذا قول أكثر المفسرين
وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : معناه أي أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا اذا قتلتني
وأثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً ، وقيل معناه أن ترجع بأثم قتلي وأثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها
قربانك أو أثم حسدك ، فان قيل كيف قال (اني أريد أن تبوء بأثمي وأثمك) وإرادة القتل والمعصية

اليك لا قتلك أني أخاف الله رب العالمين) قال أيوب السخيتاني ان أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة لئن بسطت الي يدك لنقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لا قتلك أني أخاف الله رب العالمين (لعثمان بن عفان رضي الله عنه رواه ابن أبي حاتم. وقال الامام احمد حدثنا ابن حزم حدثني أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال ركب النبي ﷺ حماراً وأردفني خلفه وقال « يا أبا ذر أرأيت ان أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع ان تقوم من فراشك الى مسجدك كيف تصنع » قال قال الله ورسوله أعلم قال « تعفف » قال « يا أبا ذر أرأيت ان أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد يعني القبر كيف تصنع قلت الله ورسوله أعلم قال أصبر قال يا أبا ذر أرأيت ان قتل الناس بعضهم بعضاً يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع قال الله ورسوله أعلم قال أقعدني بيتك وأغلق عليك بابك قال (١) فان لم أترك قال فات من أنت منهم فكان منهم قال فأخذ سلاحه قال فاذا تشاركهم فيما هم فيه ولكن اذا خشيت ان يردعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك كي ييؤء بأثمة وأثمة » ورواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي من طرق عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت به ورواه ابو داود وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران عن المشعث بن طريف عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر بنحوه قال أبو داود ولم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وقال بن مردويه حدثنا محمد ابن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن منصور عن ربي قال كنا في جنازة حذيفة فسمعت رجلاً يقول سمعت هذا يقول في ناس مما سمعت من رسول الله ﷺ « لئن اقتلتم لا نظرن الى أقصى بيت في داري فلا لجنه فلتن دخل على فلان لأقولن هابؤ بأبي وأثمة فأكون كخير بني آدم » وقوله (اني أريد أن تبوء بأثمي وأثمة فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي في قوله (اني أريد ان تبوء بأثمي وأثمة) أي بأثم قتلي وأثمة الذي عليك قبل ذلك قاله ابن جرير. وقال آخرون يعني بذلك اني أريد

لا تجوز ، قيل ليس ذلك بحقيقة إرادة ، ولكنه لما علم أنه يقتله لاجل حاله ووطن نفسه على الاسلام طلباً للثواب فكانه صار مريداً لقتله مجازاً ، وإن لم يكن مريداً حقيقة ، وقيل معناه اني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فيكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا إرادة للقتل ، بل لموجب القتل من الأثم والعقاب ﴿ فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾

قوله عز وجل ﴿ فطوعت له نفسه ﴾ أي طاويعته وشايعته وعاونته ﴿ قتل أخيه ﴾ في قتل أخيه وقال مجاهد : فشجعته . وقال قتادة : فزينت له نفسه . وقال يمان : سهلت له ذلك ، أي جعلته سهلاً تقديره صورت له نفسه أن قتل أخيه طوع أي سهل عليه فقتله ، فلما قصد قاييل قتل لم يدر كيف يقتله . قال ابن جرير : فتمثل له ابليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر

ان تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها وأثمك في قتلك إياي وهذا قول رجده عن مجاهد وأخشي ان يكون غلطاً لان الصحيح من الرواية عنه خلافه يعنى ما رواه سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد (اني أريد أن تبوء بأثمي) قال بقتلك إياي (وأثمك) قال بما كان منك قبل ذلك وكذا رواه عيسى بن أبي نجيح عن مجاهد بمثله وروى شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (اني أريد أن تبوء بأثمي وأثمك) يقول اني أريد ان يكون عليك خطيئتي ودمي فبوء بهما جميعاً (قلت) وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ويذكرون في ذلك حديثاً لأصل له « ماترك القاتل على المقتول من ذنب » وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به فقال حدثنا عمرو بن علي حدثنا عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا عتبة بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « قتل الصبر لا يمر بذنب الا محاه » وهذا بهذا لا يصح ولو صح فمعناه ان الله يكفر عن المقتول بالقتل ذنوبه فاما ان تحمل على القاتل فلا ولكن قد يتفق هذا في بعض الاشخاص وهو الغالب فان المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته فان نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل فربما لا يبقى على المقتول خطيئة الا وضعت على القاتل وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها والقتل من أعظمها وأشدّها والله أعلم واما ابن جرير فقال والصواب من القول في ذلك ان يقال ان تأويله اني أريد ان تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله (اني أريد أن تبوء بأثمي) وأما معنى وأثمك فهو أثم يعنى قتله وذلك معصية الله عز وجل في اعمال سواه واما قلنا ذلك هو الصواب لاجماع أهل التأويل عليه وان الله عز وجل اخبرنا ان كل عامل فجزاء عمله له او عليه واذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز ان تكون آثام المقتول مأخوذاً بها القاتل واما يؤخذ القاتل بأثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما ركب قتله هذا لفظه ثم اورد على هذا سؤالاً حاصله كيف أراد هاييل ان يكون على أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه مع ان قتله له محرم وأجاب بما حاصله ان هاييل أخبر عن نفسه بانه لا يقاتل أخاه ان قاتله بل يكف عنه يده طالبا ان وقع قتل ان يكون من أخيه لآمنه قلت وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ وزجر له لو انزجر ولهذا قال (اني أريد أن تبوء بأثمي وأثمك) أي تتحمل أثمي وأثمك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) وقال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته ولم يمزجر وقوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) أي فحسنت وسولت له نفسه وشجعت على قتل أخيه فقتله أي بعده

وقابيل ينظر اليه فعلمه القتل ، فرضخ قابيل راس هاييل بين حجرين ، قيل قتل وهو مستسلم ، وقيل اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله وذلك قوله تعالى ﴿ فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ وكان لهايل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله . قال ابن عباس رضي الله عنهما : على جبل نود ، وقيل عند عقبة حراء ، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الارض من

الموعظة وهذا الزجر وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين انه قتله بحديدة في يده وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤس الجبال فأثاه يوما من الايام وهو يرعى غناله وهو نائم فرفع صخرة فشدها بها رأسه فمات فتركه بالعراء رواه ابن جرير وعن بعض أهل الكتاب انه قتله خنقا وعضا كما تقتل السباع وقال ابن جرير لما أراد ان يقتله جعل يلوي عنقه فاخذ ابليس دابة ووضع رأسها على حجر ثم أخذ حجرا آخر فضرب به رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر ففعل باخيه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم وقال عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال أخذ برأسه ليعتله فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدرى كيف يقتله فجاءه ابليس فقال أتريد ان تقتله قال نعم قال فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه قال فأخذها فآلقها عليه فشدها رأسه ثم جاء ابليس الى حواء مسرعا فقال يا حواء ان قابيل قتل هابيل فقامت له وبحك وأى شيء يكون القتل قل لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح فقال مالك فلم تكلمه فرجع اليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة وعلى بنائك وأنا وبني منها برأء رواه ابن أبي حاتم وقوله (فأصبح من الحاسرين) أى في الدنيا والآخرة وأى خسارة أعظم من هذه وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية وو كيع قالا حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كغول من دمها لانه كان أول من سن القتل » وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود من طرق عن الاعمش به وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد عقلت احدى رجلي القاتل بساقها الى فخذه من يومئذ ووجه في الشمس حينما دارت دار عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج قال وقال عبد الله بن عمرو إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن حكيم بن حكيم انه حدث عن عبد الله بن عمرو انه كان يقول ان أشقى الناس رجلا لا بن آدم الذي قتل أخاه ماسفك دم في الارض منذ قتل أخاه الى يوم القيامة الا لحق به منه شر وذلك انه أول من سن القتل وقال ابراهيم النخعي مامن متول يقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول والشيطان كغل منه رواه ابن جرير أيضا وقوله تعالى (فبعث

بني آدم وقصده السباع فحمه في جراب على ظهره أربعين يوما . وقال ابن عباس : سنة حتى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تلتظر متى يرمي به فتأكله ، فبعث الله غرايين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه .
فذلك قوله تعالى ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ﴾ فلما

الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) قال السدي بإسناده المتقدم الى الصحابة رضي الله عنهم لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقنتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثي عليه فلما رآه قال (يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء غراب الى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى واره فقال الذي قتل أخاه (يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) وقال الضحاك عن ابن عباس مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سبعة حتى بعث الله الغرابين فراهما يبحثان فقال (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدفن أخاه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا لا يدري ما يصنع به يحمله ويضعه الى الارض حتى رأى الغراب يدفن الغراب فقال (يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال عطية العوفي لما قتله ندم فضمه اليه حتى أروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله رواه ابن جرير وروى محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول لما قتله سقط في يده أي ولم يدرك كيف يواريه وذلك انه كان فيما يزعمون أول قتيل في بني آدم وأول ميت (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) قال وزعم أهل التوراة ان قابيل لما قتل أخاه هابيل قال له الله عز وجل يا قابيل أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيقا فقال الله ان صوت دم أخيك لينادي من الارض الآن انت ملعون من الارض اني فتحت فاهها فتلقت دم أخيك من يدك فان أنت عملت في الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها^(١) حتى تكون فرعا تائها في الارض وقوله (فأصبح من النادمين) قال الحسن البصري علاه الله بندامة بعد خسران فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على ان هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما نطق به الحديث في قوله «إلا كان على ابن آدم الاول كغل من دمها لأنه أول من سن القتل» وهذا ظاهر جلي ولكن قال ابن جرير حدثنا ابن وكيم حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن هو البصري قال كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) من بني اسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه وانما كان القربان من بني اسرائيل وكان آدم أول من مات

رأى قابيل ذلك قال يابولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي أي جيفته وقيل عورته لأنه قد سلب ثيابه فأصبح من النادمين على حمله على عاتقه لا على قتله ، وقيل على فراق أخيه وقيل ندم لقلّة النفع بقتله فانه أسخط والديه وما انتفع بقتله شيئا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب : لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام

وهذا غريب جدا وفي اسناده نظر وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «ان ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه الامة مثلاً فخذوا بالخير منهما» ورواه ابن المبارك عن عاصم الاحول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «ان الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم» وكذا أرسل هذا الحديث بكير بن عبد الله المزني روى ذلك كله ابن جرير وقال سالم بن أبي الجعد لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ثم أتى فقيل له حيّاك الله وبيّاك أي أضحكك رواه ابن جرير ثم قال حدثنا بن حميد حدثنا سلمة عن غياث بن ابراهيم عن أبي اسحاق الهمداني قال قال علي بن ابي طالب لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم فقال

تغيرت البلاد ومن عليها فابون الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح
فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام
أبا هابيل قد قتلا جميعا وصار الحي بالميث الذبيح
وجاء بشره قد كان منه على خوف فجاء بها يصيح

ثم شربت الارض دمه كما يشرب الماء فناداه آدم أين أخوك هابيل ؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا ، فقال آدم : إن دم أخيك لينادينني من الارض فلم قتلت أخاك ، قال فأين دمه إن كنت قتلتته فحرم الله عز وجل يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا . وقال مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة ، وحضت الفواكه ، وأمر الماء ، واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام «قد حدث في الارض حدث» فأتى الهند فاذا قابيل قد تثل هابيل فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من قال أن آدم قال شعراً فقد كذب على الله ورسوله فإن محمداً ﷺ والانبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء ، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني ، فلما قال آدم مرثيته قال لشيث «يا بني انك وصي احفظ هذا الكلام فيرق الناس عليه» فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم إلى المؤخر ، والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً وزيد فيه أبيات منها

ومالي لأجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غمّا فهل أنا من حياتي مستريح

والظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة كما ذكره مجاهد وابن جبير انه علقت ساقه بفخذه يوم قتله وجعل الله وجهه الى الشمس حيث دارت عقوبة له وتنكيلا به وقد ورد في الحديث ان النبي ﷺ قال « ما من ذنب أجدر ان يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا فانا لله وانا اليه راجعون

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (٣٢) إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابل بخمس سنين ولدت له حواء شيئا واسمه هبة الله يعنى أنه خلف من هابل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبادة الحق في كل ساعة منها ، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده ، وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأناه ابليس فقال له : إنما أكلت النار قربان هابل لأنه كان يعبد النار فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيتا للنار فهو أول من عبد النار وكان لا يمر به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه فقتله ، فقال ابن الأعمى قتلت أباك فرفع يده ولطم ابنه فمات ، فقال الأعمى ويل لي : قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلعمتي . وقال مجاهد : فعلمت إحدى رجلي قابيل إلى فخذه وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث دارت عليه في الصيف حظيرة من نار ، وفي الشتاء حظيرة من ثلج قال واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطناير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام وبقي نسل شيث . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل »

قوله عز وجل ﴿ من أجل ذلك ﴾ قرأ أبو جعفر من أجل ذلك بكسر النون موصولا ، وقراءة العامة بجزم النون وفتح الهمزة مقطوعا أي من جراء ذلك القتال وجنائه يقال أجل أجل يأجل أجلا إذا

خلف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣)

إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤)

يقول تعالى من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً (كتبنا على بني إسرائيل) أي شرعنا لهم وأعلمناهم (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) أي من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ولهذا قال (فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقال الأعمش وغيره عن أبي صالح عن أبي هريرة قال دخلت على عثمان يوم الدار فقلت جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يأمر المؤمنين فقال يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم قلت لا قال فانك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور قال فانصرفت ولم أقاتل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو كما قال الله تعالى (من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وأحياؤها ألا يقتل نفساً حرماً الله فذلك الذي أحيا الناس جميعاً يعني أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه وهكذا قال مجاهد ومن أحياها أي كف عن قتلها وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فكأنما قتل الناس جميعاً يقول من قتل نفساً واحدة حرماً الله فهو مثل من قتل الناس جميعاً وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً هذا قول وهو الاظهر وقال عكرمة والعوفي عن ابن عباس من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً ومن شد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية أخرى عنه من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً وذلك لأن من قتل النفس فله النار فهو كما لو قتل الناس كلهم قال

جنى مثل أخذ يأخذ أخذاً ﴿ كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ﴾ قتلها فيقتاد منه ﴿ أو فساد في الأرض ﴾ يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر، أو زنا، أو قطع طريق أو نحو ذلك ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ اختلفوا في تأويلها . قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة « من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شد عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً » قال مجاهد : من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلى لو قتل الناس جميعاً ، (ومن أحياها) من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً . قال قتادة : أعظم الله أجرها وعظم وزرها . معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعاً في الآثم لانهم لا يسلمون منه ﴿ ومن أحياها ﴾ وتورع عن قتلها ﴿ فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ في الثواب لسلامتهم

ابن جريج عن الاعرج عن مجاهد في قوله فكأنما قتل الناس جميعا من قتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً يقول لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك العذاب قال ابن جريج قال مجاهد ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً قال من لم يقتل أحداً فقد حيي الناس منه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من قتل نفساً فكأنما قتل الناس يعني فقد وجب عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة ومن أحيائها أي عفا عن قاتل وليه فكأنما أحيانا الناس جميعاً وحكي ذلك عن أبيه رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية ومن أحيائها أي أئجهاها من غرق أو حرق أو هلكة وقال الحسن وقتادة في قوله أنه من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً هذا تعظيم لتعاطي القتل قال قتادة عظيم والله وزرها وعظيم والله أجرها وقال ابن المبارك عن سلام بن مسكين عن سليمان بن علي الربعي قال قلت للحسن هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل فقال أي والذي لأله غيره كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقال الحسن البصري فكأنما قتل الناس جميعاً قال وزراً ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً قال أجزاً وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اجعلني على شيء أعيش به فقال رسول الله ﷺ يا حمزة « نفس تحببها أحب إليك أم نفس تميتها » قال بل نفس أحييها قال « عليك بنفسك » .

قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) أي بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة (ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) وهذا تقرير لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ثم إذا وضعت الحروب أوزارها فدوا من أسروهم وودوا من قتلوه وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة حيث يقول (وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان وأن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) قوله

منه . قال الحسن : فكأنما قتل الناس جميعاً يعني أنه يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحيائها أي عفا عن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيانا الناس جميعاً . قال سليمان بن علي قلت للحسن : يا أبا سعيد أهى لنا كما كانت لبني إسرائيل ؟ قال أي والذي لأله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات

(أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافاً أو ينفوا من الأرض) الآية المحاربة هي المضادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر حتى قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب أن قبض الدراهم والدنانير من الفساد في الأرض وقد قال الله تعالى (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) ثم قال بعضهم نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين كما قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالوا (أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله — إلى —) (إن الله غفور رحيم) نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل وليست تحوز هذه الآية الرجل المسلم من الخدان قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقاتل عليه الحد الذي أصاب ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً نزلت في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقاتل عليه الحد الذي أصابه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) الآية قال كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق ففقدوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف رواه ابن جرير .

وروي شعبة عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد عن أبيه قال نزلت في الحرورية (أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) رواه بن مردويه . والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبدالله بن يزيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك أن نفراً من

ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون * أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً الآية . قال الضحاك : نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ففقدوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ، وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويم وذلك أن النبي ﷺ وأدع هلال بن عويم وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ، ومن مر بهلال بن عويم إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويم ولم يكن هلال شاهداً فشدوا عليهم فقتلوه وأخذوا أموالهم فتنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم . وقال سعيد بن جبير : نزلت في ناس من عرينة وعكل أتوا النبي ﷺ وبايعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى أبل الصدقة فارتدوا

عكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الاسلام فاستوحوا المدينة ، وسقمت أجسامهم فشكوا الى رسول الله ﷺ ذلك فقال « ألا تخرجون مع راعينا في ابله فتصيرون من أبوالها وألبانها » فقالوا بلى فخرجوا فشربوها من أبوالها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطرّدوا الابل فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فادركوا فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا لفظ مسلم ، وفي لفظ لهما : من عكل أو عربنة وفي لفظ : وألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون فلا يسقون وفي لفظ مسلم : ولم يحسمهم وعند البخاري قال أبو قلابة فهو لا ، سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب وحميد عن أنس فذكر نحوه وعنده فارتدوا . وقد أخرجاه من رواية قتادة عن أنس بنحوه وقال سعيد عن قتادة من عكل وعربنة ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي عن أنس قال إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لانهم سملوا أعين الرعاء . ورواه مسلم من حديث معاوية بن قرة عن أنس قال أتى رسول الله ﷺ نفر من عربنة فأسلموا وبايعوه وقد وقع بالمدينة الدم وهو البرسام ثم ذكر نحوه حديثهم وزاد : عنده شباب من الانصاري قريب من عشرين فارساً فارساهم وبعث معهم قائداً ينفقوا آثارهم وهذه كلها الفاظ مسلم رحمه الله

وقال حماد بن سلمة حدثنا قتادة وثابت البناني وحميد الطويل عن أنس بن مالك أن ناساً من عربنة قدموا المدينة فاجتوروا فبعثهم رسول الله ﷺ في ابل الصدقة وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي وساقوا الابل فارسل رسول الله ﷺ في آثارهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمرت أعينهم وألقاهم في الحرة قال أنس فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا ونزات (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وهذا لفظه وقال الترمذي حسن صحيح وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة عن أنس بن مالك منها ما رواه من طريقين عن سلام بن أبي الصهباء

وقتلوا الراعي واستاقوا الابل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله بن أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا واجتوروا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل فبعث النبي ﷺ في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ، ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال : قطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا . قال أبو قلابة : قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً

عن ثابت عن أنس بن مالك قال ما ندمت على حديث ما ندمت على حديث سألتني عنه الحجاج قال أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله ﷺ قال قلت قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة من البحرين فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما لقوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضمرت بطونهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا أبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألباتها حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الأبل فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا . فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول إن رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا بحال ذود من الأبل فكان الحجاج يحتج بهذا الحديث على الناس

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني سعيد عن قتادة عن أنس قال كانوا أربعة نفر من عرينة وثلاثة نفر من عكل فلما أتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم يحسمهم وتركهم يلمتقون بالحجارة بالحرة فانزل الله في ذلك (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب أن موصلي حدثنا أبو مسعود يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج حدثنا أبو سعيد يعني البقال عن أنس بن مالك قال كان رهط من عرينة أتوا رسول الله ﷺ وبهم جهد مصفرة ألوانهم ، عظيمة^(١) بطونهم فأمرهم أن يلحقوا بالأبل فيشربوا من أبوالها وألباتها ففعلوا فصفت ألوانهم وخصت بطونهم وسمنوا فقتلوا الراعي واستاقوا الأبل فبعث النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم فقتل بعضهم وسمر أعين بعضهم وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ونزلت (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى آخر الآية

(١) في نسخة
فطيمة بطونهم

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الإسلام وقتلوا

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنيين ، فقال بعضهم هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز ، وقال بعضهم حكمه ثابت إلا السمل والمثلة ، وروى قتادة عن ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن ينزل الحد . وقال أبو الزناد لما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ، ونهاه عن المثلة فلم يعد

وعن قتادة قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ بعد ذلك كان يبحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان التيمي عن أنس إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة . وقال الليث بن سعد : نزلت هذه الآية معاتباً لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم وقال إنما جزاؤهم هذا لا المثلة ، ولذلك ما قام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة . واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد . فقال قوم : هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين ، والمكابرون

الراعي واستاقوا الابل وأخافوا السبيل ، واصابوا الفرج الحرام . وقال حدثني يونس اخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله ابن عمر أو عمرو شك يونس عن رسول الله ﷺ بذلك يعني بقصة العرنيين ونزلت فيهم آية المحاربة ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد وفيه عن ابن عمر من غير شك

وقال ابن جرير . حدثنا محمد بن خلف حدثنا الحسن بن حماد عن عمرو بن هاشم عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ابراهيم عن جرير قال قدم على رسول الله ﷺ قوم من عريضة حفاة مضرورين فأمر بهم رسول الله ﷺ فلما صحوا واشتدوا قتلوا رعاء اللقاح عامدين بها الى أرض قومهم قال جرير فبعثني رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى أدركناهم بعد ما أشرفوا على بلاد قومهم فقدمنا بهم على رسول الله ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم فجعلوا يقولون الماء ، ورسول الله ﷺ يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل هذه الآية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الى آخر الآية هذا حديث غريب ، وفي إسناده الرندي وهو ضعيف وفي إسناده فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية وهو جرير بن عبد الله البجلي وتقدم في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارسا من الانصار

وأما قوله : فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الآية فانه منكر وقد تقدم في صحيح مسلم انهم سماوا أعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله أعلم وقال عبد الرزاق عن ابراهيم بن محمد الاسلمي عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قدم على رسول الله ﷺ رجال من بني فزارة قدموا هزلا فأمرهم النبي ﷺ الى لقاحه فشرّبوا منها حتى صحوا ثم عمدا الى لقاحه فسرّقوها فطلبوا فأتي بهم النبي ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . قال أبو هريرة ففيهم نزلت هذه الآية (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) فترك النبي ﷺ سمر الاعين بعد وروي من وجه آخر عن أبي هريرة وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا

في الامصار وهو قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله . وقال قوم : المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه ، وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ﴾ فذهب قوم إلى أن الامام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الآية ، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد ، وذهب الاكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لاعلى التخيير لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، واذا قتلوا ولم

أبو القاسم محمد بن الوليد بن عمرو بن محمد المدني حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن سلمة بن الأكوع قال كان للنبي ﷺ غلام يقال له يسار فنظر إليه يحسن الصلاة فاعتقه ، وبعثه في لقاح له بالحرّة فكان بها قال فظهر قوم الإسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم قال فبعث بهم النبي ﷺ إلى يسار فكانوا يشربون من البان الابل حتى انطوت بطونهم ثم عدوا على يسار فذبجوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم أطرّدوا الابل فبعث النبي ﷺ في آثارهم خيلا من المسلمين كبيرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . غريب جداً وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وغير واحد وقد اعتنى الناظر الجليل أبو بكر ابن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً فرحمه الله وأثابه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي يقول سمعت أبا حمزة عن عبد الكريم وسئل عن أبوال ابل فقال حدثني سعيد بن جبير عن الحارثيين فقال كان أناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا نبايعك على الإسلام فبايعوه وهم كذبة وليس الإسلام يريدون . ثم قالوا إنا نجتوي المدينة فقال النبي ﷺ هذه اللقاح تغدوا عليكم وتروح فاشربوا من أبوالها والبانها قال فينما هم كذلك إذ جاءهم الصريح فصرخ إلى رسول الله ﷺ فقال قتالوا الراعي واستاقوا النعم فأمر النبي ﷺ فنودي في الناس « أن ياخيل الله أركبي » قال فركبو ألا ينتظر فارس فارساً قال وركب رسول الله ﷺ على أثرهم فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنهم فرجع صحابة رسول الله ﷺ وقد أسروا منهم فأتوا بهم النبي ﷺ فانزل الله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية قال فكان نفهم أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنهم وأرضهم ونفوهم من أرض المسلمين وقتل نبي الله ﷺ منهم وصلب وقطع وسمر الاعين قال فما مثل رسول الله ﷺ قبل ولا بعد قال ونهى عن المثل وقال « ولا تمتلوا بشيء » قال وكان أنس يقول ذلك غير أنه قال أحرقهم بالنار بعدما قتلهم قال : وبعضهم يقول هم ناس من بني سليم ومنهم من عرينة ناس من بجيلة

يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض وهو قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى ، وإذا قتل قاطع الطريق يقتل حتماً حتى لا يسقط بعفو ولي الدم ، وإذا أخذ من المال نصاباً وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، وإذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب ، وقيل يصلب حياً ثم يطن حتى يموت مصلوباً وهو قول الليث بن سعد ، وقيل يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل ، وإذا أخاف السبيل ينفي ، واختلفوا في النفي فذهب قوم إلى أن الامام يطلبه في كل بلد يوجد ينفي عنه

وقد اختلف الائمة في حكم هؤلاء العرنيين هل هو منسوخ أو محكم فقال بعضهم هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتاباً للنبي ﷺ كما في قوله (عفا الله عنك لم أذن لهم ؟) ومنهم من قال هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المثلة وهذا القول فيه نظر ثم قائله مطالب ببيان تأخر الناسخ الذي ادعاه عن المنسوخ وقال بعضهم: كان هذا قبل أن تنزل الحدود قاله محمد بن سيرين وفيه نظر فان قصته متأخرة . وفي رواية جرير بن عبد الله لقصتهم ما يدل على تأخرها فانه اسلم بعد نزول المائدة ، ومنهم من قال لم يعمل النبي ﷺ أعينهم وانما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فين حكم المحاربين وهذا القول أيضاً فيه نظر فانه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سمل ، وفي رواية سمر أعينهم

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال ذكرت الليث بن سعد ما كان من سمل النبي ﷺ أعينهم وتركه حسهم حتى ماتوا فقال سمعت محمد بن عجلان يقول أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ معاتبة في ذلك وعلمه عقوبة مثلهم من القتل والقطع والنفي ولم يسمل بعدهم غيرهم قال وكان هذا القول ذكر لابي عمرو يعني الاوزاعي فأنكر أن يكون نزلت معاتبة ، وقال بل كانت عقوبة أولئك النفر باعياهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، ورفع عنهم السمل ، ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في ذهابهم الى أن حكم المحاربة في الامصار وفي السبلان على السواء لقوله (ويسعون في الارض فساداً) وهذا مذهب مالك والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واحمد بن حنبل حتى قال مالك في الذي يقتل الرجل فيخذه حتى يدخله بيتاً فيقتله يأخذ ماله ان هذه محاربة ودمه الى السلطان لا الى ولي المقتول ولا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل . وقال أبو حنيفة وأصحابه لا تكون المحاربة الا في الطرقات فأما في الامصار فلا لانه يلحقه الغوث إذا استغاث ، بخلاف الطريق لبعده ممن يغيبه ويعينه

وقوله تعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية : من شهر السلاح في فئة الاسلام ، وأخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فامام المسلمين فيه بالخيار إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده ورجله وكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وابراهيم النخعي والضحاك وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير

وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز ، وقيل يطلبون لتقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال أهل الكوفة : النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن جرير ينفي من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته وقال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجن وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد فيؤذيهم ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت من الحد ﴿ لهم خزي ﴾ عذاب وهوان وفضيحة ﴿ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ الا الذين تابوا من قبل أن تقدر عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴿ فمن ذهب

وحكي مثله عن مالك بن أنس رحمه الله ومستند هذا القول أن ظاهر أول التخيير كافي نظائر ذلك من القرآن كقوله في جزاء الصيد (فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) وكقوله في كفارة الفدية (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وكقوله في كفارة الجنين (فاطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) هذه كلها على التخيير فكذلك فلتكن هذه الآية . وقال الجمهور هذه الآية مبرزة على أحوال كما قال أبو عبد الله الشافعي أنبأنا إبراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض . وقد رواه ابن أبي شيبه عن عبد الرحمن بن سليمان عن حجاج عن عطية عن ابن عباس بنحوه وعن أبي مخرمة وسعيد بن جبير وأبراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدي وعطاء الخراساني نحو ذلك وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة واختلفوا هل يصلب حيا ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب ، أو يقتله برمح أو نحوه أو يقتل أولا ثم يصلب تنكيلا وتشديدا لغيره من المفسدين وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل أو يترك حتى يسيل صديده في ذلك كله خلاف مجرر في موضعه وبالله الثقة وعليه التكلان وبشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره أن صحاح سننه فقال حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه بخبره أنها نزلت في أولئك النفرا عرينين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا لابل ، وأخافوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام قال أنس فسأل رسول الله ﷺ جبرائيل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب فقال من سرق مالا وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقة ورجله باخافته ، ومن قتل فاقطع يده ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصلبه وأما قوله تعالى (أو ينفوا من الأرض) قال بعضهم هو أن يطالب حتى يقدر عليه فيقام عليه الحد أو يهرب من دار الإسلام رواه ابن جرير عن ابن عباس وأنس بن مالك وسعيد بن جبير والضحاك والربيع بن أنس والزهري والليث بن سعد ومالك بن أنس . وقال آخرون هو أن ينفي من بلده إلى بلد آخر أو يخرج السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية وقال الشعبي ينفيه - كما قال ابن هبيرة - من

إلى أن الآية نزلت في الكفار قال معناه إلا الذين تابوا من شرهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ، ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل أن يظفر به الأمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله . ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتل فإن شاء عفا عنه ، وإن شاء استوفى وإن كان

عمله كله وقال عطاء الخراساني ينفي من جند الى جند سنين ولا يخرج من دار الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وابو الشعثاء والحسن والزهرى والضحاك ومقاتل بن حيان انه ينفي ولا يخرج من ارض الاسلام . وقال آخرون المراد بالنفي ههنا السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه واختار ابن جرير ان المراد بالنفي ههنا ان يخرج من بلده الى بلد آخر فيسجن فيه

وقوله تعالى (ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى هذا الذي ذكرته من قتلهم ومن صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيمهم خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة وهذا يؤيد قول من قال انها نزلت في المشركين فأما أهل الاسلام ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا يعرضه بعضنا بعضاً فمن وفى منكم فأجره على الله تعالى ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له ومن ستره الله فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه . وعن علي قال قال رسول الله ﷺ « من أذنب ذنباً في الدنيا فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود عليه في شيء » قد عفا عنه « رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وقد سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث فقال روي مرفوعاً وموقوفاً قال ورفعته صحيح

وقال ابن جرير في قوله (ذلك لهم خزي في الدنيا) يعني شر وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي اذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتي هلكوا في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا والعقوبة التي عاقبتهم بها في الدنيا عذاب عظيم يعني عذاب جهنم وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما على قول من قال انها في اهل الشرك فظاهر وأما المحاربون المسلمون فاذا تابوا قبل القدرة عليهم فانه يسقط عنهم انحتام القتل والصلب وقطع الرجل وهل يسقط قطع اليد أم لا فيه قولان للعلماء وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو اسامة عن مجالد عن الشعبي قال كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة وكان قد أفسد في الارض وحارب فكلم رجالاً من قريش منهم الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن جعفر فكلموا علياً فيه فلم يؤمنه فأتى سعيد بن قيس الهمداني فخلفه في داره ثم أتى علياً فقال يا أمير المؤمنين أرايت من

قد أخذ المال يسقط عنه القطع وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه . وقال بعضهم اذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيرده إلى صاحبه روي عن علي رضي الله عنه في حارثة ابن بدر كان خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال ثم جاء تائباً قبل أن يقدر عليه فلم يجعل عليه علي

حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا فقرا حتى بلغ (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) قال فيكتب له امانا قال سعيد بن قيس فانه جارية ابن بدر وكذا رواه بن جرير من غير وجه عن مجالد عن الشعبي به وزاد فقال جارية بن بدر

ألا بلغن همدان اما اتقيها * على النأى لا يسلم عدو يعيها

لعمر أبها ان همدان تتقي الا * له ويقضى بالكتاب خطيها

وروى ابن جرير من طريق سفيان الثوري عن السدي ومن طريق أشعث كلاهما عن عامر الشعبي قال جاء رجل من مراد الى أبي موسى وهو على الكوفة في إمارة عثمان رضي الله عنه بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي واني كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض فسادا ، واني تبت من قبل ان تقدروا علي فقام أبو موسى فقال ان هذا فلان بن فلان وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا ، وانه تاب من قبل ان تقدروا عليه فمن اقيه فلا يعرض له الا بخير فان يك صادقا فسبيل من صدق ، وان يك كاذبا تدركه ذنوبه فأقام الرجل ماشاء الله ثم انه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله . ثم قال ابن جرير حدثني علي حدثنا الوليد بن مسلم قال قال الليث وكذلك حدثني موسى بن اسحاق المدني وهو الامير عندنا ان عليا الاسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الائمة والعمامة فامتنع ولم يقدرُوا عليه حتى جاء تائبا وذلك انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فوقف عليه فقال يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فعمد سيفه ثم جاء تائبا حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الصبح ثم قعد الى أبي هريرة في أغمار أصحابه فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا اليه فقال لا سبيل لكم علي جئت تائبا من قبل ان تقدروا علي فقال أبو هريرة صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال هذا علي جاء تائبا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل قترك من ذلك كله قال وخرج علي تائبا مجاهدا في سبيل الله في البحر فلقوا الروم فقرنوا سفينة الى سفينة من سفنهم فالتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه الى شقها الآخر فمالت به وبهم فغرقوا جميعا

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجهدوا في سبيله لعلكم تفلحون (٣٥)

رضي الله عنه تبعه . اما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال والا كثرون على أنها لا تسقط

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي القربة فعيلة من توسل

ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم (٣٦) يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (٣٧)

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه وهي اذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات. وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي القربة، وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه. وقرأ ابن زيد (أوئلك الذين تدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه. وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا * وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة الى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة»

﴿حديث آخر﴾ في صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي ﷺ يقول «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة» قيل يا رسول الله وما الوسيلة؟ «قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو» ورواه الترمذي عن بNDAR عن أبي عاصم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن كعب قال حدثني أبو هريرة به ثم قال غريب وكعب ليس بمعروف، لانعرف أحداً روى عنه غير ليث بن أبي سليم

(حديث آخر) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا محمد بن نصر الترمذي حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا ابن شهاب عن ليث عن المعلى عن

الى فلان بكذا أي تقرب اليه وجمعها وسائل ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ﴿أخبر أن الكافر

محمد بن كعب عن أبي هريرة رفعه قال « صلوا على صلاتكم ، وسلوا الله لي الوسيلة — فسألوه أو أخبرهم — ان الوسيلة درجة في الجنة ليس ينالها الا رجل واحد وأرجو ان أكون أنا »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني أنا أحمد بن علي الأبار حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني حدثنا موسى بن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « سلوا الله لي الوسيلة فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » ثم قال الطبراني لم يروه عن ابن أبي ذئب الا موسى بن أعين كذا قال . وقد رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيمة حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن عمرو بن عطاء فذكر بأسناده نحوه

﴿ حديث آخر ﴾ روى ابن مردويه بأسناده عن عمارة بن غزيرة عن موسى بن وردان انه سمع أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله ﷺ « ان الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله ان يؤتيني الوسيلة على خلقه »

(حديث آخر) روى ابن مردويه أيضا من طريقين عن عبد الحميد بن بحر حدثنا شريك عن أبي أسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ قال « في الجنة درجة تدعى الوسيلة فاذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة » قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال « علي وفاطمة والحسن والحسين » هذا حديث غريب منكر من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن الدشتكي حدثنا أبو زهير حدثنا سعيد بن طريف عن علي بن الحسين الأزدي مولى سالم بن ثوبان قال سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة : يا أيها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احدهما بيضاء ، والاخرى صفراء اما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكنها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد ﷺ وأهل بيته ، والصفراء فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام وأهل بيته . وهذا أثر غريب أيضا

وقوله (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم ، والتاركين للدين القويم ، ورغبتهم في ذلك بالذي أعدّه للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبديد ولا تحول ولا نزول في الغرف العالية الرفيعة ، الآمنة الحسنة مناظرها ، الطيبة مساكنها ، التي من سكنها ينعم لا يئأس ، ويحيى لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه

ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال (ان الذين كفروا

لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء) ولهم عذاب اليم * يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) وله وجهان (أحدهما) أنهم يقصدون ويطلبون

لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب مقيم (أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الارض ذهباً وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ، وتيقن وصوله اليه ما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص ولهذا قال (ولهم عذاب أليم) أي موجه (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) كما قال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم الى ذلك ، كلما رفعهم الاله فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم^(١) الى أسفلها (ولهم عذاب مقيم) أي دائم مستمر لا خروج لهم منها ، ولا يحيد لهم عنها ، وقد قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعتك ؟ فيقول شر مضجع ، فيقال هل تفتدي بقراب الارض ذهباً ؟ قال فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل ، فيؤمر به الى النار » رواه مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن أنس به وكذا أخرجه من طريق أبي عمران الجوني واسمه عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك به. ورواه مطر الوراق عن أنس بن مالك، ورواه ابن مردويه من طريقه عنه، ثم روى ابن مردويه من طريق السعدي عن يزيد بن صهيب الفقير عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » قال فقلت لجابر بن عبد الله يقول الله (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) قال اتل اول الآية (ان الذين كفروا لو ان لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به) الآية ألا انهم الذين كفروا ، وقد روى الامام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر عن يزيد الفقير عن جابر وهذا أبسط سياقا وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شيبة الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا مبارك بن فضالة حدثني يزيد الفقير قال جلست الى جابر بن عبد الله وهو يحدث فحدثني ان ناسا يخرجون من النار قال وأنا يومئذ أنكر ذلك فغضبت وقلت ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ، تزعمون ان الله يخرج ناسا من النار والله يقول (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) الآية فانهزني اصحابه وكان احلمهم فقال دعوا الرجل انما ذلك للكفار فقرأ (ان الذين كفروا لو ان لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) حتى بلغ (ولهم عذاب مقيم) أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قد جمعتة قال أليس الله يقول (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فهو ذلك المقام فان الله تعالى يحب من أقواما بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلمهم فاذا أراد أن يخرجهم أخرجهم . قال فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به. ثم قال ابن مردويه حدثنا علي

(١) كذا في جميع
الاصول ، ومقتضى
الاعراب : فيردوهم

الخروج منها كما قال الله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) (والثاني) أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال

ابن أحمد حدثنا عمرو بن حفص السدوسي حدثنا عاصم بن علي أخبرنا العباس بن الفضل حدثنا سعيد ابن المهلب حدثني طلق بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكديبا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار فقال: يا طلق اترأأقرأ الكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني؟ أن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فعذبوا ثم أخرجوا منها، ثم أهوى بيديه إلى أذنيه فقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «يخرجون من النار بعد ما دخلوا» ونحن نقرأ كما قرأت

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله. والله عزير حكيم (٣٨)

فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (٣٩) ألم تعلم أن الله

له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويفخر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (٤٠)

يقول تعالى حاكما وأمرأ بقطع يد السارق والسارقة. وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرؤها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وهذه قراءة شاذة^(١) وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها لا بهابل هو مستفاد من دليل آخر. وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية فقرر في الإسلام وزيدت شروط آخر كما سنذكره إن شاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح. ويقال إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلا يقال له دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة، ويقال سرقه قوم فوضعه عنده وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده به سواء كان قليلا أو كثيرا لعموم هذه الآية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) فلم يعتبروا نصابا ولا حرزا بل أخذوا بمجرد السرقة

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد المؤمن عن نجدة الحنفي قال سألت ابن عباس

(١) التحقيق أن مثل هذا يقوله الصحابي من باب التفسير لا القراءة

تعالى إخباراً عنهم (ربنا أخرجنا منها) ولهم عذاب مقيم* والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما* أراد به إيمانها وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وجملة الحكم أن من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده النبي من الكوع، ولا يجب القطع بسرقة مادون النصاب عند عامة أهل العلم حي عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا في القدر الذي يقطع فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار فإن سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس

عن قوله (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) اخاص أم عام؟ فقال بل عام وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب اليه هؤلاء ، ويحتمل غير ذلك فالله أعلم . وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة وان كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره فذهب كل من الائمة الاربعة الى قول على حدة فعند الامام مالك بن أنس رحمه الله النصاب ثلاثة دراهم . وضروبة خالصة فمتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ « قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم » أخرجاه في الصحيحين قال مالك رحمه الله : وقطع عثمان رضي الله عنه في أترجة قومت بثلاثة دراهم وهو أحب ما سمعت في ذلك وهذا الاثر عن عثمان رضي الله عنه قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن ان سارقا سرق في زمن عثمان أترجة فأمر بها عثمان أن تقوم فتقومت بثلاثة دراهم صرف اثني عشر درهما فقطع عثمان يده قال أصحاب مالك ومثل هذا الصنيع يشتهر ولم ينكر فمن مثله يحكي الاجماع السكوتي وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافا للحنفية وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لهم في أنه لا بد من عشرة دراهم ، وللشافعية في اعتبار ربع دينار والله أعلم

وذهب الشافعي رحمه الله الى أن الاعتبار في قطع يد السارق بربع دينار أو ما يساويه من الأمان أو العروض فصاعداً أو الحجة في ذلك ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من طريق الزهري عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا » ولمسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال « لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا » قال أصحابنا فهذا الحديث فاصل في المسئلة ونص في اعتبار ربع الدينار لا ما ساواه قالوا وحديث ثمن المجن ، وانه كان ثلاثة دراهم

الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال « القطع في ربع دينار فصاعدا » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم وروى عن عثمان أنه قطع سارقا في أترجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهما بدينار وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم . وذهب قوم الى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم لا يقطع الا في خمسة دراهم ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمر بن حفص بن

لا ينافي هذا لانه اذ ذاك كان الدينار باثني عشر درهما فهي ثمن ربع دينار فأمكن الجمع بهذا الطريق ويروى هذا المذهب عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وبه يقول عمر بن عبد العزيز والليث بن سعد والاوزاعي والشافعي وأصحابه ، واسحاق بن راهويه في رواية عنه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري رحمهم الله

وذهب الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه في رواية عنه الى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مرد شرعي فمن سرق واحدا منها أو مائساويه قطع عملا بحديث ابن عمر وبحديث عائشة رضي الله عنها ووقع في لفظ عند الامام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك » وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما وفي لفظ للنسائي « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن » قيل لعائشة ما ثمن المجن قالت ربع دينار فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم والله أعلم

وأما الامام أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف ومحمد وزفر وكذا سفيان الثوري رحمهم الله فانهم ذهبوا الى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة واحتجوا بأن ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله ﷺ كان ثمنه عشرة دراهم وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير وعبد الأعلى حدثنا محمد بن اسحاق عن ايوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم ثم قال حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « لا تقطع يد السارق في دون ثمن المجن » وكان ثمن المجن عشرة دراهم قالوا فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خافا ابن عمر في ثمن المجن فالاحتياط الاخذ بالاكثر لان الحدود تدرأ بالشبهات

وذهب بعض السلف الى أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو ما يبلغ قيمته واحداً منها يحكي هذا عن علي وابن مسعود وابراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى وقال بعض السلف لا تقطع الخس الا في خمس أي في خمسة دنانير أو خمسين درهما ، وينقل هذا عن سعيد بن جبير رحمه الله وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة « يسرق البيضة فتقطع

غياث أخبرني أبي انا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » وقال الاعمش كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل يرون أن منها مائساوي ثلاثة دراهم ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الاعمش لحديث عائشة رضي الله عنها . وإذا سرق شيئا من غير حرز كسفر في حائط لا حارس له أو حيوان في بركة لا حافظ له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لا قطع في ثمر معلق ولا في

يده ويسرق الحبل فتقطع يده « بأجوبة أحدهما أنه منسوخ بحديث عائشة وفي هذا نظر لانه لا بد من بيان التاريخ (والثاني) انه مؤول ببيضة الحديد وحبل السفن قاله الاعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه (والثالث) ان هذه وسيلة الى التدرج في السرقة من القليل الى الكثير الذي تقطع فيه يده ويحتمل ان يكون هذا خرج مخرج الاخبار عما كان الامر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير فلعن السارق الذي يبذل يده الثمينة ، في الاشياء الميينة

وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه انه أورد أشكالا على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك شعراً دل على جهله ، وقلة عقله فقال

يد بخمس مئين عسجد وديت * مابالها قطعت في ربع دينار

تناقض مالنا الا السكوت له * وان نعوذ بمولانا من النار

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضى عبد الوهاب المالكي رحمه الله أن قال: لما كانت أمينة، كانت ثمينة، ولما خانت هانت، ومنهم من قال هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة فان في باب الجنایات ناسب ان تعظم قيمة اليد بخمس مائة دينار لئلا ينجى عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سرقة الاموال فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الالباب. ولهذا قال (جزء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) أي مجازاة على صنيعها السيء في أخذها أموال الناس بأيديهم فناسب أن يقطع ما استعاننا به في ذلك نكالا من الله أي تنكيلا من الله بهما على ارتكاب ذلك (والله عزيز) أي في انتقامه (حكيم) أي في أمره ونهيه وشرعه وقدره

ثم قال تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) أي من تاب بعد سرقة واناب الى الله فان الله يتوب عليه فيما بينه وبينه فأما أموال الناس فلا بد من ردها اليهم أو بدلها عند الجمهور وقال أبو حنيفة متى قطع وقد تلغت في يده فانه لا يرد بدلها ، وقد روى الحافظ أبو الحسن الدار قطني من حديث (١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى بسارق

(١) هنا يبايض بالاصل

حريسة جبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالتقطه فيما بلغ ثمن الحن وروي عن ابن جريج عن الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليس على خائن أو منتهب ولا مخنلس قطع » وإذا سرق مالا له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده، أو الولد يسرق من مال والده، أو الولد يسرق من مال والده، أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيئاً لا قطع عليه. وإذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً فذهب أكثرهم الى أنه تقطع يده اليسرى وإذا سرق رابعا تقطع رجله اليمنى ثم إذا سرق بعده شيئاً يعزر ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو

قد سرق شملة فقال ما أخاله سرق فقال السارق بلى يا رسول الله قال « اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به » ففقط فأتى به فقال « تب الى الله » فقال تبنت الى الله فقال « تاب الله عليك » وقد روي من وجه آخر مرسلًا ورجح ارساله علي بن المديني وابن خزيمة رحمهما الله . وروي ابن ماجه من حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن ثعلبة الانصاري عن أبيه ان عمر بن سمرة بن حبيب ابن عبد شمس جاء الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني سرت جملا لبني فلان فطهرني فأرسل اليهم النبي ﷺ فقالوا انا افتقدنا جملا لنا فأمر به فقطعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخلني جسدي النار . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال سرت امرأة حليا فجاء الذين سرقتهم فقالوا يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة فقال رسول الله ﷺ « اقطعوا يدها اليمنى » فقالت المرأة هل من توبة فقال رسول الله ﷺ « أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » قال فأنزل الله عز وجل (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) وقد رواه الامام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ان امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا يا رسول الله ان هذه المرأة سرقتنا قال قومها فتحن نفديها فقال رسول الله ﷺ « اقطعوا يدها » فقالوا نحن نفديها بخمس مائة دينار فقال « اقطعوا يدها » فقطعت يدها اليمنى فقالت المرأة هل لي من توبة يا رسول الله قال « نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » فأنزل الله في سورة المائدة (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) وهذه المرأة هي الخزومية التي سرت . وحديثها ثابت في الصحيحين من رواية الزهري عن عروة عن عائشة ان قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يجتريء عليه الا

قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في السارق « إنه إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجلاه، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجلاه » وذهب قوم الى أنه إن سرق ثالثا بعد ما قطعت يده اليمنى ورجلاه اليسرى لا يقطع بل يحبس وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وقال اني لأستحي أن لأدع له يداً يستنجي بها، ولا رجلا يمشي بها وهو قول الشعبي والنخعي وبه قال الاوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى ﴿جزاء بما كسب﴾ نصب على الحال والقطع، ومثله ﴿نكالا﴾ أي عقوبة ﴿من الله والله عزيز حكيم﴾ فمن تاب من بعد ظلمه أي سرقته ﴿وأصلح﴾ العمل ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ ان الله غفور رحيم هذا فيما بينه وبين الله تعالى . فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الاكثرين قال مجاهد السارق لا توبة له فاذا قطعت حصلت التوبة والصحيح أن القطع للجزاء على الجنابة كما قال (جزاء بما كسب) ولا

أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتي بها رسول الله ﷺ فكله فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال « أتشفع في حد من حدود الله عز وجل » فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها قالت عائشة فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فارقم حاجتها الى رسول الله ﷺ وهذا لفظ مسلم وفي لفظ له عن عائشة قالت كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتبجده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها وعن ابن عمر قال كانت امرأة مخزومية تستعير متاعا على السنة جاراتها وتبجده فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وهذا لفظه وفي لفظ له ان امرأة كانت تستعير الحلي للناس ثم تمسكه فقال رسول الله ﷺ « لتنب هذه المرأة الى الله والى رسوله وترد ما تأخذ على القوم » ثم قال رسول الله ﷺ « قم يا بلال فخذ يدها فاقطعها » وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب الاحكام والله الحمد والمنة ثم قال تعالى (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) أي هو المالك لجميع ذلك الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه وهو الفعال لما يريد (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)

يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسرعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم

تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم

بد من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل. وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترده ويقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد فلا يمنع أحدهما الآخر كاسترداد العين ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ﴾ قال السدي والكبي (يعذب من يشاء) من مات على كفره (ويغفر لمن يشاء) من تاب من كفره وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى ﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ أي في موالة الكفار فانهم لن يعجزوا لله ﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ وهم المنافقون ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ سماعون ﴾ أي قوم سماعون ﴿ للكذب ﴾ أي قابلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده

من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) سَمِعُونَ لَكُذِبَ أَكَلُونَ لِاسْحَتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يقولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٣) إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآيتي ثمنا قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون (٤٤)

نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أي أظهرنا الايمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون (ومن الذين هادوا) أعداء الاسلام وأهله وهؤلاء كلهم (سمعون لكذب) أي مستجيبون له منفعلون عنه (سمعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد وقيل المراد انهم يتسمعون الكلام وينهونه الى وقوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك (يخرفون الكلام من بعد مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله أيدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (يقولون ان أوتيتهم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) قيل نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلًا وقالوا تعالوا حتى نتحاكم الى محمد فان حكم بالدية فاقبلوه وان حكم

أي قبل الله وقيل معناه سمعون لكذب أي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه ثم سمعون لقوم آخرين لم يأتوك أي هم جواسيس يعني بني قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر وذلك أن رجلا وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا إن هذا الرجل الذي يئثر بليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح له فليسالوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم

بالقصاص فلا تسمعوا منه. والصحيح أنها نزلت في اليهوديين الذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الامر برجم من أحصن منهم فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتعقيم والاركاب على حمار متلوين فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نتحاكم اليه فان حكم بالجلد والتعقيم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وان حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك وقد وردت الاحاديث بذلك فقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان اليهود جاءوا الى رسول الله ﷺ فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة» أخرجه وهذا لفظ البخاري وفي لفظ له قال لليهود «ما تصنعون بهما؟ قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فجاءوا فقالوا الرجل منهم ممن يرضون أعور: اقرأ، فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح قال يا محمد ان فيها آية الرجم ولكننا نتكاثمها بيننا، فأمر بهما فرجما. وعند مسلم ان رسول الله ﷺ أتى يهودية وبهمودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال «ما تجدون في التوراة على من زني؟ قالوا نسود وجوههما ونحممها ونحملها ونخالف بين وجوههما ويظاف بهما قال (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) قال فجاءوا بها فقرأوها حتى اذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ مره فليرفع يده فرفع يده فاذا تحته آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمها فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه

سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ما أحدهما؟ فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا منه. وارسلوا معهم الزانيين، فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فجرا وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير إذا والله يأمر بما تكرهون، ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما أحدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي فقالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله ﷺ هل

وقال أبو داود حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد أن زيد ابن أسلم حدثه عن ابن عمر قال أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ﷺ إلى القف فأتاهم في بيت المدراس فقالوا يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنا باسرة فاحكم قال ووضعهوا رسول الله ﷺ وسادة فجاس عليها ثم قال «أثبوني بالتوراة» فأثبني بها ففرغ الوسادة من تحته ووضعه التوراة عليها وقال آمنت بك وعن أنزلك ثم قال «أثبوني بأعلمكم» فإني بمتى شاب ثم ذكر قصة الرجم فمحدث ذلك عن ثافة وقال الزهري سمعت رجلاً من مزينة ممن يتبع العلم وبعيه ونحن عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال زنا رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا إلى هذا النبي فإنه يبعث بالتخفيف فإن أذنا بغتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله قلنا فتيا نبي من أنبيائك قال فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن» قالوا يحمم ويحبس ويجلد والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أفضيتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه رسول الله ﷺ سكت أظن به رسول الله ﷺ النشدة فقال اللهم إزدنا نشدنا قلنا نجد في التوراة الرجم فقال النبي ﷺ «فما أول ما ارتخصتم أمر الله» قال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل في أثره من الناس فأراد رجمه فقال قومه دونه وقالوا لا نرجم صاحبنا حتى نجيء بصاحبك فترجمه فامطأوا هذه العقوبة بينهم فقال النبي ﷺ «فإني أحكم بما في التوراة» فأمرهم فوجا قل الزهري قبلنا أن هذه الآية نزلت فيهم (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) فكان النبي ﷺ منهم رواه أحمد وأبو داود وهذا لفظه وابن جرير وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله ﷺ يهودي منهم مجلود فدعاهم فقال «أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم»

تعرفون شاباً أمرد أعور يسكن فذك يقول له ابن صوريا قالوا نعم قال فإي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة قال ﷺ فأسألو إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي ﷺ أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له النبي ﷺ أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر وفاق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم» فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة

فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم » فقال لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثير في أشرفنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيم على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ « اللهم اني أول من أحيا أمرك أذ أमतوه » قال فأمر به فرجم قال فانزل الله عز وجل (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (يقولون ان أوتيتهم هذا فخذوه) أي يقولون ائتوا محمداً فان أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا الى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال في اليهود الى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قال في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال في الكفار كلها ، انفرد باخراجه مسلم دون البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به وقال الامام أبو بكر عبدالله بن الزبير الحبيدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينه حدثنا مجالد بن سعيد الهمداني عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال زنى رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك الى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً عن ذلك فان أمرهم بالجلد فخذوه عنه وأن أمرهم بالرجم فلا تأخذوه عنه فساووه عن ذلك فقال « ارسلوا الي أعلم رجلين فيكم » فجاؤا برجل أعور يقال له ابن صوريا وآخر فقال لهما النبي ﷺ « أنما أعلم من قبلكما » فقالا قد دعانا قومنا لذلك فقال النبي لهما « أليس عندكما التوراة فيها حكم الله » قالوا بلى فقال النبي ﷺ « فأنشدكم بالذي فلق البحر لبي اسرائيل وظلل عليكم الغمام وأنجاكم من آل فرعون وأنزل المن والسلوى على بنى اسرائيل ما تجدون في التوراة في شأن الرجم » فقال أحدهما للآخر ما نشدت بمثله قط ثم قالانجد ترداد النظر زنية والاعتناق زنية والتقبيل زنية فاذا شهد أربعة أنهم رأوه يديء ويعيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ﷺ « هو ذاك » فأمر به فرجم فمزلت

على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام فقال له النبي ﷺ فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟ قال كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد فكثير الزنا في أشرفنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه فقالوا والله لا يرم حتى يرم فلان لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الوضيع والشريف فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا أربعين جلدة بجبل مطلي بالقار ثم يسود وجههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم . فقالت اليهود لابن صور ياما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما اتينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نفتابك ، فقال لهم انه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته به ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجا عند باب مسجده فقال « اللهم اني أول

(فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المتقطين) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث مجالد به نحوه ولفظ أبي داود عن جابر قال جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال « اثبتوني بأعلم رجلين منكم » فأتوا بابني صوريا فشدهما « كيف تجدان أمر هذين في التوراة » قالوا نجد إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجاء قال فما يمنعكم أن ترجوها قالوا ذهب سلطاننا فكرهنا القتل فدعا رسول الله ﷺ بالشهود فجاء أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره مثل الميل في المكحلة فأمر رسول الله ﷺ برجمها ثم رواه أبو داود عن الشعبي وأبراهيم النخعي مرسل ولم يذكر فيه فدعا بالشهود فشهدوا بهذه الأحاديث دالة على أن رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة وليس هذا من باب الإكراه لهم بما يعتقدون صحته لأنهم مأورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطؤوا على كتمانهم وجحدته وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بازديغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم وعدوهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ولهذا قالوا (إن أوتيتهم هذا) أي الجلد والتحميم فخذوه أي قبلوه (وإن لم تؤتوه فاحذروا) أي من قبوله واتباعه .

قال الله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سمعون للكذب) أي الباطل (أكلون للسحت) أي الحرام وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد أي ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له ثم قال لنبيه (فان جاؤك) أي يتحاكون اليك (فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) أي فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يفسدون بتحاكمهم اليك اتباع

من احيا امرئ إذ أماتوه » فانزل الله عز وجل (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال ان اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له ان رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها لآية الرجم فأتوا بالتوراة فشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فقال عبد الله بن عمر فرأيت الرجل يحني على المرأة يقبها الحجارة . وقيل سبب نزول هذه الآية القصاص وذلك أن بنى النضير كان لهم فضل على بني قريظة ، فقال بنو قريظة : يا محمد اخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد ، وإذا

الحق بل ما يوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والحسن وغير واحد هي منسوخة بقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)، (وان حكمت فاحكم بينهم بالفسط) أي بالحق والعدل وان كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل (ان الله يحب المقسطين) ثم قال تعالى منكر عليهم في آرائهم الفاسدة، ومقاصدهم الزائغة، في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا الى غيره مما هتفدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى ابن عمران فقال (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أي لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلون منها ولا يجرّفونها (والرّبايون والاحبار) أي وكذلك الرّبايون وهم العلماء العباد والاحبار وهم العلماء (بما استحفظوا من كتاب الله) أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظروه ويعملوا به (وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الله واخشوني) أي لا تخافوا منهم وخافوا مني (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فيه قولان سيأتي بيانهما ﴿سبب آخر في نزول هذه الآيات الكريمات﴾

وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال إن الله أنزل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون) قال قال ابن عباس أنزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت احدهما قد قهرت الاخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتله العريزة من الدليلة فديته خمسون وسقاً وكل قتيل قتله الدليلة من العريزة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ فقتلت الدليلة من العريزة قتيلاً فأرسلت العريزة إلى الدليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق

قتلوا منا قتيلاً لم يقيدونا وأعطينا ديته سبعين وسقاً من تمر، واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القاتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منه الرجلين منا، وبالعبد حراً منا وجراحاتنا على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية والاول أصح لأن الآية في الرجم. قوله (ومن الذين هادوا سماعون للكذب) قيل اللام بمعنى إلى وقيل هي لام كي، أي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله لقوم أي لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر ﴿يحرفون الكلام﴾ جمع كلمة ﴿من بعد مواضعه﴾ أي من بعد وضعه مواضعه وانما ذكر الكناية رداً على لفظ الكلام ﴿يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه﴾ أي إن أفتاكم محمد ﷺ بالجلد والتجميم فاقبلوا ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته﴾ كفره وضلالته. قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿أولئك الذين لم يرد

فقات الذليلة وهل كان في حين دينهما واحد ونسبهما واحد وبادهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض إنما أعطيناكم هذا ضيا منكم لنا وفرقا منكم فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم ثم ذكرت العريضة فقالت والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ولقد صدقوا ما أعطونا هذا الا ضيا منا وقبرا لهم فهدسوا الى محمد من يخبر لكم رأيه ان أعطاكم ما تريدون حكمتموه وان لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه فهدسوا الى رسول الله ﷺ ناسا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاؤا رسول الله ﷺ أخبر الله ﷺ رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (الفاستقون) ففهمهم والله أنزل وإياهم عني الله عز وجل ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه بنحوه

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا هناد بن السري وأبو كريب قالا حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن الآيات التي في المائدة قوله (فاحكم بينهم أو اعرض عنهم - الى - المقسطين) إنما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف تؤدي الدية كاملة وأن قريظة كان يؤدي لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله ذلك فيهم فحكمهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك فجعل الدية في ذلك سواء والله أعلم أي ذلك كان ، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن اسحق بنحوه ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قريظة والنضير وكانت النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل القرظي رجلا من النضير قتل به وإذا قتل النضيري رجلا من قريظة ودي بمائة وسق من تمر فلما بعث رسول الله ﷺ قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فماتوا اذفعوه اليه فقالوا بيننا وبينكم رسول الله ﷺ فنزلت (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) ، ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن موسى بنحوه ، وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد وغير واحد

الله أن يظهر قلوبهم وفيه رد على من ينكر القدر ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي المنافقين واليهود فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم ، وخزي اليهود الجزية ، أو القتل والسبي ، أو النفي ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ الخلود في النار ﴿سماعون للكذب أكلون لاسحت﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي السحت بضم الحاء والآخرين بسكونها وهو الحرام وأصله الهلاك والشدة قال الله تعالى (فيسحتكم بعذاب) نزلت في حكم اليهود كعب بن الاشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم . قال الحسن : كان

وقد روى العوفي وعلي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا كما تقدمت الاحاديث بذلك وقد يكون اجتماع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم ، ولهذا قال بعد ذلك (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) الى آخرها وهذا يقوي أن سبب النزول قضية انقصاص والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال البراء بن عازب وحذيفة ابن اليان وابن عباس وأبو مجلد وأبو رجاء العطاردي وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم نزلت في أهل الكتاب زاد الحسن البصري وهي علينا واجبة وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال نزلت هذه الآيات في بني اسرائيل ورضي الله لهذه الامة بها رواه ابن جرير

وقال ابن جرير أيضا حدثنا يعقوب حدثنا هشيم اخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة الحكم منهم اذا اتاه أحد برشوة جعلها في كمه فزيرها إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة ، وعنه أيضا قال : أما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحملك باطلا أو يبطل عنك حتمك ، فلما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدبرأ به عن نفسه فلا بأس ، فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضجك . وقال ابن مسعود هو الرشوة في كل شي . قال ابن مسعود : من يشفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظمناً فأهدى له فقبل فهو سحت . فقليل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الاخذ على الحكم ؟ فقال الاخذ على الحكم كفر . قال الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « لعنة الله على الراشي والمرثي » قال الاخفش : السحت كل كسب لا يحل قوله عز وجل ﴿ فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ﴾ خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك ، واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة اذا تحاكوا اليها فقال أكثر أهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المائدة حكم منسوخ وحكم المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شاؤا حكموا وإن شاؤا لم يحكموا وإن حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة ، وقال قوم : يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم والآية منسوخة نسخها قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) وهو قول مجاهد وعكرمة وروي ذلك عن ابن عباس وقال : لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله تعالى (لاتحلوا شعائر الله) نسخها

ابن كهيل عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال من السحت قال فقالا وفي الحكم قال ذلك الكفر ثم تلا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، وقال السدي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يقول ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً أوجار وهو يعلم فهو من الكافرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق ربه ابن جرير ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله قال المسلمين

وقال ابن جرير حدثنا ابن أنس حدثنا عبد الصمد حدثنا شعبة بن أبي السفر عن الشعبي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال هذا في المسلمين (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قال هذا في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) قال هذا

قوله تعالى (اقتلوا المشركين) وقوله (فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) نسخها قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) فأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يخلف القول فيه لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة. قوله (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أي بالعدل (إن الله يحب المقسطين) أي العاديين روي عن النبي ﷺ أنه قال «المقسطون عند الله على منابر من نور» قوله تعالى (وكيف يحكمونك) وعندهم التوراة (هذا تعجيب للنبي ﷺ وفيه اختصار، أي وكيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) وهو الرجم (ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) أي بمصدقين لك

قوله عز وجل (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) أي أسلموا واتقادوا لأمر الله تعالى كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وكما قال (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام^(١) قال الله سبحانه وتعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال الحسن والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال إن إبراهيم كان أمة قانتاً، وقوله تعالى (للذين هادوا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا - ثم قال - يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون. وقيل هو على موضع، ومعنا يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا كما قال (وإن أسأتم فلها) أي فعلها، وكما قال (أولئك لهم اللعنة) أي عليهم وقيل فيه حذف كأنه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً (والربانيون والاحبار) يعني العلماء واحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر أنصح وهو

(١) هذا غلط بل أمر بالحكم بها مع نسخ بعض أحكامها كما حكى الله عنه في قوله (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

في النصارى ، وكذا رواه هشيم والثوري عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم) الآية قال هي به كفر قال ابن طاوس وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء أنه قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه ابن جرير وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بكفر ينقل عن الملة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ليس بالكفر الذين تذهبون إليه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن

العالم المحكم في الشيء . قال الكسائي وأبو عبيدة : هو من الخبر الذي يكتب به . وقال قطرب هو من الخبر الذي هو بمعنى الجسار بفتح الحاء وكسر هاء وفي الحديث « يخرج من النار رجل قد ذهب خبره وسبره » أي حسنه وهيأته ومنه التحجير وهو التحسين فسمى العالم خبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه ، وقيل الربانيون ههنا من النصارى ، والاحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود

قوله عز وجل ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أي استودعوا من كتاب الله ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أنه كذلك ﴿فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ قال قتادة والضحاك نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين وقيل هي على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر قال عطاء هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) جاحداً به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكنعاني عن هذه الآيات فقال إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات وقال العلماء هذا إذا رد نص حكم الله عياناً عمداً فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا

قوله تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ أي أوحينا على نبي إسرائيل في التوراة ﴿أن النفس بالنفس﴾

والسن بالسن والجروح قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)

وهذا أيضا مما ويخت به اليهود وقرعوا عليه فان عندهم في نص التوراة ان النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمدا وعنادا ويقيدون النظري من القرطي ولا يقيدون القرطي من النظري بل يعدلون الى الدية كما خافوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن وعدلوا الى ما اضطلمحوا عليه من الجلد والتجميم والاشهار ولهذا قال هناك ١ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ٢ لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا وقال ههنا فأولئك هم الظالمون لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الامر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعذروا على بعضهم بعضا ٣ وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن يونس بن يزيد عن أبي علي بن يزيد عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأها ٤ وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين نصب النفس ورفع العين وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن المبارك وقال الترمذي حسن غريب وقال ابن خاري تفرد ابن المبارك بهذا الحديث وقد استدلل كثير من ذهب من الاصوليين والفقهاء الى ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا حكمي . فقرأوا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الاسفرائيني عن نص الشافعي وأكثر الاصحاب بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنایات عند جميع الأئمة ٥ وقال الحسن البصري هي عليهم وعلى الناس عامة رواه ابن أبي حاتم وقد حكى الشيخ أبو زكريا النوادي في هذه المسئلة ثلاثة أوجه ثألها أن شرع ابراهيم حجة دون غيره وصحح منها عدم الحجية ونقلها الشيخ أبو إسحاق الاسفرائيني أقوالا عن الشافعي وأكثر الاصحاب ورجح انه حجة عند الجمهور من أصحابنا فالحق أعلم وقد حكى الامام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل اجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعصم هذه الآية الكريمة وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم « أن الرجل يقتل بالمرأة » وفي الحديث الآخر « المسلمون تتكاثروا دماؤهم » وهذا قول جمهور العلماء وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن الرجل اذا قتل المرأة لا يقتل بها الا أن يدفع وليها الى أوليائه نصف الدية لأن ديتها على النصف من دية الرجل واليه ذهب أحمد في رواية وحكى عن الحسن

(١) كذا في الاصول والوجه ان يقال : وتعذرى بعضهم على بعض

(٢) العمل بهذه الآية لاقرارها لا يقتضي كون شرع من قبلنا شرع لنا بل هو الشرع الكامل المنزل لجميع البشر الذي كان يجب على الرسل أنفسهم اتباع النبي الحاتم الذي جاء به وقد بينا أدلته في تفسيرنا وكتبه محمد رشيد رضا

يعني نفس القتال بنفس المقتول وقاء يقتل به والعين بالعين ٦ تفقا بها ٧ والاذن بالاذن ٨ يحدع به ٩ والاذن بالاذن ١٠ تقطع بها قال ابن عباس أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو أن (النفس بالنفس)

وعطاء وعثمان البستي ، ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها بل تجب ديها وهكذا احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر الذي وعلى قتل الحر بالعبد وقد خالفه الجمهور فيهما في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يقتل مسلم بكافر » وأما العبد ففيه عن الساف آثار متعددة أنهم لم يكونوا يقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حرأ بعبد وجاء في ذلك أحاديث لا تصح وحكى الشافعي الاجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قوله الا بدليل مخصص للآية الكريمة

ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن الربيع عمه أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا الى القوم العفو فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ « فقال القصاص » فقال أخوها أنس بن النضر يا رسول الله تكسر ثنية فلانة فقال رسول الله ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص » قال فقال لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية فلانة. قال فرضى القوم ففعلوا وتركوا القصاص فقال رسول الله ﷺ « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » أخرجه في الصحيحين وقد رواه محمد بن عبد الله بن المنني الانصاري في الجزء المشهور من حديثه عن حميد عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ثنيتهما فعرضوا عليهم الارش فأبوا فطلبوا الارش والعفو فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما فقال النبي ﷺ « يا أنس كتاب الله القصاص » فعفا القوم فقال رسول الله ﷺ « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » رواه البخاري عن الأنصاري بنحوه وروى أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن أبي نضرة عن عمران بن حصين ان غلاما لانس فقراء قطع اذن غلام لانس أغنيا. فأثنى أهله النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله أنا أناس فقراء فلم يجعل عليه شيأ وكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة به وهذا اسناد قوي رجاله كلهم ثقات وهو حديث مشكل اللهم إلا أن يقال ان الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ولعله تحمل ارش ما نقص من غلام الاغنياء عن الفقراء أو استعفاهم عنه وقوله تعالى (والجروح قصاص) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تقتل النفس بالنفس وتفقأ العين بالعين وتقطع الانف بالانف وتنزع السن بالسن وتقتص الجراح بالجراح فهذا يستوي فيه أحرار

واحدة بواحدة الى آخرها فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفتقئون بالعين العينين وخفف نافع الاذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون (والسر بالسن) تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص (والجروح قصاص) فهذا تعميم بعد تخصيص لانه ذكر العين والانف والاذن والسن ثم قال (والجروح قصاص) أي فيما يمكن الاقتصاص منه كاليدين والرجل واللسان ونحوها . وأما ما لا يمكن

المسلمين فيما بينهم رجالهم ونسائهم اذا كان عمدا في النفس ومادون النفس ويستوي فيه العبيد رجالهم ونسائهم فيما بينهم اذا كان عمدا في النفس وما دون النفس رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

﴿ قاعدة مهمة ﴾

الجراح تارة تكون في مفصل فيجب فيه القصاص بالاجماع كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم فقال مالك رحمه الله فيه القصاص إلا في الفخذ وشبهها لانه مخوف خطر وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السن وقال الشافعي لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقا وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس وبه يقول عطاء والشعبي والحسن البصري والزهري وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب سفيان الثوري والليث بن سعد وهو المشهور من مذهب الامام أحمد وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على مذهبه أنه لا قصاص في عظم الا في السن وحديث الربيع لاحجة فيه لانه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية وجائز ان تكون سقطت من غير كسر فيجب القصاص والحالة هذه بالاجماع وتمموا الدلالة بما رواه ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن دهشم بن قران عن نمران بن جارية عن أبيه جارية بن ظفر الحنفي ان رجلا ضرب رجلا على ساعده بالسيف من غير المفصل فقطعها فاستعدى النبي ﷺ فأمر له بالدية فقال يا رسول الله أريد القصاص فقال خذ الدية بارك الله لك فيها ولم يقض له بالقصاص، وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ليس لهذا الحديث غير هذا الاسناد ودهشم بن قران المعكلي ضعيف اعرابي ليس حديثه مما يحتج به ونمران ابن جارية ضعيف اعرابي أيضا وأبوه جارية بن ظفر مذكور في الصحابة

ثم قالوا لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تندمل جراحة المجني عليه فان اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه فلا شيء له والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء الى النبي ﷺ فقال أقذني فقال « حتى تبرأ » ثم جاء اليه فقال أقذني فأقاده فقال يا رسول الله عرجت فقال « قد نهيتك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك » ثم نهى رسول الله ﷺ أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه أفرد به أحمد

﴿ مسألة ﴾ فلو اقتص المجنى عليه من الجاني فمات من القصاص فلا شيء عليه عند مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم وقال أبو حنيفة تجب الدية في مال المقتص وقال عامر الشعبي وعطاء وطاوس وعمرو بن دينار والحارث المعكلي وابن أبي ليلى وحامد بن أبي سليمان

الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرأ الكسائي والعين وما بعدها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وعمرو (والجروح) بالرفع فقط وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس

والزهري والثوري تجب الدية على عاقلة المقتص له ، وقال ابن مسعود وابراهيم النخعي والحكم بن عيينة وعثمان البستي يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ويجب الباقي في ماله وقوله تعالى (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فمن تصدق به) يقول فمن عفاه عنه وتصدق عليه فهو كفارة المطلوب وأجر للطالب وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمن تصدق به فهو كفارة للجراح وأجر المجروح على الله عز وجل رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن خيثمة بن عبد الرحمن ومجاهد وابراهيم في أحد قوايه وعامر الشعبي وجابر بن زيد نحو ذلك (الوجه الثاني) ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا حماد بن زاذان حدثنا حرمي يعني ابن عمار حدثنا شعبة عن عثمان يعني ابن أبي حفصة عن رجل عن جابر بن عبد الله في قول الله عز وجل (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال المجروح وروى عن الحسن البصري وابراهيم النخعي في أحد قوايه وأبي إسحاق الهمداني نحو ذلك وروى ابن جرير عن عامر الشعبي وقتادة مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قيس يعني ابن مسلم قال سمعت طارق ابن شهاب يحدث عن الهيثم بن العريان النخعي قال رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أهر شبيهها بالموالي فسألته عن قول الله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال يهدم عنه من ذنوبه بقدر ماتصدق به وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة ، وقال ابن مردويه حدثني محمد بن علي حدثنا عبد الرحيم بن محمد الجاشعي حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المري حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا معلى يعني ابن هلال أنه سمع أبان بن ثعلب عن العريان ابن الهيثم بن الأسود عن عبد الله بن عمرو عن أبان بن ثعلب عن الشعبي عن رجل من الانصار عن النبي ﷺ في قوله (فمن تصدق به فهو كفارة له) قال « هو الذي تكسر سنه أو تقطع يده أو يقطع الشيء منه أو يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك » (قال) فيحط عنه قدر خطاياه فان كان ربع الدية فربع خطاياه وان كان الثلث فثلث خطاياه وان كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك » ثم قال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر قال دفع رجل من قريش رجلا من الانصار فاندقت ثنيته فرفعه الانصاري الى معاوية فلما ألح عليه الرجل قال شأنك وصاحبك قال وأبو الدرداء عند معاوية فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ

قوله تعالى (فمن تصدق به) أي بالتقصاص (فهو كفارة له) قيل الهاء في له كناية عن الخروج وولي القتل أي كفارة للمتصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا عبد الله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من تصدق بشيء

يقول « مامن مسلم بصاب بشيء من جسده فيه به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة » فقال الانصاري أنت سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي . فحلى سبيل القرشي . فقال معاوية مروا له بمال ، هكذا رواه ابن جرير ورواه الامام أحمد فقال حدثنا وكيع حدثنا يونس ابن أبي اسحاق عن أبي السفر قال كسر رجل من قریش سن رجل من الانصار فاستعدي عليه معاوية فقال معاوية انا سنرضيه فأخ الانصاري فقال معاوية شأنك بصاحبك وأبو الدرداء جالس فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم بصاب بشيء من جسده في تصدق به إلا رفعه الله به درجة أو حط به عنه به خطيئة » فقال الانصاري فاني قد عفوت وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن يونس بن أبي اسحاق به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه ولا أعرف لأبي السفر سماعا من أبي الدرداء ، وقال ابن مردويه حدثنا دعلج ابن أحمد حدثنا محمد بن علي بن زيد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمران بن ظبيان عن عدي بن ثابت أن رجلا هتم فبه رجل على عهد معاوية رضي الله عنه فأعطى دية فأبى إلا أن يقتص فأعطى ديتين فأبى فاعطى ثلاثا فأبى فحدث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ، « من تصدق بدمه فما دونه فهو كفارة له من يوم ولد الى يوم يموت » وقال الامام أحمد حدثنا شريح ابن النعمان حدثنا هشيم عن المغيرة عن الشعبي ان عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن رجل بجرح من جسده جراحة في تصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به » ورواه النسائي عن علي بن حجر عن جرير بن عبد الحميد ورواه ابن جرير عن محمود بن خداش عن هشيم كلاهما عن مغيرة به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن مجاهد عن عامر عن الحر بن أبي هريرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال ، « من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له » وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قد تقدم عن طاووس وعطاء انها قالا كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وعاتيناه الانجيل

فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) وليحكم

من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه . وقال جماعة هي كناية عن الجراح والقتال يعني إذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة للذنوب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة كما أن القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل قال الله تعالى (فمن عفى وأصاح فأجره على الله) روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول ابراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قوله (وقفينا على آثارهم) أي على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى بن مريم مصدقا لما بين

أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧)

يقول تعالى (وقفينا) أي اتبعنا على آثارهم يعني أنبياء بني اسرائيل (بعيسى بن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة) أي مؤمنين بها حاكماً بما فيها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) أي هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات (ومصداقاً لما بين يديه من التوراة) أي متبعاً لها غير مخالف لما فيها الا في القليل مما بين لبني اسرائيل بعض ما كانوا يخفون فيه كما قال تعالى أخباراً عن المسيح أنه قال لبني اسرائيل (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الانجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى (وهدى وموعظة للمتقين) أي وجعلنا الانجيل هدى يهتدى به وموعظة أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه

وقوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قريء، وليحكم أهل الانجيل بالنصب على أن اللام لام كي أي وآتيناه الانجيل ليحكم أهل مائته في زمانهم وقرى وليحكم بالجزم على أن اللام لام الأمر أي ليؤمنوا بحميم مافيه وليقيموا ما أمروا به فيه ومما فيه البشارة ببعثة محمد والامر باتباعه وتصديقه إذا وجد كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب استم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في التوراة) إلى قوله (المفلحون) ولهذا قال ههنا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى الباطل التاركون للحق وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتب ومهيئنا عليه فالحكم

بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه ﴿ أي في الانجيل ﴾ هدى ونور ومصداقاً ﴿ يعني الانجيل ﴾ لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴿ قرأ الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم أي لكي يحكم ﴾ وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الأمر قال مقاتل بن حبان أمر الله الربانيين والاحبار أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأنزلنا إليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب ﴾ القرآن ﴿ بالحق مصداقاً لما بين يديه من

(م ٢٢ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفسقون (٤٩) أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ (٥٠)

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام ومدحها وأثنى عليها وأمر أتباعها حيث كانت سائقة الاتباع وذكر الانجيل ومدحه وأمر أهله بأقامته واتباع ما فيه كما تقدم بيانه شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزل على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكان نزوله كما أخبر به مما زادها صدقا عند حاملها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي ان كان ما وعدنا الله على ألسنة رسله المتقدم من مجيء محمد عليه السلام لمفعولا اي لكائنا لا محالة ولا بد وقوله تعالى (ومهيمننا عليه) قال سفيان الثوري وغيره عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس اي مؤتمنا عليه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المهيمن الامين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ورواه عن عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقناة وعطاء الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريج القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل وعن الوالي عن ابن عباس (ومهيمننا) أي شهيدا وكذا قال مجاهد وقناة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس (ومهيمننا) أي حاكما على ما قبله من الكتب وهذه الاقوال كلها متقاربة

الكتاب أي من الكتب المنزلة من قبل (ومهيمننا عليه) روى الوالي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي شاهداً عليه وهو قول مجاهد وقناة والسدي والكسائي قال حسان

ان الكتاب مهيمن لنبيتنا * والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد شاهداً ومصدقا قال عكرمة دالا وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن الينا وقيل أصله مؤيمن مفعول من «أميناً» كما قالوا مبيطر من البيطار فقلبت الهمزة هاء كما قالوا أرقط الماء وهرقته وإيهات وهيهات ونحوها ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج القرآن أمين على ما قبله

المعنى فان اسم الميمن يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلماذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فأما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم قالوا في قوله (ومهيمننا عليه) يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن فإنه صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا بهذا نظروا في تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر وبالجملة فالصحيح الاول وقال ابو جعفر بن جرير بعد حكايته له عن مجاهد وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب بل هو خطأ وذلك ان الميمن عطف على المصدق فلا يكون الاصفة لما كان المصدق صفة له قال ولو كان الامر كما قال مجاهد لقال (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب مهيمننا عليه) يعني من غير عطف

وقوله تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أي فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتايبهم بما أنزل الله اليك من هذا الكتاب العظيم وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الانبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا وجهه ابن جرير بمعناه

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان ابن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ مخيراً ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم فردهم الى أحكامهم فنزلت (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) فأمر رسول الله ﷺ ان يحكم بينهم بما في كتابنا ، وقوله (ولا تتبع أهواءهم) أي آراءهم التي اصطالحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رساله ولهذا قال تعالى (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أي لا تصرف عن الحق الذي أمرك الله به الى أهواء هؤلاء من الجهلة الاشقياء ، وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن يوسف ابن أبي اسحق عن أبيه عن التميمي عن ابن عباس (لكل جعلنا منكم شرعة) قال سبيلا وحدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس (ومنهاجا) قال سنة وكذا روى العوفي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجا) سبيلا وسنة وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري

من الكتب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا وقال سعيد ابن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقبيا وحافظا والمعاني متقاربة ومعنى الكل أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى وإلا فلا (فاحكم) يا محمد (بينهم) بين أهل الكتاب إذا ترفعوا اليك (بما أنزل الله) تعالى بالقرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أي لا تعرض عما

وقتادة والضحاك والسدي وأبي اسحق السبكي أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجا) أي سبيلا وسنة وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أي وعطاء، الخراساني عكسه شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا والاول أنسب فإن الشرعة وهي الشريعة أيضاً هي ما ابتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق فتفسير قوله (شرعة ومنهاجا) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم،

ثم هذا أخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسوله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن معشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة. قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) يقول سبيلا وسنة والسنن مختلفة هي في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه من بعضيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقيل مخاطب بهذه الآية هذه الأمة ومُعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجا أي هولكم كالكم تقتدون به وحذف الضمير المنصوب في قوله (لكل جعلنا منكم) أي جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجا أي سبيلا إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي طريقا ومسلكا واضحا بينا. هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله، والصحيح القول الاول ويدل على ذلك قوله تعالى بعده (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) فلو كان هذا خطابا لهذه الأمة لما صح أن يقول (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وأخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعية واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمد ﷺ الذي ابتعثه إلى

جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد أي سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة ومنه شرائع الاسلام لشروع أهلها فيها وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة ولكل أهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين فالشريعة شريعة والانجيل شريعة والفرقان شريعة والدين واحد وهو التوحيد ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ أي على ملة واحدة

أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الانبياء كلهم ولهذا قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) أي أنه تعالى شرع الشرائع المختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير (فيما آتاكم) يعني من الكتاب ثم أنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال (فاستبقوا الخيرات) وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى (إلى الله مرجعكم) أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزئى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة ، والحجج البالغة ، والادلة الدامغة ، وقال الضحاك (فاستبقوا الخيرات) يعني أمة محمد ﷺ والاول أظهر وقوله (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والنهي عن خلافه ثم قال (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أي واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتر بهم فانهم كذبة كفر خونة (فان تولوا) أي عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالمهم (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) أي أن أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) الآية وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال كعب ابن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نفقته عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وإنا إن اتبعناك

﴿ ولكن ليبلوكم ﴾ ليختبركم ﴿ فيما آتاكم ﴾ من الكتب وبين لكم من الشرائع فيبين المطيع من العاصي والموافق من المخالف ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ فبادروا إلى الأعمال الصالحة ﴿ إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

قوله عز وجل ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ إليك ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نفقته عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدنا الايمان وإنما كان

اتبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فإني ذلك رسول الله ﷺ فانزل الله عز وجل فيهم (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) - الى قوله - (لقوم يوقنون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وقوله تعالى (أحكم الجاهلية يبعون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا امتداد من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكركان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهو اه فصار في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى (أحكم الجاهلية يبعون) أي يبتغون^(١) ويريدون وعن حكم الله يعدلون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقهم من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال ابن فياض حدثنا أبو عبيدة الناجي قال سمعت الحسن يقول من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية وأخبرنا يونس بن عبد الاعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال كان ظالم إذا سأله رجل : أفضل بين ولدي في النحل ؟ قرأ (أحكم الجاهلية يبعون) الآية وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أنا شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أبغض الناس الى الله عز وجل من يبتغي في الاسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه » وروى البخاري عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة

(١) وفي
الازهرية يتبعون

يأبىها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم

قصدهم التبليس ودعوته الى الميل في الحكم فانزل الله عز وجل هذه الآية (فان تولوا) أي أعرضوا عن الايمان والحكم بالقرآن (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يجعل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم (وإن كثيراً من الناس) يعني اليهود (لفساقون أحكم الجاهلية يبعون) قرأ ابن عامر تبغون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء أي يطلبون (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) يأبىها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء (

منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسرّون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣)

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الاسلام واهله قاتلهم الله ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ثم تهدد وتوعّد من يتعامل ذلك فقال (ومن يتولهم منهم فإنه منهم) الآية. قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عياض أن عمر أبا موسى الأشعري أن رفع اليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني فرفع اليه ذلك فعجب عمر وقال إن هذا لفيظ هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام فقال أنه لا يستطيع فقال عمر أجنب هو قال لا بل نصراني قال فانتهرني وضرب فخذي ثم قال اخرجوه ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية، ثم قال حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عثمان بن عمر ابن أنس بن عوف عن محمد بن سيرين قال قال عبد الله بن عتبة ليعق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر قال فظنناه يريد هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب

اختلفوا في نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول وذلك أنهما اختصما فقال عبادة أن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله الكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأنني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي ﷺ «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه» قال إذا أقبل، فأنزل الله تعالى هذه الآية قال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يidal عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بغلان اليهودي وأخذ منه أمانا فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهانا وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل أصبعه على حلقه أنه الذبح أي يقتلكم فنزلت هذه الآية ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين

فقال كل قال الله تعالى (من يتولهم منكم فانه منهم) وروى عن أبي الزناد نحو ذلك .

وقوله تعالى (قترى الذين في قلوبهم مرض) أي شك وريب ونفاق يسارعون فيهم أي يبادرون الى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالاسلمين فتكون لهم أباد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك . عند ذلك قال الله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح) قال السدي يعني فتح مكة وقال غيره يعني القضاء والفصل (أو أمر من عنده) قال السدي يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى (فيصبحوا) يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين (على ما أسروا في أنفسهم) من الموالات نادمين أي على ما كان منهم مما لم يجد عندهم شيئاً ولا دفع عنهم محذورا بل كان عين المفسدة فانهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لا يدري كيف حالهم فلما انعقدت الاسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ويخافون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم واقتراؤهم ولهذا قال تعالى (ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) وقد اختلف القراء في هذا الحرف فقرأه الجمهور بأثبت الواو في قوله (ويقول) ثم منهم من رفع ويقول على الابتداء ومنهم من نصب عطفاً على قوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) فتقديره أن يأتي وأن يقول ، وقرأ أهل المدينة (يقول الذين آمنوا) بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير قال ابن جريج عن مجاهد (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) تقديره حينئذ (يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) واختلاف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد أما أنا فإني ذاهب الى ذلك اليهودي فأوى اليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث وقال الآخر وأما أنا فإني ذاهب الى فلان النصراني بالشام فأوى اليه وأت نصر معه ، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيات وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ الى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا

﴿ ومن يتولهم منكم ﴾ فيوافقهم ويعينهم ﴿ فانه منهم ﴾ ان الله لا يهدي القوم الظالمين * قترى الذين في قلوبهم مرض ﴿ أي نفاق يعني عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين بالواون اليهود ﴾ يسارعون فيهم ﴿ أي في معونتهم وموالاتهم ﴾ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴿ دور يعني أن يدور الدهر دولته فنحتاج الى نصرهم ايانا وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الامر علينا وقيل نخشى أن يدور الدهر علينا بمكره من جذب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض ﴾ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴿ قال قتادة ومقاتل بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالنه وقال الكلبي

فاشار بيده الى حلقه أى إله الذبح رواه ابن جرير . وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سلول كما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد قال جاء عبادة ابن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي موالى من يهود كثير عددهم واني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لأبرأ من ولاية موالى فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن أبي « يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » قال قد قبلت فأ نزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيتين ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير ثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لا وليائهم من اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقتلونا فقال عبادة ابن الصامت يا رسول الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم ، كثير أسلحتهم ، شديدة شوكتهم ، واني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لأبرأ من ولاية يهود اني رجل لا بد لي منهم فقال رسول الله ﷺ « يا أبا الحباب رأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » فقال إذا أقبل ، قال فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء - الى قوله تعالى - والله يعصمك من الناس) وقال محمد بن اسحاق فكانت أول قبيلة من اليهود تقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ بنو قينقاع فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالى وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالى قال فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ أرساني « وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجه ظملا ثم قال « ويحك أرساني » قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى أربعمائة حاسروا ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدني في غداة واحدة اني أمرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله

والسدي فتح مكة وقال الضحاك افتح قري اليهود مثل خير وفدك (أو أمر من عنده) قيل باتمام أمر محمد ﷺ وقيل عذاب لهم وقيل اجلاء بني النضير (فيصبحوا) يعني هؤلاء المناقبة (على ما أسروا في أنفسهم) من موالة اليهود ودس الاخبار اليهم (نادمين) حينئذ يقول الذين آمنوا قرأ أهل الكوفة ويقول بالواو والرفع على الاستئناف ، وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على أن يأتي أي وعسى أن يقول الذين آمنوا ، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام وكذلك هو في مصاحف أهل العالية استغناء عن حرف العطف للملازمة هذه الآية بما قبلها يعني يقول الذين آمنوا في وقت

«هم لك» قال محمد بن اسحاق فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة ابن الصامت الى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله ابن أبي فجعلهم الى رسول الله ﷺ وتبرأ الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يا رسول الله أبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الايات في المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم - الى قوله - ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زيادة عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نعوذه فقال له النبي ﷺ «قد كنت أمهك عن حب يهود» فقال عبد الله فقد أبغضهم اسعد بن زراره فمات وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم ركةون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون (٥٦)

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه واقامة شريعته فان الله يستبدل به من هو خيرا لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم

اظهار الله تعالى نفاق المنافقين ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله ﴾ حلفوا بالله ﴿ جهد ایمانهم ﴾ أي حلفوا بأغلظ الايمان ﴿ انهم لمعكم ﴾ أي انهم لمؤمنون ، يريد أن المؤمنون حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل قال الله تعالى ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ بطل كل خير عملوه ﴿ فأصبحوا خاسرين ﴾ خسروا الدنيا باقتضائهم ، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قرأ أهل المدينة والشام يرتد بدالين على اظهار التضعيف أي عن دينه فيرجع الى الكفر قال الحسن : علم الله تبارك وتعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم ﷺ فاخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم

لا يكونوا أمثالكم) وقال تعالى (إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) وقال تعالى (إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) أي ممتنع ولا صعب . وقال تعالى ههنا (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي يرجع عن الحق إلى الباطل . قال محمد بن كعب نزلت في الولاة من قريش . وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم . وقال أبو بكر ابن أبي شيبة سمعت أبا بكر بن عياش يقول في قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم أهل القادسية . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهدهم قوم من سبأ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة من السكون . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا معاوية يعني ابن حفص عن أبي زياد الحلفاني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال « هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب » وهذا حديث غريب جدا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث

ويحبونه واختلفوا في أولئك القوم من هم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلو أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكاة وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ وقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه الأجمعة وحسابه على الله عز وجل » فقال أبو بكر : والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال أنس بن مالك رضي الله عنه كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقدم أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء . قال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة وقد كان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورؤسهم ذو الحمار عيلة بن كعب العنسي ويلقب بالاسود وكان كاهنا مشعباً فتنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحشوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى جرب الاسود فقتله فيروز زالد يلقي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنه فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها فقال ﷺ قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو؟ قال « فيروز فاز فيروز » فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الاسود

حدثنا شعبة عن سمالك سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري قال لما نزلت (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ « هم قوم هذا » ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه . وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه صفات المؤمنين الكمل ان يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه

وقبض ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه

(والفرقة الثانية) بنو حنيفة بالمامة ورئيسهم مسيعة الكذاب وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيعة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فان الأرض نصفها لي ونصفها لك . وبعث إليهم رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله ﷺ لو أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم أثم أجاب « من محمد رسول الله إلى مسيعة الكذاب أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ومر ضر رسول الله ﷺ وتوفي فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيعة الكذاب في جيش كثير حتى اهلكه الله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب بعد حرب شديد وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام

(والفرقة الثالثة) بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتدوا عن النبوة في حياة النبي ﷺ وأول من قتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل الردة فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه فزهمهم خالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربان نحو الشام ثم أنه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم ، ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه قالت عائشة توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرب النفاق ونزل بأبي مالو نزل بالجبال الراسيات لها ضها

وقال قوم المراد بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم الأشعريون روي عن عياض بن غنم الأشعري قال لما نزلت هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ « هم قوم هذا » وأشار إلى أبي موسى الأشعري وكانوا من اليمن أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقاني أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد الله عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميري أخبرنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي موسى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة ، الأيمان يمان والحكمة يمانية » وقال الكلبي هم أحياء من اليمن الفان من النخع وخمسة من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه

قوله عز وجل (اذلة على المؤمنين) يعني أرقاء رحماء لقوله عز وجل (واخفض لها جناح الذل من الرحمة) ولم يرد به الهوان بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين وقيل هو من الذل من قولهم دابة

أشداء على الكفار رحماء بينهم) وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال . فهو ضحوك لا وليائه قتال لا أعدائه . وقوله عز وجل (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردهم عن ذلك راد ، ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيمك فيهم لوم لائم ، ولا عذل عاذل . قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال أمرني خليلي ﷺ بسبع أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر الى من هو دوني ، ولا أنظر الى من هو فوقني ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأ ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانهم من كنز تحت العرش . وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن أبي المثني أن أبا ذر رضي الله عنه قال يا يعني رسول الله ﷺ خمساً وواثقني سبعاً ، وأشهد الله علي سبعاً . اني لا أخاف في الله لومة لائم . قال أبو ذر فدعاني رسول الله ﷺ فقال « هل لك الى بيعة ولك الجنة - قلت نعم وبسطت يدي فقال النبي ﷺ وهو يشترط علي « ان لا تسأل الناس شيئا » قلت نعم قال ولا سوطك وان سقط منك » يعني تنزل اليه فتأخذه وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى الفردوسي عن الحسن عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « ألا لا يمنع أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه أو شهده فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم » تفرد به أحمد . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه قتال فلا يقول فيه . فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس ، فيقول ايأي أحق أن نخاف » ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به . وروى أحمد وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن ابني طوالة عن بهار بن عبد الله العبدي المدني عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « إن الله يسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له أي عبدي رأيت منكراً فلم تنكره ؟ فإذا لقن الله عبدا حاجته قال أي رب وثقت بك وخفت الناس » وثبت في الصحيح « ما ينبغي المؤمن أن يذل نفسه » قالوا وكيف يذل

ذلول يعني أنهم متواضعون قال الله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أعزة على الكافرين أي أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم من قولهم عزه أي غلبه قال عطاء (أذلة على المؤمنين) كالولد لوالده والعبد لسيده أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته نظير قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون في الله لومة الناس . وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون على الكفار ويخافون لومهم وروينا عن عبادة بن الصامت قال يا يعني رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن تقوم أو تقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف

نفسه يارسول الله قال « يتحمل من البلاء مالا يطيق » (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أى من اتصف بهذه الصفات فأنما هو من فضل الله عليه ، وتوفيقه له (والله واسع عليم) أى واسم الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن بحرمه آياه .

وقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) أى ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة الى الله ورسوله والمؤمنين وقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أى المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التى هي أكبر أركان الاسلام وهي عبادة الله وحده لا شريك له . وإيتاء الزكاة التى هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين . وأما قوله (وهم راكعون) فقد توهم بعض الناس ان هذه الجملة في موضع الحال من قوله (ويؤتون الزكاة) أى في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لانه ممدوح وليس الامر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى ، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك انه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الرقيم بن سليمان المرادي حدثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبي حكيم في قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب . وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الاحول حدثنا موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب ابن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع وقال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله

في الله لومة لائم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ أي محبتهم لله ولين جانبهم المسلمين وشدتهم على الكافرين من فضل الله عليهم ﴿ والله واسع عليم ﴾ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴿ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود وقال اتولى الله ورسوله والذين آمنوا فنزلت فيهم من قوله (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الى قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ وقال جابر بن عبد الله جاء عبد الله بن سلام الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال يارسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وأولياء وعلى هذا التأويل أراد بقوله وهم راكعون صلاة التطوع بالليل والنهار وقاله ابن عباس رضي الله عنهما

وقال السدي قوله ﴿ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ أراد به علي

(انما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت في علي بن أبي طالب : عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به. وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي فمر سائل وهو راكم فأعطاه خاتمه فنزلت (انما وليكم الله ورسوله) الآية . الضحاك لم يلق ابن عباس. وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس قال خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد والناس يصلون بين راكم وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكين يسأل فدخل رسول الله ﷺ فقال «أعطاك أحدشياً؟ قال نعم قال من؟ قال ذلك الرجل القائم قال» على أي حال أعطاك؟ قال وهو راكم، قال وذلك علي بن أبي طالب قال فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وهذا إسناد لا يقدح به ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وعمار ابن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منهما بالكلية لضعف أسانيدهما^(١) وجهالة رجالهما ثم روى بإسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله (انما وليكم الله ورسوله) نزلت في المؤمنين وعلي بن أبي طالب أولهم، وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبد الملك عن أبي جعفر قال سأله عن هذه الآية (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) قلنا من الذين آمنوا؟ قال الذين آمنوا . قلنا بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب قال علي من الذين آمنوا، وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكم في المسجد فأعطاه خاتمته، وقال علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا رواه ابن جرير، وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي أن الله قوي عزيز . لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون) فكل من رضي بولاية الله ورسوله

(١) بل يشتم من
التكلف فيها راحة
الوضع والركوع هنا
ورد بمعناه اللغوي

ابن أبي طالب رضي الله عنه مر به سائل وهو راكم في المسجد فأعطاه خاتمته وقال جوير عن الضحاك في قوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض. وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) نزلت في المؤمنين فقليل له إن أناساً يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه فقال هو من المؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا يعني يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المهاجرين والانصار فمن

والمؤمنين فهو منافع في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

يأيمها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب

من قبلكم والكفار أولياء، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتُم إلى الصلوة اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)

وهذا تنفير من موالاة أعداء الاسلام وأهله من الكتابيين والمشركيين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العامون وهي شرائع الاسلام المطهرة المحمكة المشتملة على كل خير دينوي وأخروي يتخذونها هزوا يستهزئون بها، ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، كما قال القائل وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم

وقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) من ههنا لبيان الجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وقرأ بعضهم والكفار بالخفض عطفاً وقرأ آخرون بالنصب على انه معمول (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) تقديره ولا (الكفار أولياء) أي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء والمراد بالكفار ههنا المشركون وكذا وقع في قراءة ابن مسعود فيما رواه ابن جرير (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا) وقوله (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي اتقوا الله إن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذ هؤلاء هزوا ولعباً كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) وقوله (وإذا ناديتُم للصلاة اتخذوها هزوا ولعباً) أي وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الالباب (اتخذوها) أيضاً (هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) معاني عبادة الله وشرائعه وهذه صفات أتباع الشيطان

حزب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون)

قوله عز وجل (يأيمها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً) الآية. قال ابن عباس: كان رفاعه بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية (يأيمها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً) باظهار ذلك بالسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) قرأ أهل البصرة والكسائي الكفار بخفض الراء يعني ومن الكفار، وقرأ

الذي إذا سمع الاذان أدبر وله حصاص أى ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل فاذا ثوب للصلاة أدبر فاذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظال الرجل لا يدري كم صلى فاذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدة قبل السلام « متفق عليه » وقال الزهري قد ذكر الله التأذين في كتابه فقال (واذا ناديتُم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) رواه ابن أبي حاتم ، وقال أسباط عن السدي في قوله (واذا ناديتُم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المنادي ينادي أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكذاب ، فدخلت خادمة ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرق البيت فاحترق هو وأهله ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكر محمد بن اسحاق ابن يسار في السيرة أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لا خبرت عنى هذه الحصى فخرج عليهم النبي ﷺ فقال « قد علمت الذي قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ما اطعم على هذا أحد كان معنا فتقول أخبرك ، وقال الامام أحمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة ان عبد الله بن محيريز أخبره وكان يتيما في حجر ابي محذورة قال قلت لأبي محذورة ياعم اني خارج الى الشام وأخشى أن أسأل عن تأذيتك . فأخبرني أن أبا محذورة قال له نعم خرجت في نفر وكنا في بعض طريق حنين مقفل رسول الله ﷺ من حنين فلقينا رسول الله ﷺ ببعض الطريق فأذن . وؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخا نحكيه ونستهزى به فسمع رسول الله ﷺ فأرسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله ﷺ « أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع » ؟ فأشار القوم كلهم الي وصدقوا فأرسل كلهم وحسني وقال « قم فأذن » فقمت ولا شيء . أكره الي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي رسول الله ﷺ فألقى علي رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه قال « قل

الآخرون بالنصب أي لا تتخذوا الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » قوله عز وجل (واذا ناديتُم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) قال الكلبي : كان منادي رسول الله ﷺ اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود : قد قاموا لاقاموا ، وصلوا لاصلوا - على طريق الاستهزاء - وضعكوا . فأنزل الله عز وجل هذه الآية . وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : حرق الكاذب ، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله . وقال الآخرون : إن

الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ثم دعاني حين قضيت التأذين فاعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية ابي محذورة ثم امرها على وجهه ثم بين ثدييه ثم على كعبه حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سررة ابي محذورة ثم قال رسول الله ﷺ «بارك الله فيك وبارك عليك» فقالت يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال «قد امرتك به» وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ فقدمت على عتاب بن اسيد عامل رسول الله ﷺ فاذنت معه بالصلاة عن امر رسول الله ﷺ واخبرني ذلك من ادركت من اهلي ممن ادرك ابا محذورة على نحو ما اخبرني عبد الله بن محيريز ، هكذا رواه الامام احمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأهل السنن لاربعة من طريق عن عبد الله بن محيريز عن ابي محذورة واسمه سمرة بن معير^(١) بن لوزان احد مؤذني رسول الله ﷺ الاربعة وهو مؤذن اهل مكة وامتدت ايامه رضي الله عنه وارضاه

«١» هذا قول مرجوح والمعتد ان اسمه أوس ، ومعير بالمهمله بوزن منبر ، وقيل بتشديد الياء

قل ياء هل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ؟ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيراً منهم يسرعون في الإثم والعسود وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينههم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء (الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب : هل تنقمون

الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا المساهين فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا يا محمد : لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الامم ، فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء ، فمن أين لك صياح كصياح العير ، فما أقيج من صوت ! وما أسمع من أمر : فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) الآية قوله عز وجل قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا في الآية . قرأ الكسائي هل تنقمون بادغام

منا الا أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) أي هل لكم علينا مطعن أو عيب الا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة . فيكون الاستثناء منقطعاً كما في قوله تعالى (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله (وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وفي الحديث المتفق عليه « ما ينقم ابن جبل الا أن كان فقيراً فأغناه الله » وقوله (وأن أكثركم فاسقون) معطوف على (أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) أي وآمنّا بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم ثم قال (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنون؟ بئنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله (من لعنه الله) أي أبعدته من رحمته (وغضب عليه) أي غضباً لا يرضى بعده أبداً (وجعل منهم القردة والخنازير) كما تقدم بيانه في سورة البقرة وكما سيأتي إيضاحه في سورة الاعراف : وقد قال سفيان الثوري عن علقمة بن يزيد عن المغيرة ابن عبد الله عن المعرور بن سريد عن ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسح الله فقال « ان الله لم يهلك قوماً أو قال لم يمسخ قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عقبا وان القردة والخنازير كانت قبل ذلك » وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما عن مغيرة بن عبد الله الشكري به ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا داود بن أبي الفرات عن محمد بن زيد عن أبي الاعين المعبدي عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى من نسل اليهود فقال « لا ، ان الله لم يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق

اللام في التاء وكذلك يدغم لام هل في التاء والتاء والنون ، ووافقه حمزة في التاء والتاء وأبو عمرو في « هل رى » في موضعين . قال ابن عباس : أتى النبي ﷺ نفر من اليهود أبو ياسر بن أخطب ورافع ابن أبي رافع وغيرهما فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال « أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل) - إلى قوله (ونحن له مسلمون) فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهـل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) أي هل تكبرهون منا ؟ إلا أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ؟ أي هل تكبرهون منا إلا إيماننا وفسقكم ، أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون اننا على حق لأنكم فسقتم بأن أنتم على دينكم لحب الرئاسة وحب الاموال ثم قال (قل يا محمد هل أنبئكم) أخبركم (بشراً من ذلك) الذي ذكرتم يعني قولهم : لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم . فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شراً لقوله تعالى (أفأنبئكم بشر من ذلك النار) مثوبة (ثواباً وجزاء) نصب على التفسير (عند الله) من لعنه الله أي هو من لعنه الله (وغضب عليه) يعني اليهود (وجعل منهم القردة والخنازير) فالقردة أصحاب السبت ، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام

كان فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم » ورواه أحمد من حديث داود بن أبي الفرات به ، وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن اسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز بن المختار عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير » هذا حديث غريب جداً ، وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) قري ، وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أي وجعل منهم من عبد الطاغوت وقري ، وعبد الطاغوت بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم خدام الطاغوت أي خدامه وعبيده وقري ، وعبد الطاغوت على أنه جمع الجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وتمر حكاه ابن جرير عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمي أنه كان يقرأها وعابد الطاغوت وعن أبي وابن مسعود عبدوا وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القاري ، أنه كان يقرأها وعبد الطاغوت على أنه مفعول مالم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا بعد في ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أي وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ولهذا قال (أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلاً)

وقوله تعالى (وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر ولهذا قال وقد دخلوا أي عندك يا محمد بالكفر أي مستصحين الكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم ولا نجت فيهم المواعظ ولا الزواجر ولهذا قال (وهم قد خرجوا به) فخصهم به دون غيرهم وقوله تعالى (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أي عالم بسر أئمرهم وما تنطوى عليه ضمائرهم وإن

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المسوخين كلاهما من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ، ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ أي جعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له وتصدقها قراءة ابن مسعود (ومن عبدوا الطاغوت) وقرأ حمزة (وعبد) بضم الباء (الطاغوت) بجر التاء أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء مثل سبع وسبع وقيل هو جمع العباد ، وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد ﴿ أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ عن طريق الحق ﴿ وإذا جاؤكم قالوا ﴾ يعني هؤلاء المنافقين وقيل هم الذين قالوا (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره) دخلوا على النبي ﷺ وقالوا ﴿ آمنا ﴾ بك وصدقناك فيما قلت وهم يسرون الكفر ﴿ وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ يعني

أظهروا خلقة خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم فإن عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء، وقوله (وترى كثيراً منهم يسارعون في الأثم والعدوان وأكلهم السحت) أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل (لبئس ما كانوا يعملون) أي لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتدواؤهم

وقوله تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) يعني هلا كان ينهاهم الربانيون والاحبار منهم عن تعاطي ذلك والربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم والاحبار هم العلماء فقط (لبئس ما كانوا يصنعون) يعني من تركهم ذلك قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال لهؤلاء حين لم ينهوا لهؤلاء حين عملوا قال وذلك الأركان قال ويعلمون ويصنعون واحد رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن العلاء بن المسيب عن خالد بن دينار عن ابن عباس قال مافي القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) قال كذا قرأ، وكذا قال الضحاك مافي القرآن آية أخوف عندي منها أنا لا تنتهي رواه ابن جرير، وقال ابن أبي حاتم ذكره يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح حدثنا ثابت أبو سعيد الهمداني قال لقيته بالري فحدث عن يحيى ابن يعمر قال خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بتركهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار فلما تبادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وأمنوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلاً، وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن أبي اسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «ممن قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعذاب» تفرد به أحمد من هذا الوجه، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الاحوص عن أبي اسحق عن المنذر بن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ممن رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدر أن يغيروا عليه فلا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا»، وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن اسرايل عن أبي اسحق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه به، قال الحافظ المزي وهكذا رواه شعبة عن أبي اسحق به

دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ﷻ والله أعلم بما كانوا يكتمون * وترى كثيراً منهم ﷻ يعني من اليهود ﷻ يسارعون في الأثم والعدوان ﷻ قيل الأثم المعاصي، والعدوان الظلم، وقيل الأثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها ﷻ وأكلهم السحت ﷻ الرشا ﷻ لبئس ما كانوا يعملون * لولا ﷻ هلا ﷻ ينهاهم الربانيون والاحبار ﷻ يعني العلماء، قيل الربانيون علماء النصارى، والاحبار علماء اليهود ﷻ عن قولهم

وقالت اليهود يد الله مغولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق
 كيف يشاء ، ولين يدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة
 والبغضاء إلى يوم القيمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا والله
 لا يحب المنسدين (٦٤) ولو أن أهل السكتب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
 ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
 لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة معتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦)
 يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم علوا
 كبيرا بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا (يد الله مغولة) قال ابن
 أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني حدثنا حفص بن عمر المدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال
 قال ابن عباس (مغولة) أي بخيلة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (وقالت اليهود يد الله مغولة)
 قال لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون بخيل يعني أمسك ما عنده بخلا تعالى الله عن قولهم
 علوا كبيرا وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وقرأ (ولا تجعل يدك مغولة إلى
 عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) يعني أنه ينهى عن البخل وعن التبذير وهو زيادة
 الانفاق في غير محله وعبر عن البخل بقوله (ولا تجعل يدك مغولة إلى عنقك) وهذا هو الذي أراد
 هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله وقد قال عكرمة أنها نزلت في فنحاص اليهود عليه لعنة الله وقد تقدم
 أنه الذي قال (ان الله فقير ونحن أغنياء) فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال محمد بن اسحق
 حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال قال رجل من اليهود يقال له شاس بن
 قيس ان ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله (وقالت اليهود يد الله مغولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل

الآثم وأكلهم السمحت لبئس ما كانوا يصنعون * وقالت اليهود يد الله مغولة) قال ابن عباس وعكرمة
 والضحاك وقتادة : إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم
 ناحية ، فلما عضوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كذب الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال
 فنحاص ابن عازوراء : يد الله مغولة أي محبوسة مقبوضة من الرزق نسبه إلى البخل ، قيل إنما
 قال هذه المقالة فنحاص ، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها . وقال الحسن : معناه
 يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا ما يبر به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل والاول أولي اقوله
 (ينفق كيف يشاء) غلت أيديهم أي أمسكت أيديهم عن الخيرات . وقال الزجاج : أجابهم الله

يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) ، وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه واقتروه وائتفكوه فقال (غلت أيديهم واعنوا بما قالوا) وهكذا وقع لهم فان عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم كما قال تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) الآية ، وقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) الآية ثم قال تعالى (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) أي بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي مامن شيء إلا عنده خزائنه وهو الذي ما يخلفه من نعمة فمنه وحده لا شريك له الذي خلق لنا كل شيء ، مما نحتاج اليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا ، كما قال (وأنا كم من كل ما سألتهم وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار) وإذا آيات في هذا كثيرة وقد قال الامام احمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أن يمين الله ملائي لا يفيضها نقمة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفيض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وفي يده الاخرى الفيض يرفع ويخفض وقال يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك » أخرجاه في الصحيحين البخاري في التوحيد عن علي بن المديني ومسلم فيه عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أي يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلمنا نافعا يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولا تمتك طغيانا وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الاشياء وكفرا أي تكذيبا كما قال تعالى (قل هو الذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) وقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعني أنه لا يجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقتهم

تعالى فقال : أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلوله المسككة . وقيل هو من الغل في النار يوم القيامة لقوله تعالى (إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل) ﴿ واعنوا ﴾ عذبوا ﴿ بما قالوا ﴾ فمن لعنهم أنهم مسخوا قرده وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا ، وفي الآخرة بالنار ﴿ بل يدها مبسوطتان ﴾ ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه . وقال جل ذكره (لما خلقت بيدي) وقال النبي ﷺ « كتبت يديه يمين » والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الايمان والتسليم وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف ﴿ ينفق ﴾ يرزق ﴿ كيف يشاء ﴾ وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ﴿ أي كلما أنزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا ﴾ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء ﴿ يعني بين اليهود والنصارى . قاله الحسن ومجاهد قيل وبين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين ﴾ إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا

بعضهم في بعض دائماً لانهم لا يجمعون على حق وقد خالفوك وكذبوك وقال ابراهيم النخعي والقينا بينهم العداوة والبغضاء قال الخصومات والجدال في الدين رواه ابن أبي حاتم وقوله ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ أي كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها أطفأها الله ورد كيدهم عليهم وحق مكرهم السيء بهم (ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين) أي من سجيئتهم أنهم دائماً يسعون في الافساد في الارض والله لا يحب من هذه صفته ، ثم قال جل وعلا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) أي لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم (لكنفونا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) أي لأزلنا عنهم المحذور وألناهم المقصود ، (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم) قال ابن عباس وغيره هو القرآن (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الانبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً ﷺ فان كتبهم ناطقة بتصديقه والامر باتباعه حتماً لا محالة وقوله تعالى (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الارض وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لأكلوا من فوقهم) يعني لأرسل السماء عليهم مدراراً (ومن تحت أرجلهم) يعني يخرج من الارض بركانها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي كما قال تعالى (ولو أن أهل انقري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) الآية وقال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) الآية وقال بعضهم معناه (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء وقال ابن جرير قال بعضهم معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل هو في الخير من فرقه إلي قدمه ثم رد هذا القول لمخالفته أقوال السلف وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) فقال حدثنا علمقة عن صفوان

لحرب أطفاها الله ﷻ يعني اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخصم ، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين ، وقيل كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا ناراً لمحاربة أطفاها الله فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه . هذا معنى قول الحسن

وقال قتادة : هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس ﴿ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﷻ بمحمد ﷺ ﴿واتقوا﴾ الكفر ﴿لكنفونا عنهم سيئاتهم ولا دخلناهم جنات النعيم﴾ ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ﷻ يعني أقاموا أحكامها وحدودها وعملوا بما فيها ﷻ وما أنزل اليهم من ربهم ﷻ يعني القرآن وقيل كذب أنبياء بني اسرائيل ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ قيل من فوقهم هو المطر،

ابن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « يوشك أن يرفع العلم » فقال زياد بن لييد يارسل الله وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا فقال « شككتك أمك يا ابن لييد أن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله » ثم قرأ (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) هكذا أورده ابن أبي حاتم معلقاً من أول اسناده مراسلاً في آخره وقد رواه الامام أحمد بن حنبل متصلاً موصولاً فقال حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لييد انه قال ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال « وذاك عند ذهاب العلم » قال قلنا يارسل الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناءؤنا يقرؤنه أبناءهم الى يوم القيامة فقال « شككتك أمك يا ابن أم لييد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيها بشيء » هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به نحوه وهذا اسناد صحيح

وقوله تعالى (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) كقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكقوله عن أتباع عيسى (فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) الآية فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو أوسط مقامات هذه الأمة وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها) الآية والصحيح ان الاقسام الثلاثة من هذه الامة كلهم يدخلون الجنة وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس الضبي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن يزيد بن طاححة عن زيد بن أسلم عن أنس ابن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال « تفرقت أمة موسى على احدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة واحدة وسبعون منها في النار وتعلو أمتي على الفرقتين جميعاً واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار » قالوا من هم يارسل الله قال « الجماعات الجماعات » قال يعقوب بن زيد كان علي بن أبي طالب اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرأنا قال (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم) الى قوله (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) وتلا أيضاً

ومن تحت أرجلهم نبات الارض . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الارض . قال الفراء : أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه نظيره قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) منهم أمة مقتصدة يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه مقتصدة اي عادلة غير غالية ، ولا مقصرة جافية ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وكثير

قوله تعالى (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يعني أمة محمد ﷺ وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وبهذا السياق وحديث افتراق الامم الى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة وقد ذكرناه في موضع آخر والله الحمد والمنة

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك

من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧)

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمد ﷺ باسم الرسالة وأمره له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن اسمعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت « من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب » وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية هكذا رواه هاهنا مختصراً وقد أخرجه في واضع من صحيحه مطولاً وكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من طرق عن عامر الشعبي عن مسروق بن الاعدع عنها رضي الله عنها وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكنتم هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن هرون بن عتبة عن ابيه قال كنت عند ابن عباس ف جاء رجل فقال له إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم ينده رسول الله ﷺ للناس فقال ابن عباس ألم تعلم أن الله تعالى قول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ؟ والله ما ورثنا رسوله ﷺ سوداء في بيضاء وهذا اسناد جيد وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جعيفة وهب بن عبد الله السوائي قال قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهم يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر

وقال البخاري قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم وقد شهدت

منهم كعب بن الاشرف واصحابه ساء ما يعملون ، بئس ما يعملون ، بئس شيئاً عملهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما عملوا بالقيح مع التكذيب بالنبي ﷺ

قوله عز وجل يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك روى عن مسروق قال : قالت عائشة رضي الله عنها : من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية روي عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق

له أمته بابلاغ الرسالة وأداء الامانة واسئنتهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ «أيها الناس انكم مسؤولون عني فما انتم قائلون؟» قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكسها اليهم ويقول «اللهم هل بلغت» قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا فضيل يعني ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع «يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال أي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان اموالكم ودماءكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» ثم اعادها مراراً ثم رفع اصبعه الى السماء فقال «اللهم هل بلغت» مراراً قال يقول ابن عباس والله لو صية الى ربه عز وجل ثم قال «ألا فيبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقد روى البخاري عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وقوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) يعني وان لم تؤد الى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته أي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) يعني ان كتبت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما

ذرعا وعرف أن من الناس من يكذبه فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في عتب اليهود وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الاسلام فقالوا : أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به فيقولون تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذ النصراني عيسى حناناً ، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية وأمره بأن يقول لهم (يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية . وقيل ﴿ بلغ ما أنزل اليك ﴾ من الرجم والقصاص نزلت في قصة اليهود وقيل نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها ، وقيل في الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض يظنون اليك نظر المغشي عليه من الموت) وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم فأنزل الله هذه الآية . قوله تعالى ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب رسالاته على الجمع والباقون رسالاته على التوحيد ومعنى الآية إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيئاً أي جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل كقوله (تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً) أخبر أن كفرهم ببعض محبط للايمان ببعض ، وقيل (بلغ ما أنزل اليك) أي أظهر تبليغه كقوله (فاصدع بما تؤمر) ﴿ وإن لم تفعل ﴾ فان لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته أمره بتبليغ

نزلت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) قال يارب كيف أصنع وأنا وحدي يجمعون علي ففزات (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به ، وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي الى جنبه قالت فقلت ماشأئك يا رسول الله قال « ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة » قالت فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال « من هذا » فقال أنا سعد بن مالك فقال « ما جاء بك » قال جئت لأحرسك يا رسول الله قالت فسمعت غطيظ رسول الله ﷺ في نومه أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الانصاري به ، وفي لفظ سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة مقدمه المدينة يعني على اثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحارث بن عبيد يعني أبا قدامة عن الجريري عن عبد الله ابن شقيق عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) قالت فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد وعن نصر بن علي الجهضمي كلاهما عن مسلم بن ابراهيم به ثم قال وهذا حديث غريب ، وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن ابراهيم ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وكذا رواه سعيد بن منصور عن الحارث بن عبيد أن قدامة الأيادي عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به ، ثم قال الترمذي وقد روى بعضهم هذا عن الجريري عن ابن شقيق قال كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ولم يذكر عائشة ، قلت هكذا رواه ابن جرير من طريق اسمعيل بن علية ، وابن مردويه من طريق وهيب كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق مرسل ، وقد روى هذا مرسل عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي رواهما ابن جرير والربيع بن أنس رواه ابن مردويه ثم قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشد بن المصري حدثنا خالد بن عبد السلام الصدي حدثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطابي قال كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فترك الحرس : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن محمد بن حمد ابو نصر الكاتب البغدادي حدثنا كردوس ابن محمد الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي

ما أنزل اليه مجاهراً محتسباً صابراً غير خائف ، فان أخفيت منه شيئاً لحظف يلحقك فما بلغت رسالته (والله يعصمك من الناس) يحفظك ويمنعك من الناس ، فان قيل أليس قد شج رأسه وكسرت

سعيد الخدري قال كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه فلما نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ترك رسول الله ﷺ الحرس: حدثنا علي بن أبي حامد المديني حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن مفضل بن ابراهيم الاشعري حدثنا أبي حدثنا محمد بن معاوية بن عمار حدثنا أبي قال سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكأؤه حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فذهب ليعث معه فقال « يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة لي الى من تبعث » وهذا حديث غريب وفيه نكارة فان هذه الآية مدنية وهذا الحديث يقتضي انها مكية، ثم قال حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الجاني عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يحرس فكان أبو طالب يرسل اليه كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال « ان الله قد عصمني من الجن والانس » ورواه الطبراني عن يعقوب بن غيلان العماني عن أبي كريب به

وهذا أيضا حديث غريب والصحيح ان هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها والله أعلم، ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارا بما يخلق الله من الاسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة فصانه في ابتداء الرسالة بعنه أبي طالب اذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون اذى يسيرا ثم قبض الله له الانصار فبايعوه على الاسلام وعلى أن يتحول الى دارهم وهي المدينة فلما صار اليها منعوه من الاحمر والاسود وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه كما كاده اليهود بالسحر فحماء الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء ولما سمع اليهود في ذراع تلك الشاة بخير أعلمه الله به وحماء منه ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة

رباعيته وأوذني بضروب من الاذى، قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك، وقيل نزلت هذه الآية بعد ماشج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، وقيل والله يخلصك بالعصمة من دين الناس لأن النبي ﷺ معصوم ﴿ إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا أبو شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدويلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن

قال ابو جعفر بن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا ابو معشر عن محمد بن دعب القرظي وغيره قالوا كان رسول الله ﷺ اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليمة فيقبل تحتها فأتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال «الله عز وجل» فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف منه وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيدة حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل فبينما هو جالس على رأس برّ قد دلى رجله فقال الحارث من بني النجار لاقتان محمداً فقال له أصحابه كيف تقتله قل أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلت به قال فأتاه فقال يا محمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده فقال رسول الله ﷺ «حال الله بينك وبين ماتريد» فأنزل الله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وقصة غورث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أبو عمرو بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كنا اذا صحبتنا رسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء رجل فأخذه فقال يا محمد من يمنعك مني فقال رسول الله ﷺ «الله يمنعني منك ضم السيف» فوضعه فأنزل الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد عن إسحاق بن ابراهيم عن المؤمل بن اسمعيل عن حماد بن سلمة به، وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة

أن جابر بن عبد الله أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قتل رسول الله ﷺ قفل معه وأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده اعرابي فقال «إن هذا اخترط سبفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا» فقال من يمنعك مني فقلت «الله» ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس. وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الاعرابي سل سيفه وقال : من يمنعك مني يا محمد، قال «الله» فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله تعالى هذه الآية

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال «ليت رجلاً صالحاً

سمعت أبا إسرائيل يعني الجشعي سمعت جماعة هو ابن خالد بن الصمة الجشعي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ ورأى رجلاً سميناً فجعل النبي ﷺ يوميء إلى بطنه بيده ويقول «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك» قال وآتي النبي ﷺ برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال النبي ﷺ «لم ترع ولو أردت ذلك لم يسلطك الله عليّ» وقوله (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قال تعالى (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

قل يا أهل الكتاب لستم بدين شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون والنّصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩)

يقول تعالى قل يا محمد (يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي من الدين حتى تقيموا التوراة والانجيل أي حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء وتعملوا بما فيها ومما فيها الإيمان بمحمد والامر باتباعه ﷺ والإيمان ببعثه والافتداء بشريعته ولهذا قال إيث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله (وما أنزل إليكم من ربكم) يعني القرآن العظيم وقوله (وليزيدن كثيراً منهم) ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) تقدم تفسيره (فلا تأس على القوم الكافرين) أي فلا تحزن عليهم ولا يهينك ذلك منهم ثم قال (إن الذين آمنوا) وهم المسلمون (والذين هادوا) وهم حملة التوراة (والصابئون) لما طال الفصل حسن العطف بالرفع والصابئون طائفة من النصاري والمجوس ليس لهم دين قاله مجاهد وعنه من اليهود والمجوس وقال سعيد بن جبير من اليهود والنصارى وعن الحسن والحكم أنهم كالمجوس وقال قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى غير القبلة ويقرؤون الزبور وقال وهب بن

من أصحابي يجرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح» فقال «من هذا» قال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي ﷺ. وقال عبدالله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يجرس حتى نزلت هذه الآية (والله بعصمك من الناس) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس «انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى»

قوله عز وجل ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي تقيموا أحكامهم وما يجب عليكم فيها ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس﴾ فلا تحزن ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون

منه هم قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرا وقال ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون هم قوم مما يلي العراق وهم بكوثى وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك وأما النصارى فمعروفون وهم حملة الانجيل والمقصود ان كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر وهو الميعاد والجزاء يوم الدين وعملت عملا صالحا ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد ارسال صاحبها المبعوث الى جميع الثقلين فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا على ماتركوا وراء ظهورهم ولا هم يحزنون وقد تقدم الكلام على نظيراتها في سورة البقرة بما أغنى عن اعادتها هنا

لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١)

يذكر تعالى انه أخذ اليهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك اليهود والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه ولهذا قال تعالى (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة) أي وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا فترتب وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقا ولا يهتدون اليه ثم تاب الله عليهم أي مما كانوا فيه ثم عموا

والنصارى وكان حقهم والصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه . وقال سيديويه : فيه تقديم وتأخير تقديره إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية والصابئون كذلك قوله (إن الذين آمنوا) أي بالاسان ، وقوله (من آمن بالله) أي بالقلب ، وقيل (إن الذين آمنوا) على حقيقة الايمان ﴿ من آمن بالله ﴾ أي ثبت على الايمان ﴿ واليوم الآخر وعمل عملا صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

قوله تعالى ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ﴾ في التوحيد والنبوة ﴿ وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا ﴾ عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ﴿ وفريقا يقتلون ﴾ يحيى وزكريا ﴿ وحسبوا ﴾ ظنوا ﴿ أن لا تكون فتنة ﴾ أي عذاب وقتل ، وقيل ابتلاء واختبار ، أي ظنوا أن لا يبتلوا ولا يعذبهم الله . قرأ أهل البصرة وحمة والكسائي تكون برفع النون على معنى أنها لا تكون ، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا ﴿ فعموا ﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿ وصموا ﴾ عنه فلم يسمعه ، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه ﴿ ثم تاب الله

وصموا) أي بعد ذلك (كثيراً منهم والله بصير بما يعملون) أي مطلع عليهم وعليهم بمن يستحق الهداية
من يستحق الخواصة منهم

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يئني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من
أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا
عما يقولون ليسن الذين كفروا منهم حذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة

كانا يا كلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الايت ثم أنظر أني يؤفكون (٧٥)

يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية من قال منهم بان
المسيح هو الله تعالى عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله
ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد ان قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن
الله بل قال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) إلى أن قال (وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم) وكذلك قال لهم في حال كونه ونبوته أمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك
له ولهذا قال تعالى (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله) أي فيعبد
مع غيره (فقد حرم الله عليه الجنة وأواه النار) أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى
(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب
الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) وفي الصحيح أن
النبي ﷺ بعث نادياً ينادي في الناس إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وتقدم في
أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة: الدواوين
ثلاثة فذكر منهم ديوانا لا يغفره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة) والحديث في مسند احمد ولهذا قال تعالى اخبراً عن المسيح أنه قال إني اسرائيل (انه من
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأواه النار وما للظالمين من أنصار) أي وما له عند الله ناصر ولا

عليهم في بعث عيسى عليه السلام ثم صموا وكثروا منهم في الكفر بمحمد ﷺ والله بصير
بما يعملون * لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم في وهم الملكية واليعقوبية منهم في وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار

معين ولا منقذ مما هو فيه وقوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) قال هو قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب في تفسير الآية ان المراد بذلك طائفتي اليهود والنصارى والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك ف قيل المراد بذلك كفرهم في قولهم بالاقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الاقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كفرة وقال السدي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقوله تعالى في آخر السورة (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك) الآية وهذا القول هو الاظهر والله أعلم قال الله تعالى (وما من إله الا إله واحد) أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات، وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا (وان لم ينتهوا عما يقولون) أي من هذا الاقتراء والكذب (ليمن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي في الآخرة من الاغلال والنكال ثم قال (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الاقتراء والكذب والافك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه

وقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وانه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال (ان هو الا عبد

وما للظالمين من أنصار) * لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة يعني المرقسية وفيه اضمار معناه ثالث ثلاثة الآلهة لأنهم يقولون الآلهة مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة يبين هذا قوله عز وجل للمسيح (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ومن قال ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الآلهة لا يكفر فان الله يقول (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وقال النبي ﷺ لا يبي بكر رضي الله عنه «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ثم قال ردأ عليهم (وما من إله الا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن) ليصيبن الذين كفروا منهم عذاب أليم خص الذين كفروا لعلهم أن بعضهم يؤمنون (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) قال الفراء : هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى (فهل أنتم متبهون) أي انتهوا والمعنى أن الله يأمرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم (والله غفور رحيم) * ما للمسيح ابن مريم الا رسول

أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لذي أسرائيل) وقوله (وأما صديقة) أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم اسحق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم بقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال قال الله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى) وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجبهة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى (أنظر كيف نبين لهم الآيات) أي نوضحها ونظهرها (ثم انظر أنى يؤفكون) أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلء أن يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون

قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعا والله هو السميع العليم

(٧٦) قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من

قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل (٧٧)

يقول تعالى منكراً على من عبد غيره من الأصنام والانداد والاونان ومبيناً له أنها لا تستحق شيئاً من الألوية فقال تعالى (قل) أي يا محمد هؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعا) أي لا يقدر على دفع ضرر عنكم ولا إيصال نفع إليكم (والله هو السميع العليم) أي السميع لأقوال عباده العليم بكل شيء فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً ولا يملك ضرراً ولا نفعا لغيره ولا لنفسه ثم قال (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجه عن حيز النبوة إلى مقام الألوية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء

قد خلت مضت من قبله الرسل أي ليس هو بالآله كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة وأما صديقة أي كثيرة الصدق، وقبل سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله كما قال عز وجل في وصفها (وصدقت بكلمات ربها) كانا يأكلان الطعام أي كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام، وقبل هذا كناية عن الحدث وذلك أن من أكل أو شرب لا بد له من البول والغائط ومن هذه صفته كيف يكون إلهاً، ثم قال أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون أي يصرفون عن الحق قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعا والله هو السميع العليم * قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق أي

فجاءتموه الهاء من دون الله وما ذاك الا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم من ضل قديماً (وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال الى طريق الغواية والضلال وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا احمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن ابي جعفر عن أبيه عن الربيع بن انس قال وقد كان قائم عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زماناً فأثابه الشيطان فقال انما تركت أمراً أو أمراً قد عمل قبلك فلا تحمد عليه ولا تكن ابتدع أمراً من قبل نفسك وادع اليه وأجبر الناس عليه ففعل ثم اذ كر بعد فعله زماناً فأراد أن يتوب منه فخلع سلطانه وملكه وأراد أن يتعبد فلبث في عبادته اياماً فأني فقيل له لو انك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سببك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة فكيف لك بهداهم فلا توبة لك ابداً فففيه سمعنا وفي اشباهه هذه الآية (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٢٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٢٩) ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون (٣٠) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فستقون (٣١)

يخبر تعالى انه لعن الكافرين من بني اسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال العوفي عن ابن عباس لعنوا في التوراة والانجيل وفي الزبور وفي الفرقان ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى

لا تتجاوزوا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين ، وقوله (غير الحق) أي في دينكم المخالف للحق ، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم ﴾ والاهواء جمع الهوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس ﴿ قد ضلوا من قبل ﴾ يعني رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿ وأضلوا كثيراً ﴾ يعني من اتبعهم على أهوائهم ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ عن قصد الطريق أي بالاضلال فالضلال الاول من الضلالة ، والثاني باضلال من اتبعهم ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود ﴾ يعني أهل إيلة لما اعتدوا في السبت . وقال داود عليه

(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المأثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبه فقال لبئس ما كانوا يفعلون وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي منهم علماءهم فلم ينهوا فجالسوا في مجالسهم قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم وواكؤهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال « لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا » وقال أبو داود حدثنا عبد الله ابن محمد النفلي حدثنا يونس بن راشد عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ان أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلتقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الى قوله (فاستقون) ثم قال « كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو تقصرنه على الحق قصراً »

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي بن بزيمة به وقال الترمذي حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن بNDAR عن ابن مهدي عن سفیان عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة مرسلًا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وهارون بن إسحق الهمداني قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن العلاء ابن المسيب عن عبد الله بن عمر وابن مرة عن سالم الافطس عن بن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ان الرجل من بني إسرائيل كان اذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه » وفي حديث هرون « وشريبه » ثم اتفقا في المتن فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ثم قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطرا . أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم » والسياق لأبي سعيد كذا قال في رواية هذا الحديث وقد رواه أبو داود أيضا عن خلف بن هشام عن أبي شهاب الخياط عن العلاء

السلام : اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا قردة وخنازير « وعيسى ابن مريم » أي على لسان عيسى عليه السلام يعني كفار أصحاب المائدة لما لم يؤمنوا . قال عيسى : اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا خنازير « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » أي لا ينهى بعضهم بعضاً « لبئس ما كانوا يفعلون »

ابن المسيب عن ابن مرة عن سالم وهو ابن عجلان الافطس عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال أبو داود كذا رواه خالد عن العلاء عن عمرو بن مرة به ورواه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الافطس عن أبي عبيدة عن عبد الله قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى والاحاديث في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولذا ذكر منها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث جابر عند قوله (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار) وسيأتي عند قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني فقال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي أنا أنا اسمعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشجلي عن حذيفة بن اليمان ان النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده اتأمرن بالمعروف واتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» ورواه الترمذي عن علي ابن حجر عن اسمعيل بن جعفر به وقال هذا حديث حسن وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان عن عاصم بن عمر بن عثمان عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «مروا بالمعروف وانهم عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم» تفرد به وعاصم هذا مجهول وفي الصحيح من طريق الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد وعن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» رواه مسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا سيف هو ابن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي السكندري يحدث عن مجاهد قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يعني عدي بن عميرة رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» ثم رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج عن عبد الله بن المبارك عن سيف بن أبي سليمان عن عيسى بن عدي السكندري حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره هكذا رواه الامام أحمد من هذين

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن محمد بن اسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد يعني ابن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل اذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعزيراً ، فاذا كان من الغد جالسه

الوجهين قال أبو داود حدثنا أبو العلاء حدثنا أبو بكر حدثنا المنيرة بن زياد المصلي عن عدي بن عدي عن العرس يعني ابن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها » وقال مرة فأنكرها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها تفرد به أبو داود ثم رواه عن أحمد بن يونس عن أبي شهاب عن مغيرة بن زياد عن عدي بن عدي مرسلًا وقال أبو داود حدثنا سليمان بن حرب وحنص بن عمر قالا حدثنا شعبة وهذا لفظه عن عمر بن مرة عن أبي البحتري قال أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وقال سليمان حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم » وقال ابن ماجة حدثنا عمران ابن موسى حدثنا حماد بن زيد حدثنا علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فكان فيما قال « ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه » قال فبكى أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فبهناه وفي حديث إسرائيل عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه

وقال ابن ماجة حدثنا راشد بن سعيد الرمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي امامة قال عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند الجرة الأولى فقال يا رسول الله أي الجهاد أفضل فسكت عنه فلما رمى العقبة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمى جرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب فقال أين السائل قال أنا يا رسول الله قال « كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر » تفرد به وقال ابن ماجة حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الله بن نعيم وأبو معاوية عن الأعمش عن عمرو ابن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقر أحدكم نفسه » قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قل « يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله يوم القيامة مامعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول فاي بي كنت أحق أن تخشى » تفرد به وقال أيضا حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طولة حدثنا نهار العمدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن وآكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس » فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير وانهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفينة ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم

الله عبداً حجة قال يارب رجواتك وفرقت الناس « تفرد به أيضاً ابن ماجه واسناده لا بأس به
وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن
جندب عن حذيفة عن النبي ﷺ قال « لا ينبغي لمسلم ان يذل نفسه » قيل وكيف يذل نفسه قال
يتعرض من البلاء لما لا يطيق وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً عن محمد بن يسار عن عمرو بن
عاصم به وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن الوليد اللدمشقي
حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا الهيثم بن حميد حدثنا أبو عبد حفص بن غيلان الرعي
عن مكحول عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
قال « اذا ظهر فيكم مظهر في الامم قبلكم » قلنا يا رسول الله وما ظهر في الامم قبلنا قال « الملك في صغاركم
والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم » قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالكم اذا كان
العلم في النفاق تفرد به ابن ماجه وسبأني في حديث أبي ثعلبة عند قوله (لا يضركم من ضل اذا هتديتم)
شاهد لهذا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) قال
مجاهد يعني بذلك المنافقين وقوله (لبئس ما قدمت لهم) يعني بذلك موالاتهم للكافرين
و تركهم والالاة المؤمنين التي أعقبهم نفاقاً في قلوبهم وأسخط الله عليهم سخطاً مستمراً الى يوم
معاد ثم وهذا قال (ان سخط الله عليهم) وفسر بذلك ما ذمهم به ثم أخبر عنهم انهم (في العذاب
خالدون) يعني يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا مسلم بن علي عن
الاعمش باسناد ذكره قال « يامعشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثاً في الدنيا وثلاثاً في
الآخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما التي في الآخرة فانه
يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار » ثم تلا رسول الله ﷺ (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) هكذا ذكره ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من
طريق هشام بن عمار عن مسلم عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي ﷺ فذكره وساقه أيضاً
من طريق سعيد بن عفير عن مسلم عن أبي عبد الرحمن السكوني عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن
النبي ﷺ فذكر مثله وهذا حديث ضعيف على كل حال والله أعلم وقوله تعالى (ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) أي لو آمنوا حق الايمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا
قوله تعالى (ترى كثيراً منهم) قيل من اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا)
مشركي مكة حين خرجوا اليهم يستجيشون على النبي ﷺ وقال ابن عباس ومجاهد والحسن منهم يعني
من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لبئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة
(أن سخط الله عليهم) غضب الله عليهم (وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
محمد ﷺ وما أنزل اليه) يعني القرآن (ما اتخذوهم) يعني الكفار (أولياء ولكن كثيراً منهم

ما ارتكبه من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتنزيله

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا. ولتجدن أقربهم مودة للذين

آمنوا الذين قالوا إنا نصرى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢)

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون

ربنا آمانا فاكتمنا مع الشّهادين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن

يدخلنا ربنا مع القوم الصّالحين (٨٤) فأتاهم الله بما قالوا اجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين

فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٥) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصبح الجحيم (٨٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا

عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضوا لحامهم وهذا القول فيه نظر لأن هذه

الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة (١) وقال سعيد بن جبير والسدي وغيرهما نزلت في

وفد بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه ويروا صفاته فلما رأوه قرأ عليهم القرآن أسلموا

وبكرو وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه قال السدي فهاجر النجاشي فمات بالطريق وهذا من

أفراد السدي فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة وصلى عليه النبي ﷺ يوم مات وأخبر به أصحابه

وأخبر أنه مات بارض الحبشة . ثم اختلف في عدة هذا الوفد ف قيل اثنا عشر سبعة قساقسة وخمسة

رهابين وقيل بالعكس وقيل خمسون وقيل بضع وستون وقيل سبعون رجلا قاله أعلم وقال عطاء بن

أبي رباح هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين وقال قتادة هم

قوم كانوا على دين عيسى بن مريم فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلّعشوا واختار ابن

جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها

ف قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) وما ذاك إلا لأن كفر

اليهود كفر عناد وجحود ومباهة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيرا من الانبياء حتى

هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسموه وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم

لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا أحمد

فاسقون أي خارجون من أمر الله سبحانه وتعالى

قوله عز وجل (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) يعني مشركي

(م ٢٧ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

« ١ » تأخر نزول
الآية لا ينافي صدقها
عليهم ووصفها لحالهم
وحال أمثالهم على أنه
روي أنها نزلت في
وصف من هاجر منهم
من الحبشة إلى المدينة
مع جعفر بن عم
الرسول « ص »

ابن محمد بن السري حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي حدثنا علي بن سعيد العلاف حدثنا أبو النضر عن الأشجعي عن سفيان عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما خلا يهودي بمسلم قط الا عم بقتله » ثم روى عن محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا أحمد بن سهل بن أبوب الاهوازي حدثنا فرج بن عبيد حدثنا عباد بن العوام عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما خلا يهودي بمسلم الا حدث نفسه بقتله » وهذا حديث غريب جدا وقوله تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) أي الذين زعموا أنهم نصارى من اتباع المسيح وعلى منهاج أنجيله فيهم مودة الاسلام وأهله في الجنة وما ذاك الا لما في قلوبهم اذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قال تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية)

العرب وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى لم يرد به جميع النصارى لانهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتالهم المسلمين وأسراهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم ، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه . وقيل نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى ألين قلبا منهم وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود قال أهل التفسير اثمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنح الله تعالى رسوله بعده أبي طالب فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال « إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا » وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية وإنما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة وهم عات بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت أبي خيشمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء رضي الله عنهم فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وعشرين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمه الله ، ذكرت القصة في سورة آل عمران في قوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم) الى آخر الآية فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بغير دار وأحسن جوار الى أن هاجر رسول الله ﷺ وعلا أمره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله

وفي كتابهم : من ضربك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر . وليس القتال مشروعا في ملتهم ولهذا قال تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) أى يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم

ﷺ الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها وبعث اليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي الى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إياها فأعطتها أوضاحا^(١) لها سرورا بذلك فأذنت خالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعائة دينار وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فأنفذ اليها النجاشي أربعائة دينار على بدأ برهة فلما جاءها بها أعطتها خمسين دينارا فردته وقالت أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا ﷺ رسول الله وآمنت به وحاجتي منك أن تقرئني مني السلام قالت نعم قالت أبرهة وقد أمر الملك نساءه إن يبعثن اليك بما عندهم من عود وعنبر فكان رسول الله ﷺ يراه عندها فلا ينكر قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله ﷺ بخير فخرج من خرج اليه وأقت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) يعني أبا سفيان مودة يعني بتزويج أم حبيبة ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدها أنه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر الى رسول الله ﷺ ابنه أراهى بن أصةمة بن أبحر في ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني أراهى وأنت ان شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافي جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستمون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع وقال مقاتل والكاكي كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا أربعون من أهل نجران من بني الحارث ابن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام وقال قتادة نزات في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث الله محمدا ﷺ صدقوه وآمنوا به فأثني الله عز وجل بذلك عليهم ﴿ذلك بأن منهم قسيسين﴾ أي علماء قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم ﴿ورهبانا﴾ الرهبان العباد أصحاب الصوامع وأحدهم راهب مثل

«١» الاوضح جمع
وضح وهو حلى من
الفضة والخالخال

وعلمائهم واحدهم قسيس وقس أيضا وقد يجمع على قسوس والرهبان جمع راهب وهو العابد مشفق من الرهبة وهي الخوف كراكب وركبان وفارس وفرسان قال ابن جرير وقد يكون الرهبان واحدا وجمعه رهايين مثل قربان وقرايين وجرذان وجرادين وقد يجمع على رهابنة ومن الدلائل على انه يكون عند العرب واحدا قول الشاعر

لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا بشر بن آدم حدثنا نصير بن أبي الاشعث حدثني الصلت الدهان عن جائمة بن رثاب قال سألت سلمان عن قول الله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) فقال دع القسيسين في البيع والحرب أفرأني رسول الله ﷺ (ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا) وكذا رواه ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد الحميد الخثاني عن نضير بن زياد الطائي عن صلت الدهان عن جائمة بن رثاب عن سلمان به، وقال ابن أبي حاتم ذكره أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخثاني حدثنا نضير بن زياد الطائي حدثنا صلت الدهان عن جائمة بن رثاب قال سمعت سلمان وسئل عن قوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) فقال هم الرهبان الذين هم في الصوامع والحرب فدعوههم فيها قال سلمان وقرأت على النبي ﷺ (ذلك بأن منهم قسيسين) فأقرأني (ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا) نقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) وأنهم لا يستكبرون (تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والانصاف فقال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) أي مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ يقولون (ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به وقد روى النسائي عن عمرو ابن علي القلاس عن عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع محمد ﷺ وأمتهم هم الشاهدون يشهدون لنبيهم ﷺ انه قد بلغ ولأرسل أنهم قد بلغوا ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وقال الطبراني حدثنا أبو شبيب عبد الله بن عبد الرحمن بن واقد

فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحدا وجمعه رهايين مثل قربان وقرايين وأنهم لا يستكبرون (لا يتعظمون عن الإيمان والاذعان للحق) (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) محمد ﷺ (ترى أعينهم تفيض) تسيل (من الدمع مما عرفوا من الحق) قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد النجاشي وأصحابه قوا عليهم جعفر بالحبشة كيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء

حدثنا أبي حدثنا العباس بن الفضل عن عبد الجبار بن نافع الضبي عن قتادة وجعفر بن أبياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) قال انهم كانوا كرايين يعني فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم فقال رسول الله ﷺ « لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم » فقالوا إن ننتقل عن ديننا فأنزل الله ذلك من قولهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية وهم الذين قال الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) إلى قوله (لا ينبغي للجاهلین) (١) ولهذا قال تعالى ههنا (فأباهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار) أى فجازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترفهم بالحق (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كثرين فيها أبدا لا يمحولون ولا يزولون (وذلك جزاء المحسنين) أى في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان وابن كان ومع من كان، ثم أخبر عن حال الأشقياء فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى جحدوا بها وخالفوها (أولئك أصحاب الجحيم) أى هم أهلها والداخلون فيها

(١) في النسخة
الازهرية ذكر الآيات
بنصها إلى هنا

يأبىها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب

المعتدين (٨٧) وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (٨٨) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا نقطع هذا كبرنا ونترك شهوات الدنيا ونسبح في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي ﷺ فإرسال إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي ﷺ « لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني » روى ابن أبي حاتم، وروى ابن مردويه

على الناس ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم لم آمنتم فأجابوهم بهذا ﴿ ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ أي في أمة محمد ﷺ بيانه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴿ فأباهم الله ﴾ أعطاهم الله ﴿ بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ وإنما أنجز قولهم وعلق الثواب بالقول لا بقرانه بالاخلاص بدليل قوله ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ يعني الموحدين المؤمنين وقوله من قبل (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) يدل أن الاخلاص والمعرفة بالقلب يكون إيمانا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى ﴿ يأبىها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ الآية قال أهل التفسير ذكر

من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ذلك ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكنني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الانصاري حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن عثمان يعني أبو سعيد أخبرني عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء واني حرمت علي اللحم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعا عن عمرو بن علي القلاس عن أبي عاصم النبيل به وقال حسن غريب وقد روي من وجه آخر مرسل وروى ووقفا على ابن عباس قاله أعلم ، وقال سفيان الثوري ووكيع عن اسمعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عبد الله بن مسعود قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا الا نستخصي فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية) أخرجه من حديث اسمعيل وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة والله أعلم . وقال الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن عمرو بن شرحبيل قال جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله بن مسعود فقال اني حرمت فراشي فتلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود فخرج بضرع فتمحى رجل فقال له عبد الله ادن فقال اني حرمت ان آكله فقال عبد الله ادن فاطعم وكفر عن يمينك

النبي ﷺ الناس يوما ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان ابن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبوذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي الله عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا ماذا كبرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسبحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها الحولاء وكانت عطارة « أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه ؟ تكلمت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي علي » زوجها فقالت يا رسول الله ان كان أخبرك عثمان فقد صدقت فانصرف رسول الله ﷺ فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ ألم أنبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا ؟ قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال ﷺ أني لم أؤمر

« ١ » في الخازن

زوجها

وتلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية رواه ابن أبي حاتم وروى الحاكم هذا الاثر الأخير في مستدركه من طريق اسحاق بن راهويه عن جرير عن منصور به ثم قال على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني هشاء بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظارا له فقال لامراته حبست ضيفي من أحلي هو علي حرام فقالت امرأته هو علي حرام وقال الضيف هو علي حرام فلما رأى ذلك وضم يده وقال كلوا بسم الله ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ثم أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وهذا أثر منقطع

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أضيافه شبه بهذا وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره إلى أن من حرم ما كلاً أو ملبساً أو شيئاً ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه ولا كفارة عليه أيضاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ولأن الذي حرم الله على نفسه كما في الحديث المتقدم لم يأمره النبي ﷺ بكفارة وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن من حرم ما كلاً أو مشرباً أو ملبساً أو شيئاً من الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين كما إذا التزم تركه باليمين فكذلك يؤخذ بمجرد تحريمه على نفسه الزاماً له بما التزمه كما أفتى بذلك ابن عباس وكما في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) الآية وكذلك ما ذكره هذا الحكم عقبه بالآية المبينة لتكفير اليمين فدل على أن هذا منزل منزلة ائمين في اقتضاء التكفير والله أعلم، وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية إلى قوله (واتقوا الله الذي أنتم

بذلك ثم قال » ان لا أنفسكم عليكم حقاً فصوموا وانطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ثم جمع الناس وخطبهم فقال « ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات النساء؟ أما اني است آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحبوا واعتمر واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان، واستقيموا يستقيم لكم، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع » فأنزل الله عز وجل هذه الآية. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسايني أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشد بن سعد حدثني أبو نعيم عن سعد بن

به مؤمنون) قال ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد ابن الاسود وسالما مولى أبي حذيفة في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السباحة من بني اسرائيل وهموا بالاختصاص وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) يقول لا تسيروا بغير سنة المسلمين يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار وما هموا به من الاختصاص فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله ﷺ فقال «إن لا نفسكم حقا وان لا عينكم حقا صوموا وأفطروا وصلوا واناموا فليس منا من ترك سنتنا» ففانوا اللهم سامعنا واتبعنا ما أنزلت، وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما تقدم ذلك والله الحمد والمنة وقال اسباط عن السدي في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وذلك أن رسول الله ﷺ «جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدكم على التخويف» فقال ناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون ما حقتنا إن لم نحدث عملا فان النصرارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرّم بعضهم أن يأكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرّم بعضهم النوم وحرّم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء فكان لا يدنو من أهله ولا يدنو منه فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي ﷺ ما بالاك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتطين ولا تطيبين فقالت وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع علي زوجي وما رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا قال فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن فقال «ما يضحكن» قالت يا رسول الله ان الحولاء سألتهما عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل اليه فدعاه فقال مالك يا عثمان قال إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان قد أراد أن يجب نفسه فقال رسول الله ﷺ

مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال ائذن لنا في الاختصاص فقال رسول الله ﷺ «ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء أمتي الصيام» فقال يا رسول الله ائذن لنا في السباحة فقال «ان سباحة أمتي الجهاد في سبيل الله» فقال يا رسول الله ائذن لنا في الترهيب فقال «إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة» وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) يعني اللذات التي تشبهها النفوس مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ﴿ولا تعتدوا﴾ ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل جب المذاكير ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ وكأوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته

« أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك » فقال يا رسول الله إني صائم فقال « أفطر » قال فأفطر وأتى أهله فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتحلجت وتطيبت فضحكك عائشة وقالت مالك يا حولاء فقالت انه أتاها أمس وقال رسول الله ﷺ « ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا إني نام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عني فليس مني » فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) يقول لعمري لا تنجب نفسك فان هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا عن إيمانهم فقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) رواه ابن جرير وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضيق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كقوله من قاله من السلف ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحديده كما قال تعالى (وكونوا واثقوا ولا تسرفوا) الآية وقال (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجاهلي عنه لا إفراط ولا تفريط ولهذا قال (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ثم قال (وكونوا ما رزقكم الله حلالا طيبا) أي في حال كونه حلالا طيبا (واتقوا الله) أي في جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه وأتركوا مخالفته وعصيانته (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون)

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفرت به إطعام

عشرة مسكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام

ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقتهم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته

لعلكم تشكرون (٨٩)

قد تقدم الكلام على اللغو في اليمين في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة

من وجهه والطيب ما غذى وأمنى . فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فكروه الا على وجه التداوى ﴿ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا أخبرنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل

قوله عز وجل ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا

(م ٢٨ - تفسير ابن كثير والبقوي -- ج ٣)

وانه قول الرجل في الكلام من غير قصد : لا والله ، بلى والله . وهذا مذهب الشافعي وقيل هو في الهزل وقيل في المعصية وقيل على غلبة الظن وهو قول أبي حنيفة وأحمد وقيل اليمين في الغضب وقيل في النسيان وقيل هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك واستدلوا بقوله (لا تجرموا طيبات ما أحل الله لكم) والصحيح انه اليمين من غير قصد بدليل قوله (ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان) أي بما صمتم عليه منها وقصدتموها (فكفارتها اطعام عشرة مساكين) يعني محاريب من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه وقوله (من أوسط ما تطعمون أهليكم) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة أي من أعدل ما تطعمون أهليكم وقال عطاء الخراساني من أمثل ما تطعمون أهليكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن أبي اسحاق السبيعي عن الحارث عن علي قال خبز وابن وخبز وسمن ، وقال ابن أبي حاتم أنبا نايونس بن عبد الأعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن سليمان يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان الرجل يقوت بعض أهله قوت دوز وبعضهم قوتانية سعة فقال الله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهليكم) من الخبز والزيت ، وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا اسمر أئيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس (من أوسط ما تطعمون أهليكم) قال من عسرهم ويسرهم وحدثنا

حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) ﴿ ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عقدهم بالتخفيف ، وقرأ ابن عامر عاقدتم بالالف ، وقرأ الآخرون عقدتم بالتشديد أي وكدتم والمراد من الآية قصدتم وتعهدتم ﴿ فكفارتها ﴾ أي كفارة ما عقدتم الايمان اذا حنثتم ﴿ اطعام عشرة مساكين ﴾ واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مداً من الطعام بمد النبي ﷺ وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد ، وكذلك في جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر ، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان ابن يسار وعطاء والحسن . وقال أهل العراق لكل مسكين مدان وهو نصف صاع . يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : إن أطمع من الخنطة فنصف صاع ، وإن أطمع من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد والحكم ، ولو غدام وعشاهم لا يجوز ، وجوزه أبو حنيفة رضي الله عنه ، ويروي ذلك عن علي رضي الله عنه ، ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق ، بل يجب إخراج الحب إليهم ، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك ، ولو صرف الكل إلى مسكين واحد لا يجوز ، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج ، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز ، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرفها إلى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز . قوله تعالى ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ أي من خير قوت عيالكم وقال عبيدة السلماني الاوسط الخبز والخل ، والاعلى الخبز واللحم ، والا الأدنى الخبز والبحت والكل مجزى .

عبد الرحمن بن خلف الحنصلي حدثنا محمد بن شعيب يعني ابن شابر حدثنا شيبان بن عبد الرحمن التميمي عن ليث بن أبي سليم عن عاصم الاحول عن رجل يقال له عبد الرحمن التميمي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال (من اوسط ما تطعمون اهليكم) قال الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز واللبن والخبز والزيت والخبز والخل وحدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابو معاوية عن عاصم عن ابن سيرين عن ابن عمر في قوله (من اوسط ما تطعمون اهليكم) قال الخبز والسمن والخبز واللبن والخبز والزيت والخبز والتمر ومن افضل ما تطعمون اهليكم الخبز واللحم ورواه ابن جرير عن هناد وابن وكيم كلاهما عن ابي معاوية ثم روى ابن جرير عن عبيدة والاسود وشريح القاضي ومحمد بن سيرين والحسن والضحاك وابي رزين أنهم قالوا نحو ذلك وحكاه ابن ابي حاتم عن مكحول ايضا

واختار ابن جرير أن المراد بقوله (من اوسط ما تطعمون اهليكم) أي في القلة والكثرة ثم اختلف العلماء في مقدار ما يطعمهم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن حصين الحارثي عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله (من اوسط ما تطعمون اهليكم) قال يغديهم ويعشيهم وقال الحسن ومحمد بن سيرين يكفيه ان يطعم عشرة مساكين اكلة واحدة خبزاً ولحماً زاد الحسن فان لم يجد فخبزاً وسمناً ولبناً فان لم يجد فخبزاً وزيتاً وخلاً حتى يشبعوا

وقال آخرون يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر او تمر ونحوها فهذا قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وميمون بن مهران وابي مالك والضحاك والحدكم ومكحول وابي قلابة ومقاتل بن حيان، وقال ابو حنيفة نصف صاع بر وصاع ماعده وقد قال ابو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن الحسن الثقفي حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف حدثنا محمد بن معاوية - حدثنا زياد بن عبد الله بن الطفيل بن سخبرة بن أخي عائشة لامة حدثنا عمر بن يعلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كفر رسول الله ﷺ بصاع من تمر وأمر الناس به ومن لم يجد فنصف صاع من بر، ورواه ابن ماجه عن العباس بن يزيد عن زياد بن عبد الله البكائي عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي عن المنهال بن عمرو به. لا يصح هذا الحديث لحال عمر بن عبد الله هذا فانه مجمع على ضعفه وذكروا أنه كان يشرب الخمر وقال الدارقطني متروك، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن ادريس عن داود يعني بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال مدأ من بر يعني اسكل مسكين ومعه ادامة ثم قال وروي عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد

قوله تعالى ﴿أو كسوتهم﴾ كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير إن شاء أطعم عشرة من المساكين وإن شاء كساهم، وإن شاء، أعتق رقبة، فإن اختار الكسوة فاختلّفوا في قدرها فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء، أو قميص، أو عمامة، أو كساء، أو نحوها وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس، وإليه ذهب الشافعي رحمه

ابن المسيب ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء والقاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان ابن يسار والحسن ومحمد بن سيرين والزهري نحو ذلك

وقال الشافعي الواجب في كفارة اليمين مد بمد النبي ﷺ لكل مسكين ولم يتعرض للادم واحتج بامر النبي ﷺ للذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكينا من مكنل يسع خمسة عشر صاعا لكل واحد منهم مد وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن علي بن المقرئ حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا النضر بن زرارة الكوفي عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة اليمين مداً من خنطة بالمد الاول اسناده ضعيف لحال النضر بن زرارة بن عبد الاكرم الذهلي الكوفي نزيل ببلغ قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول مع أنه قد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في الثقات وقال روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة قاله أعلم ثم إن شيخه العمري ضعيف أيضاً وقال أحمد بن حنبل الواجب مدمن بر أو مدان من غيره والله أعلم

وقوله تعالى (أو كسوتهم) قال الشافعي رحمه الله لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزاء ذلك واختلف أصحابه في القلتسوة هل تجزئ، أم لا على وجهين فمنهم من ذهب إلى الجواز احتجاجاً بما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمار بن خالد الواسطي قالوا حدثنا القاسم بن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال سألت عمران بن الحصين عن قوله (أو كسوتهم) قال لو أن وفداً قدموا على أميركم فكساهم قلتسوة قفنسوة قلتم قد كسوا ولكن هذا اسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله أعلم وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الاسفراييني في الخلف وجهين أيضاً والصحيح عدم الاجزاء وقال مالك وأحمد بن حنبل لا بد أن يدفع إلى كل واحد منهم من الكسوة ما يصح أن يصلي فيه إن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس عبادة لكل مسكين أو شملة وقال مجاهد أدناه ثوب وأعلاه ماشئت وقال ليث عن مجاهد يجزئ في كفارة اليمين كل شيء الا الثبان. وقال الحسن وأبو جعفر الباقر وعطاء وطارس وأبراهيم النخعي وحماد بن أبي سليمان وأبو مالك ثوب ثوب وعن إبراهيم النخعي أيضاً ثوب جامع كالمحفة والرداء ولا يرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعاً وقال الانصاري عن أشعث عن ابن سيرين والحسن ثوبان وثوبان وقال الثوري عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها، وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبي موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين، وقال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا

الله تعالى. وقال مالك: يجب لكل انسان ما تجوز فيه صلاته فيكسو الرجال ثوباً واحداً والنساء ثوبين: درعاً وخماراً. وقال سعيد بن المسيب: لكل مسكين ثوبان

أحمد بن المولى حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسماعيل بن عياش عن مقاتل بن سليمان عن أبي عثمان عن أبي عياض عن عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله (أو كسوهم) قال «عباءة لكل مسكين» حديث غريب وقوله (أو تحرير رقبة) أخذ أبو حنيفة باطلاقها فقال تجزىء الكفارة كما تجزىء المؤمنة ، وقال الشافعي وآخرون لا بد أن تكون مؤمنة ، وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بحارية سوداء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أين الله» قالت في السماء قال «من أنا» قالت رسول الله قال «اعتقها فانها مؤمنة» الحديث بطوله فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل الخائث أجزأ عنه بالاجماع ، وقد بدأ بالاسهل فالاسهل فالاطعام أسهل وأيسر من الكسوة كما أن الكسوة أيسر من العتق فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر المكاف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما قال تعالى (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير والحسن البصري أنها قالوا : من وجد ثلاثة دراهم لزمه الاطعام وإلا صام ، وقال ابن جرير حاكياً عن بعض متأخري متفقهة زمانه

قوله عز وجل ﴿أو تحرير رقبة﴾ وإذا اختار العتق يجب اعتناق رقبة مؤمنة ، وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها اعتناق رقبة مؤمنة ، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه اعتناق الرقبة الكفارة في جميعها إلا في كفارة القتل لأن الله تعالى قيد الرقبة فيها بالإيمان ، قلنا المطلق يحمل على المقيد كما أن الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع فقال (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وأطلق في موضع فقال (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) ثم العدالة شرط في جميعها حملاً للمطلق على المقيد كذلك هذا ولا يجوز اعتناق المرتد بالانفاق عن الكفارة ويشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مكاتباً ، أو أم ولد ، أو عبد اشترى بشرط العتق ، أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يفتق ، ولكن لا يجوز عن الكفارة ، وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب إذا لم يكن أدى شيئاً من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ، ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً يئباً حتى لا يجوز مقطوع إحدى اليدين ، أو إحدى الرجلين ، ولا الأعوى ، ولا الزمن ، ولا المجنون المطبق ، ويجوز الأعمى والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب لا تضر بالعمل ضرراً يئباً ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كل عيب يغوت جنساً من المنفعة يمنع الجواز حتى جوز مقطوع إحدى اليدين ولم يجوز مقطوع الأذنين . قوله عز وجل ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة يجب عليه صوم ثلاثة أيام . والعجز أن لا يفضل ما له عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فانه يصوم ثلاثة . وقال بعضهم : إذا ملك ما يمكنه الاطعام وإن

أنه جائز لمن لم يكن له فضل عن رأس مال يتصرف فيه لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه ، ثم اختار ابن جرير أنه الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين ، واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع أو يستحب ولا يجب ويجزى ، التفريق ؟ قولان أحدهما لا يجب وهذا منصوص الشافعي في كتاب الايمان وهو قول مالك لا إطلاق قوله (فصيام ثلاثة أيام) وهو صادق على المجموعة والمفرقة كما في قضاء رمضان لقوله فعدة من أيام أخر

ونص الشافعي في موضع آخر في الأم على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية والحنابلة لانه قد روى عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وحكاها مجاهد والشعبي وأبو اسحق عن عبد الله بن مسعود وقال ابراهيم في قراءة أصحاب عبد الله بن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وقال الاعمش كان أصحاب ابن مسعود يقرؤها كذلك وهذه إذا لم يثبت كونها قرآناً متواتراً فلا أقل أن يكون خبر واحد أو تفسيراً من الصحابة ^(١) وهو في حكم المرفوع وقال أبو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن جعفر الأشعري حدثنا الهيثم بن خالد القرشي حدثنا

«١» هذا هو
الراجح المختار في هذه
القراءة وأمثالها

لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع ، بل إن شاء تابع وإن شاء فرق ، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي ، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار وهو قول الثوري وأبي حنيفة ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكرت ﴿ كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ وحتم فان الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث ، واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم إلى جوازه لما روينا أن النبي ﷺ قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير » وهو قول عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنها ، وبه قال الحسن وابن سيرين ، واليه ذهب مالك والوزاعي والشافعي إلا أن الشافعي يقول : إن كفر بالصوم قبل الحنث لأنه بدني إنما يجوز بالاطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته ، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه

قوله عز وجل ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ قيل أراد به ترك الحلف أي لا تحلفوا وقيل وهو الأصح أراد به إذا حلفتم فلا تحشوا ، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه ، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالأفضل أن يحنث نفسه ويكفر لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال النبي ﷺ

يزيد بن قيس عن اسماعيل بن يحيى عن ابن جريج عن ابن عباس قال لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة يارسول الله نحن بالخيار قال « أنت بالخيار إن شئت اعتقت وإن شئت كسوت وإن شئت أطعمت فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » وهذا حديث غريب جداً ، وقوله (ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم) أي هذه كفارة اليمين الشرعية (واحفظوا إيمانكم) قال ابن جرير معناه لا تتركوها بغير تكفير (كذلك يبين الله لكم آياته) أي يوضحها ويفسرهما (لعلكم تشكرون)

يأبىها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون (٩١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما نزلنا بالبينات رسولنا بالبينات ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصلوات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصلوات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الشطرنج من الميسر رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عيسى ابن مرحزم عن حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا : كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى عن راشد بن سعد وضرة بن حبيب مثله وقالوا حتى الكعب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان وقال موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال الميسر هو القمار وقال الضحاك عن ابن عباس قال الميسر هو القمار كانوا يتقامرون في الجاهلية الى محبي الاسلام قتهاهم الله عن هذه الاخلاق القبيحة وقال مالك عن داود ابن الحصين أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاء والشاتين

« يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ، فانك إن أوتيتها عن مسألة وكلت اليها ، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير » كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴿

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ أي القمار ﴿ والأنصاب ﴾ يعني الاوثان سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها واحداها نصب بفتح النون وسكون الصاد ، ونصب بضم النون

وقال الزهري عن الأعرج قال الميسر الضرب بالقداح على الاموال والثمار وقال القاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر » حديث غريب وكان المراد بهذا هو النرد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الاسلمي قال قال رسول الله ﷺ « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » وفي موطأ مالك ومسنند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » وروي موقوفا على أبي موسى من قوله فإله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا الجعيد عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي انه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخبرني ما سمعت أباك يقول عن رسول الله ﷺ فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي »

وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر انه شر من النرد وتقدم عن علي انه قال هو من الميسر ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى، وأما الانصاب فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، وأما الازلام فقالوا أيضا هي قداح كانوا يستقسمون بها رواه ابن حاتم، وقوله تعالى (رجس من عمل الشيطان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي سخط من عمل الشيطان وقال سعيد ابن جبير أم وقال زيد بن أسلم أي شر من عمل الشيطان (فاجتنبوه) الضمير عائذ على الرجس أي اتركوه (لعلمكم تفعلون) وهذا أثر غريب ثم قال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون) وهذا تهديد وترهيب

مخففاً ومثقلاً (والازلام) يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها واحداً زلم وزلم (رجس) خبيث مستقدر (من عمل الشيطان) من تزينه (فاجتنبوه) رد الكناية إلى الرجس (لعلمكم تفعلون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر (أما العداوة في الخمر ان الشارين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل، وأما العداوة في الميسر قال قتادة : كان الرجل يقامر على الاهل والمال، ثم يبقى حزيناً مسلوب الاهل والمال مغتاضاً على حرقائه (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف تقدم

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في بيان تحريم الخمر ﴾

قال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال حرمت الخمر ثلاث مرات ^(١) قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) الى آخر الآية فقال الناس ما حرما علينا إنما قال (فيهما إثم كبير ومنافع للناس) وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق. ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرسهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم » انفرده به أحمد

وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب انه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) فدعي عمر فقرأت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادي رسول الله ﷺ اذ قال حي على الصلاة نادى: لا يقرب الصلاة سكران. فدعي عمر فقرأت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرأت عليه فلما بلغ قول الله تعالى (فهل أنتم منتهون) قال عمر انتهينا ^(١) وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الحمداني عن عمر به وليس له عنه سواه قال أبو زرعة ولم يسمع منه وصحح هذا

«١» الحديث
صرح في أن التحريم
لم يكن إلا بآيات سورة
المائدة ويقال مثله في
أول ما قبله

«١» في
الازهرية: انتهينا
انتهينا

رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرأ « قل يا أيها الكافرون أعبد » بحذف لا ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أي انتهوا لفظه استغفام ومعناه أمر كقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون) ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ المحارم والمناهي ﴿ فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وفي وعيد شارب الخمر أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القوراني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله

الحديث علي بن المديني والترمذي ، وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل ، وقال البخاري حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ خمسة أشربة مافيها شراب العنب

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبي حميد عن المصري يعني أبا طعمة قارىء مصر قال سمعت ابن عمر يقول نزلت في الخمر ثلاث آيات فاول شيء نزل (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية ففعل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية (لا تقربوا الصلاة واتموا سكاري) ففعل حرمت الخمر فقالوا يا رسول الله انا لا نشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) الايتين فقال رسول الله ﷺ « حرمت الخمر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا محمد بن إسحاق عن القعقاع بن حكيم ان عبد الرحمن بن وعله قال سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صديق من ثقيف أو من دوس فلقبه يوم الفتح براوية خمر يهديها اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فلان أما علمت أن الله حرّمها » فاقبل الرجل على غلامه فقال اذهب فبعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فلان بماذا أمرته » فقال أمرته ان يبيعها قال « ان الذي حرم شربها حرم بيعها » فأمر بها فأفرغت في البطحاء رواه مسلم من طريق ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم ومن طريق ابن وهب أيضا عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن وعله عن ابن عباس به : ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن شهر بن حوشب عن تميم الداري انه كان يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية من خمر^(١) فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك وقال « انها قد حرمت بعدك » قال يا رسول الله فابعها وأنتفع بشئ منها فقال رسول الله

« ١ » في هذا الحديث هو أن تميم أسلم سنة تسع من الهجرة كما في الاصابة وقد حرمت الخمر سنة ثمان كما استظهره الحافظ في الفتح من حديث لابن عباس عند الامام احمد

الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمودي أنا أبو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي عبد الملك بن قدامة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ « كل مسكر حرام وأنت حتما على الله أن لا يشربه عبد في الدنيا إلا سقاء الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال ، هل تدرون ما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار » وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود وحرمت عليهم شحوم البقر والغنم فاذا بوه وباعوه والله حرم الخمر ومنها » وقد رواه أيضا الامام أحمد فقال حدثنا روح حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال سمعت شهر بن حوشب قال حدثني عبد الرحمن بن غنم ان الداري كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حرمت جاء برأوية فلما نظر اليه ضحك فقال « أشعرت أنها قد حرمت بعدك » فقال يا رسول الله الا أبيعها وأنتفع بثمرها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود انطلقوا الى ما حرم عليهم من شحم البقر والغنم فاذا بوه فباعوه إنه ما يأكون وإن الخمر حرام ومنها حرام وإن الخمر حرام ومنها حرام وإن الخمر حرام »

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لميعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع بن كيسان أن أباه أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جئت بك بشراب طيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا كيسان أنها قد حرمت بعدك » قال فأبيعها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنها قد حرمت وحرمت منها » فانطلق كيسان الى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال كنت أستي أبا عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفرا من أصحابه عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال أما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا حتى ننظر ونسأل فقالوا يا أنس اسكب ما بقي في انائك فوالله ما عادوا فيها وما هي الا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ : أخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن أنس وفي رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شربهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي قال اخرج فانظر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فحرت في نفسك المدينة قال فقال لي أبو طلحة اخرج فاهرقها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم قتل فلان وفلان

مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال « من شرب الخمر في الدنيا ، ثم لم يتب منها حرما في الآخرة » وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أحمد بن أبي اخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن عبد الله بن عمر انه قال : اشهد اني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول « لعن الله الخمر وشاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه ، وآكل ثمرها »

وهي في بطونهم قال فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن يسار حدثني عبد الكبير بن عبد الحميد حدثنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت مناديا ينادي ألا أن الخمر قد حرمت قال فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ يقرأ (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) - إلى قوله - (فهل أنتم منتهون) فقال رجل يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية فقال رجل لقتادة أنت سمعته من أنس بن مالك؟ قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال نعم، أو حدثني من لم يكذب، ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة عن قيس بن سعد بن عباد عن أن رسول الله ﷺ قال « إن ربي تبارك وتعالى حرم الخمر والكوبة والقنين وإياكم والغيباء فأنها ثلث خمر العالم »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا فرج بن فضالة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزرة والكوبة والقنين وزادني صلاة الوتر » قال يزيد القنين البرابط تفرد به أحمد، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عاصم وهو النبيل أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوايد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغيباء وكل مسكر حرام » تفرد به أحمد أيضا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة مولاهم وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعنت الخمر على عشرة وجوه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقياها وبائعاها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والحمولة إليه وآكل ثمنها » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به، وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المربد فخرجت معه فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه

قوله عز وجل ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية سبب نزول

فكان عن يمينه وكنت عن يساره ثم أقبل عمر ففتحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله ﷺ المربد فاذا بزقاق على المربد فيها خمر قال ابن عمر فدعاني رسول الله ﷺ بالمدينة قال ابن عمر وما عرفت المدينة إلا يومئذ فأمر بالزقاق فشقت ثم قال « لعنت الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وحاملها والحاملة اليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها »

وقال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال قال عبد الله بن عمر أمرني رسول الله ﷺ أن آتية بمدة وهي الشفرة فأتيته بها فأرسل بها فأرهمت ثم أعطانها وقال « اغد علي بها » ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جابت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمشوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر الا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة والليث بن سعد عن خالد بن زيد عن ثابت أن يزيد الخولاني أخبره أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يتصدق قال فنهيته عنها فلم ينته فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فسأله عن الخمر وعنها فقال هي حرام ومثمنها حرام ثم قال ابن عباس رضي الله عنه يامعشر أمة محمد أنه لو كان كتاب بعد كتابكم ونبي بعد نبيكم لانزل فيكم كما أنزل فيمن قبلكم ولكن أخر ذلك من أمركم إلى يوم القيامة ولعمري لهو أشد عليكم . قال ثابت فلقيت عبد الله بن عمر فسأله عن ثمن الخمر فقال سأخبرك عن الخمر إني كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد فينما هو محتب على حبوته ثم قال « من كان عنده من هذه الخمر فليأتنا بها » فجعلوا يأتونه فيقول أحدهم عندي راوية ويقول الآخر عندي زق أو ما شاء الله أن يكون عنده فقال رسول الله ﷺ « اجمعوه ببيعكم كذا وكذا ثم آذنوني » ففعلوا ثم آذنه فقام وقت معه ومشيت عن يمينه وهو متكئ علي فلجقنا أبو بكر رضي الله عنه فأخبرني رسول الله ﷺ فجعلني عن شماله وجعل أبا بكر في مكاني ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرني وجعله عن يساره فمشى بينهما حتى اذا وقف على الخمر قال للناس « أتعرفون هذه؟ » قالوا نعم يا رسول الله هذه الخمر قال « صدقتم » ثم قال « فان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والحاملة اليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها » ثم دعا بسكين فقال « اشحدوها » ففعلوا ثم أخذها رسول الله ﷺ يخرق بها الزقاق قال فقال الناس في هذه الزقاق منفعة فقال « أجل ونسكني انما أفعل ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سخطه » فقال عمر أنا أ كفيك يا رسول الله، قال لا، قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث رواه البيهقي

هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخواننا الذين

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسين بن بدران أنبأنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزلت في الخمر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا ففناخرونا فقالت الانصار نحن أفضل وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الانصار لحي جزور فضرب به أنف سعد ففزره وكانت أنف سعد مفزورة فنزلت (انما الخمر والميسر) إلى قوله تعالى (فهل أنتم متبهون) أخرجه مسلم من حديث شعبة

﴿ حديث آخر ﴾ قال البيهقي وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا أبو علي الرضا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن مهال حدثنا ربيعة بن كئثم حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا فلما ان تمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بي رؤفا رحما ما صنع بي هذا ، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) إلى قوله تعالى (فهل أنتم متبهون) فقال أناس من المتكاذبين هي رجس وهي في بطن فلان وقد قتل يوم أحد فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن مهال

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني محمد بن خلف حدثنا سعيد بن محمد الحرابي عن أبي نميلة عن سلام مولى حفص أبي القاسم عن أبي بريدة عن أبيه قال بينا نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطية لنا ونحن نشرب الخمر حلا إذ قمت حتى أتى رسول الله ﷺ فسلم عليه أنزل تحريم الخمر (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر إلى آخر الآيتين) (فهل أنتم متبهون) فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله (فهل أنتم متبهون) قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضها وبقي بعض في الاناء فقال بالانا ، تحت شفته العليا كما يفعل الجحام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا

« ١ » صح

بالتشديد ولفظه
في كتاب المغازي :
اصطبح الخمر يوم
أحد ناس ثم قتلوا
شهداء . والتصحيح
والاصطباح الشرب
في الصباح

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال صبح أناس غداة أحد الخمر^(١) قتلوا من يومهم جميعا شهداء وذلك قبل تحريمها كذروا البخاري في تفسيره من صحيحه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن عتبة حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي ﷺ ثم قتلوا شهداء يوم أحد فقالت اليهود فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأنزل الله (ليس على الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فأنزل الله تعالى : ليس على الذين آمنوا و عملوا

﴿ حدیث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم؟ فترأت (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ورواه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه وقال حسن صحيح

﴿ حدیث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا جعفر بن حميد الكوفي حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر من خيبر الى المدينة فيبيعها من المسلمين فحمل منها بمال فقدم بها المدينة فلقه رجل من المسلمين فقال يا فلان ان الخمر قد حرمت فوضعها حيث انتهى على تل وسجى عليها بأكسية ثم أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله بلغني أن الخمر قد حرمت قال «أجل» قال لي أن أردّها على من ابتعتها منه قال «لا يصح ردها» قال لي أن أهدئها الى من يكافئني منها؟ قال «لا» قال فان فيها مالا ليتامى في حجرى قال «إذا أتانا مال البحرين فأنتنا نعوض أيتامك من ما لهم» ثم نادى بالمدينة فقال رجل يا رسول الله ألا وعية ينتفع بها قال «فخلوا أو كيتها» فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي هذا حديث غريب

﴿ حدیث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هبيرة وهو يحيى بن عباد الانصاري عن أنس بن مالك ان أبا طلحة سأل رسول الله ﷺ عن أيتام في حجره ورتوا خمر فقال «أعرقها» قال أفلا نجعلها خلا؟ قال «لا» ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه

﴿ حدیث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا عبد العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطية بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال إن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قال هي في التوراة: ان الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والمزامير والزفن والكبارات يعني البرابط والزمارات يعني به الدف والطناير والشعر، والخمر مرقطن طعمها، أقسم الله بيمينه وعزته من شربها بعد ما حرمتها لا أعطشني يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمتها لا أسقيته إياها في حظيرة القدس^(١) وهذا إسناد صحيح

﴿ حدیث آخر ﴾ قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان عمرو بن شعيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال «من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فليبها، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حقا على

الصالحات جناح فيما طعموا، وشربوا وأكلوا من ماء الميسر ﴿إذا ما اتقوا﴾ الشرك ﴿وآمنوا﴾ وصدقوا لهم

« ١ » الظاهر

أن عبد الله سمع هذا من بعض اليهود ككعب الأحبار وليس في التوراة شيء منه وكانت المعازف بمباحة

الله أن يسقيه من طينة الخبال « قيل وما طينة الخبال ؟ قال « عصارة أهل جهنم » ورواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال سمعت النعمان هو ابن أبي شيبة الجندي يقول عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « كل من شرب خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكراً بُخِست^(١) صلاته أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال « صديد أهل النار . ومن « قاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » تفرد به أبو داود ﴿ حديث آخر ﴾ قال الشافعي رحمه الله أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة » أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به وروى مسلم عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أبوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فمات وهو يدينها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة »

« ١ » الخمر من
التخدير ، وبخست
بضم الباء بالبناء
المفعول من البخس
أي نقصت

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن وهب أخبرني عمرو بن محمد عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول قال عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الراق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى » ورواه النسائي عن عمرو بن علي عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري به وروى أحمد عن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر »

ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد عن عبد العزيز ابن أسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد به وعن مروان ابن شجاع عن خصيف عن مجاهد به ورواه النسائي عن القاسم ابن زكريا عن حسين الجعفي عن زائدة عن يزيد بن أبي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفیان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا منان ولا ولد زنية » وكذا رواه عن يزيد عن همام عن منصور عن سالم عن جابان عن عبد الله بن عمرو به

وقد رواه أيضاً عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة منان ولا عاق والديه ولا مدمن خمر » ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك ثم قال ولا نعلم أحداً تابع شعبة عن نبيط بن شريط وقال

﴿ وعملوا الصالحات ثم اتقوا ﴾ الخمر والميسر بعد تحريرهما ﴿ وآمنوا ثم اتقوا ﴾ ما حرم الله عليهم كله

البخاري لا يعرف لجابان سماع من عبد الله ولا لسالم من جابان ولا نبيط وقد روي هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس ومن طريقه أيضا عن أبي هريرة قال أعلم وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباة قال سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث أنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه بجارية أن تدعوه لشهادة فدخل معها ففطقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيفة عندها غلام وباطية خمر فقالت أني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقم علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانها لا تجتمع هي والایمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه رواه البيهقي وهذا اسناد صحيح وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر عن محمد بن عبد الله بن بزيع عن الفضيل ابن سليمان الغميري عن عمر بن سعيد عن الزهري به مرفوعا والموقوف اصح والله أعلم وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »

وقال أحمد بن حنبل حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسراثل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حرمت الخمر قال ناس يارسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية ولما حوت القبلة قال ناس يارسول الله اخواننا الذي ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال الامام أحمد حدثنا داود بن مهران الدباغ حدثنا داود يعني العطار عن أبي خنيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي ﷺ يقول « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ان مات مات كافرا وان تاب تاب الله عليه وان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قال قلت يارسول الله وما طينة الخبال؟ قال « صديد أهل النار » وقال الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ابن مسعود ان النبي ﷺ قال لما نزلت (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا) فقال النبي ﷺ « قيل لي أنت منهم » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريقه . وقال عبد الله ابن الامام أحمد قرأت على أبي حدثنا علي بن عاصم حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « اياكم وهاتان الكبعتان ^(١) الموسومتان اللتان تزجران زجرا فانها ميسر العجم »

﴿وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ وقيل معنى الاول إذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا أي داوموا على ذلك التقوى وآمنوا وازدادوا إيمانا ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا . وقيل أي اتقوا بالاحسان وكل محسن متقٍ والله يحب المحسنين

(١) الكبعتان
والكبعتان الفصان
الذان يلعب بهما
بالزرد ، والمراد
بوسمها ما فيها من
النقط التي يعرف بها
الرايح والخاسر في
الميسر

يأبئها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤) يأبئها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثله ماقتل من النعم يحكم، به ذوا عدل منكم هدياً بلغ السكبة أو كفرة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً ليدوق وبال أمره. فقال الله عما ساف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥)

قال الوالي عن ابن عباس قوله (ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يتلى الله به عباده في إحرامهم حتى لو شأوا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقرّبوه وقال مجاهد (تناله أيديكم) يعني صغار الصيد وفراخه (ورماحكم) يعني كبارهم وقل مقاتل ابن حيان أنزلت هذه الآية في عمرة الخديبية فكانت الوحش والطيور والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون (ليعلم الله من يخافه بالغيب) يعني أنه تعالى يتلهمهم بالصيد يغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذه بالأيدي والرمح سرا وجهراً لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره كما قال تعالى (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله هنا (فمن اعتدى بعد ذلك) قال السدي وغيره يعني بعد هذا الاعلام والانذار والتقدم (فله عذاب أليم) أي لحمافته أمر الله وشرعه ثم قال تعالى (يأبئها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الاحرام ونهي عن تعاطيه فيه وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول

قوله عز وجل ﴿يأبئها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ الآية نزلت عام الخديبية وكأرا محرمين ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم كثيرة فهموا بأخذها فنزلت (يأبئها الذين آمنوا ليبلونكم الله) ليختبرنكم الله وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد وإنما بعض فقال بشيء لانهم ابتلاهم بصيد البر خاصة ﴿تناله أيديكم﴾ يعني الفرج والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد ﴿ورماحكم﴾ يعني الكبار من الصيد ﴿ليعلم الله﴾ ليرى الله لانه قد علمه ﴿من يخافه بالغيب﴾ أي يخاف الله ولم يره كقوله تعالى (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافه فلا يصطاد في حال الاحرام ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أي صاد بعد تحريمه ﴿فله عذاب أليم﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يوسع ظهره وبطنه جلد أو يسلب ثيابه قوله عز وجل ﴿يأبئها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أي محرمون بالحج أو العمرة وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامرأة حرام وقد يكون من دخول الحرم يقال أحرم الرجل إذا عقد

ولو مات ولد منه ومن غيره فأما غير المأكول من حيوانات البر فمند الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور على تحريم قتلها أيضا ولا يستثنى من ذلك الا ما ثبت في الصحيحين من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والعمرة والكلب العقور» وقال مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والذأة والكلب العقور» أخرجه ورواه أيوب عن نافع عن ابن عمر أنه قال أيوب فقلت لنافع فالحية قال الحية لاشرك فيها ولا يختلف في قتلها ومن العلماء كمالك واحد من ألحق بالكلب العقور الذئب والسيبع والتمر والفهد لأنها أشد ضررا منه فإنه أعلم وقل زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها واستأنس من قال بهذا بما روي أن رسول الله ﷺ لما دعا على عتبة بن أبي سفيان قال «اللهم ساطط عليه كلبك بالشام» فأكله السبع بالزرقاء فقالوا فأرقتل ما دعا عن فداءه كالبضيع والعلب والوبر^(١) ونحو ذلك قال مالك وكذا يستثنى من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها وصغار المالحق بها من السباع العروادي وقل الشافعي يجوز للمحرم قتل كل مالا يؤكل لحمه ولا فرق بين صغاره وكباره وجعل العلة الجامعة كونها لا تؤكل وقال أبو حنيفة يقتل المحرم الكلب العقور والذئب لأنه كلب بري فإن قتل غيرهما فداءه الا أن يصول عليه سبع غيرهما فيقتله فلا فداء عليه وهذا قول الاوزاعي والحسن بن صالح بن حي وقال زفر ابن الهذيل يفدي ماسوى ذلك وان حال عليه وقال بعض الناس المراد بالغراب ههنا لا يقع وهو الذي في بطنه وظهره بياض دون الادرع وهو الاسود والاعصم وهو الابيض لما رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة بن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة عن النبي ﷺ قال «خمس يقتلن المحرم: الحية والفأرة والحدأة والغراب الالبق والكلب العقور» والجمهور على أن المراد به

«١» كذا في المكية

وفي الازهرية وهو البر

الاحرام وأحرم إذا دخل الحرم، نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله قوله تعالى ﴿ومن قتل منكم متعمدا﴾ اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام أما إذا قتل عمداً وهو ذاكراً لا حرامه فلا حكم عليه وأمره الى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة هذا قول مجاهد والحسن وقال الآخرون هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لا حرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لو قتله خطأ فذهب أكثر الفقهاء الى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة وقال الزهري على المتعمد بالكتاب وعلى المخطيء بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ بل يختص بالعمد. قوله عز وجل ﴿فجزاء مثل﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب فجزاء ممنون مثل رفع على البدل من الجزاء وقرأ الآخرون بالاضافة فجزاء مثل ﴿ماقتل من النعم﴾ معناه أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شيها من حيث القيمة ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ أي يحكم بالجزاء رجلان عدلان وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران الى

أعم من ذلك لما ثبت في الصحيحين من إطلاق لفظه وقال مالك رحمه الله لا يقتل الحرم الغراب الا اذا صال عليه وآذاه وقال مجاهد بن جبر وطائفة لا يقتله بل يرميه ويروى مثله عن علي وقد روى هشيم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ انه سئل عما يقتل الحرم فقال «الحية والعقرب والغويصة ويرمي الغراب ولا يقتله والكلاب العقور والحدأة والسبع العادي» رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشيم وابن ماجه عن أبي كريب وعن محمد بن فضيل كلاهما عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف به وقال الترمذي هذا حديث حسن

وقوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن علية عن أيوب قال ثبت عن طاوس انه قال لا يحكم على من أصاب صيداً خطأ انما يحكم على من أصابه متعمدا وهذا مذهب غريب عن طاوس وهو متمسك بظاهر الآية وقال مجاهد بن جبر المراد بالمتعمد هنا القاصد الى قتل الصيد الناسي لآحرامه فاما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لآحرامه فذلك أمره أعظم من أن يكفر وقد بطل آحرامه رواه ابن جرير عنه من طريق ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما عنه وهو قول غريب أيضا والذي عليه الجمهور ان العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه وقال الزهري دل الكتاب على العامد وجرت السنة على الناسي ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله (ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) وجاءت السنة من أحكام النبي ﷺ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد وأيضا فان قتل الصيد اتلاف والاتلاف مضمون في العمد وفي النسيان لكن المتعمد مأثوم والخطيء غير ملوم وقوله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم) قرأ بعضهم بالاضافة وقرأ آخرون بعطفها (فجزاء مثل ما قتل من النعم) وحكى ابن جرير أن ابن مسعود قرأ (فجزاؤه مثل ما قتل من النعم) وفي قوله (فجزاء

أشبه الأشياء به من النعم فيحكم به ومن ذهب الى إيجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن ابن عوف وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النعم فحكم حاكمهم في النعامة يبدنه وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة وفي الضئيم بكبش وهي لا تساوي كبشا فدل أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبيهاً من حيث الخلقة وتجب في الحمام شاة وهو كل ماعب وهدر من الطير كالفاخنة والقمرى والدبسي وروى عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضئيم بكبش وفي الغزال بعنز وفي الأرنب بعناق وفي البربوع بجذرة. قوله تعالى ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ أي يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك

مثل ماقتل من النعم) على كل من القراءتين دليل لما ذهب اليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور من وجوب الجزاء من مثل ماقتله المحرم اذا كان له مثل من الحيوان الانسي خلافا لابي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي قال وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه وإن شاء اشترى به هديا والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع فانهم حكموا في النعامة ببذنة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال بعنز وذكر قضايا الصحابة واسانيدهم مقرر في كتاب الاحكام واما اذا لم يكن الصيد مثليا فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه بحمل الى مكة رواه البيهقي وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني أنه يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين واختلف العلماء في القاتل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين على قوانين (أحدهما) لا لأنه قد يتهم في حكمه على نفسه وهذا مذهب مالك (والثاني) نعم لعموم الآية وهو مذهب الشافعي وأحمد واحتج الاولون بأن الحاكم لا يكون محكوما عليه في صورة واحدة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان عن ميمون ابن مهران أن أعرابيا أتى أبا بكر فقال قتلت صيدا وأنا محرم فما ترى عليّ من الجزاء فقال أبو بكر رضي الله عنه لا بي بن كعب وهو جالس عنده ما ترى فيها قال فقال الاعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله ﷺ أسألك فاذا أنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما تنكر؟ يقول الله تعالى (فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمر أمرناك به ، وهذا إسناد جيد لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ومثله يحتمل ههنا فيبين له الصديق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابيا جاهلا وإنما دواء الجهل التعليم . فاما إذا كان المعترض منسوبا إلى العلم فقد قال ابن جرير حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قالا حدثنا ربيع بن الجراح عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن

صياما قال الغراء رحمه الله العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه وأراد به أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم وبين أن يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم أو يصوم على كل مد من الطعام يوما وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين ، وقال مالك أن لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من شعير يوما وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير . قوله تعالى ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي جزاء معصيته ﴿عفا الله عما سلف﴾ يعني قبل التحريم ونزول الآية ، قال السدي عفا الله عما سلف في الجاهلية ومن عاد فينتقم الله منه ﴿في الآخرة﴾ والله عزيز ذو انتقام ﴿وإذا تكرّر من المحرم قتل الصيد فیتعدد علیه الجزاء عند

«١» سنح من
اليمن إلى اليسار
وبرج عكسه
«٢» أي تركه

قبيصة بن جابر قال خرجنا حججا فكننا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا فتماشى نتحدث قال فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبي أو برح^(١) فرماه رجل كان معنا بحجر فما أخطأ حشاد فركب وودعه^(٢) ميتا قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معي حتى أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقص عليه القصة قال وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت عمر إلى صاحبه فكامه قال ثم أقبل على الرجل فقال أعمداً قتلته أم خطأ فقال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال عمر ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ أعمد إلى شاة فاذبحها وأصدق بلحمها واستبق إهابها قال فقمنا من عنده فقللت لصاحبي أيها الرجل عظم شمائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه أعمد إلى نائك فأنجرها فلعل ذلك يعني أن يجزى عنك^(٣) قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة (يحكم به ذوا عدل منكم) فبلغ عمر مقالتي فلم يفتأنا منه الاومعه الدرة قال فعلا صاحبي ضرباً بالدرة^(٤) قتلته في الحرم وسفهت الحكم^(٥) قد ثم أقبل على قللت يا أمير المؤمنين لأحل لك اليوم شيئاً يحرم عليك مي، فقال يا قبيصة ابن جابر إني أراك شاب السر فسيح الصدر بين اللسان وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة، فأياك وعثرات الشباب. وروى هشيم هذه القصة عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بنحوه ورواها أيضاً عن حصين عن الشعبي عن قبيصة بنحوه وذكرها مرسله عن عمر بن بكر بن عبد الله المزني ومحمد بن

عامة أهل العلم قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قتل الحرم صيداً متعمداً يسأل هل قتلته قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال نعم لم يحكم عليه وقيل له إذهب ينقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضرباً وجيعاً وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وج وهو واد بالطائف، واختلفوا في الحرم هل يجوز له أكل لحم الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يحل له بحال، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس وبه قال سفيان الثوري واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن الصعيب بن جثامة اللبتي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالباء أو بودان^(٦) فردّه عليه رسول الله ﷺ قال فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي من الكآبة قال «إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم» وذهب الآكثرون إلى أنه

«١» هذا نص النسختين المطبوعة والحجازية «فعل ذلك» بحذف خبر فعل وذكر المؤلف له تفسيراً، وهي كذلك في الدر المنثور وفي الإزهزية وتفسير ابن جرير «فعل ذلك»
«٢» أي «وجعل يقول» كما في تفسير ابن جرير. أو «وهو يقول» كما في الدر المنثور وحذف فعل القول كثير في التنزيل وغيره من الكلام الفصيح للعلم به
«٣» عبارة الدر المنثور «أقتلت الصيد في الحرم وسفهت الفتيا» «٤» هما موضعان بين مكة والمدينة

سير بن وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل أخبرني ابن جرير البجلي قال أصبت ظبياً وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال أنت رجاء من اخوانك فليحكم عليك فأتيت عبد الرحمن وسعدا فحكما عني بتيس أعفر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن مخارق عن طارق قال أوطأ أربد ظبياً^(١) فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معي فحكما فيه جدياً قد جمع الماء والشجر ثم قال عمر (يحكم به ذوا عدل منكم) وفي هذا دلالة على جواز كون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله

واختلفوا هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيده المحرم فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم في مثله الصحابة أو يكفي بأحكام الصحابة المتقدمة؟ على قولين فقال الشافعي وأحمد يتبع في ذلك ما حكمت به الصحابة وجعلاه شرعاً مقررراً لا يعدل عنه وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين وقال مالك وأبو حنيفة بل يجب الحكم في كل فرد فرد سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا لقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) أي واصلاً إلى الكعبة والمراد وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك ويفرق لحمه على مساكين الحرم وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة وقوله (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً) أي إذا لم يجد المحرم مثل ماقتل من النعم أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الامثال أو قلنا بالتخيير في هذا المقام بين الجزاء والاطعام والصيام كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحد قولي الشافعي والمشهور عن أحمد رحمهم الله اظاهر «أو» بأنها للتخيير والقول الآخر أنها على الترتيب فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة فيقوم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماة وإبراهيم وقال الشافعي يقوم مثله من

يجوز للمحرم أكله إذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لأجله أو بشارته وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وإنما رد النبي صلى الله عليه وسلم على الصعب بن جثامة لأنه ظن أنه صيد من أجله والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله التيمي عن نافع مولى أبي قتادة عن ربعي الانصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحابه محرمين وهو غير محرم فرأى حميراً وحشياً فاستوى على فرسه وسأل أصحابه أن ينالوه سوطه فأبوا فسألهم فابوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض أصحاب رسول الله ﷺ وأبى بعضهم فلما أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن ذلك فقال «إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا «١» في تفسير ابن جرير أوطأ أربد ضباً ، وأربد اسم رجل ، ومعنى أوطأ رماه فأثبتته

النعيم لو كان موجوداً ثم يشتري به طعام فيتصدق به فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز واختاره ابن جرير وقال أبو حنيفة وأصحابه يطعم كل مسكين مدين وهو قول مجاهد وقال أحمد مد من حنطة أو مدان من غيره فإن لم يجد أو قلنا بالتخيير صام عن أطعام كل مسكين يوماً وقال ابن جرير وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوماً كما في جزاء المترفة بالخلق ونحوه فإن الشارع أمر كعب بن عجرة أن يقسم فرقا بين ستة أو يصوم ثلاثة أيام والفرق ثلاثة أصع واختلفوا في مكان هذا الطعام فقال الشافعي مكانه الحرم وهو قول عطاء وقال مالك يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الأماكن إليه وقال أبو حنيفة إن شاء أطعم في الحرم وإن شاء أطعم في غيره

ذكر أقوال السلف في هذا المقام

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن منصور عن الحكم بن مقسم عن ابن عباس في قول الله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم بحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) قال إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فإن لم يجد نظر كم ثمة ثم قوم ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوماً قال الله تعالى (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) قال إنما أريد بالطعام الصيام أنه إذا وجد الطعام وجد جزاؤه، ورواه ابن جرير عن طريق جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) فإذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه فإن قتل ظيما أو نحوه فعليه شاة تدبج بمكة فإن لم يجد فاطعام ستة مساكين فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فإن قتل إيلا أو نحوه فعليه بقرة فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكينا فإن لم يجد صام عشرين يوماً وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزادوا: الطعام مدمد يشبعهم، وقال جابر الجعفي عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد (أو عدل ذلك صياما) قالوا إنما الطعام لمن لا يبلغ الهدي رواه ابن جرير وكذا روى ابن جريج عن مجاهد وأسباط عن السدي أنها على الترتيب

وقال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية الضحاك وأبراهيم النخعي هي على الخيار وهي رواية الليث عن مجاهد عن ابن عباس واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وقوله (ليذوق وبال أمره) أي أوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة (عفا الله عما سلف) أي في زمان الجاهلية

الرابع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطالب بن حنظب عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لحم الصيد لكم في الأحرام حلال ما لم تصيدوه أو يصاد لكم» قال أبو عيسى المطالب لا نعرف له سماعا من جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وإذا أتلف المحرم شيئا من

لمن أحسن في الاسلام واتبع شرع الله ولم يرتكب المعصية ثم قال (ومن عاد فينتقم الله منه) أي ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الاسلام وبلغ الحكم الشرعي اليه (فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) قال ابن جريج قلت لعطاء ما (عفا الله عما سلف) ؟ قال عما كان في الجاهلية قال قلت وما (ومن عاد فينتقم الله منه) ؟ قال ومن عاد في الاسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة قال قلت فهل في العود من حد تعلمه ؟ قال لا ، قال قلت فترى حقاً على الامام أن يعاقبه ؟ قال لا هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل ولكن يفقدي ورواه ابن جرير . وقيل معناه فينتقم الله منه بالكفارة قاله سعيد بن جبير وعطاء . ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ولا فرق بين الاولى والثانية والثالثة وان تكرر ما تكرر سواء الخطأ في ذلك والعمد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فيه كلما قتله فان قتله عمداً يحكم عليه فيه مرة واحدة فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي جميعاً عن هشام بن عمار عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً يحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم عليه ينتقم الله منه وهكذا قال شريح ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي رواه ابن جرير ثم اختار القول الأول وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدى حدثنا المعتمر بن سليمان عن زيد أبي المعلى عن الحسن البصري أن رجلاً أصاب صيداً فتجوز عنه ثم عاد فأصاب صيداً آخر فقتلت نار من السماء فأحرقته فهو قوله (ومن عاد فينتقم الله منه) وقال ابن جرير في قوله (والله عزيز ذو انتقام) يقول عز ذكره والله منيع في سلطانه لا يهره قاهر ولا يئنه من الانتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع لان الخلق خلقه والامر أمره له العزة والمنعة وقوله (ذو انتقام) يعني أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته اياه

(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم

حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦) جعل الله الكعبة البيت الحرام قيمة للناس

والشهر الحرام والهدي والقائم ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض

الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض أو طائر دون الحمام ففيه قيمة يصرفها الى الطعام فيصدق به أو يصوم عن كل مديوما واختلفوا في الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر روي ذلك عن كعب الاحبار والا كثرون على انها لا تحل فان أصابها فعليه صدقة قال عمر في الجراد تمره وروي عنه وعن ابن عباس قبضة من طعام

قوله عز وجل ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة﴾ والمراد بالبحر جميع المياه

(م ٣١ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وغيرهم في قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر) يعني ما يصطاد منه طرياً (وطعامه) ما يتزود منه مليحاً يابساً، وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه صيده ما أخذ منه حياً (وطعامه) ما لفظه ميتاً، وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم وعكرمة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي والحسن البصري، قال سفينان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي بكر الصديق أنه قال (طعامه) كل ما فيه، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن سالك قال: حدثت عن ابن عباس قال خطب أبو بكر الناس فقال (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) وطعامه ما قذف. قال وحدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجاز عن ابن عباس في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال (طعامه) ما قذف، وقال عكرمة عن ابن عباس قال طعامه ما لفظ من ميتة، ورواه ابن جرير أيضاً وقال سعيد بن المسيب طعامه ما لفظه حياً أو جسر عنه فمات رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال: إن البحر قد قذف حيثنا كثيرة ميتة أفنأكلها؟ فقال لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى هذه الآية (وطعامه متاعاً لكم وللسيارة) فقال اذهب فقل له فليأكله فإنه طعامه وهكذا اختار ابن جرير أن المراد بطعامه مامات فيه. قال وقد روي في ذلك خبر وإن بعضهم يرويه موقوفاً حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) قال «طعامه ما لفظه ميتاً» ثم قال وقد وقف بعضهم هذا الحديث على أبي هريرة. حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قال طعامه ما لفظه ميتاً. وقوله (متاعاً لكم وللسيارة) أي منفعة وقوتاً لكم أيها المخاطبون (واللسيارة) وهم جمع سيار قال عكرمة

قال عمر رضي الله عنه صيده ما اصطيد وطعامه مارمى به وعن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتاً وقال قوم هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبيرة وعكرمة وسعيد بن المسيب وقتادة والنخعي وقال مجاهد صيده طريه وطعامه مالحه متاعاً لكم أي منفعة لكم وللسيارة يعني المارة وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره. أما السمك فميتته حلال مع اختلاف أنواعها قال النبي صلى الله عليه وسلم «أحلت لنا ميتتان السمك والجراد» فلا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير

لمن كان بحضرة البحر والسفر وقال غيره الطري منه لمن بصطاده من حضرة البحر وطعامه ما مات فيه أو اصطيد منه وملح وقد يكون زاداً للمسافرين والنائين عن البحر وقد روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم . وقد استدلل الجمهور على حل ميتته بهذه الآية الكريمة وبما رواه الامام مالك ابن أنس عن ابن وهب وابن كيسان عن جابر بن عبد الله قال بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة وأنا فيهم قال فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا الا تمر تمر فقل فقد وجدنا فقدنا حين فنيتم قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ومرت تحتها فلم تصبها وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله طرق عن جابر وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر فاذا على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم فأتيناه فاذا بدابة يقال لها العنبر قال قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لانحن رسل رسول الله ﷺ وقد اضطربتم فكلوا قال فاقفنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة حتى سما ولقد رأيتنا نعرف من وقب عينيه بالقلل الدهن ويقتطع منه القدر كالثور قال ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فاقعدهم في وقب عينيه وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحته وتزودنا من لحمه وسائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال «هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فقطعموهنا؟» قال فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه فأكله وفي بعض روايات مسلم أنهم كانوا مع النبي ﷺ حين وجدوا هذه السمكة فقال بعضهم هي واقعة أخرى وقال بعضهم بل هي قضية واحدة ولكن كانوا أولاً مع النبي ﷺ ثم بعثهم سرية مع أبي عبيدة فوجدوا هذه في سريتهم تلك مع أبي عبيدة والله أعلم وقال مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن آل ابن الأزرق أن المغيرة

سبب وعند أبي حنيفة لا يحل الى أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها الا السمك وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم الى أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلفت صورتها كالجرثيم يقال لها حية الماء وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق وهو قول عمر وأبي بكر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي وذهب قوم الى أن ماله نظير في البر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه وما لا يؤكل نظيره في البر لا يحل ميتته من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها وقال الاوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال قيل فالتساح قال نعم وقال الشعبي

ابن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضعنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله ﷺ «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وقد روى هذا الحديث الامامان الشافعي واحمد بن حنبل وأهل السنن الاربع وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم وقد روى عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ بنحوه

وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة حدثنا أبو المهزم هو يزيد بن سفيان سمعت أبا هريرة يقول كنا مع رسول الله ﷺ في حرج أو عمرة فاستقبلنا جراد فجعلنا نضربهم بعصينا وسيطانا فقتلنا فسقط في أيدينا فقلنا ما نصنع ونحن محرمون فسألنا رسول الله ﷺ فقال «لا بأس بصيد البحر» أبو المهزم ضعيف والله أعلم وقال ابن ماجه حدثنا هارون بن عبد الله الجمال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله عن علام عن موسى بن محمد ابن ابراهيم عن ابيه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال «اللهم أهلك كبارهم واقتل صغارهم وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بافواههم عن معايشنا وازاقتنا إنك سميع الدعاء» فقال خالد يا رسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال «ان الجراد نثره الحوت في البحر» قال هاشم قال زياد فحدثني من رأى الحوت ينثره تفرد به ابن ماجه وقد روى الشافعي عن سعيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه انكر على من بصيد الجراد في الحرم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء الى أنه تؤكل دواب البحر ولم يستثن من ذلك شيئاً وقد تقدم عن الصديق أنه قال طعامه كل ما فيه. وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها لما رواه الامام أحمد وابو داود والنسائي من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن أبي عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع والنسائي عن عبد الله بن عمرو

لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم وقال سفيان الثوري أرجوا ان لا يكون بالسرطان بأس وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر وكذلك الحديث أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر ابن احمد انا أبو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن سلمان عن سعيد بن سلمة من آل بني الازرق ان المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضعنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله ﷺ «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرنا عمي أنه سمع جابر أ رضي الله عنه يقول غزوت جيش الحبط وأمر أبو عبيدة فجعلنا جوعاً شديداً فالتقى البحر حوتاً ميتاً لم تر مثله يقال له العنبر فأكلنا منه

قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال نقيتها تسبيح وقال آخرون يؤكل من صيد البحر السمك ولا يؤكل الضفدع واختلفوا فيما سواهما فقبل يؤكل سائر ذلك وقيل لا يؤكل وقيل ما أكل شبهه من البر أكل مثله في البحر وما لا يؤكل شبهه لا يؤكل وهذه كلها وجوه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يؤكل مامات في البحر كما لا يؤكل مامات في البر لعموم قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) وقد ورد حديث بنحو ذلك فقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي هو ابن قانع حدثنا الحسين بن اسحاق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قالوا حدثنا الحسين بن يزيد الطحان حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « ما صدموه وهو حي فمات فكلوه وما لقي البحر ميتا طافيا فلا تأكلوه » ثم رواه من طريق اسماعيل بن أمية ويحيى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر به وهو منكر ، وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ابن حنبل بحديث العنبر المتقدم ذكره وبحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وقد تقدم أيضا وروى الامام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكدب والطحال » ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وله شواهد وروى موقوفاً والله أعلم وقوله (وحرم عليكم صيد البر مادمت حراما) أي في حال احرامكم بحرم عليكم الاصطياد ففيه دلالة على تحريم ذلك فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمداً أثم وغرم أو مخطئاً غرم وحرم عليه أكله لانه في حقه كالميتة وكذا في حق غيره من المحرمين والمحليين عند مالك والشافعي في احد قوليه وبه يقول عطاء والقاسم وسالم وابو يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم فان اكله او شيئاً منه فهل يلزمه جزاء ثان؟ فيه ولان للعلماء (احدهما) نعم قال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال ان ذبحه ثم اكله فكفارتان

نصف شهر فأخذ أبو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب تحته وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر يقول قال أبو عبيدة كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال « كلوا رزقا أخرجه الله إليكم اطعمونا إن كان معكم » فاتاه بعضهم بشيء منه فأكله قوله تعالى ﴿ وحرم عليكم صيد البر مادمت حراما واتقوا الله الذي اليه تحشرون ﴾ صيد البحر حلال المحرم كما هو حلال لغير المحرم . أما صيد البر فحرام على المحرم في الحرم والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله . أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الاحرام ويحرم أخذه وقتله ولاجزاء على من قتله الا المتولد بين مالا يؤكل لحه وما يؤكل لحه كالتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم لأن فيه جزاء من الصيد أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن

والله ذهب طائفة (والثاني) لا جزاء عليه في أكله نص عليه مالك بن أنس قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا، ذاهب فقهاء الامصار وجمهور العلماء ثم وجهه أبو عمر بما لو وطئ ثم وطئ ثم وطئ قبل أن يجد قائماً عليه حد واحد، وقال أبو حنيفة عليه قيمة ما أكل، وقال أبو ثور إذا قتل المحرم الصيد فعليه جزاؤه وحلال أكل ذلك الصيد إلا أنني أكرهه للذي قتله للخبر عن رسول الله ﷺ «صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم» وهذا الحديث سيأتي بيانه وقوله بإباحته للقاتل غريب وأما غيره ففيه خلاف قد ذكرنا المنع عن تقدم وقال آخرون بإباحته لغير القاتل سواء المحرمون والمحلون لهذا الحديث والله أعلم *

وأما إذا صاد حلال صيداً فأهداه إلى محرم فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقاً ولم يستفصلوا بين أن يكون قد صاده من أجله أم لا حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة والزبير بن العوام وكعب الاحبار ومجاهد وعطاء في رواية وسعيد بن جبير وبه قال الكوفيون قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا بشر بن الفضل حدثنا سعيد عن قتادة أن سعيد ابن المسيب حدثه عن أبي هريرة أنه سئل عن لحم صيد صاده حلال آیاكله المحرم قال فأفناهم بأكله ثم لقي عمر بن الخطاب فاخبره بما كان من أمره فقال لو افتيهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك، وقال آخرون لا يجوز أكل الصيد المحرم بالكالية ومنعوا من ذلك مطلقاً لعموم هذه الآية الكريمة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس وعبد الكريم عن ابن أبي أسية عن طاوس عن ابن عباس أنه كره أكل الصيد للمحرم وقال هي مبهمة يعني قوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً) قال وأخبرني معمر عن الزهري عن ابن عمر أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال قال معمر وأخبرني أيوب عن نافع عن ابن عمر مثله قال ابن عبد البر وبه قال طاوس وجابر بن زيد والله ذهب الثوري وإسحاق بن راهويه في رواية وقد روي نحوه عن علي بن أبي طالب رواه ابن جرير

رسول الله ﷺ أنه قال يقتل المحرم السبع العادي وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال خمس قتلن حلال في الحرم الحية والعقرب والخذأة والقارة والكلب العقور وقيل سفيان بن عيينة الكلب العقور كل سبع يعقر ومثله عن مالك رحمه الله وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل مالا يؤكل لحمه كالفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الأعيان المذكورة في الخبر وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع مالا يؤكل لحمه لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضاربة وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من جملة الهوام وإنما هي حيوان مستخبت اللحم وتحريم الأكل بجميع الكل فاعتبره ورتب الحكم إليه

قوله عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) قال مجاهد سميت كعبة لتربعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة قال مقاتل سميت كعبة لأفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتعائها من

من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن علياً كره أكل لحم الصيد للمحرم على كل حال، وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في رواية والجمهور أن كان الحلال قد قصد المحرم بذلك الصيد لم يحز المحرم أكله لحديث الصعب بن جثامة أنه أهدى للنبي ﷺ حماراً وحشياً وهو بالابواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال «إنا لم نرده عليك إلا أنأحرّم» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله الفاظ كثيرة قالوا فوجهه أن النبي ﷺ ظن أن هذا إنما صاده من أجله فرد، لذلك فاما إذا لم يقصده بالاصطياد فإنه يجوز له الأكل منه لحديث أبي قتادة حين صاد حمار وحش وكان حلالاً لم يحرم وكان أصحابه محرمين فتوقفوا في أكله ثم سألوا رسول الله ﷺ فقال «هل كان منكم أحد أشار إليها وأعان في قتلها؟» قالوا لا قال «فكأوا» وأكل منها رسول الله ﷺ وهذه القصة ثابتة أيضاً في الصحيحين باللفاظ كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «صيد البر لكم حلال - قال سعيد وأنتم حرم - ما لم تصيدوه أو يصد لكم» وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة وقال الترمذي لا نعرف للمطلب سماعاً من جابر ورواه الامام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه من طريق عمرو بن أبي عمرو عن موله المطلب عن جابر ثم قال وهذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقيس وقال مالك رضي الله عنه عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال رأيت عثمان ابن عفان بالعرج وهو محرم في يوم صائف قد غطى وجهه بقطيفة أرجوان ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه كلوا فقالوا أو لا تأكل أنت فقال إني لست كميئتكم إنما صيد من أجلي^(١)

«١» سقط من

هذا الموضع تفسير

الثلاث الآيات ٩٧ و

٩٨ و ٩٩ وترك لها

يباض في النسخة المكية

الأرض وأصلها من الخروج والارتفاع وسعي الكعب كعباً لتوّه وخروجه من جانب القدم ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخروج ثديها تكعبت وسعي البيت الحرام لأن الله تعالى حرمه وعظم حرمة قال النبي ﷺ إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ﴿قياماً للناس﴾ قرأ ابن عامر قيا بلا ألف والآخرون قياماً بالالف أي قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم . أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك . وأما الدنيا فيما يجي إليه من الثمرات وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حوله) ﴿والشهر الحرام﴾ أراد به الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياماً للناس يأمنون فيها القتال ﴿والهدي والقلائد﴾ أراد أنهم كانوا يأمنون بتقاييد الهدي فذلك القوام فيه ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ فإن قيل: لا اتصال لهذا الكلام بما قبله قيل أراد أن الله عز وجل الكعبة قياماً للناس لأن الله تعالى يعلم صلاح

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب
لعلكم تفلحون (١٠٠) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤمكم وإن تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم عفا الله عنها والله غفور حلِيم (١٠١) قد سألهما قوم من قبلكم
ثم أصبحوا بها كفرين (١٠٢)

يقول تعالى لرسوله ﷺ (قل) يا محمد (لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك) أي يا أيها الإنسان
(كثرة الخبيث) يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار كما جاء في الحديث «ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى» وقال أبو القاسم البغوي في معجمه حدثنا أحمد بن زهير حدثنا الحوطي
حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معان بن رفاعه عن أبي عبد الملك علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة
أن ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال النبي ﷺ «قل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» (فاتقوا الله يا أولي الألباب) أي يا ذوي العقول الصحيحة
المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوه واقنعوا بالحلال واكتفوا به لعلكم تفلحون أي في الدنيا والآخرة
ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤمكم) هذا تأديب من الله
تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها
لأنها ان أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساء لهم ورشق عليهم ساءها كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ

العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن الغيوب
والكشف عن الاسرار مثل قوله (سمعون للكذب سمعون لقوم آخرين) ومثل إخباره بتحريفهم
الكتب ونحو ذلك فقله ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض راجع اليه
وقوله عز وجل ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ﴾
التبليغ ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴿أي الحلال والحرام﴾ ولو
أعجبك ﴿سرك﴾ كثرة الخبيث ﴿نزلت في شريح بن ضبعة البكري وحجاج بن بكر بن وائل﴾ فاتقوا
الله ﴿ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين وقد مضت القصة في أول السورة﴾ يا أولي الألباب
لعلكم تفلحون ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤمكم﴾ الآية اخبرنا عبد الواحد
المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا حفص بن عمر أنا هشام عن قتادة عن انس
رضي الله عنه سألو رسول الله ﷺ حتى احفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال «لا تسألوني اليوم
عن شيء الا بينته لكم» فجعلت انظر يمينا وشمالا فاذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فاذا رجل كان
إذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه فقال يا رسول الله من أبي؟ قال حذافة ثم انشأ عمر فقال رضي بنا بالله

قال « لا يبلغني أحد عن أحد شيئا إني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » وقال البخاري حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ماسمعت مثلها قط وقال فيها « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قال فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبي قل فلان فترلت هذه الآية (لا تسألوا عن أشياء) رواه النضر وروح بن عبادة عن شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم واحد والترمذي والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج با وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سأله حتى أحسنه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر فجعلت لا التفت يمينا وشمالا الا وجدت كلالا فارأسه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى الى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي قال « أبوك حذافة » قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضيينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا عائذا بالله أو قال أعوذ بالله من شر الفتن قال وقال رسول الله ﷺ « لم أرفي الخير والشر كاليوم قط » صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها درن الحائط » أخرجاه من طريق سعيد ورواه معمر عن الزهري عن أنس بنحو ذلك أو قريبا منه قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة ما رأيت ولدا أعق منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته وقال ابن جرير أيضا حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محار وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال أين أنا قال « في النار » فقام آخر فقال من أبي فقال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال رضيينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن اماما انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية اسناده جيد وقد ذكر

ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد ﷺ رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله ﷺ « ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط انه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها وراء الحائط » وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وقال يونس عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ماسمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما قارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس قال عبد الله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته وروى عن عمر قال يا رسول

٤٥ أخبار النبي بأنه لا يستل عن شيء إلا أجاب عنه وإن كان غيبا تفسير ابن كثير والبغوي

هذه القصة مرسله غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدي أنه قال في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكن تسؤكن) قال غضب رسول الله ﷺ يوم من الأيام فقام خطيبا فقال « سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل من قریش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه فقال يا رسول الله من أبي ؟ فقال أبوك فلان فدعاء لآبيه فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبك نبيا وبالإسلام ديننا وبالقراءان اماما فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال « الولد للفرأش وللعاهر الحجر » ثم قال البخاري حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكن تسؤكن) حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا منصور بن وردان الاسدي حدثنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبي البخري وهو سعيد بن فيروز عن علي قال لما نزلت هذه الآية (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) قالوا يا رسول الله أفى كل عام ؟ فسكت فقالوا في كل عام فسكت قال ثم قالوا أفى كل عام ؟ فقال « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكن تسؤكن) الآية وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق منصور بن وردان به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو البخري لم يدرك عليا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله كتب عليكم الحج » فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال « من السائل ؟ » فقال فلان فقال « والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم » فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكن تسؤكن) حتى ختم الآية . ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وقال فقام محسن الاسدي وفي رواية من

الله انا حديثه عهد بجاهلية فاعف عنا يعف الله سبحانه وتعالى عنك فسكن غضبه، اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا الفضل بن سهل اخبرنا ابو النضر انا ابو خيثمة انا ابو جويرية عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل ضلت ناقته أين ناقتي فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكن تسؤكن) حتى فرغ من الآية كلها وروى عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت والله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله أفى كل عام فأعرض

هذه الطريق عكاشة بن محصن وهو أشبهه وإبراهيم بن مسلم المجري ضعيف وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا أبو زيد عبد العزيز أبي الغمر حدثنا ابن طميم معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال سمعت أبا امامة الباهلي يقول قام رسول الله ﷺ في الناس فقال « كتب عليكم الحج » فقام رجل من الاعراب فقال أفي كل عام؟ قال فعلا كلام رسول الله ﷺ وأسكت وأغضب واستغضب ومكث طويلا ثم تكلم فقال « من السائل؟ » فقال الاعرابي أنا ذا فقال « ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج والله لو أني أحلت لكم جميع ما في الأرض وحرمت عليكم منها موضع خفف لوقعتم فيه » قال فأنزل الله عند ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم إلى آخر الآية) في إسناده ضعف وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الاعراض عنها وتركها وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا حجاج قال سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهمدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » الحديث وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل قال أبو داود عن الوليد وقال الترمذي عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم به ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتكم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على رسول الله ﷺ تبين لكم (وذلك على الله يسير) ثم قال (عفا الله عنها) أي عما كان منكم قبل ذلك (والله غفور حلیم) وقيل المراد بقوله (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها فلهذا قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضيق وقد ورد في الحديث « أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله » ولكن إذا نزل القرآن بها بجملة فسألتم عن بيانها بينت لكم حيث لا تحتاجكم إليها (عفا الله عنها) أي ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه فعاد مرتين أو ثلاثا فقال النبي ﷺ « ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما ترككم فأما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم) أي أن تظهر لكم تسؤكم أي أن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح . وقال مجاهد نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الأتراء

أنه قال « ذروني ما تركتم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » وفي الحديث الصحيح أيضا « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » ثم قال تعالى (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سألت هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين أي بسببها أن بينت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء والعناد وقال العوفي عن ابن عباس في الآية إن رسول الله ﷺ أذن في الناس « فقال يا قوم كتب عليكم الحج » فقام رجل من بني أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا فقال « والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم وإذا لكفرتم فتركوني ما تركتكم وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه » فأمر الله هذه الآية نهام أن يسألوا عن مثل الذي سألت عنه أنصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم بيانه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يأياها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وأن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) قال لما نزلت آية الحج نادى النبي ﷺ في الناس فقال « يأياها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فخرجوا » فقالوا يا رسول الله أعاما وإحدا أم كل عام فقال « لا بل أعاما وإحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم » ثم قال الله تعالى (يأياها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) إلى قوله (ثم أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس (لا تسألوا عن أشياء) قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى أنه قال بعدها (ما جعل الله من بحيرة) ولا كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فقال إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير ، يعني عكرمة رحمه الله أن المراد بهذا النهي عن سؤال وقوع الآيات كما سألت قريش أن يجري لهم أنهاراً وأن يجعل لهم الصفاذها وغير ذلك وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء وقد قال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل

ذكرها بعد ذلك » وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » معناه إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم وليس في ظاهره شرح ما يكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه فإذا سألتهم عنها حينئذ تبد لكم » عفا الله عنها والله غفور حلیم قد سألتها قوم من قبلكم » كما سألت نود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة » ثم أصبحوا بها كافرين » فأهلكوا قال أبو نعلبة الحشني أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .

بِالآيَاتِ الْآتِيَاتِ الْأُولَى أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأُولَى وَأَتَيْنَا مُوَدَّ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا) وَقَالَ تَعَالَى (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) وَتَقَلَّبَ أَفْئِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَأَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ {

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا

حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون (١٠٤)

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب» والوصيلة الناقة البكر ت بكر في أول نتاج الابل ثم تنثي بعد يانثي وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداها بالآخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الابل يضرب الضراب المعداد فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسعوه الحامي وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث ابراهيم بن سعد به ثم قال البخاري وقال لي أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال سمعت سعيداً يخبر بهذا قال وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ نحوه ورواه ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال الحاكم أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزني في الاطراف وسكت

قوله عز وجل ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي ما أنزل الله ولا أمر به ﴿ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ قال ابن عباس في بيان هذه الاوضاع البحيرة هي الناقة التي كانت اذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنبا أي شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجزوا وبرها، ولم يمنعوها الماء والكلاً ثم نظروا إلى خامس ولدها فان كان ذكراً فحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذنبا أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة أناثا سبيت فلم يركب ظهرها ولم يجزو برها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنبا ثم خلى سبيلها مع أمها في الابل فلم يركب ظهرها

ولم ينبه عليه وفيما قاله الحاكم نظر فان الامام احمد وأبا جعفر بن جرير روياه من حديث الليث بن سعد عن ابن الهاد عن الزهري نفسه والله أعلم، ثم قال البخاري حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سبب السوائب » تفرد به البخاري وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا كُفَّ من الجون « يا كُفَّ رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا به منك » فقال أ كُفَّ تخشي أن يضرنني شبهه يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ « لا، انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين ابراهيم وبحر البحيرة وسبب السائبة وحى الحامي » ثم رواه عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله، ليس هذان الطريقان في الكتب وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن أول من سبب السوائب وعبد الاصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيت يجر أفعاله في النار » تفرد به احمد من هذا الوجه وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف أول من سبب السوائب وأول من غير دين ابراهيم عليه السلام » قالوا ومن هو يا رسول الله؟ قال « عمرو بن لحي أخو بني كعب ، لقد رأيت يجر قصبة في النار تؤذي راحته أهل النار وإني لأعرف أول من بحر البحائر » قالوا ومن هو يا رسول الله قال « رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجذع أذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقده رأيت في النار وهما يعضانه باقواهما ويطآنه باخفافهما » فعمره هذا هو ابن لحي بن قعدة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم وكان أول من غير دين ابراهيم الخليل فأدخل الاصنام إلى الحجاز ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الانعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة

ولم يجر وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأفعاله في البحيرة بنت السائبة . وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يسبب وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال : إن شفاني الله تعالى أو شفي مريض أو عاد غائبي فناقني هذه سائبة ثم يسببها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة . وقال علقمة : هي العبد يسبب على أن لا يولاه عليه ، ولا عقل ، ولا ميراث ، وقال النبي ﷺ « إنما الولاء لمن أعتق » والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة وهي المسبية كقوله تعالى (ما دافق) أي مدفوق (وعيشة راضية) وأما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا ، فان كان السابع ذكراً ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء ، وإن

الانعام عند قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) إلى آخر الآيات في ذلك فاما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا هذه بحيرة وذكر السدي وغيره قريبا من هذا ، وأما السائبة فقال مجاهد هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على هيئتها فإذا ولدت السابع ذكر أو ذكربن ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وقال محمد بن إسحاق السائبة هي الناقة إذا ولدت عشر أنثى من الولد ليس بينهم ذكر سيدت فلم تترك ولم يحز ويرها ولم يحلب لبنها إلا الضيف وقال أبو روق السائبة كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها وقال السدي كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو أكثر ماله سيب شيئا من ماله للأوثان فمن عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا .

وأما الوصيلة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع فإن كان ذكراً وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى استحيوها وإن كان ذكراً وأنثى في بطن واحد استحيوها وقالوا وصلته أخته فخرمته علينا رواه ابن أبي حاتم وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب (ولا وصيلة) قال فالوصيلة من الابل كانت الناقة تبتكر من الأنثى ثم تلد أنثى فسموها الوصيلة ويقولون وصلت اثنين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدها للطواغيتهم وكذا روي عن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقال محمد بن إسحاق الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر أنثى في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الأنثى وإن كانت ميتة اشتركوا فيها . وأما الحامي فقال العوفي عن ابن عباس قال كان الرجل إذا لقح فخذ عشرة قيل حام فتركوه وكذا قال أبو روق وقتادة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأما الحام فالفحل من الابل إذا ولد لولده قالوا حمى هذا

كانت أنثى تركوها في الغنم ، وإن كان ذكراً وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى وقالوا وصلت أخاها فلم يذبحوه وكان لبن الأنثى حراما على النساء ، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً وأما الحام فهو الفحل إذا ركب ولد ولده ، ويقال إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلاً ولا ماء ، فإذا مات أكله الرجال والنساء .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهم لا يحمل عليها

ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبرا ولا يمنعونه من حنى رعي ومن حوض يشرب منه وإن كان الحوض غير صاحبه وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول أما الحام فمن الابل كان يضرب في الابل فاذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي الاحوص الجشعي عن أبيه مالك بن نضلة قال أتيت النبي ﷺ في خلتان من الثياب فقال لي «هل لك من مال؟» فقلت نعم قال «من أي المال؟» قال فقلت من كل المال من الابل والغنم والحيل والرقيق قال «فاذا آتاك الله مالا فكثرك عليك» ثم قال «تنتج أهلك وافية آذانها؟» قال قلت نعم قال «وهل تنتج الابل الا كذلك؟» قال «فلعلك تأخذ موسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول هذه بحير وتشق آذان طائفة منها وتقول هذه حرم» قلت نعم قال «فلا تفعل ان كل ما آتاك الله لك حل» ثم قال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أما البحيرة فهي التي يجدون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بذاته ولا أحداً من أهل بيته بصوفها ولا أوارها ولا أشعارها ولا ألبانها فاذا ماتت اشتركوا فيها

وأما السائبة فهي التي يسيبون لأهلهم ويذهبون إلى أهلهم فيسيبونها، وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن فاذا ولدت السابع جدعت وقطم قرنهما فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض، هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجا في الحديث

وقد روي من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عوف بن مالك من قوله وهو أشبه، وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه به وليس فيه تفسير هذه والله أعلم وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) أي ما شرع الله هذه الاشياء ولا هي عنده قرينة ولكن انشركون افترؤا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقربة يتقربون بها اليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

شيء. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار» وكان أول من سيب السوائب. روى محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لا كنتم بن جونا الخزاعي «يا كنتم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندق يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به، ولا به منك، وذلك أنه أول من غير دين اسماعيل، ونصب الاوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار برمح قصبه» فقال أكنتم: أيضرنني شبهه يا رسول الله؟ فقال «لا انك مؤمن وهو كافر» ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب في قولهم الله أمرنا بها وأكثرهم لا يعقلون * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أي إذا دعوا الى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه قالوا يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والاجداد من الطرائق والمسالك قال الله تعالى (أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا) أي لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه ولا يهتدون اليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لا يتبعهم الا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعاً

فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥)

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين أن يصالحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ونخبراً لهم انه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريباً منه أو بعيداً . قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال ونهيته عنه من الحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به وكذا روى الوالي عنه وهكذا قال مقاتل ابن حيان فقله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) نصب على الاغراء (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون) أي فيجازي كل عامل بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر وليس فيها دليل على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان فعل ذلك ممكناً . وقد قال الامام احمد رحمه الله حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير يعني ابن معاوية حدثنا اسماعيل ابن أبي خالد حدثنا قيس قال قام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وانكم تضعونها على غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر

في تحليل الحرث والانعام وبيان الشرائع والاحكام ﴿ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ من الدين قال الله تعالى ﴿ أولوا كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ماهي ، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الناس اذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ، وفي رواية «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ، ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يستجاب لكم» قال أبو عبيدة : خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعواهم إلى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأعلمهم أنها ليست كذلك ، وأن الذي أذن في الامساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون

(م ٣٣ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل ان يعمهم بعقابه « قال وسمعت أبا بكر يقول يا أيها الناس إياكم والكذب فان الكذب مجانب الايمان

وقد روى هذا الحديث اصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعاً ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولاً في مسند الصديق رضي الله عنه. وقال ابو عيسى الترمذي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن ابي حليم حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي من ابي امية الشعماني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال آية آية قلت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال « بل اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الحجر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم » قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يارسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم قال « بل أجر خمسين منكم » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن ان ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن ابي العالية عن ابن مسعود في قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) الآية قال كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله

من أجل أنهم يتدينون به وقد صولحوا عليه ، فأما الفسوق والعصيان والذنوب من أهل الاسلام فلا يدخل فيه . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : الآية في اليهود والنصارى يعني (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم ، وعن ابن عباس قال : في هذه الآية مروا بالمعروف وانها عن المنكر ما قبل منكم ، فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال : إن القرآن نزل منه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه أي وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ، ومنه أي وقع تأويلهن بعد رسول الله ، ومنه أي يقع تأويلهن في آخر الزمان ، ومنه أي يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ، ولم يذق

ألا أقوم فأمرها بالمعروف وإنهاها عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان الله يقول (عليكم أنفسكم) الآية قال فسمعها ابن مسعود فقال له لم يجيء تأويل هذه بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي تأويلهن عند الساعة ماذكر من الساعة ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب ماذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمرها وإنها وإذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيئا وذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ ونفسه وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية رواه ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان ابن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي لان رسول الله ﷺ قال «الافليباغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لا قوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم. وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالوا حدثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فاسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألوا وكلهم بغيبض اليه أن يأتي دناءة الا الخير وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك؟ فقال الرجل اني لست ايك أسأل إنما أسأل الشيخ فأعاد على عبدالله الحديث فقال عبدالله لعلك ترى لأبالاك اني سأمرك أن تذهب فتقتلهم عظيم وإنهم وان عصوك فعليك بنفسك فان الله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية. وقال أيضا حدثني احمد بن المقدم حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية (عليكم أنفسكم

بعضكم بأس بعض فأمرها وإنها وإذا اختلفت القلوب والاهواء وألبستم شيئا وذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا أبو جعفر احمد بن محمد العنبري اخبرنا أبو عيسى بن نصر انا عبدالله بن المبارك انا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي انا أبو أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال آية آية؟ قالت قوله عز وجل (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال أما والله لقد سألت عنها خيرا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا

لا يضركم من ضل) فقال أكثرهم لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم . وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا أبو فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ واني لاصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا أليس الله يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)؟ فاقبلوا علي بلسان واحد وقالوا تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها فتمنيت أني لم أكن تكلمت وأقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حديث السن وانك نزع آية ولا تدري ماهي وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضررك من ضل إذا اهتديت ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال الحسن الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمنا فيما مضى ولا مؤمنا فيما بقي الا الى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المسيب اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضررك من ضل إذا اهتديت رواه ابن جرير وكذا روي من طريق سفيان الثوري عن أبي العميس عن أبي البختري عن حذيفة مثله وكذا قال غير واحد من السلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب في قوله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال اذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلت مسجداً وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية

يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد

رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فبين قبض على الجمر للعامل فبين مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله « قال ابن المبارك وزادني غيره قالوا يا رسول الله أجر خمسين منهم ، قال « أجر خمسين منكم » وقيل نزلت في أهل الاهواء : قال أبو جعفر الرازي : دخل علي صفوان بن محرز شاب من أهل الاهواء فذكر شيئا من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أوليائه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قوله عز وجل ﴿ إلى الله مرجعكم جميعا ﴾ الضال والمتهدي ﴿ فينبشكم بما كنتم تعملون ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن زيد قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل

الصَّلَاةُ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنْ آذًا لِمَنِ الْاَثْمَيْنِ (١٠٦) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَهْمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمُنُهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز قيل إنه منسوخ رواه العوفي عن ابن عباس وقالة حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم انها منسوخة وقال آخرون وهم الاكثرون فيما قاله ابن جرير بل هو محكم ومن ادعى نسخه فعليه البيان فقله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) هذا هو الخبر (١) لقوله شهادة بينكم فقيل تقدير شهادة اثنان حذف المضاف

مولي عمرو بن العاص وكان مسلماً ، فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ماله من المتاع وألقاه في جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك ، فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرها أن يدفعه متاعه إذا رجعا إلى أهله ومات بديل ففتشوا متاعه وأخذوا منه إناء من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما فانصرفا إلى المدينة فدفعوا المتاع إلى أهل البيت ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فحذاؤا تيمما وعدياً فقالوا : هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه ؟ قالوا لا ، قالوا فهل اتجر تجارة ؟ قالوا لا ، قالوا هل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالوا لا ، فقالوا إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ماله ، وإنا قد فقدنا منها إناء من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالوا ما ندري إنما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصرا على الإنكار وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) ﴿ اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ﴾ أي ليشهد اثنان لفظه خبر ومعناه أمر ﷺ وقيل إن معناه أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان واختلفوا في هذين الاثنين فقال قوم : هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي . وقال الآخرون : هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ، ولأنه قال (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان) ولا يلزم الشاهد يمين وجعل الوصي اثنين تأكيداً فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى

(١) قوله هذا هو الخبر كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اهـ

وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل دل الكلام على تقديران بشهد اثنان وقوله تعالى (ذوا عدل) وصف الاثنين بأن يكونا عدلين وقوله (منكم) أي من المسلمين قاله الجمهور قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله (ذوا عدل منكم) قال من المسلمين رواه ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن عبيدة وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيرهم نحوه ذلك قال ابن جرير وقال آخرون غير ذلك (ذوا عدل منكم) أي من أهل الموصل وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما، وقوله (أو آخران من غيركم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عوف حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا حبيب ابن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس في قوله (أو آخران من غيركم) قال من غير المسلمين يعني أهل الكتاب ثم قال وروى عن عبيدة وشرح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين ويحيى بن يعمر وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة وأبي مجاز والسدي ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نحوه ذلك وعلى ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله منكم أن المراد من قبيلة الموصل يكون المراد ههنا (أو آخران من غيركم) أي من غير قبيلة الموصل وروى ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري والزهري رحمهما الله، وقوله تعالى (إن أنتم ضربتم في الأرض) أي سافرتكم (فأصابكم مصيبة الموت) وهذا شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين

حضرت قال تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يريد الحضور ﴿ذوا عدل﴾ أي أمانة وعقل ﴿منكم﴾ أي من أهل دينكم يا معشر المؤمنين ﴿أو آخران من غيركم﴾ أي من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين . قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعبيدة ، ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية فقال النخعي وجماعة هي منسوخة ، وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت ، وذهب قوم إلى أنها ثابتة وقالوا : إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين . قال شريح من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الاوثان فشهادتهم جائزة ولا يجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر

وعن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوا ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدا الكوفة بتركته وأتيا الأشعري فأخبراه بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي ﷺ فأحلفهما وأمضي شهادتهما . وقال آخرون : قوله (ذوا عدل منكم) أي من حي الموصل (أو آخران من غيركم) أي من غير حيكم وعشيرتكم وهو قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا : لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام ﴿إن أنتم ضربتم سرتم وسافرتكم﴾ في الأرض فأصابكم مصيبة الموت ﴿فأوصيتهم إليها ودفعتم إليهما مآلكنم فاتهمها

أن يكون ذلك في سفر وأن يكون في وصية كما صرح بذلك شريح القاضي ، قال ابن جرير حدثنا عمرو ابن علي حدثنا أبو معاوية وو كيع قالوا حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال لا تجوز شهادة اليهود والنصارى الا في سفر ولا تجوز في سفر الا في الوصية ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي اسحاق السبيعي قال قال شريح فذكر مثله وروى نحوه عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهذه المسئلة من أفراد وخالفه الثلاثة فقالوا لا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضا ، وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو داود حدثنا صالح بن أبي الاخضر عن زهري قال مضت السنة أن لا تجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر انما هي في المسلمين وقال ابن زيد نزات هذه الآية في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك في أول الاسلام والارض حرب والناس كفار وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل الناس بهارواه ابن جرير وفي هذا نظر والله أعلم ، وقال ابن جرير اختلف في قوله (شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) هل المراد به أن يوصي اليهما أو يشهدهما على قواين (أحدهما) أن يوصي اليهما كما قال محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية قال هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركته واشهد عليهما عدلين من المسلمين رواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع ، (والقول الثاني) انها يكونان شاهدين وهو ظاهر سياق الآية الكريمة فان لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدي بن بدء كما سيأتي ذكرهما آنفا ان شاء الله وبه التوفيق ، وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لا نألنا لعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية الكريمة وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جاريا على قياس جميع الاحكام على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص وقد اغتفر فيه من الامور ما لم يغتفر في غيره فاذا قامت قرينة الرية حلف هذا الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ثم قوله تعالى (تحبسونهما من بعد الصلاة) قال العوفي عن ابن عباس يعني صلاة العصر وكذا قال سعيد بن جبير وابراهيم النخعي وقتادة وعكرمة ومحمد بن سيرين وقال الزهري يعني صلاة المسلمين وقال السدي عن ابن عباس يعني صلاة أهل دينها وروى عن عبد الرزاق عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة وكذا قال ابراهيم وقتادة وغير واحد ، والمقصود أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة

بعض الورثة وادعوا عليها خيانة فالحكم فيه أن ~~لا تحبسونهما~~ أي تسترققونهما ~~من بعد الصلاة~~ أي بعد الصلاة ومن صلة يريد بعد صلاة العصر . هذا قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين لأن جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويحبتون فيه الحلف بالكاذب . وقل الحسن : أراد من بعد الصلاة الظهر . وقال السدي : من بعد صلاة أهل دينها ومثلها لأنهما

اجتمع الناس فيها بحضرتهم (فيقسمان بالله) أى فيحلفان بالله (ان ارتبتم) أى ان ظهرت لكم ريبة ريبة انها خانا أو غلا فيحلفان حينئذ بالله (لا نشترى به) أى بأيماننا قاله مقاتل بن حيان (ثمنا) أى لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المشهود عليه قريباً لنا لانحايه (ولا نكتم شهادة الله) أضافها الى الله تشریفاً لها وتعظيماً لامرها وقرأ بعضهم (ولا نكتم شهادة الله) مجروراً على القسم رواها ابن جرير عن عامر الشعبي وحكي عن بعضهم أنه قرأها (ولا نكتم شهادة الله) والقراءة الاولى هي المشهورة (إنا اذاً لمن الآمين) أى ان فعلنا شيئاً من ذلك من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمانها بالكلية ، ثم قال تعالى (فان عثر على أنها استحقا انما) أى فان اشهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين أنها خانا أو غلا شيئاً من المال الموصى به اليهما وظهر عليهما بذلك (فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان) هذه قراءة الجمهور (استحق عليهم الاوليان)

لا يبايان بصلاة العصر ﴿ فيقسمان ﴾ يحلفان ﴿ بالله إن ارتبتم ﴾ أي شككتكم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقتهما ، أي في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم فان كانا مسلمين فلا يمين عليهما ﴿ لا نشترى به ثمناً ﴾ أي لانحلف بالله كاذبين على عوض نأخذ ، أو مال نذهب به ، أو حق ننجده ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ ولو كان المشهود له ذا قرابة منا ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها ، وقرأ يعقوب شهادة بتنوين آله ممدود وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم ، وروى عن أبي جعفر شهادة منونة الله بقطع الالف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين أي والله ﴿ إنا اذاً لمن الآمين ﴾ أي إن كتمانها كنا من الآمين ، فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعاً تيمناً وعدياً فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو ثم لما لم يختارنا شيئاً مما دفع اليهما فحلفا على ذلك وخلقى رسول الله ﷺ سبيلهما ثم ظهر الاناء واختلفوا في كيفية ظهوره ، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وجد بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدي . وقال الآخرون : لما ظالت المدة أظفروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا : إنا كنا قد اشتريناه منه هذا ، فقالوا ألم تزعما أن صاحبنا لم يبيع شيئاً من متاعه ، قال لم يكن عندنا بيعة فكرهنا أن نقر لكم به فكتماناه لذلك فرفعهما إلى رسول الله ﷺ

فأنزل الله عز وجل ﴿ فان عثر ﴾ أي اطلع على خيانتهم وأصل العثور الوقوع على الشيء ﴿ على أنهما ﴾ يعني الوصيين ﴿ استحقا ﴾ استوجبا ﴿ إيماناً ﴾ بخيانتهم وأيمانهم الكاذبة ﴿ فآخران ﴾ من أولياء الميت ﴿ يقومان مقامهما ﴾ يعني مقام الوصيين ﴿ من الذين استحق ﴾ بضم التاء على المجهول هذا قراءة العامة يعني الذين استحق ﴿ عليهم ﴾ أي فيهم ولاجلهم الأثم وهم ورثة الميت استحق الحالفات بسببهم الأثم ، وعلى بمعنى في كما قال الله (على ملك سليمان) وقرأ حفص استحق بفتح التاء والحاء وهي قراءة علي والحسن أي حق ووجب عليهم الأثم يقال حق واستحق بمعنى واحد ﴿ الاوليان ﴾ نعت للآخران ، أي فآخران الاوليان وانما جاز ذلك ، والاوليان معرفة ، والآخران

وزوي عن علي وأبي الحسن البصري أنهم قرؤوها (استحق عليهم الاوليان) وروى الحاكم في المستدرک من طريق اسحاق بن محمد الفردي عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ (من الذين استحق عليهم الاوليان) ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقرأ بعضهم ومنهم ابن عباس (من الذين استحق عليهم الاوليان) وقرأ الحسن (من الذين استحق عليهم الاوليان) حكاه ابن جرير فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى بذلك أى متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتها فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا من أولى من يرث ذلك المال (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى لقولنا انها خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة (وما اعتدينا) أى فيما قلنا فيهما من الخيانة (إنا إذا لمن الظالمين) أى إن كنا قد كذبنا عليهما وهذا التحليف للورثة والرجوع الى قولهما والحالة هذه كما يحلف أولياء المقتول اذا ظهر لوث في جانب القاتل فيقسم المستحقون على القاتل فيدفع برمته اليهم كما هو مقرر في باب القسامة من الاحكام، وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن أبي النضر عن باذان يعني أباصالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت) قال بريء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة معه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فرض فارصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم واقتسمناه أنا وعدي فلما قدمنا الى أهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ماترك غير هذا وما دفعنا اليها غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فاخبرتهم الخبر ودفعت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا عليه فامرهم النبي أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الى قوله (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء وهكذا رواه أبو عيسى

نكرة لأنه لما وصف الآخران فقال (من الذين) صار كالمعرفة في المعنى (والاوليان) تنبيه الاولى والاولى هو أقرب . وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب الاولين بالجمع فيكون بدلا من الذين والمراد منهم أيضاً أولياء الميت ، ومعنى الآية اذا ظهرت خيانة الخالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ يعني يميننا أحق من يمينها نظيره قوله تعالى في اللعان (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) والمراد بها الايمان فهو كقول القاتل : أشهد بالله ، أي أقسم بالله ﴿ وما اعتدينا ﴾ في أيماننا وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿ إنا إذا لمن الظالمين ﴾

فما نزلت هذه الآية قام عمر بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان خلفا بالله بعد العصر فدفع الاناء اليهما وإلى أولياء الميت ، وكان تميم الداري بعد ما أسلم يقول : صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء فأتوب إلى الله وأستغفره ، وأما انتقل العيين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه والوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال إنه أوصى لي به حلف الوارث إذا أنكر ذلك ، وكذلك

وهذان اسنادان صحيحان الى الشعبي عن أبي موسى الاشعري، فقلوه هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ الظاهر والله أعلم انه انما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء وقد ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرا يحتاج مدعي نسخه الى دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم

وقال أسباط عن السدي في الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) قال هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وما عليه قال هذا في الحضر (أو آخران من غيركم) في السفر (ان أنتم ضربتم في الارض فأصابكم مصيبة الموت) هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصي اليهما ويدفع اليهما ميراثه فيقبلان به فان رضي أهل الميت الوصية وعرفوا مالصاحبهم تركوها وإن ارتابوا رفعوها الى السلطان فذلك قوله تعالى (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه كأنني انظر الى العلجين حين انتهي بهما الى أبي موسى الاشعري في داره ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوفوها فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلت انهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما فيحلفان بالله (لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكنتم شهادة الله انا اذا لمن الآمين) ان صاحبهم لهذا أوصى وان هذه تركته فيقول لها الامام قبل أن يحلفا انكما ان كنتم أو خننا فضحتكما في قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فاذا قال لها ذلك (فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما قال في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية قالوا اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فاذا قدما بتركته فان صدقتهما الورثة قبل قولهما وان آتاهما حلفا بعد صلاة العصر بالله ما كنتمنا ولا كذبنا ولا خنا ولا غيرنا، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فان ارتب في شهادتهما استحلفا بعد العصر بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا فان اطعم الاولياء على أن الكافر ين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فذلك قوله (فان عثر على انهما استحقا

لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي حلف المدعي أنه لم يبيعها منه ، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن تميم الداري قال : كنا بعنا الاناء بألف درهم فقسمتها أنا وعدي ، فلما أسلمت تأملت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثله فأتوا به إلى رسول الله ﷺ وحلف عمرو والمطلب فبرعت الخمسة من عدي ورددت أنا الخمسة

أما يقول ان اطالع على أن الكافرين كذبا (فأخران يقومان مقامهما) يقول من الاولياء فخلعنا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فتد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء وهكذا روى العوفي عن ابن عباس رواهما ابن جرير وهكذا قرر هذا الحكم علي مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف رضي الله عنهم وهو مذهب الامام أحمد رحمه الله ، وقوله (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) اي شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذميين واستريب بهما أقرب الى اقامتهما الشهادة على الوجه المرضي

وقوله (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أن يكون الحامل لهم على الاتيان بها على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه واجلاله والخوف من الفضيحة بين الناس ان ردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) ثم قال (واتقوا الله) أي في جميع أموركم (واسمعوا) أي وأطيعوا (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا أعلم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٨) هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما أجبوا به من أمهم الذين أرسلهم اليهم كما قال تعالى (فلنساءن الذين أرسل اليهم ولنساءن المرسلين) وقال تعالى (فوربك لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقول الرسل (لا أعلم لنا) قال مجاهد والحسن البصري والسدي إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم قال عبد الرزاق عن الثوري عن الاعمش عن مجاهد (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) فيفزعون فيقولون (لا أعلم لنا) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكيم حدثنا عنبسة قال سمعت شيخا يقول سمعت الحسن يقول في قوله (يوم يجمع الله الرسل) الآية قال من هول ذلك اليوم

فذلك قوله تعالى ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر ، وأخرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم ، أي أقرب إلى الاتيان بالشهادة على ما كانت ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أي أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرما فلا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم ﴿واتقوا الله﴾ أن تحلفوا أيماناً كاذبة وتخونوا أمانة ﴿واسمعوا﴾ الموعدة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾

قوله عز وجل ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ وهو يوم القيامة ﴿فيقول﴾ لهم ﴿ماذا أجبتم﴾ أي ما الذي أجابتكم أمتم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتهم إلى توحيدى وطاعتي ﴿قالوا﴾ أي ﴿لا أعلم لنا﴾ قال ابن عباس معناه لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا وقيل لا علم لنا بوجه الحكمة

وقال أسباط عن السدي يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا (ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فلما سئلوا قالوا (لا علم لنا) ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم رواه ابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الحجاج عن ابن جريج قوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) أي ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا (لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) يقولون للرب عز وجل لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا رواه ابن جرير ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء فنحن وإن صكنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلاً علم فأنك (أنت علام الغيوب)

إذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبري في الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١)

يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات فقال (اذكر نعمتي عليك) أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر

عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا . وقال ابن جريج : لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد ، دليله أنه قال ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ أي أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي » فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي : إن للقيامة أهوالاً وزلازل نزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما تاب إليهم عقوبتهم يشهدون على أنهم قولة تعالى ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك ﴾ قال الحسن : ذكر النعمة شكرها

وجعلني إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء (وعلى والدتك) حيث جعلتك لها برهاناً على براعتها مما نسبته الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة (إذ أيدتك بروح القدس) وهو جبريل عليه السلام وجعلتك نبياً داعياً إلى الله في صغرك وكبرك فأنطقك في المهد صغيراً فشهدت ببراءة أمك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية رآخبرت عن رسائي إياك ودعوت إلى عبادتي ولهذا قال (تكلم الناس في المهد وكهلاً) أي تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك وضمن تكلم تدعوا لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب وقوله (وإذ علمت الكتاب والحكمة) أي الخط والفهم (والتوراة) وهي المنزلة على موسى بن عمران السكليم وقد يرد لفظ التوراة في الحديث ويراد به ما هو أعم من ذلك وقوله (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر باذني لك في ذلك فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني أي فتندخ في تلك الصورة التي شكلتها باذني لك في ذلك فتكون طيراً ذا روح تطير باذن الله وخلفه

وقوله تعالى (وتبريء الأكمه والابرص باذني) قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته

وقوله (وإذ تخرج الموتى باذني) أي تدعوهم فيقومون من قبورهم باذن الله وقدرته وإرادته ومشيتته، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا محمد بن طلحة يعني ابن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قال كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى (تبارك الذي بيده الملك) وفي الثانية (ألم تنزل) السجدة فإذا فرغ منهما مدح الله واثني عليه ثم دعا بسبعة أسماء ياقديم ياخفي يادائم يافرد ياتر ياأحد يا صمد وكان إذا أصابته سديدة دعا بسبعة أخر يا حي يا قيوم يا الله يارحم يا ذا الجلال والإكرام يا نور السموات والأرض وما بينهما رب العرش العظيم يارب وهذا أثر عظيم^(١) جداً

«١» وفي المكية

عجيب

وقوله تعالى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان

وأراد بقوله (نعمتي) أي نعمي لفظه واحد ومعناه جمع كقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (وعلى والدتك) مريم ثم ذكر النعم فقال (إذ أيدتك) قويتك (بروح القدس) يعني جبريل عليه السلام (تكلم الناس) يعني وتكلم الناس (في المهد) صبياً (وكهلاً) نبياً . قال ابن عباس أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة فكثرت في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه (وإذ علمت الكتاب) يعني الخط (والحكمة) يعني العلم والفهم (والتوراة والانجيل) (وإذ تخلق) تجعل وتصور (من الطين كهيئة الطير) كصورة الطير (باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً) حياً تطير (باذني وتبريء) وتصحح (الأكمه والابرص باذني) (وإذ تخرج الموتى) من قبورهم أحياء (باذني) (وإذ كففت) منعت وضرفت (بني إسرائيل) يعني اليهود (عنك) حين هموا بقتلك (إذ جئتهم بالبينات)

هذا الاسحر مبین) أي واذكر نعمتي عليك في كفي اياهم عنك حين جشتمهم بالبرانيين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله اليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك الي وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على ان هذا الامتنان كان من الله اليه بعد رفعه الى السماء الدنيا أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من اسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً ﷺ وقوله (وإذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي) وهذا أيضاً من الامتنان عليه عليه السلام بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً ثم قيل المراد بهذا الوحي وحي الهام كما قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى ان ارضعيه) الآية وهو وحي الهام بلا خلاف وكما قال تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذاللا) الآية وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية (وإذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) أي اهتموا ذلك فامتثلوا ما أهتموا قال الحسن البصري اهتمهم الله عز وجل ذلك وقال السدي قذف في قلوبهم ذلك ويحتمل أن يكون المراد واذ أوحيت اليهم بواسطتك فدعوتهم الى الايمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا (آمنا بالله واشهد باننا مسلمون)

اذ قال الحواريون يعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرزقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥) هذه قصة المائدة واليه تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله

يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات وهي التي ذكرنا، وسميت بالبينات لأنها مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين ﴿ فقال الذين كفروا منهم إن هذا ﴾ ما هذا ﴿ إلا سحر مبين ﴾ يعني مجاءهم به من البينات، وقرأ حمزة والكسائي ساحر مبين ههنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعا إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعا إلى محمد ﷺ

﴿ واذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ أي اهتمهم وقذفت في قلوبهم . وقال أبو عبيدة : يعني أمرت وإلى صلة والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام ﴿ أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ عيسى ﴿ قالوا ﴾ حين وفقتهم ﴿ آمنا واشهد باننا مسلمون ﴾ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ﴿

عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فانزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الائمة أن قصتها ليست مذكورة في الانجيل ولا يعرفها النصارى الا من المسلمين فالله أعلم بقوله تعالى (إذ قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) هذه قراءة كثيرين وقرأ آخرون (هل يستطيع ربك) أي هل تستطيع أن تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) والمائدة هي الخوان عليه طعام وذكر بعضهم أنهم لما سألو ذلك لحاجتهم وفقيرهم فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي فاجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم اتقوا الله ولا تسألوا هذا ففساء أن يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق ان كنتم مؤمنين (قالوا نريد أن نأكل منها) أي نحن محتاجون الى الاكل منها (وتطمئن قلوبنا) اذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء (ونعلم أن قد صدقتنا) أي ونزداد إيماناً بك وعلماً برسائلك

قرأ الكسائي (هل يستطيع) بالياء ووجه الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد أي هل يستطيع أن تدعو وتسأل ربك ، وقرأ الآخرون يستطيع بالياء وربك برفع الباء ولم يقولوا شاكين بقدرة الله عز وجل ، ولكن معناه هل ينزل ربك أم لا ؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل يستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع ، وإنما يريد أن يفعل ذلك أم لا ؟ وقيل يستطيع بمعنى يطعم يقال أطاع واستطاع بمعنى واحد كقولهم أجاب واستجاب معناه هل يطعمك ربك باجابة سؤالك ، وفي الآثار « من أطاع الله أطاعه الله » وأجرى بعضهم على الظاهر فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرأ فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظما لقولهم (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي لا تشكوا في قدرته « أن ينزل علينا مائدة من السماء » المائدة الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة من مادة يميد اذا أعطاه وأطعمه كقوله ماره يميره وامتار افتعل منه ، والمائدة هي المطعمة المعطية للآكلين وسعي الطعام أيضاً مائدة على الجوار^(١) لأنه يؤكل على المائدة . وقال أهل الكوفة : سميت مائدة لأنها تميد بالآكلين أي تميل . وقال أهل البصرة فاعلة بمعنى المفعولة يعني ميد بالآكلين اليها كقوله تعالى (عيشة راضية) أي مرضية (قال) عيسى عليه السلام محبباً لهم (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فلا تشكوا في قدرته ، وقيل اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم يسأله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان (قالوا نريد) أي انما سألنا لانا نريد (أن نأكل منها) أكل تبرك لا أكل حاجة فتستيقن قدرته (وتطمئن) وتسكن (قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا) بأنك رسول الله ، أي نزداد إيماناً و يقيناً ، وقيل إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً فاذا أفطروا لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا : ونعلم أن قد صدقتنا في قولك أنا اذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى

« ١ » في الهندية
« الخوان » وما هنا
أولى

(ونكون عليهما من الشاهدين) أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا) قال السدي أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان الثوري يعني يوماً نصلي فيه وقال قتادة أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان الفارسي عظة لنا ولمن بعدنا وقيل كافية لأولنا وآخرنا (وآية منك) أي دليلاً تنصبه على قدرتك على الاشياء وعلى اجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك (وارزقنا) أي من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب (وأنت خير الرازقين) قال الله أنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم) أي فمن كذب بهما من أمتك يا عيسى وعاندها (فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) أي من عالمي زمانكم كقوله تعالى (وبوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وكقوله (أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وقد روى ابن جرير من طريق عوف الاعرابي عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر قال إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون

﴿ ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين ﴾

قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حماد بن عيسى عن عمار بن عباس أنه كان يحدث عن عيسى أنه قال لبني إسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ثم تسألوه شيئاً إلا أعطانا ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة ، وقيل ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم

﴿ قال عيسى ابن مريم ﴾ عند ذلك ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴾ وقيل إنه اغتسل ولبس المسح وصلّى ركعتين وطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴿ تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ﴾ أي عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً والعيد يوم السرور سمي به للعود من الترح إلى الفرح وهو اسم لما اعتدته ويعود اليك وسمي يوم الفطر والاضحى عيداً لأنهما يعودان في كل سنة . قال السدي : معناه تتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا أي نعظمه نحن ومن بعدنا . وقال سفيان : نصلي فيه ، قوله (لا أولنا) أي لأهل زماننا (وآخرنا) أي لمن يجي بعدهنا . وقال ابن عباس : يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم ﴿ وآية منك ﴾ دلالة وحجة ﴿ وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ قال الله ﴿ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام ﴾ ﴿ إني منزلها عليكم ﴾ يعني المائدة . قرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعل يدل على التكرير وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله أنزل علينا ﴿ فمن يكفر بعد منكم ﴾ أي بعد نزول المائدة ﴿ فاني أعذبه عذاباً ﴾ أي جنس عذاب ﴿ لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ يعني عالمي زمانه فجحدوا وكفروا بعد

(م ٣٥ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

فيعطيكُم ما سألتُم فإن أجر العامل على من عمل له ، ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا أن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطمعنا حين نفرغ طعاماً فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) قال فاقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم كذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الألبان عن عقيل عن ابن شهاب قال كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه . وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زرعة وهبة الله ابن راشد حدثنا عقيل بن خالد أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قالوا له ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء قال فنزلت الملائكة بالمائدة يحملونها عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم ،

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يبخونوا ولا يرفعوا الغد فخافوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنزير وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة ثم رواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن أبي عون عن سعيد عن قتادة عن جلاس عن عمار قال نزلت المائدة وعليها تمر من ثمار الجنة فأمرهم أن لا يبخونوا ولا يخبأوا ولا يدخروا قال فخاف القوم وخبأوا وادخروا فمسخهم الله قردة وخنزير ، وقال ابن جرير حدثنا ابن المنثري حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال صليت إلى جانب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال قلت لا قال أنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يـُـسـَـكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخبأوا أو نخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فإني معذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين قال

نزول المائدة فمسخوا قردة وخنزير قال عبد الله بن عمرو : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا ؟ فقال مجاهد والحسن : لم تنزل فان الله عز وجل لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل ، وقوله (إني منزلها عليكم) يعني إن سألتهم ، والصحيح الذي عليه الأكثر أنها نزلت لقوله تعالى (إني منزلها عليكم) ولا خلاف في خبره

فما مضى يومهم حتى خباوا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين وانكم يامعشر العرب كنتم تتبعون أذناب الابل والشاء فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم انكم ستظهرون على العجم ونهاكم أن تكتنزوا الذهب والفضة وإيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكتنزوها ويعذبكم الله عذاباً أليماً . وقال حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثني حجاج عن أبي معشر عن إسحاق بن عبد الله أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ماشاءوا قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت ، وقال العوفي عن ابن عباس نزل على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا اذا شاءوا . وقال خصيف عن عكرمة ومقسم عن ابن عباس كانت المائدة سمكة وأرغفة ، وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال أبو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزاً وسمكاً وقال عطية العوفي المائدة سمك فيه طعم كل شيء . وقال وهب بن منبه أنزلها من السماء على بني اسرائيل فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فاكلوا ماشاءوا من ضروب شتى فكان يقعد عليها أربعة آلاف وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لثامهم فلبثوا على ذلك ماشاء الله عز وجل وقال وهب بن منبه نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات وحشا الله بين أضعاف البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا . وقال الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير أنزل عليها كل شيء إلا اللحم . وقال سفیان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة وجريز عن عطاء عن ميسرة قال كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليهم الايدي بكل طعام إلا اللحم وعن عكرمة كان خبز المائدة من الارز رواء بن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن علي فيما كتب إلي حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن

ولتواتر الاخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين^(١) واختلفوا في صفته فروى خلاص بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحمًا ، وقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبثوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبثوا فمسخوا قردة وخنزير . وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن عيسى عليه السلام قال لهم : صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم . قال كعب الاحبار : نزلت مائدة مكنوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام إلا اللحم . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال قتادة : كان عليها ثمر من ثمار الجنة . وقال عطية العوفي : نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . وقال الكاظمي : كان عليها خبز رز وبقل . وقال وهب بن منبه : أنزل الله أقرصة من شعير

«١» دعوى التواتر
ممنوعة فلو تواترت ما
خفيت عن الحسن
ومجاهد من كبار
مفسري التابعين
وأكثر الأئمة فيها من
الاسرائيليات

ابراهيم بن أبي عبيد الله بن مرداس العبدي مولى بني عبد الدار عن ابراهيم بن عمر عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الخير أنه قال لما سأل الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جدا فقال اقنعوا بما رزقكم الله في الارض ولا تسألوا المائدة من السماء فانها ان نزلت عليكم كانت آية من ربكم وانما هلكتمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها . فأبوا الا أن يأتيهم بها فلذلك (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) الآية فلما رأى عيسى أن قد أبوا الا أن يدعو لهم بها قام فالتقى عنه الصوف ولبس الشعر الاسود وجبة من شعر وعبادة من شعر ثم توضأ واغتسل ودخل مصلاه فصلى ماشاء الله فلما قضى صلاته قام قائما مستقبل القبلة وصرف قدميه حتى استويا فالصق الكعب بالكعب وحاذى الاصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأ رأسه خشوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فلما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الارض حيال وجهه من خشوعه فلما رأى ذلك دعا الله فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) فانزل الله عليهم سفرة حمراء بين غماتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها في الهواء منقضة من فلاك السماء تهوي اليهم وعيسى يبكي خوفا من أجل الشروط التي أخذها الله عليهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابا ، لم يعذبه أحدا من العالمين ، وهو يدعو الله في مكانه ويقول اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تجعلها عذابا ، الهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني ، الهي اجعلنا لك شاكرين ، اللهم اني أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضبا ورجزا الهي اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة . فلما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثله قط وخر عيسى والحواريون لله سجدا شكرا له لما رزقهم من حيث لم يحسبوا ، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة ، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا

وحيتانا وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيي . آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل ، وعن الكلبي ومقاتل أنزل الله خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة فأكلوا ماشاء الله تعالى والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد ، قالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرته ، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره ومسحوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فكثروا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ . وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسوى لبني اسرائيل . وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال (اللهم أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فنزلت سفرة حمراء بين غماتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي خافضة حتى سقطت بين أيديهم فبكي عيسى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط

أمرا عجيبا اورثهم كذا وغما، ثم انصرفوا بغيظ شديد، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة فاذا عليها منديل مغطى فقال عيسى من أجرا أنا على كشف المنديل عن هذه السفرة وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر باسمه ونأكل من رزقه الذي رزقنا فقال الحواريون ياروح الله وكلمته أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عنها. فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضواً جديداً ثم دخل مصلاه فصلى كذلك ركعات ثم بكى بكاء طويلاً ودعا الله أن ياذن له في الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقاً ثم انصرف وجلس الى السفرة وتناول المنديل وقال بسم الله خير الرازقين، وكشف عن السفرة فاذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً قد تحرق بها بقول من كل صنف غير الكراث وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى ياروح الله وكلمته أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى أما أن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقيير المسائل؟ ما أخوفي عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية فقال له شمعون لا وإله اسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة فقال عيسى عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة، فقال له كن فكان أسرع من طرفة عين، فكلوا مما سألتهم بسم الله واحمدوا عليه ربكم يزدكم منه ويزدكم فانه بديع قادر شاكراً. فقالوا ياروح الله وكلمته إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية فقال عيسى سبحانه الله أما اكتفتيم بما رأيتم من هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام

ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصغير رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين. فاذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها، ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتهم يمددكم ويزدكم من فضله، فقالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها من سألها. فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال: كلوا من رزق الله ولكم المنأواغير كم البلاء. فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل

«١» في النسخة
الاميريه وانحازوا

على السمكة فقال باسمكة عودي باذن الله حية كما كنت فأحيها الله بقدرته فاضطربت وعادت باذن الله حية طرية تلمظ كما يتلمظ الاسد تدور عينها لها بصيص وعادت عليها بواسيرها ففزع القوم منها وانحاسوا^(١) فلما رأى عيسى منهم ذلك قال ما لكم تسألون الآية فاذا أراكوها ربكم كرهتموها؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون ، باسمكة عودي باذن الله كما كنت فعادت باذن الله مشوية كما كانت في خلقها الاول، فقالوا يا عيسى كن أنت ياروح الله الذي تبدأ بالاكل منها ثم نحن بعده، فقال عيسى معاذ الله من ذلك . يبدأ بالاكل من طلبها . فلما رأى الحواريون وأصحابه امتناع عيسى منها خافوا أن يكون نزولها سخطة وفي أكلها مشقة فتحاموها فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمنى وقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله الذي أنزلها لكم فيكون منهوؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلكم باسم الله واختموه بحمد الله . ففعلوا فأكل منها ألف وثلثمائة انسان بين رجل وامرأة يصعدون عنها كل واحد منهم شعبان يتجشأ ، ونظر عيسى والحواريون فاذا ما عليها كهيئة إذ نزلت من السماء لم ينقص منها شيء ثم أنها رفعت الى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبرىء كل زمن أكل منها فلم يزالوا أغنياء أصبحوا حتى خرجوا من الدنيا، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتهم في قلوبهم الى يوم المات. قال وكانت المائدة اذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو اسرائيل اليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والاصحاء والمرضى يركب بعضهم بعضا فلما رأى ذلك جعلها نوبا بينهم تنزل يوما ولا تنزل يوما فلبثوا على ذلك أربعين يوما تنزل عليهم غبا عند ارتفاع النهار فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى اذا قالوا ارتفعت عنهم الى جو السماء باذن الله وهم ينظرون الى ظلمها في الارض حتى توارى عنهم قال فأوحى الله الى نبيه عيسى عليه السلام أن اجعل رزقي في المائدة للفقراء واليتامى والزمنى دون الاغنياء من الناس، فلما فعل ذلك ارتاب بها الاغنياء من الناس وغمضوا ذلك حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر وادرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق فانه قد ارتاب بها منا بشر كثير؟ فقال عيسى عليه السلام

وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلي كلهم شعبان واذا السمكة كهيئة حين نزلت ، ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون اليها حتى توارت بالحجاب فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلي إلا عوفي ، ولا فقير إلا استغنى ، وندم من لم يأكل منها فلبث أربعين صباحا تنزل ضحى ، فاذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء ، والصغار والكبار ، والرجال والنساء ، ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء النفي طارت صعداً وهم ينظرون اليها في ظلمها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناية عنود فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون

هددكم وإله المسيح طلبتم المائدة الى نبيكم أنت يطلبها لكم الى ربكم فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقا وأراكم فيها الآيات وانعبر كذبتم بها وشككنتم فيها فابشروا بالعذاب فإنه نازل بكم الا أن يرحمكم الله . فأوحى الله الى عيسى أني آخذ المكذبين بشرطي فاني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . قال فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين فلما كان في آخر الليل مسحهم الله خنازير فأصبحوا يتبعون الاقدار في الكناسات ، هذا أثر غريب جداً قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم

وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني اسرائيل أيام عيسى بن مريم اجابة من الله لدعوته كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم (قال الله إني منزلها عليكم) الآية ، وقال قائلون انها لم تنزل فروى ليث ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم هو ابن سلام حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم ، وقال أيضاً حدثنا ابو المثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة انها لم تنزل . وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل ، وهذه أسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد والله أعلم ولكن الذي عليه الجمهور انها نزلت وهو الذي اختاره ابن جرير قال لان الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى (إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قال ووعد الله ووعده حق وصدق وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الاخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير نائب بني أمية في فتوح بلاد

الافرنجاء ، فعظم ذلك على الافرنجاء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا : أترون المائدة حقاً تنزل من السماء ؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم) فمسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على أفرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا

المغرب وجد المائدة هنالك مرصعة بالآلي، وأنواع الجواهر فبعث بها الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق فمات وهي في الطريق فحملت الى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده فرآها الناس فتعجبوا منها كثيراً لما فيها من اليواقيت النفيسة والجواهر اليتيمة ويقال إن هذه المائدة كانت لسليمان بن داود عليهما السلام فالله أعلم . وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال « وتفعلون؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : ان شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . قال « بل باب التوبة والرحمة » ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري به

واذ قال الله يعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم الا ما أمرني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فاعذبهم عذابك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (١١٨)

هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذوه وأمه الهين من دون الله (يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الاشهاد هكذا قاله قتادة وغيره واستدل قتادة على ذلك بقوله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقال السدي هذا الخطاب والجواب

إلى عيسى عليه السلام وبكوا ، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكّت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشiron برءوسهم ويبكون ولا يقدرّون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ اختلفوا في أن هذا القول متي يكون؟ فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لان حرف إذ يكون للماضي . وقال سائر المفسرين : انا يقول الله له هذا القول

في الدنيا قال ابن جرير هذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه الى السماء الدنيا . واحتج ابن جرير على ذلك بمئين (أحدهما) أن الكلام بلفظ الماضي (والثاني) قوله : (إن تعذبهم) إن تعذبهم وهم وهذان الدليلان فيهما نظر لأن كثيراً من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ الماضي ليدل على الوقوع والثبوت ومعنى قوله (إن تعذبهم فأنهم عبادك) الآية التبري منهم ورد المشيئة فيهم الى الله وتعالى ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات والذي قاله قتادة وغيره هو الاظهر والله أعلم ان ذلك كان يوم القيامة ليدل على تهديد النصارى ونقر بعهم وتوبيخهم^(١) على ردوس الاشهاد يوم القيامة وقدر روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبدالله مولى عمر بن عبد العزيز وكان ثقة قال سمعت أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة دعي بالانبياء وأممهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها فيقول (يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الآية ثم يقول (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيستلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى عليه السلام فيأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى ترفع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم الى النار» وهذا حديث غريب عزيز

وقوله (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طارس عن أبي هريرة قال يلقي عيسى حجته ولفظه الله تعالى في قوله (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) قال أبو هريرة عن النبي ﷺ فلما قال الله (سبحانك ما يكون لي أن أقول

يوم القيامة بدليل قوله من قبل (يوم يحم الله الرسل) وقال من بعد (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وأراد بهما يوم القيامة وقد تجي: إذ بمعنى إذا كقوله عز وجل (ولو ترى إذ فزعوا) أي إذا فزعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بسد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لاحالة قوله (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فان قيل فما وجه هذا السؤال عنه؟ مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله، قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لاخر: أفعلت كذا وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله اعلما واستعظاما لاستخبار أراستفهاما، وأيضاً أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك. قال أبو روق إذا مع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة على جسده عين من دم ثم يقول بحميد الله عز وجل ﴿قال سبحانك﴾ تنزيها وتعظيماً لك ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس﴾ (م ٣٦ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

(١) ما بعد هذا
ساقط من النسخة
الملكيه الى نهاية الحديث

ما ليس لي بحق (إلى آخر الآية) وقد رواه الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن طاوس بن عوف
 وقوله (ان كنت قلته فقد علمته) أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته يارب فانه لا يخفى عليك شي، فما
 قلته ولا اردته في نفسي ولا أضرت به ولهذا قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) انك انت
 علام الغيوب * ما قلت لهم الا ما أمرتني به (بإبلاغه) (أن عبدوا الله ربي وربكم) أي مادعوتهم الا إلى
 الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه (أن عبدوا الله ربي وربكم) أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله
 (وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم) أي كنتم أشهد على أعمالهم حين كنتم بين أظهرهم (فلما توفيتني
 كنتم انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة قال انطلقت
 أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملى على سفيان وأنا معه فلما قام اتت شعبة من سفيان فحدثنا
 قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال «يا أيها
 الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا (كما بدأنا أول خلق نعيده) وإن أول الخلائق
 يكسى يوم القيامة إبراهيم الا وانه يحاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول «اصحابي»
 فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم
 فلما توفيتني كنتم انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم
 فانك انت العزيز الحكيم) فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» ورواه
 البخاري عن هذه الآية عن أبي الوليد وعن شعبة وعن محمد بن كثير عن سفيان الثوري كلاهما عن
 المغيرة بن النعمان به

وقوله (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) هذا الكلام يتضمن رد المشيئة
 إلى الله عز وجل فانه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويتضمن التبري من النصارى الذين
 كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية
 لها شأن عظيم ونبا عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يردد

لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك * قال ابن عباس: تعلم ما في
 غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل تعلم سري ولا أعلم سرك. وقال أبو روق: تعلم ما كان مني في دار
 الدنيا، ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة. وقال الزجاج: النفس عبارة عن جملة الشيء، وحقيقته يقول
 تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك * (انك أنت علام الغيوب) * ما كان وما يكون
 * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربي وربكم * وحده ولا تشركوا به شيئاً * وكنتم
 عليهم شهيذاً ما دمت * أقت * فيهم فلما توفيتني * قبضتني ورفعني إليك * (كنت أنت الرقيب عليهم)
 الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم * وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فانهم عبادك، وإن تغفر لهم
 فانك أنت العزيز الحكيم * فان قيل كيف طلب المغفرة لهم؟ وهم كفار وكيف قال؟ (وإن تغفر لهم فانك

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثني فليت العامري^(١) عن جسة العامرية عن أبي ذر رضي الله عنه قال صلى النبي ﷺ ذات ليلة فقراً بآية حتى أصبح يركم بها ويسجد بها (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فلما أصبح قلت يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركم بها وتسجد بها؟ قال «اني سألت ربي عز وجل الشفاعة لامتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً»

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا قدامة بن عبد الله^(٢) حدثني جسة بنت دجاجة انها انطلقت معتمرة فانتبهت الى الربرة فسمعت أبا ذر يقول قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف الى رحله فلما رأى القوم قد أخذوا الم كان رجع الى مكانه يصلي فجئت فقمته خلفه فأومأ اليّ بيمينه فقمته عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه فأومأ ليه بشمائه فقام عن شمالي فقمنا ثلاثاً يصلي كل واحد منا بنفسه وتتلو من القرآن ماشاء الله ان تتلو وقام بآية من القرآن ردها حتى صلى الغداة فلما أصبحنا اومأت الى عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد الى ما صنع البارحة فقال ابن مسعود بيده لأسأله عن شيء حتى يحدث اليّ فقلت بأبي وأمي قت بآية من القرآن ومعك القرآن لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال «دعوت لأمتي» قلت فماذا أجبت أو ماذا رد عليك؟ قال «أجبت بالذي لو اطعم عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة» قلت أفلا أبشر الناس؟ قال «بلى» ناناطلقت معنفاً قريباً من قذفة بحجر فقال عمر يا رسول الله انك ان تبعث الى الناس بهذا نكلوا عن العبادات فناداه أن «ارجع» فرجع وتلك الآية (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر

أنت العزيز الحكيم) وهذا لا يليق بسؤال المغفرة، قيل أما الاول فعناه إن تعذبهم باقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الايمان وهذا يستقيم على قول السدي أن هذا السؤال قبل يوم القيامة لان الايمان لا ينفع في القيامة، وقيل هذا في الفريقين منهم معناه أن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم وقيل ليس هذا على وجه طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال (أنت الغفور الرحيم) ولكنه على تسليم الامر وتفويضه إلى مراده، وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ (وإن تغفر لهم فانك أنت الغفور الرحيم) وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره إن تغفر لهم فانهم عبادك، وإن تعذبهم فانك أنت العزيز، وقيل معناه: إن تعذبهم فانهم عبادك، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء، لا ينقص من عرك شيء ولا يخرج من حكمك. ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته السكمار، ولكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره

«١» ويقال أفلت أيضاً كما يقال الهذلي بدل العامري وثقه بعضهم وضعفه بعض وقالوا مجهول وتوسط أحمد فقال لا بأس به. وقد انفرد عن جسة بحديث «لا أحصل المسجد الحنب ولا حائض» فضغفه بجهالته كما قال الخطابي وقال ابن حزم انه حديث باطل

«٢» قال بعضهم أن قدامة هذا هو فليت أو أفلت العامري ومهم سفيان الثوري فتكون الطريق واحدة. وأن مثلاً الحديث المجري على المعاصي المخالف لمهيج القرآن أولى بالتضعيف من حديث المسجد الذي لا خلاف في معناه

ابن سواده حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول عيسى (أن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فإني أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه فقال « اللهم أمي » وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد — وربك أعلم — فأسأله ما يسئله فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وقال الامام أحمد حدثنا حسين قال حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابن هبيرة أنه سمع أبا نعيم الجيثاني يقول حدثني سميد بن المسيب سمعت حذيفة بن اليمان يقول غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلم يخرج حتى خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال « ان ربي عز وجل استشارني في أمي ماذا أفعل بهم » فقلت ما شئت أي رب هم خلائك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فقال لأخضيك في أمتك يا محمد وبشرني ان أول من يدخل الجنة من أمي معي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي فقال ادع نجب وسل تعط ، فقلت لرسوله أو يعطي ربي سؤلي ؟ فقال ما أرساني إليك إلا ليعطيك ، واقد أعطاني ربي ولا فخر وغفري ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً وأعطاني أن لا تنجوع أمي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وأعطاني الميز والنصر والرعب يسعي بين يدي أمي شهراً ، وأعطاني أني أول الانبياء يدخل الجنة وطيب لي ولا أمي الغنيمة وراحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج » (١)

(١) الحديث

ضعيف السند وفي

أحاديث الشفاعة

والألف في الصحاح

غني عنه

قال الله هذا يوم ينفع الصديقين صدقهم لهم جنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبد الأعلى الصيرفي حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سواده حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في ابراهيم (رب انهن أضلان كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني) الآية ، وقول عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فانهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإني أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال « اللهم أمي اللهم أمي » وبكى ، فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يسئله فأتاه جبريل فسأله فأخبر رسول الله ﷺ بما قال فقال الله تعالى يا جبريل : اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك ثم قال الله هذا يوم

يقول تعالى مجيباً لعبدته ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما أنبأه اليه من التبري من النصارى الملحدتين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أي ما كثر فيها لا يحولون ولا يزولون رضي الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وسيأتي ما يتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً عن أنس فقال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الهاربي عن ليث عن عثمان يعني ابن عيسى أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول سلوني سلوني أعطكم قال فيسألونه الرضا فيقول رضي الله عنكم وأتاكم وأنا فيكم فسلوني أعطكم فيسألونه الرضا قال فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى « وقوله ذلك الفوز العظيم » أي هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه كما قال تعالى (مثل هذا ذليع عمل العاملون) وكما قال (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وقوله (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) أي هو الخالق للأشياء الممالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع مملكته وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته فلا نظير له ولا وزير ولا عدل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ولا رب سواه . قال ابن وهب سمعت حي بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة .

ينفع الصادقين صدقهم ﴿ قرأ نافع يوم بنصب الميم يعني تكون هذه الأشياء في يوم تحذف في فاتنصب وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر هذا أي ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافضحوا ، وقيل أراد بالصادقين النبيين . وقال الكافي ينفع المؤمنون إيمانهم . قال قتادة : متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام وهو ما قص الله وعدو الله ابليس وهو قوله (وقال الشيطان لما قضي الأمر) الآية فصدق عدو الله يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه ، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقاً في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه . وقال بعضهم : هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل ثم بين ثوابهم فقال لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴿ ثم عظم نفسه فقال ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴿

تفسير سورة الانعام وهي مكية

قال العوفي وعكرمة وعطاء، عن ابن عباس انزلت سورة الانعام بمكة . وقال الطبراني حدثنا علي ابن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام بمكة ليلة جمعة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالة سبع . وقال سفيان الثوري عن ايث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد قالت نزلت سورة الانعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة برمام ناقة نبي ﷺ إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة . وقال شريك عن ايث عن شهر عن أسما قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زحل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض . وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الانعام بشيعها سبعون ألفا من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود . وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى أخبرنا جعفر بن عون حدثنا اسماعيل بن عبد الرحمن السدي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال لما نزلت سورة الانعام سبى رسول الله ﷺ ثم قال « لقد شيع هذه السورة من الملائكة مائة الافق » ثم قال صحيح على شرط مسلم . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسي حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثني عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترج » ورسول الله يقول « سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم » ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « نزلت علي سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد »

﴿سورة الانعام﴾

مكية وهي مائة وخمس وستون آية نزلت بمكة جملة ليلة معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتجيد فقال النبي ﷺ « سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم » وخرسا جذا وروى مرفوعا « من قرأ سورة الانعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليلة ونهاره » وقال الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر ثلاث آيات ، وقوله تعالى (قل تعالوا إلى قوله — املككم تتقون) فهذه الست آيات مدنيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون (١) هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم
تمترون (٢) وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣)
يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلقه السموات والارض قرارا لعباده وجعل
الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووجد لفظ النور لكونه أشرف
كقوله تعالى (عن اليمين والشمال) وكما قال في آخر هذه السورة (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ثم قل تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أي ومع هذا كله كفر به
بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي خلق السموات والارض ﴿ قال كعب الاخبار هذه الآية أول آية في التوراة .
وآخر آية في التوراة قوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية . وقال ابن عباس رضي الله
عنها افتتح الله الخلق بالحمد فقال (الحمد لله الذي خلق السموات) وختمه بالحمد فقال (وقضى بينهم
بالحق) أي بين الخلائق وقيل (الحمد لله رب العالمين) قوله الحمد لله حمد الله نفسه تعلما لعباده ،
أي احمداً الله الذي خلق السموات والارض خصهما بالذكرا لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد
وفيها العبر والمنافع للعباد ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ والحمل بمعنى الخلق . وقال الواقدي : كل ما في
القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والايان إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار . وقال
الحسن (وجعل الظلمات والنور) يعني الكفر والايان ، وقيل أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم .
وقال قتادة : يعني الجنة والنار ، وقيل معناه خلق الله السموات والارض ، وقد جعل الظلمات والنور
لانه خلق الظلمات والنور قبل السموات والارض . قال قتادة : خلق الله السموات قبل الارض ، وخلق
الظلمة قبل النور ، والجنة قبل النار ، وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال
« ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن
أخطأه ضل » ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴿ أي ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون أي
يشركون وأصله من مساواة الشيء بالشيء ، ومنه العدل أي يعدلون بالله غير الله تعالى يقال عدلت
هذا بهذا اذا ساوته به ، وقال النضر ابن شميل : الباطل بمعنى عن ، أي عن ربهم يعدلون ، أي يميلون
وينحرفون من العدل ، قال الله تعالى (عينا يشرب بها عباد الله) أي منها ، وقيل تحمت قوله

وقوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) يعني أبائهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشرق والمغرب وقوله (ثم قضى أجل مسمى عنده) قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (ثم قضى أجل) يعني الموت (وأجل مسمى عنده) يعني الآخرة وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن في رواية عنه (ثم قضى أجل) وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت (وأجل مسمى عنده) وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بأكملها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد (ثم قضى أجل) يعني مدة الدنيا (وأجل مسمى عنده) يعني عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) الآية وقال عطية عن ابن عباس (ثم قضى أجل) يعني النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة (وأجل مسمى عنده) يعني أجل موت الإنسان وهذا قول غريب . ومعنى قوله (عنده) أي لا يعلمه إلا هو كقوله (إنما علمها عند ربي لا ينجيها لوقتها إلا

(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معنى لطيف وهو مثل قول القائل : أنعمت عليكم بكذا وتفصات عليكم بكذا ثم تكفرون بعملي

قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من طين) يعني آدم عليه السلام خاطبهم به إذ كانوا من ولده قال السدي : بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها ، فقالت الأرض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع جبريل ولم يأخذ وقال : يارب إنها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع ، فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال : وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره ، فأخذ من وجه الأرض فخلط الحراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجن بالماء العذب والملح والمر كذا اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لاجرم أخرج أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالخار ثم نفخ فيه روحه

قوله عز وجل (ثم قضى أجل مسمى عنده) قال الحسن وقتادة والضحاك الأجل الأول من الولادة إلى الموت والأجل الثاني من الموت إلى البعث وهو البرزخ وروي ذلك عن ابن عباس وقال لكل أحد أجلان أجل من الولادة إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث فان كان برأ قتيلاً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث . وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة الأجل الأول أجل الدنيا والأجل الثاني أجل الآخرة وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم قضى أجل) يعني النوم تقبض فيه الروح ثم يرجع عند

(هو) وكقوله (يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكرها الى ربك منتهاها) وقوله تعالى (ثم اتمتمتروا) قال السدي وغيره يعني تشكون في امر الساعة كقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم) اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على انكار قول الجهمية الاول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالاصح من الاقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الارض أي يعبد ويوحده ويقر له بالآلهية من في السموات ومن في الارض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا الا من كفر من الجن والانس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) أي هو اله من في السماء واله من في الارض وعلى هذا فيكون قوله (يعلم سركم وجهركم) خبرا أو حالا (والقول الثاني) أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الارض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله (في السموات وفي الارض) تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض ويعلم ما تكسبون (والقول الثالث) ان قوله (وهو الله في السموات) وقف تام ثم استأنف الخبر فقال (وفي الارض يعلم سركم وجهركم) وهذا اختيار ابن جرير وقوله (ويعلم ما تكسبون) أي جميع أعمالكم خيرها وشرها

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنتهم في الارض ما لم يتمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهر تجري من تحتهم فاهلكتهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦)

يقول تعالى مخبر أعن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم آية أي دلالة ومعجزة وحجة من اليقظة وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحدة ، معناه ثم قضى أجلا يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون اليها وأجل مسمى عنده يعني وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره (ثم اتمتمتروا) تشكون في البعث

قوله عز وجل (وهو الله في السموات والارض) يعني وهو اله السموات والارض كقوله (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) وقيل هو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله (يعلم سركم وجهركم) في السموات والارض (ويعلم ما تكسبون) تعملون من الخير والشر (وما تأتيهم) يعني أهل مكة (من آية من آيات ربهم) مثل انشقاق القمر وغيره وقال عطاء يريد من

الدلالات على وحدانية الله وصدق رساله الكرام فانهم يعرضون عنها فلا ينظرون اليها ولا يبالون بها قال الله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيتهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وباله ثم قال تعالى واعظا لهم ومحضراً لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ماحل بأشبابهم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الارض وعمارة لها فقال (ألم يروكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنناهم في الارض ما لم نمكن لكم) أي من الاموال والاولاد والاعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) أي شيئا بعد شيء (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أي كثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الارض أي استدراجا واملاء لهم (فأهلكناهم بذنوبهم) أي بخطاياهم وسيئاتهم التي اجتموها (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أي فذهب الاولون كأمس الداهب وجعلناهم احاديث (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أي جيلا آخر لنختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كاهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم فأنتم باعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه واحسانه

آيات القرآن ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ لها تاركين وبها مكذبين ﴿ فقد كذبوا بالحق ﴾ باقرآن وقبل بمحمد ﷺ ﴿ لما جاءهم فسوف يأتيتهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون ﴾ أي اخبار استهزائهم وجزاؤه أي سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا

وقوله عز وجل ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ يعني الامم الماضية والقرن الجماعة من الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان يقال ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة ويقال مائة سنة لما روى أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معناه على هذه الاقوال من أهل قرن ﴿ مكنناهم في الارض ما لم نمكن لكم ﴾ أي أعطيناهم ما لم نعظكم وقال ابن عباس أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود يقال مكنته ومكنت له ﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ﴾ يعني المطر مفعال من الدر قال ابن عباس مدرارا أي متتابعاً في أوقات الحاجات وقوله ما لم نمكن لكم من خطاب التلويح رجوع من الخبر من قوله ألم يروا إلى الخطاب كقوله (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) وقال أهل البصرة أخبر عنهم بقوله ألم يروا وفيهم محمد ﷺ وأصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبد الله ما أكرمه وقلت لعبد الله ما أكرمك ﴿ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا ﴾ خلقنا وابتدأنا ﴿ من بعدهم قرنا آخرين ﴾

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا الا
 سحر مبين (٧) وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ما لك لتضي الامر ثم لا ينظرون (٨)
 ولو جعلناه ملكا لجعلائه رجلا وللبسنا دابهم ما يلبسون (٩) ولقد استهزئ برسول من
 قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (١٠) قل سيروا في الارض ثم
 انظروا كيف كان عقبة المكذبين (١١)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتهم ومنازعتهم فيه (ولو نزلنا
 عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم) أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال (الذين كفروا
 إن هذا الا سحر مبين) وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للمحسوسات (ولو فتحنا عليهم بابا
 من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وكقوله تعالى (وان
 يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم) (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أي ليكون معه
 نذيرا قال الله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون) أي لو نزلت الملائكة على ما هم
 عليه لجاءهم من الله العذاب كما قال الله تعالى (مانزل الملائكة الا الحق وما كانوا اذا منظرين) وقوله
 (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) الآية وقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلائه رجلا

قوله عز وجل ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر
 ابن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد إن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من
 عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسول الله فانزل الله عز وجل ﴿ولو
 نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ مكتوبا من عنده ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أي عاينوه ومسوه بأيديهم وذكر
 المس ولم يذكر المعاينة لان المس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة فان السحر يجري على المرئي ولا
 يجري على الملموس ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ معناه أنه لا يذفع معهم شيء لما سبق
 فيهم من علمي ﴿وقالوا لولا أنزلنا عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿ملك﴾ ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ﴿أي
 لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا
 استؤصلوا بالعذاب ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي لا يؤجلون ولا يمهلون وقال قتادة لو أنزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا
 لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين وقال مجاهد لقضي الامر أي لقامت القيامة وقال الضحاك
 لو أتاهم ملك في صورته لما أتوا ﴿ولو جعلناه ملكا﴾ يعني لو أرسلنا اليهم ملكا ﴿لجعلناه رجلا﴾ يعني في
 صورة رجل آدمي لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ
 في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان الى داود في صورة رجلين

وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي لو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليكنهم مخاطبته والانتفاع بالاخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الامر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كقوله تعالى (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فمن رحمته تعالى بخلقته أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ايدعوا بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية قال الضحاك عن ابن عباس في الآية يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم الا في صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولخاطبنا عليهم ما يخطون وقال الواحلي عنه وشبهنا عليهم وقوله (ولقد استهزى برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذه تسلية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له والمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما دخر لهم من العذاب الايم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباداه المؤمنين

قل لمن مافي السموات والارض؟ قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم

القيامة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (١٢) وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (١٣) قل أذير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو

قوله عز وجل ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أي خاطبنا عليهم ما يخطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أو آدمي وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري للبسنا بالتشديد على التكرير والتأكيد ﴿ولقد استهزى برسول من قبلك﴾ كما استهزى بك يا محمد فعزى نبيه ﷺ ﴿فحاق﴾ قال الربيع بن أنس فنزل وقال عطاء حل وقال الضحاك أحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴿أي جزاء استزائهم من العذاب والنقمة﴾ قل ﴿يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين﴾ ﴿سيروا في الارض﴾ معتبرين بحتمل هذا السير بالعقول والفكر ويحتمل السير بالاقدام ﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب الامم الحالية

قوله عز وجل ﴿قل لمن مافي السموات والارض﴾ فان أجابوك والاف ﴿قل﴾ أنت ﴿الله﴾ أمره

يطعم ولا يطعم قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (١٤)
 قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه
 وذلك الفوز المبين (١٦)

يخبر تعالى انه مالك السموات والارض ومن فيها وان قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في
 الصحيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « ان الله
 لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة
 لا ريب فيه) هذه اللام هي الموطنة للقسم فاقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عبادي (الى ميقات يوم معلوم) وهو يوم
 القيامة الذي لا ريب فيه أي لا شك عند عباده المؤمنين فاما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون
 وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبيد الله بن أحمد

بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وأكد في الحجة ﴿ كتب ﴾ أي قضى ﴿ على نفسه الرحمة ﴾
 هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بأنه رحيم بالعباد ولا يعجل بالعقوبة
 ويقبل الانابة والتوبة أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر
 محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن هشام بن منبه قال ثنا
 أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عند الله فوق
 العرش أن رحمتي غلبت غضبي » وروى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن رحمتي
 سبقت غضبي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني أنا أبو طاهر الزنادي أنا حاجب بن أحمد
 الطوسي أنا عبد الرحمن المروزي أخبرنا عبد الله بن المبارك أنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن
 أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أن الله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن
 والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحوش على أولادها وآخر الله
 تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي
 أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم عن أبيه
 عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال قدم على النبي ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب
 ثديها تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فأصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ « أترون
 هذه طارحة ولدها في النار » فقانا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال « الله ارحم بعباده من هذه بولدها »
 قوله عز وجل ﴿ ليجمعنكم ﴾ اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازة والله ليجمعنكم ﴿ الى
 يوم القيامة ﴾ أي في يوم القيامة وقبل معناه ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيامة ﴿ لا ريب فيه ﴾ الذين

ابن عتبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محسن بن عتبة البجلي عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال « والذي نفسي بيده ان فيه ماء ، ان اولياء الله ليردون حياض الانبياء ويبعث الله تعالى سبعين الف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء » هذا حديث غريب وفي الترمذي « ان لكل نبي حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم راردا » وقوله (الذين خسروا أنفسهم) أى يوم القيامة (فهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) أى كل دابة في السموات والارض الجميع عباده وخلقه ونسبت قهره وتصرفه وتدبيره (لا اله الا هو وهو السميع العليم) أى السميع لاقوال عباده العليم بحركاتهم وضماثرهم وسراثرهم ثم قال تعالى لعبدته ورسوله محمد ﷺ الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس الى صراط الله المستقيم (قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟) كقوله (قل أغير الله تأمروني أعبد أمها الجاهلون) والمعنى لا اتخذ وليا الا الله وحده لا شريك له فانه فاطر السموات والارض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (وهو يطعم ولا يطعم) أى وهو الرزاق لخالقه من غير احتياج اليهم كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية وقرأ بعضهم ههنا (وهو يطعم ولا يطعم) أى لا يأكل وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دعا رجل من الانصار من أهل قباء النبي ﷺ على طعام فانطلقا معه فلما طعم النبي ﷺ وغسل يديه قال « الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا واطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وكل بلاء حسن أبلانا ، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين » (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم)

خسروا ﴿ غبنوا ﴾ ﴿ أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار ﴾ أى استقر قيل أراد ما سكن وما تحرك كقوله (سراويل تقيكم الحر) أى الحر والبرد وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه أكثر وقال محمد بن جبير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل والنهار والمراد منه جميع ما في الارض وقيل معناه وله ما يمر عليه والنهار ﴿ وهو السميع ﴾ لاصواتهم ﴿ العليم ﴾ بأسرارهم قوله تعالى ﴿ قل أغير الله اتخذ وليا ﴾ وهذا حين دعى الى دين آبائه فقال تعالى قل يا محمد أغير الله اتخذ وليا ربا ومعبودا وناصرا ومعيذا ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ أى خالقهما ومبدعهما ومبتدئهما ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ أى وهو يرزق ولا يرزق كما قال (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)

قوله تعالى ﴿ قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ يعنى من هذه الامة والاسلام يعنى

أي من هذه الامة (ولا تكونن من المشركين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة (من يصرف عنه) أي العذاب (يومئذ فقد رحمه) يعني فقد رحمه الله (وذلك هو الفوز المبين) كقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) والفوز حصول الربح ونفي الخسارة

وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء

قدير (١٧) وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (١٨) قل أي شيء أكبر شهادة

قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لا أنذركم به ومن بلغ أئنيكم لتشهدون أن

مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون (١٩)

الذين آتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (٢٠)

ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون (٢١)

يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد

لقضائه (وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير)

كقوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسيل له من بعده) وفي

الاستسلام لامر الله وقيل أسلم أخلص ﴿ولا تكونن﴾ يعني وقيل لي ولا تكونن ﴿من المشركين قل إني

أخاف إن عصيت ربي﴾ فعبدت غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني عذاب يوم القيامة ﴿من يصرف عنه

يعني من يصرف العذاب عنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب يصرف بفتح الياء

وكسر الراء أي من يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء ﴿يومئذ﴾

يعني يوم القيامة ﴿فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾ أي النجاة البينة

قوله عز وجل ﴿وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف﴾ لا رافع ﴿إله إلا هو وأن يمسك بخير﴾ عافية

ونعمة ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ من الخير والضر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله السلمي

أنا أبو العباس الأصم أنا أحمد بن شيبان الرمي أنا عبد الله بن ميمون القداح أنا شهاب بن خراش عن

عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قل أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بجبل من شعر

ثم أردفني خلفه ثم سار بي ملبأ ثم انتفت إلى فقال «يا غلام» فقلت لبيك يا رسول الله قل «احفظ الله يحفظك

احفظ الله نجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت

فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا

عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعمل بالصبر

الصَّحِيحُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ «لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَتْ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) أَيُّهُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَذَاتُ لَهُ الْجَبَابِرَةُ^(١) وَعَنْتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَدَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ وَتَوَاضَعَتْ لِعَظَمَةِ جَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَغُلُوْدِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَاسْتِكَانَتِ وَتَضَاعَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَحُكْمِهِ (وَهُوَ الْحَكِيمُ) أَيُّهُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ (الْخَيْرُ) بِمَوَاضِعِ الْأَشْيَاءِ وَمَحَالِّهَا فَلَا يُعْطَى إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ ثُمَّ قَالَ (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) أَيُّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً (قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) أَيُّهُ هُوَ الْعَالَمُ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ وَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ لِي (وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) أَيُّهُ وَهُوَ نَذِيرٌ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو خَالِدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ (وَمَنْ بَلَغَ) مِنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ زَادَ أَبُو خَالِدٍ وَكَلَّمَهُ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعْشَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ فَقَدْ أَبْلَغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَا تُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) أَنَّ رَسُولَ

مَعَ الْيَقِينِ فَافْعَلْ . فَازِلَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا . وَإِنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) الْقَاهِرُ الْغَالِبُ وَفِي الْقَهْرِ زِيَادَةٌ مَعْنَى عَلَى الْقُدْرَةِ وَهُوَ مَنْعُ غَيْرِهِ عَنْ بُلُوغِ الْمُرَادِ وَقَبِيلُ هُوَ الْمُنْتَفِرِدُ بِالتَّدْيِيرِ بِحُجْرَةِ الْخَلْقِ عَلَى مَرَادِهِ (فَوْقَ عِبَادِهِ) هُوَ صِفَةُ الْإِسْتِعْلَاءِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فِي أَمْرِهِ (الْخَيْرُ) بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) الْآيَةُ قَالَ الْكَلْبِيُّ أَنَّى أَهْلُ مَكَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا أَرْنَا مَنْ يَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنَّا لَا نَرَى أَحَدًا يَصْدُقُكَ وَلَقَدْ سَأَلْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَرَزَعُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهُمْ ذِكْرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً فَإِنْ أَجَابُوكَ وَالَا (قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) عَلَى مَا أَقُولُ وَيَشْهَدُ لِي بِالْحَقِّ وَعَلَيْكُمْ بِالْبَاطِلِ (وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) لَاخَوْفِكُمْ بِهِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ (وَمَنْ بَلَغَ) وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ مِنَ الْعَجَمِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ زِيَادُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيِّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْزِيِّ أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَرٍ النَّقَاشُ أَنَا أَبُو شُعَيْبٍ الْخُرَافِيُّ أَنَا يُحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّحَّاكِ الْبَابِلِيُّ أَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّاسَوِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بَاغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَلَّالُ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ أَنَا الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ أَنَا سَفِيَّانُ بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَاتِلِي لِحَفْظِهَا وَوَعَاَهَا وَإِدَاَهَا فَرُبَّ حَامِلٍ فَمَهْ غَيْرُ نَفِيهِ وَرُبَّ حَامِلٍ فَهْ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا

الله ﷺ قال « بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » وقال الربيع بن أنس حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ وأن ينذر بالذي أنذر وقوله (أنكم لتشهدون) أيها المشركون أي (ان مع الله آلهة أخرى قل لأشهد) كقوله «فان شهدوا فلا تشهد معهم» (قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) ثم قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الاخبار والانباء عن المرسلين المتقدمين والانباء فان الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺ ونعته^(١) وصفته وبلده ومهاجرة وصفة أمته ولهذا «١» في النسخة قال بعده (الذين خسروا أنفسهم) أي خسروا كل الخسارة (فهم لا يؤمنون) بهذا الامر الجلي الظاهر الذي بشرت به الانبياء ونوهت به في قديم الزمان وحديثه ثم قال (ومن أظلم ممن اقترى على الله كذباً أو كذب بآياته) أي لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم من كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفلح هذا ولا هذا لا المقترى ولا المكذب

ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢)

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على

أنفسهم وفضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم

أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلوك

إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ومعبود ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم قال

مقابل من بلغه القرآن من الجن والانس فهو نذير لهم وقال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن

فكانما رأى محمداً ﷺ وسمع منه (أنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى) ولم يقل آخر لان الجمع

يلحقه التأنيت كقوله عز وجل (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال فما بال القرون الاولى (قل)

يا محمد إن شهدتم أنهم (لأشهد) أنا ان معه إلهاً (قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون)

قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يعني التوراة والانجيل (يعرفونه) يعني محمداً ﷺ بنعته

وصفته (كما يعرفون أبناءهم) من بين الصبيان (الذين خسروا) غبنوا (أنفسهم فهم لا يؤمنون) وذلك

ان الله جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل

أهل النار في الجنة ولاهل النار منازل أهل الجنة في النار وذلك الخسران

قوله تعالى (ومن أظلم) أكفر (من اقترى) اختلق (على الله كذباً) فأشرك به غيره (أو

كذب بآياته) يعني القرآن (انه لا يفلح الظالمون) الكافرون (ويوم نحشرهم جميعاً) أي العابدين

يقول الذين كفروا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وهم يبهنون عنه وينثنون عنه وإنَّ يُهلِكون إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يشعرون (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين (يوم نحشرهم جميعاً) يوم القيامة فيسألهم عن الاصنام والانداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلًا لهم (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) كقوله تعالى في سورة القصص (ويوم يناديهم فيقول أين شركائ الذين كنتم تزعمون)

وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجتهم إلا أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) قال الضحاك عن ابن عباس (ثم لم تكن فتنتهم) أي حجتهم . وقال عطاء الخراساني عنه أي معذرتهم وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس أي قبلهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراساني (ثم لم تكن فتنتهم) بليتهم حين ابتلوا (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قبلهم عند فتنتنا أيهم اعتذارا عما سلف منهم الشرك بالله (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين) قال أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا تعالوا فلنجد فيجحدون فيختم الله على أفواههم

والمعبودين يعني يوم القيامة ، قرأ يعقوب يحشرهم هنا وفي سبأ بالياء ووافق حفص في سبأ ، وقرأ الآخرون بالنون ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ أنها تشفع لكم عند ربكم ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب يكن بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره ، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان ، وقرأ الآخرون بالنصب فجعلوا الاسم قوله أن قالوا وفتنتهم الخبر ، ومعنى فتنتهم أي قولهم وجوابهم . وقال ابن عباس وفتنة : معذرتهم ، والفتنة التجربة ، فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار مافي قلوبهم قيل له فتنة . وقال الزجاج في قوله : ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال : لم تكن فتنته إلا هذا ، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها ، يقول الله عز وجل ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ ومحببتهم للاصنام ﴿ إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ قرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء المضاف ، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله ، وقيل إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزته عن أهل التوحيد ، قالوا بعضهم لبعض : تعالوا نكتم الشرك لعلمنا ننجوا مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم ويشهد عليهم جوارحهم بالكفر

وتشهد أيديهم وأرجلهم (ولا يكتُمون الله حديثاً) فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه . وقال الضحّاك عن ابن عباس هذه في المنافقين وفيه نظر فإن هذه الآية مكية والمنافقون إنما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له) الآية وهكذا قال في حق هؤلاء (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) كقوله « ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا » الآية وقوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزي عنهم شيئاً لأن الله (جعل على قلوبهم أكنة) أي أغطية لئلا يفقهوا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء » الآية . وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا انصاف كقوله تعالى « ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم » الآية

وقوله تعالى (حتى إذا جاؤك مجادلونك) أي يحاجونك وينظرونك في الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين) أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الاولين ومنقول

فقال عز وجل ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الاصنام وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كله في ذلك اليوم

قوله عز وجل ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ الآية . قال السكاكي : اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميمة وأبي بن خاف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر : يا أبا قبيلة ما يقول محمد ؟ قال ما أدري ما يقول إلا أنني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها فقال أبو سفيان اني أرى بعض ما يقول حقاً فقال أبو جهل كلا لا تقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا ، فأ نزل الله عز وجل (ومنهم من يستمع إليك) وإلى كلامك ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية جمع كنان كالأعنة جمع عنان ﴿ أن يفقهوه ﴾ أن يعلموه قيل معناه أن لا يفقهوه وقيل كراهة أن يفقهوه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ صمماً وثقلاً وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن ﴿ وإن يروا كل آية ﴾ من المعجزات والدلالات ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ حتى إذا جاؤك مجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين ﴾ يعني أحاديثهم وأقاصيصهم والأساطير جمع أسطورة

عنهم وقوله (وهم يهون عنه وبنأون عنه) في معنى يهون عنه قولان (أحدهما) ان المراد انهم يهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والا تقياد للقرآن (وبنأون عنه) أي ويبعدونهم عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينفذون ولا يدعون أحداً ينتفع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وهم يهون عنه) يردون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به . وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبي ﷺ ويهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير (والقول الثاني) رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سمع ابن عباس يقول في قوله (وهم يهون عنه) قال نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن النبي ﷺ أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء ابن دينار وغيره أنها نزلت في أبي طالب وقال سعيد بن أبي هلال نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر رواه ابن أبي حاتم ، وقال محمد بن كعب القرظي (وهم يهون) عنه أي يهون الناس عن قتله وقوله (وبنأون عنه) أي يتباعدون منه (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله إلا عليهم وهم لا يشعرون

وإسطارة وقيل الاساطير هي الترهات والباطيل وأصلها من سطرت أي كتبت ﴿ وهم يهون عنه ﴾ أي يهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿ وبنأون عنه ﴾ أي يتباعدون عنه بأنفسهم نزلت في كفار مكة قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحاك وقال قتادة يهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد حتى روي أنه اجتمع اليه رؤوس المشركين وقالوا اخذ شابا من أصبحنا وجها وادفع اليها محمدا فقال أبو طالب ما أنصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم وروي أن النبي ﷺ دعاه الى الإيمان فقال لولا أن تعبرني قريش لأقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حيت وقال فيه أبيات شعر

والله إن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماء عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمعا بذاك مبينا
وعرضت ديننا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية ديننا

﴿ وإن يهلكون ﴾ أي ما يهلكون ﴿ إلا أنفسهم ﴾ أي لا يرجع وبال فعلهم إلا اليهم وأوزار الذين يصدونهم عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾

ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردُّ ولا نُكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (٢٧) بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكذَّبون (٢٨) وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩) ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ؟ قالو بلى وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٠)

يذكر تعالى حال الكفار اذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والاغلال ورأوا بأعينهم تلك الامور العظام والاهوال فعند ذلك قالوا (ياليتنا نردو لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) يتمنون أن يردوا الى الدار الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونون من المؤمنين قال الله تعالى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة وان أنكروها في الدنيا أو في الآخرة كما قال قبله بيسير « ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم » ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا وان كانوا يظهرون لاتباعهم خلافه كقوله مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون « لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر » الآية وقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان للناس ويبطنون الكفر ويكون هذا اخباراً عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية والنفاق انما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية وهي العنكبوت فقال « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » وعلى هذا فيكون إخباراً عن قول المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب فظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم، وأما معنى الاضراب في قوله (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) فأنهم ما طلبوا العود

قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على النار ﴾ يعني في النار كقوله تعالى (على ملك سليمان) أي في ملك سليمان وقيل عرضوا على النار وجواب لو محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً ﴿ فقالوا ياليتنا نرد ﴾ يعني الى الدنيا ﴿ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ قرأ العامة كلها بالرفع على معنى ياليتنا نرد نحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين ، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب ولا نكذب بنصب الباء والنون على جواب التمني أي ليت ردنا وقع وان لا نكذب ونكون ، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر نكذب بالرفع ونكون بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ان يردوا الى الدنيا ﴿ بل بدا لهم ﴾ قوله « بل » تحته رد كقولهم كلا أي ليس الامر على ما قالوا أنهم لو ردوا لآمنوا « بدا لهم » ظهر لهم

الى الدنيا رغبة ومحبة في الايمان بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة الى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ولهذا قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) أي في طلبهم الرجعة رغبة ومحبة في الايمان ثم قال مخبرا عنهم أنهم لو ردوا الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة (وانهم لكاذبون) أي في قولهم باليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين أي لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا أي ما هي الا هذه الحياة الدنيا لا معاد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين ، ثم قال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أي أوقفوا بين يديه قال (أليس هذا بالحق؟) أي أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون ، (قالوا بلى وربنا؟ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسه (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون)

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يحسرتنا على ما قرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون (٣١) وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣٢)

يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بلقائه وعن خيبته اذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يحسرتنا) ﴿ما كانوا يخفون﴾ يسرون ﴿من قبل﴾ في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم وقيل ما كانوا يخفون وهو قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فأخفوا شركهم وكنتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وستروا لانهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا الا أن تجعل الآية في المناققين وقال المبرد بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون وقال النضر بن شميل بل بدا لهم بدا عنهم ثم قال ﴿ولو ردوا﴾ الى الدنيا ﴿لعادوا لما﴾ يعني الى ما ﴿نهوا عنه﴾ من الكفر ﴿وانهم لكاذبون﴾ في قولهم لو ردوا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ هذا اخبار عن انكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هذا من قولهم لو ردوا لقالوه

قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ وقفوا على ربهم﴾ أي على حكمه وقضائه ومشيتته وقيل عرضوا على ربهم ﴿قال﴾ لهم وقيل تقول لهم الحزنة بأمر الله ﴿أليس هذا بالحق؟﴾ يعني أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أنه حق قال ابن عباس هذا في موقف وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) في موقف آخر وفي يوم القيامة مواقف ففي موقف يقرون وفي موقف ينكرون ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴿أي خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير الى الله والبعث بعد الموت﴾ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴿أي القيامة﴾ بغتة ﴿أي فجأة﴾ قالوا يحسرتنا ندامتنا

على ما فرطنا فيها) وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة وعلى الاعمال وعلى الدار الآخرة أي في أمرها وقوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) أي يحملون وقال قتادة يعملون ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي هرزوق قال يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كاقبح صورة رأيته وأنته ربحا فيقول من أنت فيقول أو ما تعرفني فيقول لا والله إلا أن الله قبح وجهك وأنتن ربحك فيقول أنا عمالك الحبيث هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه فطال ما ركبتني في الدنيا هلم أركبك فهو قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) الآية وقال أسباط عن السدي انه قال : ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه اسود اللون منتن الريح وعليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فإذا رآه قال ما أقبح وجهك قال كذلك كان عمالك قبيحا ، قال ما أنتن ربحك قال كذلك كان عمالك منتنا ، قال ما أدنس ثيابك ، قال فيقول إن عمالك كان دنسا ، قال له من أنت ؟ قال عمالك ، قال فيكون معه في قبره فإذا بعث يوم القيامة قال له : اني كنت أحملك في الدنيا بالذات والشبهات وأنت اليوم تحملي ، قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) وقوله (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي إنما غالبها كذلك (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

ذكر على وجه النداء المبالغة قال سيوييه كأنه يقول أيتها الحسرة هذا أوانك ﴿ على ما فرطنا ﴾ أي قصرنا ﴿ فيها ﴾ أي في الطاعة وقيل تركنا في الدنيا من عمل الآخرة وقال محمد بن جرير الباء راجعة الى الصفة وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أي في الصفقة فترك ذكر الصفقة اكتفاء بذكره بقوله قد خسر لان الخسران إنما يكون في صفقة بيع ، والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم الزاد كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد ﴿ وهم يحملون أوزارهم ﴾ أثقالهم وآثامهم ﴿ على ظهورهم ﴾ قال السدي وغيره أن المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ربحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمالك الصالح فاركني فقد ظلمت أركبك في الدنيا فذلك قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً) أي ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنته ربحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمالك الحبيث ظالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك فهذا معنى قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) ﴿ إلا ساء ما يزرون ﴾ يحملون قال ابن عباس أي بثس الخمل حملوا ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴾ باطل وغرور ولا بقاء لها ﴿ وللدار الآخرة ﴾ قرأ ابن عامر وللدار الآخرة مضافا أضاف الدار إلى الآخرة ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله (وحب الحصيد) وقولهم ربيع الأول ومسجد الجامع . سميت الدنيا لدنوها وقيل لدناءتها وسميت الآخرة لأنها بعد الدنيا ﴿ خير للذين يتقون ﴾ الشرك ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أن الآخرة أفضل من الدنيا قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب أفلا تعقلون

٣٠٤ المشركون لم يكونوا يكذبونه وإنما كانوا يجحدون جحوداً تفسيراً ابن كثير والبغوي

قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله

يجحدون (٣٣) ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتتهم

نصراً ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (٣٤) وإن كان كبر عليك

إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض أو سلماً في السماء فتأتهم بآية ، ولو

شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلین (٣٥) إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى

يسئلهم الله ثم إليه يرجعون (٣٦)

يقول تعالى مسلماً لنبیه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه (قد نعلم أنه ليحزنك الذي

يقولون) أي قد أخطأنا علماً بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله « فلا تذهب نفسك عليهم

حسرات » كما قال تعالى في الآية الأخرى « لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين » « فلعلك باخع نفسك

على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » وقوله « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله

يجحدون » أي لا يهتمونك بالكذب في نفس الأمر (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي ولكنهم

يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن

علي قال قال أبو جهل للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله فإنهم لا يكذبونك

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، رواه الحاكم من طريق اسرائيل عن أبي إسحاق ثم قال صحيح

بالتاء هاهنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس ووافق أبو بكر في سورة يوسف ووافق حفص الا

في سورة يس وقرأ الآخرون بالياء فيهن

قوله عز وجل ﴿ قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون ﴾ قال السدي التقي الاخنس بن شريق

وأبو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله أصادق هو أم

كاذب فإنه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري قال أبو جهل والله إن محمداً لصادق وما كذب

محمد قط ولكن إذا ذهب بنوقصى بالثواء والسقاية والحجابة والندوة والذوبة فماذا يكون لسائر قريش

فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي ﷺ لا تهتمك ولا نكذبك

ولكننا نكذب الذي جئت به فأنزل الله تعالى (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون) بأنك كاذب فإنهم

لا يكذبونك ﴿ قرأ نافع والكسائي بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب والتكذيب هو أن

تنسبه إلى الكذب وتقول له كذبت والا كذاب هو أن تجده كاذباً تقول العرب أجذبت الأرض

وأخصبتها إذا وجدتها جذبة ومخصبة ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ يقول إنهم لا يكذبونك

على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الواسطي بمكة حدثنا بشر بن
المبشر الواسطي عن سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصاحه فقال
له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابي؟ فقال والله إني لأعلم إنه لنبى ولكن متى كئنا لنبى عبد مناف
تبعاً؟ وتلا أبو يزيد (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال أبو صالح وقناة
يعلمون أنك رسول الله ويجحدون، وذكر محمد بن اسحاق عن الزهري في قصة أبي جهل حين جاء
بستمع قراءة النبي ﷺ من الليل هو وأبو سفيان صخر بن حرب والخنس بن شريق ولا يشعر
أحد منهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعهم الطريق فقال كل منهم
للآخر ماجاء بك؟ فذكر له ماجاء به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم لئلا
يفتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم فلما أن صاحبيه لا يجيئان لما سبق من اليهود فلما
أصبحوا جمعهم الطريق فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاؤا أيضاً فلما
أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لئلا يفرقوا، فلما أصبح الخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى
أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا
ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد
بها، قال الخنس وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته فقال يا أبا
الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا
فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكئنا كفرسي رهان قالوا منا نبى
يأتى الوحي من السماء فمتى ندركه هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق، قال فقام عنه الخنس وتركه.
وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدي في قوله (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون) فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) لما كان يوم بدر قال الخنس بن شريق لنبى زهرة
يا نبى زهرة ان محمداً بن أختكم فأنتم أحق من ذب عن ابن أخته فانه إن كان نبياً لم تقتلوه اليوم
وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته، ففوا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد رجعتم
سالمين، وإن غلب محمد فان قومكم لم يصنعوا بكم شيئاً - فيومئذ سمي الخنس وكان اسمه أتي - فالتقى
الخنس بأبي جهل فخلا به فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس
ههنا من قريش غيبي وغيرك يستمع كلامنا؟ فقال أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب
محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجاية والنموة فإذا يكون لساثر قريش؟
فذلك قوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فآيات الله محمد ﷺ

في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي كما قال « وجحدوا بها
(م ٣٩ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

وقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) هذه تسليمة للذي عليه عليه السلام وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر كما نصرهم ، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ، ولهذا قال (ولا مبدل لكلمات الله) أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقوله (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي من خبرهم كيف نصرنا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلما فيهم أسوة وبهم قدوة

ثم قال تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم) أي إن كان شق عليك إعراضهم عنك (فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل ، وكذا قال قتادة والسدي وغيرهما ، وقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فآخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) أي إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع

واستجبتها أنفسهم » ولقد كذبت رسل من قبلك * كذبهم قومهم كما كذبتك قريش * فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا * بتعذيب من كذبهم * ولا مبدل لكلمات الله * لا ناقض لما حكم به وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام فقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون) وقال (أنا لننصر رسلا) وقال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقال الحسن بن الفضل : لا خلف لعدته * ولقد جاءك من نبي المرسلين * ومن صلة كما تقول أصابنا من مطر * وإن كان كبر عليك إعراضهم * أي عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكانوا إذا سألو آية أحب أن يرهم الله تعالى ذلك طمعا في إيمانهم فقال الله عز وجل * فإن استطعت أن تبغي نفقا * تطلب تتخذ نفقا سربا * في الأرض * ومنه نائم البروع وهو أحد جحريه فتذهب فيه * أو سلما * أي درجا ومصعدا * في السماء * فتصعد فيه * فتأتيهم بآية * فافعل * ولو شاء الله لجمعهم على الهدى * فآمنوا كلهم * فلا تكونن من الجاهلين * أي بهذا الحرف وهو قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وإن من يكفر يكفر لسابق علم الله فيه * إنما يستجيب الذين يسمعون * يعني المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون

الكلام ويعيه ويفهمه كقوله (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) وقوله (والموتى يعثهم الله ثم اليه يرجعون) يعني بذلك الكفار لانهم موتى القلوب فشبههم الله بأموات الاجساد فقال (والموتى يعثهم الله ثم اليه يرجعون) وهذا من باب التهكم بهم والازراء عليهم

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مفرطنا في الكتب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨) والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩)

يقول تعالى مخبراً عن المنكرين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم (ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً) الآيات (قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي هو تعالى قادر على ذلك واسكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك لانه لو أنزل وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) وآتيناهم دنانير مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى (إن نشأ نزل عليهم من السماء آيات فظلمات أعنقهم لها خاضعين) وقوله (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها

وقال قتادة الطير أمة والانس أمة والجن أمة وقال السدي (الا أمم امثالكم) أي خلق أمثالكم

من ختم الله على سمعه (والموتى) يعني الكفار (يعثهم الله ثم اليه يرجعون) فيجزئهم بأعمالهم قوله عز وجل (وقالوا) يعني رؤساء قريش (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه قال ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما عليهم في انزالها

قوله عز وجل (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطير ان بالجناح تأكيذا كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي (الا أمم أمثالكم) قال مجاهد أصناف مصنفة تعرف بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والهوام أمة والذباب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم يقال الانس والناس أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال « لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم » وقيل أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض وقيل أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث وقال

وقوله [ما فرطنا في الكتاب من شيء] أي الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتديره سواء كان برياً أو بحرياً كقوله (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) أي مفصّل باسمائها وأعدادها ومظانها وعاصرها كلها وسكناتها وأقاليمها (وكأن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن المنثري حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قلّ الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاعلم لذلك فأرسل ركباً إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا؟ قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «خلق الله عز وجل ألف أمة منهم أمة في البحر وأربعة أمة في البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تنابت مثل النظام إذا قطع سلكه»

وقوله (ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم إلى ربهم يحشرون) قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق أسرايل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفي عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والضحاك مثله (والقول الثاني) أن حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله (وإذا الوحوش حشرت) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال «يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟» قال لا قال «لكن الله يدري وسيقضي بينهما» ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن ذكره عن أبي ذر قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ انتطححت عنزان فقال رسول الله ﷺ «أتدرون فيم انتطححتا؟» قالوا لا ندري قال «لكن الله يدري وسيقضي بينهما» رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثوري عن أبي ذر فذكره وزاد قال أبو ذر ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسنده أبيه حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قال حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مزاحم عن بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة» وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن

عطاء أم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، قال ابن قتيبة أم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهلك (ما فرطنا في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (من شيء) ثم إلى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة إليها ثم الدواب والطير وكل شيء فيقتص للجماء من القرناء ثم يقول كوني تراباً فحينئذ يتعنى الكافر ويقول ياليتني كنت تراباً

يزيد بن الاصم عن أبي هريرة في قوله (الا أُمُّ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجما من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) وقد روي هذا امر فوعا في حديث الصور وقوله (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات) أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع أبكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وكما قال تعالى (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولهذا قال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء

قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صدقين؟ (٤٠) بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما أنشركون (٤١) ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد المتصرف في خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء ولهذا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء» قوله عز وجل ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم﴾ لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به ﴿في الظلمات﴾ في ضلالات الكفر ﴿من يشأ الله يضلله﴾ فيموت على الكفر ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ هو الاسلام

قوله تعالى ﴿قل أرأيتم﴾ هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء رحمه الله العرب تقول أرأيتك وهم يريدون أخبرنا كما يقول أرأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل أي أخبرني وقرأ أهل المدينة

(قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) أي أتاكم هذا أو هذا (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أي لا تدعون غيره لعلمكم انه لا يقدر احد على رفع ذلك سواء ولهذا قال (ان كنتم صادقين) أي في اتخاذكم آية معه (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما بشرتكم ان في وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أعينكم وأننادكم كقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) الآية وقوله (ولقد أرسلنا الى امة من قبلك فأخذناهم بالبأساء) يعني الفقر والضيقة في العيش (والضراء) وهي الامراض والاسقام والآلام (لعلهم يتضرعون) أي يدعون الله ويتضرعون اليه ويخشعون، قال الله تعالى (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي فهلا اذا ابتليناهم بذلك تضرعوا الينا وتمسكنوا للدين (ولكن قست قلوبهم) أي مارقت ولا خشعت (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أي من الشرك والعائدة والمعاصي (فلما نسوا ما ذكروا به) أي أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى واملأهم عياذا بالله من مكروه، ولهذا قال (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الاول والاولاد والارزاق (أخذناهم بغتة) أي على عجلة (فأذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير قال الوالي عن ابن عباس المبلس الآيس، وقل الحسن البصري من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له

أرأيتم وأرأيتم وأرأيتم بتلين الهمزة الثانية والسكائي بحذفها، قال ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم «ان أتاكم عذاب الله» قبل الموت «أو أتتكم الساعة» يعني يوم قياة «أغير الله تدعون» في صرف العذاب عنكم «ان كنتم صادقين» وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر الله عنهم (واذا غشيتهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) ثم قال (بل إياه تدعون) أي تدعون الله ولا تدعون غيره (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) قيد الاجابة بالمشيئة والامور كلها بمشيئته (وتنسون) رتروكون (ما تشركون) ولقد أرسلنا الى امة من قبلك فأخذناهم بالبأساء بالشدة والجوع والضراء (المرض والزمانة) لعلهم يتضرعون أي يتوبون ويخضعون وتضرع السؤال بالتذلل (فلولا) فهلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) آمنوا فيكشف عنهم أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل الى قوم بلغوا من القسوة الى أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فذلك قوله (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي (فلما نسوا ما ذكروا به) تركوا ما وعظوا وأمرؤا به (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) قرأ ابو جعفر فتحنا بالشديد في كل القرآن وقرأ ابن عامر كذلك اذا كان عقبيه جسم والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر أي بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا (أخذناهم بغتة) فجأة آن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا اليهم (فأذا هم مبلسون) آيسون من كل خير وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين

ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له ثم قرأ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) قال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم أخذوا ، رواه ابن أبي حاتم ، وقال قتادة بغتة القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وعرثتهم ولنعمتهم فلا تغفروا بالله فانه لا يغفر بالله الا القوم الفاسقون رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال مالك عن الزهري (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) قال أرجاء الدنيا وسترها ، وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين - يعني ابن سعد - ابا الحجاج المهري - عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال « اذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج » ثم تلا رسول الله ﷺ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن ابراهيم بن أبي عبلة عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول « اذا أراد الله بقوم بقاء أو نناء رزقهم القصد والعفاف واذا أراد الله بقوم اقتطاعا فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » كما قال (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ورواه أحمد وغيره

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتاكم به؟
انظر كيف نصرف الآيت ثم هم يصدفون (٤٦) قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة
أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (٤٧) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين
فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٨) والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب بما كانوا يفسقون (٤٩)

وأصل الابل اس الاطراق من الحزن والندم وروى عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقبم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا (فلما نسوا ما ذكروا به) الآية (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذين يذبرهم يقال ذبر فلان اليوم يذبرهم ذبرا ودورا اذا كان آخرهم ومعناه أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لانه نعمة على رسوله فذكر الحمد لله تعلما لهم ولأن آمن بهم أن يحمدا الله على كفايته شر الظالمين وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم اذا أهلك المكذبين
قوله تعالى (قل أرأيتم) أيها المشركون (أن أخذ الله سمعكم) حتى لا تسمعون شيئا أصلا

٣١٣ أما الرسل مبالغون وأما النجاة بالإيمان والاصلاح والعذاب بالفسق تفسير ابن كثير والبعث

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المكذبين المعاندين (أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي سلبكم إياها كما أعطاكموها ، كما قال تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار) الآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منعه الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال (وختم على قلوبكم) كما قال (أمن يملك السمع والابصار) وقال (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقوله (من إله غير الله يأتيكم به) أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواء ولهذا قال (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله وإن ما يعبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون) أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون ، وقال السدي يصدون ، وقوله تعالى (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة) أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم فجأكم (أو جهرة) أي ظاهراً عياناً (هل يهلك إلا القوم الظالمون) أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، وقوله (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ، ومنذرين من كفر بالله النعمات والعقوبات ، ولهذا قال (فمن آمن وأصلح) أي فمن آمن قلبه بما جاؤا به واصلح عمله باتباع إياهم (فلا خوف عليهم) أي بالنسبة لما يستقبلونه (ولا هم يحزنون) أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها ، الله وإيهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه ، ثم قال (والذين كذبوا بآياتنا يمسمهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرمانه

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ

(وأبصاركم) حتى لا تبصروا شيئاً أصلاً (وختم على قلوبكم) حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا شيئاً (من إله غير الله يأتيكم به؟) ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء قيل معناه بما أخذ منكم ، وقيل الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيره تحته كقوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فالهاء راجعة إلى الله ورضى رسوله يندرج في رضا الله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها مكذبين (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة) فجأة (أو جهرة) معاينة ترونها عند نزوله . قال ابن عباس والحسن : ليلاً ونهاراً (هل يهلك إلا القوم الظالمون) المشركون ؟

قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح) العمل (فلا خوف عليهم) حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) إذا حزنوا (والذين كذبوا بآياتنا يمسمهم) يصيبهم (العذاب بما كانوا يفسقون) يكفرون (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) نزل حين

إلا ما يوحى إلى قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠) وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (٥١) ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (٥٢) وكذلك فتبأبعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين؟ (٥٣) وإذا جاءك الذين يؤمنون بآيتنا فقل سلم عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهلته تم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم (٥٤)

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي لست أملكها ولا أنصرف فيها (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول لكم أني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه (ولا أقول لكم أني ملك) أي ولا أدعي أني ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلي من الله عز وجل شرفني بذلك وأنعم علي به ولهذا قال (ان اتبع الا ما يوحى الي) أي لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه (قل هل يستوي الاعمى والبصير) أي هل يستوي من اتبع الحق وهدى اليه ومن ضل عنه فلم ينقذ له (أفلا تتفكرون) وهذه كقوله تعالى « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الالباب » وقوله (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) أي وأنذر بهذا القرآن يا محمد « الذين هم من خشية ربهم مشفقون » الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب « (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) أي يوم القيامة (ليس لهم) أي يومئذ (من دونه ولي ولا شفيع) أي لا قريب لهم ولا شفيع فيهم اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم « لا أقول لكم عندي خزائن الله » أي خزائن رزقه فأعطيك ما تريدون ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون ﴿ ولا أقول لكم أني ملك ﴾ قال ذلك لأن الملك يقدر على مالا يقدر عليه الآدمي ، وبشاهد مالا يشاهده الآدمي ، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتذكرون قولي وتجددون أمري ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ أي ما آتيكم به فمن وحي الله تعالى وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة ﴿ قل هل يستوي الاعمى والبصير ﴾ قال قتادة : الكافر والمؤمن . وقال مجاهد : الضال والمهتدي ، وقبل الجاهل والعالم ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ أي أنهما لا يستويان

قوله عز وجل ﴿ وأنذر به ﴾ خوف به أي بالقرآن ﴿ الذين يخافون أن يحشروا ﴾ بجمعوا ويعشوا ﴿ إلى ربهم ﴾ وقبل يخافون أي يعلمون لأن خوفهم إنما كان من علمهم ﴿ ليس لهم من دونه ﴾ من

من عذابه إن أرادهم بهم (اعلمهم يتقون) أي أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل [اعلمهم يتقون] فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه وقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك وإخصائك كقوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » وقوله (يدعون ربهم) أي يعبدهونه ويسألونه (بالغداة والعشي) قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة

دون الله ﴿ ولي ﴾ قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع ﴾ يشفع لهم ﴿ اعلمهم يتقون ﴾ فينتهون عما نهوا عنه ، وإنما نفى الشفاعة لغيره مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون لأنهم لا يشفعون إلا بأذنه ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ قرأ ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ههنا وفي سورة الكهف ، وقرأ الآخرون بفتح الغين والذال وألف بعدها . قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس النخعي وعبيدة بن حصن الغزاري وذوهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأنوه فقالوا يا رسول الله : لو جلست في صدر المجلس نفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم . وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها . لجالسناك وأخذنا عنك ، فقال النبي ﷺ لهم « ما أنا بطارد المؤمنين » قالوا : فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فتستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبدة ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال « نعم » قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتاباً قال : فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب قال : ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) — إلى قوله — (بالشاكرين) فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فأتينا وهو يقول [سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة] فكنا نقعد معه ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كانت ركبتنا تمس ركبتهم ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قننا وتركنا حتى يقوم وقال لنا « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم الحيا ومعكم المات » وقال السكبي قالوا اجعل لنا يوماً ولهم يوماً فقال « لا أفعل » قالوا : فاجعل المجلس واحداً فأقبل علينا وول ظهرك عليهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني صلاة عبد لبايعنا محمداً فأنزل الله هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني صلاة

وهذا كقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي أقبل منكم وقوله (يريدون وجهه) أي يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) كقول نوح عليه السلام في جواب الذين (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) أي انما حسابهم على الله عز وجل وليس علي من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء ، وقوله (فتطردهم فتكون من الظالمين) أي ان فعات هذا والحالة هذه ، قال الامام أحمد حدثنا اسباط هو ابن محمد حدثني أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملاء من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن (وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) الى قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعناك ان طردتهم أن تتبعك ، فنزلت هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - وكذلك فتنا بعضهم ببعض) الى آخر الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعيد الازدي - وكان قاريء الازد - عن أبي الكنود عن خباب في قول الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الغزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقرهم في نفر في أصحابه فأنوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك

الصبح وصلاة العصر ، ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس ، وذلك أن أناساً من الفقراء كانوا مع النبي ﷺ فقال ناس من الاشراف : اذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص ، فقال سعيد : ما أسرع الناس إلى هذا المجلس . قال مجاهد فقلت : يتأولون قوله (يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال أي هذا هو ؟ انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن . وقال ابراهيم النخعي : يعني يذكرون ربهم ، وقيل المراد منه حقيقة الدعاء (يريدون وجهه) أي يريدون الله بطاعتهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يطلبون ثواب الله فقال (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) أي لا تكلف أمرهم ولا يسكفون أمرك ، وقيل ليس رزقهم عليك فمالمهم (فتطردهم) ولا رزقك عليهم قوله (فتطردهم) جراب لقوله (ما عليك من حسابهم من شيء) وقوله (فتكون من

مجلسا تعرف لنا به العرب. فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الاعداء
 فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال «نعم» قالوا فاكتمب لنا عليك كتابا قال
 فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل فقال (ولا تطرد الذين يدعون
 ربهم) الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعا عنا فأتيناه ، ورواه ابن جرير من حديث أسباط
 به ، وهذا حديث غريب فان هذه الآية مكية والاقرع بن حابس وعيينة انما أسلما بعد الهجرة بدهر
 وقال سفيان الثوري عن المقدم ابن شريح عن أبيه قال قال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب
 النبي ﷺ منهم ابن مسعود قال كنا نستبق الى رسول الله ﷺ وندنوا منه ونسمع منه فقالت
 قريش تدين هؤلاء دوننا فنزلت (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) رواه الحاكم في مستدركه
 من طريق سفيان وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم ابن شريح به
 وقوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي ابتلينا واختبرنا وامتحان بعضهم ببعض (ليقولوا
 أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وذلك أن رسول الله ﷺ كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء
 الناس من الرجال والنساء والعبيد والاماء ولم يتبعه من الاشراف الا قليل كما قال قوم نوح
 (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين
 سأله عن تلك المسائل فقال له فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال بل ضعفاؤهم فقال هم اتباع
 الرسل . والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفاؤهم ويعذبون من يقدرون عليه
 منهم وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أي ما كان الله ليهدي هؤلاء الى الخير لو كان
 ماصاروا اليه خيرا ويدعنا كقولهم (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) وكقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا
 بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا) قال الله تعالى في جواب
 ذلك (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا) وقال في جوابهم حين قالوا (أهؤلاء من
 الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالشاكرين ؟) أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم

الظالمين ﴿ جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي ﴾ وكذلك فتنا ﴿ أي
 ابتلينا ﴾ بعضهم ببعض ﴿ أراد ابتلى الغني بالفقير ، والشريف بالوضيع ، وذلك أن الشريف اذا
 نظر إلى الوضيع قد سبقه بالايمن امتنع من الاسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله « ليقولوا أهؤلاء
 من الله عليهم من بيننا » فقال الله تعالى « أليس الله باعلم بالشاكرين » فهو جواب لقولهم « أهؤلاء
 من الله عليهم من بيننا » فهو استفهام بمعنى التقرير أي الله أعلم بن شكر الاسلام إذ هداه الله عز وجل
 أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني
 أنا أبو الحسن محمد بن أحمد التبراني ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو الحسن بن
 أحمد بن شاذان القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزني عن

وضأثرهم فيهم فقههم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان اللهام المحسنين) وفي الحديث الصحيح «ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى ألوانكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم» وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله [وأأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] الآية قال جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة ابن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب لو ان ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فأنما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية [وأأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] الى قوله [أليس الله بأعلم بالشاكرين] قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود بن القاري وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشماين ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء فنزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء [وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا] الآية فلما نزلت أقبل عمر رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ فاعتذر من مقاتله فأنزل الله عز وجل [وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا] الآية

وقوله [وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم] أي فأكرمهم برد السلام عليهم

أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري وقاريء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا ، فلما قدم رسول الله ﷺ سكت القاريء فسلم رسول الله ﷺ وقال « ما كنتم تصنعون » قلنا يا رسول الله كان قاريء يقرأ علينا فكنا نستمع الى كتاب الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم » قال ثم جلس وسعدنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له . قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري ، فقال رسول الله ﷺ « أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة »

﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ قال عكرمة : نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم ، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام . وقال عطاء : نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون

وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال [كتب ربكم على نفسه الرحمة] أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً [أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة] قال بعض السلف كل من عصي الله فهو جاهل ، وقال معتمر بن سليمان عن الحكم عن إبان عن عكرمة في قوله (من عمل منكم سوءاً بجهالة) قال الدنيا كلها جهالة رواه ابن أبي حاتم [ثم تاب من بعده وأصلح] أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأتلم وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل [فانه غفور رحيم] قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي » أخرجه في الصحيحين وهكذا رواه الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه موسى عن عتبة عن الاعمش عن أبي هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي بذلك وقد روي ابن مردويه من طريق الحكم بن إبان عن عكرمة عن ابن عباس قال قل رسول الله ﷺ « اذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتاباً من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فبعض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً مكتوب بين أعينهم عتقا الله » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان في قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال أنا نجد في التوراة عطفين ان الله خلق السموات والارض وخلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة قال فيها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتبذلون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تبح البقرة وبها تنمو الشاة وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان في البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ما عنده وحمته أفضل وأوسع ، وقد روي هذا مرفوعاً من وجه آخر وسيأتي كثير من الاحاديث الموافقة لهذه عند قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ومما يناسب هذه الآية من الاحاديث أيضاً قوله ﷺ لمعاذ بن جبل « أتدري ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ثم قال « أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم » وقد رواه الامام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه

وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد رضي الله عنهم أجمعين ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ أي قضى على نفسه الرحمة ﴿ أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ﴾ قال مجاهد . لا يعلم حلالاً من حرام فن جهالته ركب الذنب وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته من حيث أنه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير ﴿ ثم تاب من بعده ﴾ رجع عن ذنبه ﴿ وأصلح ﴾ عمله وقيل إخلص توبته ﴿ فانه غفور رحيم ﴾ قرأ ابن عاصم وعاصم ويعقوب أنه من عمل فانه غفور رحيم بفتح الالف فيهما بدلاً من الرحمة أي كتب على نفسه أنه من عمل منكم ثم جعل الثانية

وكذلك فصل الآيت ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥) قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين (٥٦) قل إني على بينة من ربي وكذبت به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (٥٧) قل لو أن عندي ما تستعجلون به لنضي الأمر بيدي وبينكم والله أعلم بالظالمين (٥٨) وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين (٥٩)

يقول تعالى وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد [كذلك فصل الآيات] أي التي يحتاج المخاطبون إلى إيمانها [ولتستبين سبيل المجرمين] أي وتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرىء (ولتستبين سبيل المجرمين) أي ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين وقوله [قل إني على بينة من ربي] أي على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إلي [وكذبت به] أي بالحق الذي جاءني من الله [ما عندي ما تستعجلون به] أي من العذاب [إن الحكم

بدلاً عن الأولى كقوله تعالى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) وفتح أهل المدينة الأولى منها وكسروا الثانية على الاستثناف وكسرها الآخرون على الاستثناف (وكذلك فصل الآيات) أي وهكذا وقيل معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين كذلك فصل الآيات أي نميز ونبين لك حججتنا في كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) أي طريق المجرمين وقرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين نصب على خطاب النبي ﷺ أي ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين يقال استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وإسنيين بالياء سبيل بالرفع وقرأ الآخرون ولتستبين بالتاء سبيل رفع أي ليظهر ويتضح والسبيل يذكر ويؤنث فدليل التذكير قوله تعالى (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) ودليل التأنيث قوله تعالى (لم تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبعونها عوجاً)

قوله عز وجل (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الأوثان وطرد الفقراء (قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين) يعني أن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى (قل إني على بينة) أي على بيان وبصيرة وبرهان (من ربي وكذبت به) أي بما جئت به (ما عندي ما تستعجلون به) قيل أراد به استعجالهم بالعذاب كانوا يقولون (إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة) الآية وقيل أراد به القيامة قال الله تعالى (يستعجل

إلا الله [أي إنما يرجع أمر ذلك إلى الله أن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال] [يقص الحق وهو خير الغاصلين] أي وهو خير من فصل القضاء وخير الفائحين في الحكم بين عباده، وقوله [قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم] أي لو كان مرجع ذلك إلي لا وقعت لكم ما تستحقونه من ذلك [والله أعلم بالظالمين] فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظلماتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً» وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستنصاهم فامتنأى بهم وسألهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئاً فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة [قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين] فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً فلماذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم وقوله تعالى [وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو] قال البخاري حدثنا عبدالعزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال

بها الذين لا يؤمنون بها [أن الحكم إلا لله يقص الحق] قرأ أهل الحجاز وعاصم يقص بضم القاف والصاد مشدداً أي يقول الحق لأنه في جميع المصاحف بغيرياء ولأنه قال الحق ولم يقل بالحق وقرأ الآخرون يقضي بسكون القاف والصاد مكسورة من قضيت أي يحكم بالحق بدليل أنه قال [وهو خير الغاصلين والفصل يكون في القضاء وإنما حذفوا الياء لاستئصال الالف واللام كقوله تعالى (صالح الجحيم) ونحوها ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر كأنه قال يقضي القضاء الحق] [قل لو أن عندي] ويدي [ما تستعجلون به] من العذاب [لقضي الأمر بيني وبينكم] أي فرغ من العذاب وأهلكتم أي بعجلته حتى أتخلص منكم [والله أعلم بالظالمين]

قوله تعالى [وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو] مفاتيح الغيب خزائنه جمع مفتاح واختلفوا في

« ١ » وجه كون

مفتاح خزائن علم الغيب
خمساً أن الغيب عن
المكلفين ثلاثة أنواع
علم الآخرة ومفتاحها
علم الساعة وعلم البرزخ
ومفتاحه الموت وما
يتجدد في الدنيا من
نبات ومفتاحه نزول
الغيث ومن حيوان
وهو المعبر عنه بما
في الارحام . ومن عمل
وهو المعبر عنه بكسب
الغد . والله أعلم بمراده
وكتبه محمدرشيد رضا

« مفاتيح الغيب خمس ^(١) لا يعلمهن الا الله : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ، ان الله علیم خبير » وفي حديث عمر أن جبريل حين تبدى له في ضرورة أعرابي فسأل عن الايمان والاسلام والاحسان فقال له النبي ﷺ فيما قال له « خمس لا يعلمهن الا الله » ثم قرأ (ان الله عنده علم الساعة) الآية

وقوله (ويعلم ما في البر والبحر) أي محيط علمه الكريم بجميع الموجودات برها وبحرها لا يخفى عليه من ذلك شيء . ولا مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وما أحسن ما قاله الصرصري
فلا يخفى عليه الذر إمّا تراهي للنواظر أو تراهي

وقوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكافون منهم من جنهم وانسهم كما قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان الغري عن ابن عباس في قوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) قال ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملاك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله (ولا حبة في ظلمات الارض

مفاتيح الغيب أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ، لا يعلم ما تنيض الارحام الا الله تعالى ، ولا يعلم ما في الغد الا الله عز وجل ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ، ولا تدري نفس بأي ارض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد الا الله » وقال الضحاك ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب ، وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هي ما لم يسكن بعد أنه يكون أم لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون . وقال ابن مسعود أوتي نبيكم علم كل شيء ، الا علم مفاتيح الغيب ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ قال مجاهد البر المغاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا يعلمه وقيل هو البر والبحر المعروف ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ﴾ يريد ساقطة وثابتة يعني يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبق عليه وقيل يعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن سقطت على الارض ﴿ ولا حبة في ظلمات الارض ﴾ قيل هو الحب المعروف في بطون الارض وقيل هو تحت الصخرة التي في أسفل الارضين ﴿ ولا رطب ولا يابس ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل ولا حي ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شيء ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ يعني الكل مكتوب في اللوح المحفوظ

ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المنصور الزهري حدثنا مالك بن سعيد حدثنا الاعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث قال ما في الارض من شجرة ولا مغرز ابرة الا وعلينا ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها اذا رطبت ويبرسها اذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني عن مالك بن سعيد به. ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى يتقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) الى آخر الآية قال محمد بن اسحاق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان تحت الارض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالوا انهم ظهروا يعني لكم لم تروا معهم نورا على كل زاوية من زوايا الارض خاتم من خوانيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله عز وجل اليه في كل يوم ملكا من عنده أن يحتفظ بما عندك

وهو الذي يتوفكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى

ثم اليه مرجعكم ثم يبعثكم بما كنتم تعملون (٦٠) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يُفرطون (٦١) ثم رُدوا الى الله

مولهم الحق. ألا له الحكم وهو أسرع الحسبين (٦٢)

يقول تعالى انه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو الترفي الاصغر كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي) وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفايتين الصغرى ثم الكبرى فقال (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) أي ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على احاطة علمه تعالى بخلقهم في ليالهم ونهارهم في حال سكونهم وحال حركتهم كما قال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) وكما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار كما قال (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) ولهذا قال تعالى ههنا (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) أي ما كسبتم من

قوله تعالى ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ أي يقبض أرواحكم اذا نمت بالليل ﴿ويعلم ماجرحتم﴾

الاعمال فيه (ثم يبعثكم فيه) أي في النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي ، وقال ابن جريج عن عبد الله ابن كثير أي في المنام والاول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « مع كل انسان ملك اذا نام أخذ نفسه ويرد اليه فان أذن الله في قبض روحه قبضه والارد اليه » فذلك قوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل)

وقوله (ليقتضى أجل مسمى) يعني به أجل كل واحد من الناس (ثم اليه مرجعكم) أي يوم القيامة (ثم ينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) أي ويميزكم على ذلك إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً وقوله (وهو القاهر فوق عباده) أي وهو الذي تهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء [ويرسل عليكم حفظة] أي من الملائكة يحفظون بدن الانسان كقوله [له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله] وحفظة يحفظون عمله ويحفظونه كقوله [وان عليكم لحافظين] الآية وكقوله (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما بلفظ من قول الاله رقيب عتيد) وقوله [اذ يتلقى المتلقيان] الآية وقوله [حتى اذا جاء أحدكم الموت] أي احتضر وحان أجله [وقته رسلنا] أي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد : ملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم ، وسيأتي عند قوله تعالى [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] الاحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة ، وقوله [وهم لا يفرطون] أي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففي عليين وان كان من الفجار ففي سجين عيادا بالله من ذلك

وقوله (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) قال ابن جرير (ثم ردوا) يعني الملائكة زالى الله مولاهم الحق) ونذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب

كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم في النهار (ليقتضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى الموت يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وهو جمع حافظ نظيره (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) قرأ حمزة توفيه واسمها بالياء وأما لها [رسلنا] يعني أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال (قل يتوفاكم ملك الموت) وقيل الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه لانهم يصدر عن أمره وقيل أراد بالرسول ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح فيدعوها فتجيب له (وهم لا يفرطون) لا يقصرون (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعني الملائكة وقيل يعني العباد يردون بالموت الى الله مولاهم الحق فان قيل

عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الميت نحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يخرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يخرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير الى القبر فيجاس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الاول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الثاني « هذا حديث غريب ويحتمل أن يكون المراد بقوله (ثم ردوا) يعني الخلائق كلهم الى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال (قل ان الاولين والآخرين لجموعون الى ميقات يوم معلوم) وقال (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) الى قوله (ولا يظلم ربك أحدا) ولهذا قال (مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسين)

قل مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قل الله يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكُرُونَ (٦٤) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعةً ويزيقَ بعضهم بأسَ بعض، انظر كيف نُصرفُ الآيات لعلمهم بفقهم (٦٥) يقول تعالى ممتنا على عباده في انجائهم المضطربين منهم من ظلمات البر والبحر أي الخائرين الواقعين في المهام البرية وفي اللجج البحرية اذا هاجت الرياح العاصفة حينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك الاية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى (وأن الكافرين لا مولى لهم) فكيف وجه الجمع قليل المولى في تلك الاية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى ههنا بمعنى المالك الذي يتولى أمورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولى الامور وقيل أراد هنا المؤمنين خاصة يردون الى مولاهم والكفار فيه تبع (الا له الحكم) أي القضاء دون خلقه (وهو أسرع الحاسين) أي اذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحتاج الى فكرة وروية وعقيد

قوله تعالى (قل من ينجيكم) قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد (من ظلمات البر

له كقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) لآية وقوله (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) الآية وقوله (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) وقال في هذه الآية الكريمة (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية) أي جهراً وسراً (لئن أنجانا) أي من هذه الضائقة (لنكونن من الشاكرين) أي بعدها قال الله (قل الله ينجيكم منها من كل كرب ثم أنتم تشركون) أي تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى وقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً) أي بعد أنجانا إياكم كقوله في سورة سبحان (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيماً * واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم بما كنتم تملأون من أموالكم وثكنتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها) قال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم ابن ابراهيم حدثنا هارون الاعور عن جعفر بن سليمان عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال هذه للعشركين . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لأمة محمد ﷺ وعني عنهم ، ونذكر هنا الاحاديث الواردة في ذلك والآثار وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة قال البخاري رحمه الله تعالى في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت

والبحر) أي من شدائدهما وأهوالهما كانوا اذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تعالى (تدعونه تضرعا وخفية) أي علانية وسراً قرأ أبو بكر عن عاصم وخفية بكمم الخاء هنا وفي الاعراف ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (لئن أنجيتنا) أي يقولون لئن أنجيتنا ، وقرأ أهل الكوفة لئن أنجانا أي أنجانا الله (من هذه) يعني من هذه الظلمات (لنكونن من الشاكرين) والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها (قل الله ينجيكم منها) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ينجيكم بالتشديد مثل قوله تعالى (قل من ينجيكم) وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف (ومن كل كرب) والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس (ثم أنتم تشركون) يريد أنهم يقولون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الاصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع

قوله عز وجل (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال الحسن وقتادة : نزلت

أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويندق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات اعلمهم بفقهمون (يلبسكم يخلطكم من الالتباس يلبسوا يخلطوا شيئا فرقا. حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو ابن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بوجهك » (أو من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك » (أو يلبسكم شيئا ويندق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ « هذه أهون أو أيسر » وهكذا رواه أيضا في كتاب التوحيد عن نثبة عن حماد به ، ورواه النسائي أيضا في التفسير عن قتبية ومحمد بن نصر ابن مساور ويحيى بن حبيب بن عدي رابعهم عن حماد بن زيد به ، وقد رواه الحميدي في مسنده عن سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابراً عن النبي ﷺ به. ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن أبي خيثمة عن سفیان بن عيينة به ، ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع كلهم عن سفیان بن عيينة به ، ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث آدم بن أبي إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم بن علي عن سفیان بن عيينة به ، ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار به

(طريق آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سلمان بن أحمد حدثنا مقدم ابن داود حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قل لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بالله من ذلك » (أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بالله من ذلك » (أو يلبسكم شيئا) قال « هذا أيسر » وان استعاضه لأعاضه. ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة

(أحدها) قال الامام احمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي مريم عن راشد هو ابن سعد المقرائي عن سعد بن أبي وقاص قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فقال « اما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن عباس عن أبي بكر بن أبي مريم به ثم قال هذا حديث غريب

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن ابيه قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناحى ربه عز وجل طويلا ثم قال « سألت ربي ثلاثا سألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » انفراد باخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبد الله بن غير

الآية في أهل الايمان . وقال قوم : نزلت في المشركين ، قوله (عذابا من فوقكم) يعني الصيحة

كلاهما عن عبد الله بن نعيم وعن محمد بن يحيى بن أبي عمرو عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به

(حديث آخر) قال الامام احمد قرأت علي عبد الرحمن بن مهدي عن مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر في حرة بني معاوية - قرية من قرى الانصار - فقال لي هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا؟ فقلت نعم فاشرت إلى ناحية منه فقال هل تدري ما اثلاث التي دعاهن فيه؟ فقلت نعم فقال أخبرني بهن فقلت دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلككم بالسنين فاعطيها، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعوا. قال صدقت فلا يزال المرح إلى يوم القيامة. ليس هو في شيء من الكتب الستة وإسناده جيد قوي والله الحمد والمنة (حديث آخر) قال محمد بن اسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن خفيف عن عباد بن حنيفة عن علي بن عبد الرحمن أخبرني حذيفة بن اليمان قال خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية قال صلى ثماني ركعات فأطال فيهن ثم التفت إلي فقال «حبستك يا حذيفة» قلت الله ورسوله أعلم قال «إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلككم بغرق فأعطاني وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني رواه ابن مردويه من حديث محمد بن اسحاق

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبيدة بن حميد حدثني سليمان بن الاعمش عن رجاء الانصاري عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت لي خرج قبل قال فجعلت لا أمر بأحد الا قال مر قبل ، حتى مررت فوجدته قائما يصلي قال فجئت حتى قمت خلفه قال فأطال الصلاة فلما قضى صلاته قلت يا رسول الله قد صليت صلاة طويلة فقال رسول الله ﷺ «إني صليت صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» سألته أن لا يهلك أممي غرقا فأعطاني وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي» ورواه ابن ماجه في الفتن عن محمد بن عبد الله بن نعيم وعلي بن محمد كلاهما عن أبي معاوية عن الاعمش به ورواه ابن مردويه من حديث أبي عوانة عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ مثله أو نحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكر بن الاشج أن الضحاك بن عبد الله القرشي حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلى سبعة الضحى ثماني ركعات فلما انصرف قال «إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة» سألته أن لا يتلي أممي بالسنين ففعل وسألته

والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (أو من تحت أرجلكم)

أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسأله أن لا يلبسهم شيئا فأبى علي» ورواه النسائي في الصلاة عن محمد ابن سلمة عن ابن وهب به

في حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال قال الزهري حدثني عبدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن خباب عن أبيه خباب بن الارت مولى بني زهرة وكان قد شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ أنه قال وافيت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته فقلت يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة مارأيتك صليت مثاها فقال رسول الله ﷺ « أجل امها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الا اهلكنا قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل أن لا يلبسنا شيئا فمنعنيها» ورواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة به . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه باسناديهما عن صالح بن كيسان والترمذي في الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهري به وقال حسن صحيح

في حديث آخر قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره حدثني زياد بن عبدالله المزني حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزامي عن أبيه أن النبي ﷺ صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال « قد كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل فيها ثلاثا أعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بهذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستطيع بيهضكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيئا وبذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من في رسول الله ﷺ ؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ

في حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن الاشعث الصنعاني عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال « ان لله زوى لي الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمني سيبلغ مازوي لي منها واني أعطيت السككيزن الابيض والاحمر واني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد إني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني قد أعطيتك لأمك أن لا اهلككم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سواهم فيهلككم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا » قال وقال النبي ﷺ « اني لا اخاف على أمتي الا الأئمة المضلين فاذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم

يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون . وعن ابن عباس ومجاهد (عذابا من فوقكم)

الى يوم القيامة » ليس في شيء من الكتب الستة واسناده جيد قوي وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة ثلاثتهم عن ايوب عن ابي قلابة عن ابي اسماء عن ثوبان عن رسول الله ﷺ بنحوه والله اعلم

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم الهاشمي وميمون بن اسحاق بن الحسن الحنفي قالا حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الاشجعي عن نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله ﷺ اذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس يوما فاطال الجلوس حتى أوماً بعضنا الى بعض أن اسكتوا إنه ينزل عاياه فلما فرغ قال له بعض القوم يا رسول الله لقد أطلت الجلوس حتى أوماً بعضنا الى بعض انه ينزل عليك قال لا ولكنها كانت صلاة رغبة وريهة سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كن قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمتي عدواً يستبيحها فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعاً وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها قال قلت له أبوك سمعها من رسول الله ﷺ قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابع هذه عشر أصابع

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبي وهب الخولاني عن رجل قد سماه عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ صلع قل «سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الثعالبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سبرة السوائي عن علي أن رسول الله ﷺ قال «سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة فقالت يارب لا تهلك أمتي جوعاً فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال ذلك لك قلت يارب لا تجعل بأسهم بينهم قال فمنعني هذه

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم عن أحمد بن محمد ابن عاصم حدثنا أبو الدرداء المروذي حدثنا اسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي اربعا فرفع الله عنهم ثنتين وأبى

السلطين الظلمة (ومن تحت أرجلكم) العبيد سوء . وقال الضحاك (من فوقكم) من قبل كباركم

علي أن يرفع عنهم ثنتين، دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيعا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والهرج

(طريق أخرى) عن ابن عباس أيضا قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني الوليد بن ابان حدثنا جعفر بن منير حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (قل هو الله) قل هو الله على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال فقال النبي ﷺ فتوضأ ثم قال «اللهم لا ترسل على امتي عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيعا ولا تذيق بعضهم بأس بعض» قال فأنه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أجاز امتك أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم (حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزار حدثنا عبد الله بن أحمد

لبن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقري حدثنا أسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «سألت ربي لأمي أربع فصال فاعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألته أن لا تكفر أمي واحدة فاعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فاعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقري به نحوه (طريق أخرى) وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد اللبني حدثني الوليد بن رباح مولى آل

(أو من تحت أرجلكم) أي من أسفل منكم (أو يلبسكم شيعا) أي يخلطكم فرقا ويثبت فيكم الأهواء المختلفة (ويذيق بعضكم بأس بعض) يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية (قل هو الله) قل هو الله على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم (قال رسول الله ﷺ «أعوذ بوجهك الكريم») قال (أو من تحت أرجلكم) قال «أعوذ بوجهك» قال (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ «هذا أهون أو هذا أيسر». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو بكر أحمد بن حسن الحبري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحييم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي عرفة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فسلم ركعتين وصلينا معه فنادى ربه طويلا ثم

أبي ذئب سمع أبا هريرة يقول قال النبي ﷺ « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بالمسنين فأعطاني وسألته أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني » ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ورواه البزار من طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

(أثر آخر) قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربعة في هذه الامة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال الرجم (أو من تحت أرجلكم) قال الخسف (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) قال سفيان يعني الرجم والخسف ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) قال فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجم والخسف ، ورواه أحمد عن وكيع عن أبي جعفر ، ورواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد ابن إسحاق حدثنا أبو الاشهب عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث) الآية قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها ، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك وانسدي وابن زيد وغير واحد في قوله (عذابا من فوقكم) يعني الرجم (أو من تحت) أرجلكم يعني الخسف وهذا هو اختيار ابن جرير ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس انه قد نزل بكم ، ان الله يقول (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا (أو من تحت أرجلكم) لو خسف بكم الارض أهلككم ولم يبق منكم أحدا (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض) الا انه نزل بكم أسوأ الثلاث

قال « سألت ربي ثلاثا : سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها »

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن اسمعيل البخاري ثنا اسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عبد الرحمن الانصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال : إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثا فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة : سأله أن لا يسلط

٣٣٢ افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وإصابتها بالخسف والمسخ نفسيرا ابن كثير والبغوي

(قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب سمعت
خلاد بن سليمان يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول في هذه الآية
(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فأثمة السوء (أو من تحت أرجلكم) فخدم السوء
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (عذابا من فوقكم) يعني امراءكم (أو من تحت أرجلكم) يعني عبيدكم
وسفلكم ، وحكى بن أبي حاتم عن أبي سنان وعمر بن هانيء نحو ذلك . قال ابن جرير وهذا القول
وان كان له وجه صحيح لكن الاول أظهر وأقوى ، وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة
قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل
عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث « ليكون في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ » وذلك
مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وستأتي في موضعها
إن شاء الله تعالى وقوله (أو يلبسكم شيئا) يعني يجعلكم ملتبسين شيئا فرقا متخالفين . قال الوابي عن
ابن عباس يعني الالهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي عن طرق عنه
ﷺ انه قال « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » وقوله تعالى
(ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضهم على بعض بالعذاب والقتل
وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) اي نبينها ونوضحها مرة ونفسرها (لعلمهم يفتقرون) أي
يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه . قال زيد بن أسلم لما نزلت (قل هو القادر على أن
يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية قال رسول الله ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم
رقاب بعض بالسيف » قالوا ونحن نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال « نعم » فقال بعضهم لا يكون
هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت (انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم يفتقرون) وكذب
به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (٦٦) لكل نبأ مستقر

وسوف تعلمون (٦٧) وإذا رأيت الذين يخوضون في آيتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا

في حديث غيرهِ وإما يُنسينك الشيطانُ فلا تقعد بعدَ الذكرى مع القوم الظالمين (٦٨)

وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلمهم يتقون (٦٩)

يقول تعالى (وكذب به) أي بالقرآن الذي جنتهم به والهدى والبيان (قومك) يعني قريشا (وهو الحق)

على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك ، وسأله
أن لا يجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك . قوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم يفتقرون)
وكذب به قومك) أي بالقرآن ، وقيل بالعذاب (وهو الحق قل لست عليكم بوكيل) بربيب

اي الذي ليس وراءه حق (قل لست عليكم بوكيل) أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله (وقال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي إنما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة ولهذا قال (لكل نبأ مستقر) قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال (ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال (لكل أجل كتاب) وهذا تهديد ووعداً كيد ولهذا قال بعده (وسوف تعلمون) وقوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) أي بالكذب والاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب (وإما ينسبك الشيطان) والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الامة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها فان جلس احد معهم ناسياً (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد التذكير (مع القوم الظالمين) ولهذا ورد في الحديث « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله (وإما ينسبك الشيطان) قال ان نسيت فذكرت (فلا تقعد) معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هي المشار اليها في قوله (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) الآية أي انكم اذا جالستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساويتموهم فيما هم فيه وقوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أي اذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برأوا من عهدهم ونخلصوا من إثمهم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله ابن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن سعيد بن جبير قوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) قال ما عليك أن يخوضوا في آيات الله اذا فعلت ذلك أي اذا تجنبتهم وأعرضت

وقيل بمسلط أزمكم الاسلام شئتم أو أبيتم إنما أنا رسول ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر من أخبار القرآن ﴿ مستقر ﴾ حقيقة ومنتهى ينتهي اليه فيتبين صدقه من كذبه ، وحقه من باطله ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿ وسوف تعلمون ﴾ وقال مقاتل : لكل خبر يخبره الله وقت وقته ، ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير . وقال الكلبي : لكل قول وفعل حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة وسرف تعلمون ماكان في الدنيا فستعرفونه ، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم

قوله عز وجل ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ﴾ يعني في القرآن بالاستهزاء ﴿ فأعرض عنهم ﴾ فاتركهم ولا تجالسهم ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ وإما ينسبك ﴿ قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين ، وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين ﴾ الشيطان ﴿ نهينا ﴾ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴿ يعني اذا جالست معهم ناسياً فتم من عندهم بعد ما تذكرت ﴾ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ﴿ روي عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية (واذا رأيت

عنهم ، وقال آخرون بل معناه وان جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله (انكم اذا مثلهم) قاله مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم . وعلى قولهم يكون قوله (وانكن ذكري لعلهم يتقون) أي وانكن امرناكم بالاعراض عنهم حينئذ تذكيراً لهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون اليه

وذّر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم ومذاب أليم بما كانوا يكفرون (٧٠)

يقول تعالى (وذّر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا) أي دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلاً فانهم صاثرون الى عذاب عظيم ولهذا قال وذكر به أي ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله وعذابه الا لئيم يوم القيامة، وقوله تعالى (أن تبسل نفس بما كسبت) أي اثلاً تبسل قال الضحاك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي تبسل تسلم وقال الوابي عن ابن عباس تفتضح . وقال قتادة تجبس وقال مرة وابن زيد تؤخذ . وقال الكلبي تجزى وكل هذه الاقوال والعبارات متعارفة في المعنى وحاصلها الاسلام للهلكة والجبس عن الخير والارتهاق عن درك المطلوب كقوله

الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم (قال المسلمون كيف نفعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبداً . وفي رواية قال المسلمون : فاننا نخاف الانم حين نتركهم ولا نهائم فأنزل الله عز وجل (وما على الذين يتقون) الخوض (من حسابهم) أي من أثم الخائضين من شيء (ولكن ذكري) أي ذكروهم وعظوهم بالقرآن ، والذكر والذكرى واحد ، يريد ذكروهم ذكري فيكون في محل نصب (لعلهم يتقون) الخوض اذا وعظتموهم فرخص في مجالستهم على الوغظ لعلهم ينعهم من ذلك الخوض ، وقبل لعلهم يستحيون

قوله عز وجل (وذّر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) يعني الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعوا عند ذكرها ، وقيل إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً فاتخذ كل قوم دينهم أي عيدهم لعباً ولهواً ، وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) أي وعظ بالقرآن (أن تبسل) أي لأن لا تبسل أي لا تسلم (نفس) للهلاك (بما كسبت) قال مجاهد وعكرمة والسدي . قال ابن عباس : تهلك . وقال قتادة : أن تجبس . وقال الضحاك : تحرق . وقال ابن زيد : تؤخذ ، ومعناه ذكروهم ليؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش : تبسل تجازي وقيل تفضيح . وقال الفراء : تترهن وأصل الايسال التحريم والبسل

(كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) وقوله (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) أي لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ولا مكفرون هم الظالمون) وقوله (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أي ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها كقوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدكم ملء الارض ذهباً) الآية وكذا قال ههنا (أولئك الذين أفسدوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)

قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدينا الله

كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتني قل إن

هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العلمين (٧١) وأن أقيموا الصلوة واتقوه وهو

الذي إليه تحشرون (٧٢) وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن

فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير (٧٣)

قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل الله عز وجل (قل

أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) أي في الكفر (بعد إذ هدانا الله)

فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض يقول مثلكم ان كفرتم بعد ايمانكم كمثل رجل

خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فخيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا

يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ

ومحمد هو الذي يدعو الى الطريق والطريق هو الاسلام رواه ابن جرير، وقال قتادة استهوته (الشياطين

في الأرض) أضلته في الأرض يعني استهوته سيرته كقوله (تهوي بهم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس في قوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) الآية هذا مثل ضربه الله للأمة ومن

يدعو اليها والدعاة الذين يدعون الى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن الطريق قائمها إذ ناداه

مناديا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعي

الحرام، ثم جعل نعتاً لكل شدة تقى وترك لها (ليس لها) لتلك النفس (من دون الله ولي) قريب

(ولا شفيع) يشفع لها في الآخرة (وان تعدل كل عدل) أي تمد كل فداء (لا يؤخذ منها) هنا

(أولئك الذين أفسدوا) أساءوا للهلاك (بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا

يكفرون * قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا) إن عبدناه (ولا يضرنا) إن تركناه يعني الأصنام

ليس اليها نفع ولا ضرر (ونرد على أعقابنا) إلى الشرك مرتدين (بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته

الاول انطلق به حتى يلقيه الى الهلكة وان أجاب من يدعو الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان ، يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فانه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله (كالذي استهوته الشياطين في الارض) هم الغيلان (يدعونه) باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها وهو يرى أنه في شيء ، فيصبح وقد رمته في هلكة وربما أكلته أو تلقى في مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل رواء ابن جرير وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد كالذي (استهوته الشياطين في الارض حيران) قال رجل حيران يدعو أصحابه الى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدى . وقال العوفي عن ابن عباس قوله كالذي (استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب) هو الذي لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الارض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويزعمون أن الذي يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لا وليائهم من الانس يقول الله (إن الهدى هدى الله) والضلال ما يدعو اليه الجن ، واه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه الى الضلال ويزعمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان الله أخبر أنهم يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الارض حيران وهو منصوب على الحال أي في حال حيرته وضلاله وجهله توجه المحجة وله أصحاب على المحجة سائرون فجعلوا يدعونه اليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى وتقدير الكلام فيأبى عليهم ولا يلتفت اليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به الى الطريق ولهذا قال قل (إن هدى الله هو الهدى) كما قال (ومن يهد الله فماله من مضل) وقال (إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين) وقوله (وأمرنا انسلم لرب العالمين) أي نخلص له العبادة وحده لا شريك له (وان أقيموا الصلاة واتقوه) أي وأمرنا باقامة

الشياطين ﴿ أي يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين أي أضلته ﴾ في الارض حيران ﴿ قال ابن عباس : كالذي استهوته الغيلان في المهامه فأضلوه فهو حائر بائر ، والحيران المتردد في الامر لا يهتدي إلى مخرج منه ﴾ له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنتا ﴿ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعو أصحابه من أهل الرفقة هلم إلى الطريق ، ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدري أين يذهب ، فان أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة ، وإن أجاب من يدعو إلى الطريق اهتدى ﴾ قل إن هدى الله هو الهدى ﴿ يزجر عن عبادة الأصنام كأنه يقول : لا تفعل ذلك فان الهدى هدى الله لا يهدي غيره ﴾ وأمرنا لنسلم ﴿ أي أن نسلم ﴾ لرب العالمين ﴿ والعرب تقول أمرتك لتفعل ، وأن تفعل ، وبأن تفعل ﴾ وأن أقيموا الصلاة واتقوه ﴿ أي وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى ﴾ وهو الذي اليه تحشرون ﴿ أي تجمعون في

الصلاة وبتقواه في جميع الاحوال (وهو الذي اليه تحشرون) أي يوم القيامة (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) أي بالعدل ^(١) فهو خالقهما ومالكهما والمدير لهما ولمن فيها وقوله (ويوم يقول كن فيكون) يعني يوم القيامة الذي يقول الله كن فيكون عن أمره كلمه البصر أو هو أقرب ، ويوم منهوب إما على العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وإما على قوله (خلق السموات والارض) أي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق واعادته وهذا مناسب . وإما على اضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون وقوله (قوله الحق وله الملك) جملتان محملهما الجبر على أنهما صفتان لرب العالمين ، وقوله (ويوم ينفخ في الصور) يحتمل أن يكون بدلا من قوله (ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ في الصور) ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) كقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق لذرحن وكان يومنا على الكافرين عسيرا) وما أشبه ذلك ، واختلاف المفسرون في قوله (يوم ينفخ في الصور) فقال بعضهم المراد بالصور هنا جمع صورة أي يوم ينفخ فيها فتحيا . قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام . قال ابن جرير والصبواب عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان اسرافيل قد التقم الصور وحنى جبينه ينتظر متى يؤمر فينفخ » رواه مسلم في صحيحه ، وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن اسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال قال اعرابي يارسول الله ما الصور ؟ قال « قرن ينفخ فيه »

وقد روينا حديث الصور بطوله ^(٢) من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال حدثنا احمد بن الحسن المصري الايلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من اصحابه فقال « ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على الموقف للحساب » وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) قيل الباء بمعنى اللام أي اظهارا لاحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته) ويوم يقول كن فيكون) قيل هو راجع إلى خلق السموات والارض ، والخلق بمعنى القضاء ، والتقدير ، أي كل شيء قضاء وقدره قال له كن فيكون ، وقيل يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة كأنه قال . ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون ، وقوموا فيقومون) قوله الحق) أي الصدق الواقع لاحتماله يريد أن ما وعده حق كائن) وله الملك يوم ينفخ في الصور) يعني ملك الملوك يومئذ زائل كقوله (مالك يوم الدين) وكما قال (والامر يومئذ لله) والامر لله في كل وقت ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله ، والصور قرن ينفخ فيه . قال مجاهد : كهية البوق ، وقيل هو بلغة أهل اليمن . وقال أبو عبيدة : الصور هو الصور وهو جمع الصورة وهو قول الحسن والاول أصح والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا

(١) هذا غلط

بل الحق بمعناه الاصلي
وهو ضد الباطل لقوله
(وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما
باطلا) الآية وقوله
(ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانه)
ويتضمن امثال هذه
الآيات الاستدلال
على البعث لمنافاة الحق
للبعث وترك الناس
سدى وهي كثيرة

(٢) هذا الحديث

ملفق لا يصح وبعض
ما فيه شواهد صحيحة
وبعضها مخالف للصحيح
وبعض الآيات ايضا
ويتكلم المؤلف عليه
بعد اتمام سياقه

فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت يا رسول وما الصور؟ قال «القرن» قلت كيف هو؟ قال «عظيم والذي بعثني بالحق أن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول أنفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض الأمن شاء الله ويأمره فيطيلها ويديها ولا يقر ويحي كقول الله (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسير الله الجبال فتمر من السحاب فتكون سربابا ثم ترجع الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح وهو الذي يقول (يوم ترجف الراجفة) تتبها الراجفة قلوب يرمثه واجفة فيميد الناس على ظهرها وتدخل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجم ويولي الناس مدبرين ملهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (رم التناد) فينحاهم على ذلك اذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر قرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالهلل ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها وانخفضت شمسها وقرها» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الاموات لا يعلمون بشيء من ذلك» قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول (ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله)؟ قال «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقامهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه - قال - وهو الذي يقول الله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول يارب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت «رشي فيموتان ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله ليمت حملة العرش فتتموت

أبو طاهر البخاري أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا أبو عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء

ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات -هالة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولاً طوى السموات والارض طوى السجل للكتب ثم دحاها ثم يلقفها ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثاً ثم هتف بصوته (لن الملك اليوم؟) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه (لله الواحد القهار) يقول الله (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فيسطها ويهطمهما ثم يدهما مد الاديم العككلي (لا ترى فيها عرجا ولا أمتا) ثم يزجر الله الخالق زجرة واحدة فاذا هم في هذه الارض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الاولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ثم يأمر الله الاجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى اذا تكملت اجسادهم تكانبت كما كانت قال الله عز وجل ليحي هالة عرشي فيحيون ويأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالارواح فيؤتى بها تنوهج ارواح المسلمين نوراً واوراح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقياها في الصور ثم يأمر الله اسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول دعزني وجلالي ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الاجساد كما عشي السم في اللدغ ثم تنشق الارض عنهم وأنا أول من تنشق الارض عنه فتخرجون سراعاً الى ربكم تسلمون (مطهين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) حفاة عراة غلغاة لا يفتقون موقفاً واحداً -تداره سبعون عاماً لا ينظر اليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدعون دماً وتغرقون حتى يلججكم العرق أو يبلغ الاذقان وتقولون من شفّع لنا الى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرؤون الانبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم - قال رسول الله ﷺ - حتى يأتي فانهلق الى الفحص فأخر -اجداً - قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص؟ قال - قدام العرش حتى يبعث الله اليّ ملكاً فيأخذ بهضدي ويرفعني فيقول لي يا محمد فاقول نعم يا رب، فيقول الله عز وجل ماشاً ملك وهو أعلم - فاقول يا رب عدني الشفاعة وشفعني في خلقك فاتض بينهم قال الله قد شفعتك أنا آتيكم أقضي بينكم - قال رسول الله ﷺ - فارجع فاقف مع الناس فينما نحن وقوف اذ سمعنا من السماء حساً شديداً فيها لنا فينزل أهل

اعرابي الى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ فقال « قرن ينفخ فيه »

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي انا ابو عبد الله بن محمد

السماء الدنيا بمثلي من في الارض من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ قالوا لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والانس، حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ فيقولون لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلال من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم في تخوم الارض السفلى، والارض والسعوات إلى حجزهم والعرش على منابكهم لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يا مشر الجن والانس اني قد أنصت لسكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فانصتوا إلي فأنما هي أعمالكم ومحضكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول (ألم أهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم *) ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون) أو - بها تكذبون - شك أبو عاصم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فيميز الله الناس وتجنّو الامم . يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فيقضي الله عز وجل بين خلقه الا الثقلين الجن والانس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن، فاذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة الاخرى قال الله لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) ثم يقضي الله بين العباد فكان أول ما يقضي فيه الدماء ويأتي كل قتيل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أو داجه فيقول يارب فيم قتلني هذا؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتمهم؟ فيقول قتلتمهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله رجه مثل نور الشمس ثم يمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أو داجه فيقول يارب فيم قتلني هذا؟ فيقول - وهو أعلم - لم قتلتمهم؟ فيقول يارب قتلتمهم لتكون العزة لي فيقول تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها الا قتل بها ولا مظلمة ظلمها الا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب الابن بالماء ثم يليه أن يخلص الابن من الماء، فاذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمم الخلائق كلهم: ألا لياحق كل

ابن عبد الله الصغار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن عطية ابن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب الصور قد التفته

قوم بآلهمهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل يومئذ ملائكة من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم الى النار ، وهو الذي يقول (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فاذا لم يبق الا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال : يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون والله ما لنا إله الا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون والله ما لنا إله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويتجلي لهم من عظمتهم ما يعرفون انه ربهم فيخرون للاذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلابهم كصيافي البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهري جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كالإيب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياذ الحيل أو كجياذ الركاب أو كجياذ الرجال ، فجاج سالم وناج مخدوش ومكدوس على وجهه في جهنم ، فاذا أفضى أهل الجنة الى الجنة قالوا من يشفع لنا الى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فانه أول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بابراهيم فان الله اتخذ خليله ، فيؤتى ابراهيم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فان الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة ، فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول است بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم ، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك اليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد ﷺ قال رسول الله ﷺ « فيأتوني ولي عند ربى ثلاث شفاعات وعدنين فأطلق فأتي الجنة فأخذ بحلقة الباب فاستفتح فيفتح لي فأحييا ويرحب بي فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربى خررت ساجدا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعطى فاذا رفعت رأسي يقول الله وهو أعلم - ما شأنك ؟ فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة » وكان رسول الله ﷺ يقول « والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة

وأصغى سمعه ، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر » فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وقال أبو العلاء عن عطية متى يؤمر بالنفخ فينفخ ، قوله تعالى ﴿ عالم الغيب ﴾

سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثلثين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتها الله في الدنيا فيدخل على الاولى في غرفة من يقوّة على سرير من ذهب مكال بالؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس واستبرق ثم انه يضع يده بين كتفها ثم ينظر الى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدها له مرأة وكبده لها مرأة، فينينا هو عندها لا يملها ولا تملها ماياأتيها من مرة الا وجدها عذراء، مايقتر ذكره وما تشتكي قبلها، فينينا هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل الا انه لا مني ولا منية الا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له والله ماأرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيء أحب الي منك . واذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه الى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حقبيه ومنهم من تأخذ جسده كله الا وجهه حرم الله صورته عليها قال رسول الله ﷺ «فاقول يا رب شفني فيمن وقع في النار من أمتي فيقول اخرجوا من عرقم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يا ذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفيع فيقول الله اخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار ايمانا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله فيقول اخرجوا من وجدتم في قلبه ايمانا ثلثي دينار ثم يقول ثالث دينار ثم يقول ربيع دينار ثم يقول غير ا ط ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط ولا يبقى أحده شفاعا الا شفيع حتى ان المليس يتطاوّل مما يرى من رحمة الله رجاء ان يشفع له ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها مالا يحصى غيره كأنهم حم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حيل السيل فما يلي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصفر ، فينبتون كنبات الطرائث حتى يكونوا أمثال الذر مكتوب في رقابهم الجنة فيموتون عتقاء الرحمن يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرا لله قط فيمكنون في الجنة ماشاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم »

ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا وبعضه شواهد في الاحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به اسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمر بن ابن علي الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء ، قلت وقد اختلف عليه في اسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أوردتها في جزء على حدة وأما سياقه فغريب جدا ويقال انه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً

والشهادة يعني يعلم ماغاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم الخبير)

فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول انه رأى لاوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فآله أعلم

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنني أرىك وقومك في ضلال مبين (٧٤) وكذلك نرى إبراهيم ملوكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربي لأكوننَّ من القوم الضالين (٧٦) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يهتدونى ربي مما تشركون (٧٨) إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين (٧٩)

قال الضحاك عن ابن عباس ان أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ رواه ابن أبي حاتم وقال أيضاً حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا أبو عاصم شبيب حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) يعني بأزر الصنم، وأبو إبراهيم اسمه تارخ وأمه اسمها شاني وامراته اسمها سارة وأم اسماعيل اسمها هاجر وهي سرية إبراهيم وهكذا قال غير واحد من علماء النسب ان اسمه تارخ وقال مجاهد والسدي آزر اسم صنم قلت كانه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فآله أعلم، وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد. وقد قال ابن أبي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت أبي يقرأ (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال بلغني أنها أعوج وإنما أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والصواب ان اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسائي ان اسمه تارخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم، واختلف القراء في أداء قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني أنهما كانا يقرآن (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة) معناه يا آزر أتتخذ أصناماً آلهة، وقرأ الجمهور بالفتح اما على انه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كأحمر وأسود فأما من زعم انه منصوب لكونه معمولاً

قوله عز وجل (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قرأ يعقوب آزر بالرفع يعني يا آزر والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض. قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً مثل اسرائيل ويعقوب وكان من كوثى قرية من سواد الكوفة وقال مقاتل بن حيان وغيره : آزر لقب لأبي إبراهيم واسمه تارخ. وقال سليمان التيمي : هو سب

لقوله (أنتخذ أصناماً) تقديره يأبى أنتخذ آزر أصناماً آلهة فانه قول بعيد في اللغة فان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله لان له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور في قواعد العربية والمقصود ان ابراهيم وعظ اباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته كما قال (واذ قال ابراهيم لآبيه أنتخذ أصناماً آلهة؟) أي أتأله لصنم تعبد من دون الله (إني أراك وقومك) أي السالكين مسلكك (في ضلال مبين) أي تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأصرم في الجبال والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم ، وقال تعالى (واذ كر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) إذ قال لآبيه يأبى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً* يأبى أي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهلك صراطاً سويًا* يأبى لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً* يأبى إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً* قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً* قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيًا* واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا) فكان ابراهيم عليه السلام يستغفر لآبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ان ابراهيم لأواه حليم) وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يا بني اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم أي رب ألم تعدني انك لا تخزني يوم الدين وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال يا إبراهيم انظر ما وراءك فإذا هو بذيح متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض) أي نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وانه لا إله غيره ولا رب سواه كقوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (أفلم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وقال (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط

وعيب ومعناه في كلامهم المعوج ، وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية . وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أنتخذ آزر إلهاً ، قوله ﴿ أنتخذ أصناماً آلهة ﴾ دون الله ﴿ إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ أي في خطأ بين ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ﴾ أي كما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه كذلك نريه ﴿ ملكوت السموات والارض ﴾ والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت . قال ابن عباس : يعني خلق السموات والارض . وقال مجاهد وسعيد بن جبیر : يعني آيات السموات والارض وذلك أنه أقام على صخرة وكشف له عن ملكوت السموات والارض حتى العرش وأسفل الارضين ونظر إلى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى (وآتيناه أجره في الدنيا) يعني أريناه مكانه في الجنة ، وروي عن سلمان رضي الله عنه ورفعه بعضهم عن علي رضي الله عنه لما أرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلاً

عليهم كنعاناً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) وأما ما حكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم قالوا واللفظ للجهاذ فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر الى ما فيهن وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصي ويدعو عليهم فقال الله له اني ارحم بعبادي منك اعلمهم أن يتوبوا أو يرجعوا

وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي ولكن لا يصح اسنادهما والله أعلم وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فانه تعالى جلا له الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعب أصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فردّه كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الامام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل في حديث المنام «أتاني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملائكة على ؟ فقلت لأدري يارب ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت ذلك» وذكر الحديث. وقوله (وليكون من الموقنين) قيل الواو زائدة تقديره وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين كقوله (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المحرمين) وقيل بل هي على بابها أي نريه ذلك ليكون عالما وموقنا وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي تغشاه وستره (رأى كوكبا) أي نجما (قال هذا ربي فلما أفل)

على فاحشة فدعا عليه فهلك ، ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ، ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب عز وجل يا ابراهيم : انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي ، فلما أمان عبدي على ثلاث خصال : إما أن يتوب إلي فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني ، وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت عنه : وإن شئت عاقبته ، وفي رواية وإما أن يتولى فإن جهنم من ورائه. وقال قتادة : ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) الآية . قال أهل التفسير : ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كيان ومنعمون فقالوا له : انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ، ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء عليهم السلام فقال السدي : رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففرغ من ذلك فرغاً شديداً فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك فقالوا : هو مولود يولد في

أي غاب قال محمد بن اسحاق بن يسار الاقول الذهاب وقال ابن جرير يقال افل النجم بأفل وبأفلر
أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذي الرمة

ناحيته في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه ، قالوا فأمر بذبح كل
غلام يولد في ناحيته في تلك السنة ، وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا ، فاذا
حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض ، فاذا طهرت حال بينها
فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم عليه السلام . وقال محمد بن
اسحاق : بعث نمروذ إلى كل امرأة حبلى بقرينه فحبسها عنده إلا ما كان من أم ابراهيم عليه السلام
فانه لم يعلم بحبائها لأنها كانت جارية حديثة السن لم يعرف الحبل في بطنها . وقال السدي : خرج نمروذ
بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث بذلك ماشاء الله ،
ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأتها أحد من قومه إلا آزر فبعث إليه ودعاه وقال له :
إن لي حاجة أريد أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لتقتي بك فأقسمت عليك أن لاتدنو من أهلك ،
فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال : لو دخلت
على أهلي فنظرت إليهم ، فلما نظر إلى أم ابراهيم عليه السلام لم يتألك حتى واقعها فحملت بابراهيم عليه
السلام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لما حملت أم ابراهيم قال السكبان لنمرود : إن الغلام الذي
أخبرناك به قد حملته أمته الليلة فأمر نمروذ بقتل الغلمان ، فلما دنت ولادة أم ابراهيم عليه السلام
وأخذها الخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعت في نهر يابس ثم افته في خرقة
ووضعت في حلفاء فرجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا وكذا فانطلق أبوه
فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع ،
وكانت أمه تختلف إليه فترضعه . وقال محمد بن اسحاق : لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا
إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ، ثم
سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه . وقال
أبو روق : قالت أم ابراهيم ذات يوم لأظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ، ومن أصبع
لبناء ، ومن أصبع عسلا ، ومن أصبع تمرأ ، ومن أصبع سمنا . وقال محمد بن اسحاق : كان آزر قد
سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت : قد ولدت غلاما مات فصدقها فسكت عنها ، وكان اليوم على
ابراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ، فلم يمكث ابراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى
قال لأمه : أخرجني فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال : إن الذي
خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي مالي إله غيره ثم نظر إلى السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ،
ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الآفلين ، ثم لما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ،

مصاييح ليست باللاوآتي يقودها * دياج^(١) ولا بالآفلات الزوائل^(٢)

(١) في المكية:

مجوم

(٢) وفيها ايضاً:

الدوالك

ثم أنبأه ببصره حتى غاب ، ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبري . من دين قومه إلا أنه لم ينأدهم بذلك فأخبره أنه ابنه ، وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً ، وقيل إنه كان في السرب سبع سنين ، وقبل ثلاث عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لأبيه : من ربي ؟ قالت أنا ، قال فمن ربك ؟ قالت أولك ، قال فمن رب أبي ؟ قالت نمرد ، قال فمن ربه ؟ قالت له اسكت فسكت ، ثم رجعت إلى زوجها فقالت : أرايت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض فانه ابنك ثم أخبرته بما قول فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه : من ربي ؟ قال أمك ؟ قال فمن رب أبي ؟ قال أنا ، قال فمن ربك ؟ قال نمرد ، قال فمن رب نمرد ؟ فلعظه لطمه وقال له : اسكت ، فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً قال هذا ربي ، ويقال إنه قال لأبويه : أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابراهيم إلى الابل والخيول والغنم فسأل أباه ماهذه ؟ فقال ابل وخیل وغنم ، فقال ماهذه بدمن أن يكون لها رب وخالق ، ثم نظر فإذا المشتري قد طالع ويقال الزهرة فسكنت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها فرأى الكوكب قبل القمر ، فذلك قوله عز وجل . (فلما جن عليه الليل) أي دخل الليل يقال جنّ الليل ، واجن الليل ، وجنه الليل ، وأبناه واجن عليه الليل بمن جنونا وجننا إذا اظلم وغطى كل شيء وجنون الليل سواده (رأى كوكباً) قرأ أبو عمرو رأى بفتح الراء وكسر الالف وبكسرهما ابن عامر وحمة والكسائي وأبو بكر ، فإن اتصل بكف أو هاء فتحهما ابن عامر ، وإن لقيهما سا كن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر وفتحهما لا آخرون (قال هذا ربي) واختلفوا في قوله ذلك فأجرا بعضهم على الظاهر وقالوا : كان ابراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وقته الله وآتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال ، وايضاً كان ذلك في حال طفولته قبل قيام الحجّة عليه فلم يكن كفراً ، وانكر الآخرون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يكون الله رسول يأتي عليه وقت من الاوقات إلا وهو موحد لله وبه عارف ، ومن كل معبود سواه بري ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل ، واخبر عنه وقال (اذ جاء ربه بقلب سليم) وقال (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) افتراه اراه الملكوت ليوقن فما يقن رأى كوكباً قال هذا ربي معتقداً فهذا مالا يكون ابداً ، ثم قال فيه أربعة أوجه من التأويل (احدها) أن ابراهيم اراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون المنجوم ويعبدونها ويرون أن الأمور

ويقال أين أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا: قال (لأحب الآقين) قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغا أي طالعا قال هذا ربي فلما أفل قال (لئن لم يهديني ربي لأكون من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) أي هذا المنير الطالع (ربي هذا أكبر) أي جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة (فلما أفلت) أي غابت (قال يا قوم اني بريء من مما تشركون* اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والارض) أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيفا) أي في حال كوني حنيفا أي مائلا عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (وما أنا من المشركين) وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا بقوله (لئن لم يهديني ربي) الآية وقال محمد بن اسحاق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من عمرو بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل العلمان عامثا فلما حملت أم ابراهيم به وعان

كلها اليها فاراهم أنه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما أفل ابراهيم انقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ومثل هذا مثل الحوارى الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فأظهر تعظيمه فأكرموا حتى صدروا في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشاودوه في أمره فقال الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أضلنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعائهم الى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا (والوجه الثاني) من التأويل أنه قاله على وجه الاستفهام تقديره أهذا ربي كقوله تعالى (فان مت فهم الخالدون) أي أنهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرأ لفعلمهم يعني أمثل هذا يكون ربا أي ليس هذا ربي (والوجه الثالث) أنه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال (ذق انك أنت العزيز الكريم) أي عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى أنه قال (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنترقته) يريد إلهك بزعمك. (والوجه الرابع) فيه اضمار وتقديره يقولون هذا ربي كقوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا) أي يقولان ربنا تقبل منا ﴿فلما أفل قال لأحب الآقين﴾ ومالا يدوم ﴿فلما رأى القمر بازغا﴾ طالعا ﴿قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي﴾ قيل لئن لم يثبتني ربي على الهدى ليس أنه لم يكن مهتديا والانبياء لم يزوالوا يسألون الله تعالى الثبات على الايمان وكان ابراهيم يقول واجنبنى وبني أن نعبد الاصنام ﴿لا كون من القوم الضالين﴾ أي عن الهدى ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ طالعة ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي أكبر من الكوكب والقمر ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لانه أراد هذا الطالع أو رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه أضوا من النجوم والقمر ﴿فلما أفلت﴾ غربت ﴿قال يا قوم اني

وضعها ذهبت به الى سرب ظاهر البلد فولدت فيه ابراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام فيبين في المقام الاولين معانيه خطأهم في عبادة الاصنام الارضية التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم الى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون اليه . وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحركة وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وأشدهن اضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فيبين أولاً صلوات الله وسلامه عليه ان هذه الزهرة لا تصلح للآلهية فانها مسخرة ، مقدرة بغير معين لا تزيع عنه يميناً ولا شمالاً ولا تملك لنفسها تصرفاً بل هي جرم من الاجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الابصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للآلهية ثم انتقل الى القمر فيبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل الى الشمس كذلك فلما انتفت الآلهية عن هذه الاجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الابصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال يا قوم اني بريء مما تشركون) أي أنا بريء من عبادتهم وموالاتهم فان كانت آلهة فكيدوني بها جميعاً ثم لا تنظرون (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) اي إنما أعبد خالق هذه الاشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربّه ومليكه والآله كما قال تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وكيف يجوز أن يكون ابراهيم ناظراً في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقّه (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لايه وقومه ها هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) الآيات وقال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتنبه وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل اني هادي ربي الى صراط مستقيم ديناً قديماً قديماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل مولود يولد على الفطرة » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « قال الله إني خلقت عبادي حنفاء » وقال الله في كتابه العزيز (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال تعالى (وإذا

بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين

أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ألا تدبركم؟ قالوا بلى (ومعناه على أحد القولين كقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها) كما سيأتي بيانه. فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أنه قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين ناظراً في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب ، ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً قوله تعالى

وحاجه قومه قال أتحنثوني في الله وقد هديت ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء

ربي شيئاً وسيع ربي كل شيء ظهراً أم خفياً فلا تتذكرون (٨٠) وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون

أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحقُّ بالأمن إن كنتم تعلمون

(٨١) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٨٢) وتلك

حجتنا آتيتها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (٨٣)

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول أنه قال (أتحاجوني في الله وقد هديت) أي تجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرتني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) أي ومن الدلائل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أبا لها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلون بذلك. وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربي شيئاً) استثناء منقطع أي لا يضر ولا

قوله تعالى (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هديت) ولما رجع إبراهيم عليه السلام إلى أبيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذباحين وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم لينبئها فيذهب بها إبراهيم عليه السلام وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصبوب فيه رؤسها وقال اشتريني استهزاء بقومه وبما هم فيها من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه أي خاصمه وجادله قومه في دينه قال أتحاجوني في الله قرأ أهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون وقرأ الآخرون بتشديد يدها إدغاماً لأحدى النونين في الأخرى ومن خفف حذف إحدى النونين تخفيفاً يقول أتجادلوني في توحيد الله وقد هداني للتوحيد والحق (ولا أخاف ما تشركون به) وذلك أنهم قالوا له احذر الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون أعيبك إياها فقال لهم (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) وليس هذا

ينفع الا الله عز وجل (وسمى ربي كل شيء علما) أي أحاط علمه بجميع الاشياء فلا يخفى عليه خافية (أفلا تذكرون أي فيما بينته لكم أفلا تعجبون أن هذه الآلهة باطلة فتنبذوا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهمنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول إلا اعتراك بعض آلهمنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أي بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الآية وقوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أي كيف أخاف من هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) قال ابن عباس وغير واحد من السلف أي حجة وهذا كقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقوله (فأَي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون) أي فأَي الطائفتين أصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيها أحق بالامن من عذاب الله يوم القيامة لاشريك له قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) أي هؤلاء الذي أخذوا العبادلة لله وحده لاشريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقاموا يارسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) انما هو الشرك

وقال ابن أبي خاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع وابن ادریس عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ

باستثناء من الاول بل هو استثناء منقطع معناه لكن (إن يشاء ربي شيئا) أي سوا فيكون ماشاء (وسمى ربي كل شيء علما) أي احاط علمه بكل شيء (أفلا تذكرون وكيف أخاف ما أشركتم) يعني الاصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) حجة وبرهان وهو القاهر القادر على كل شيء (فأَي الفريقين أحق بالامن) أولي (بالامن) أنا وأهل ديني أم انتم (إن كنتم تعلمون) فقال الله تعالى قاضيا بينهما (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لم يخطئوا إيمانهم بشرك (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) أخبرنا عبد الواحد بن حمد المليحي

قالوا وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس كما تظنون إنما قال لابنه (يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) وحدثنا عمر بن تغلب القرني حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت (ان الشرك لظلم عظيم) رواه البخاري وفي لفظ قالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبي ﷺ «ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك» ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعا قال (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال «بشرك» قال وروي عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمر بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضجالي وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك، وقال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال رسول الله ﷺ «قيل لي أنت منهم» وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما مرزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ «كأن هذا راكب إياكم يريد» فأنتهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ «من أين أقبلت؟» قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال «فأين تريد؟» قال أريد رسول الله ﷺ قال «فقد أصبته» قال يارسول الله علمني ما الإيمان قال «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» قال قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذ فبهى بعيره وهوى الرجل فوقه على هامته فمات فقال رسول الله ﷺ «على بالرجل» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأفعداه فقالا يارسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ «أما رأيتما إعراضي عن الرجل فاني رأيت ملسكين يدرسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعاً» ثم قال رسول الله ﷺ «هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية» ثم قال «دونكم أخاكم» فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفنناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال «الحدوا ولا تشقوا فان الله لنا والشق لغيرنا» ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس

أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا إسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الأعمش أنا إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق

قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلاذي ومالي لا مهتدي بهدائك وآخذ من قولك وما بلغتك حتى مالي طعام الا من خضر الارض فاعرض عليّ فعرض عليه رسول الله ﷺ فقبل فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جردان فتردى الاعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول الله ﷺ «صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاذه وماله لا مهتدي بهدائي وآخذ من قولي وما بلغني حتى ماله طعام الا من خضر الارض أسمعتم بالذي عمل قليلا وأجر كثيرا؟ هذا منهم. أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون؟ فان هذا منهم» وفي لفظ قال «هذا عمل قليلا وأجر كثيرا» وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى السكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن سخبرة قال قال رسول الله صلعم «من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر» وسكت قال فقالوا يا رسول الله ماله؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقوله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أي وجهنا حجتهم عليهم قال مجاهد وغيره يعني بذلك قوله (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن) الآية وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ثم قال بعد ذلك كله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) قري، بالاضافة وبلا إضافة كما في سورة يوسف وكلاهما قريب في المعنى وقوله (إن ربك حكيم عليم) أي حكيم في أقواله وأفعاله عليم أي بمن يهديه ومن يضلّه وإن قامت عليه الحجج والبراهين كما قال (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (ان ربك حكيم عليم)

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان

وأبواب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى

ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»

قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) حتى خصمهم وغلبهم بالحجة. قال مجاهد هي قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) وقيل أراد به الحجاج الذي حاج به نمرود على ماسبق في سورة البقرة (نرفع درجات من نشاء) بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب (درجات) بالتثنية ههنا وفي سورة يوسف أي نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد (ان ربك حكيم عليم) ووهبنا له اسحاق ويعقوب

(م ٥٤ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل وإسحاق ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين (٨٦) ومن آباؤهم وذريّتهم وإخوانهم واجتنبناهم وهدّيناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفروا بها هؤولاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين (٨٩) أولئك الذين هدى الله فبهدّهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين (٩٠)

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن وأيس هو وامراته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروها بإسحاق فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (يا رباني أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب) قالوا أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فبشروها مع وجوده بنبوته وبأن له نسلاً وعقباً كما قال تعالى (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) وهذا أكل في البشارة وأعظم في النعمة وقال (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر أعينكما به كما قررت بولده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) وقال هبنا (وهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا) وقوله (ونوحاً هدينا من قبل) أي من قبله هديناه كما هديناه (وهبنا له ذرية صالحة وكل منها له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالتناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ومن هدينا وإذا تلقى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) وقوله في هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أي وهدينا من ذريته داود وسليمان الآية وعود الضمير كلاً هدينا وفقنا وأرشدنا ونوحاً هدينا من قبل أي من قبل إبراهيم (ومن ذريته) أي من ذرية

الى نوح لانه أقرب المذكورين ظاهر لا اشكال فيه وهو اختيار ابن جرير . وعوده الى ابراهيم لانه الذي سيقى الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لو طافانه ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن آزر اللهم الا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبا كما في قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون) فاسماعيل عمه دخل في آيائه تغليبا ، وكما قال في قوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس) فدخل ابليس في أمر الملائكة بالسجود وضم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعمل معاملتهم ودخل معهم تغليبا والا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور وفي ذكر عيسى عليه السلام في ذرية ابراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لان عيسى عليه السلام انما ينسب الى ابراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فانه لا أب له : قال ابن أبي حاتم حدثنا سهل بن يحيى العسكري حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا علي بن عباس عن عبد الله بن عطاء المسكي عن أبي حرب بن أبي الاسود قال أرسل الحجاج الى يحيى بن يعمر فقتل بلغني انك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله الى آخره فلم أجده ؟ قال أليس تقرأ سورة الانعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى . قال أليس عيسى من ذرية ابراهيم وليس له أب ؟ قال صدقت . فلماذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فلما اذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فانه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربي

بنونا بنو أبائنا ، وبنائنا بنوهن أبناء الرجال الاجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنات فيهم أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ

نوح عليه السلام ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر في جملةهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم (داود) هو داود بن ايشا (وسليمان) يعني ابنه (وأيوب) وهو أيوب بن اموص بن رازخ بن روم ابن عيص بن اسحاق بن ابراهيم (ويوسف) هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام (وموسى) وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وهارون) هو اخو موسى اكبر منه بسنة (وكذلك) اي كما جزيانا ابراهيم على توحيدده بأن رفعنا درجته ووهبنا له اولاداً انبياء اتقياء كذلك (فنجزى المحسنين) على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم (وزكريا) هو زكريا بن آذن (ويحيى) وهو ابن مريم بنت عمران (والياس) واختلفوا فيه قال ابن مسعود هو ادريس وله اسماء مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وادريس جد ابي نوح وهو الياس بن بشر ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران (كل من الصالحين واسماعيل) وهو ولد ابراهيم (واليسم)

قال الحسن بن علي «ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فسماه ابناً فدل على دخوله في الابداء . وقال آخرون : هذا تجوز ، وقوله (ومن آباؤهم وذرياتهم واخوانهم) ذكر أصولهم وفروعهم ، وذوي طبقتهم ، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم ولهذا قال (واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) ثم قال تعالى (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي انما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك انك أشركت ليحبطن عملك) الآية ، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله (قل إن كان لآرحمن ولد فأنا أول العابدين) وكتوبه (ولو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وكقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار)

وقوله تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) أي أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفاً منا بالخلقة (فان يكفر بها) أي بالنبوة ، وبجمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الاشياء الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة ، وقوله (هؤلاء) يعني أهل مكة . قاله ابن عباس وسعيد ابن المسيب والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أي إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قریش وغيرهم من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومليين وكتابين فقد وكلنا بها قوما آخرين ، أي المهاجرين والانصار وأتباعهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) أي لا يمجحدون منها شيئاً ولا يردون منها حرفاً واحداً ، بل يؤمنون بجميعها بحكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم بمنه وكرمه واحسانه ، ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ (أولئك) يعني الانبياء

وهو ابن اخطوب بن العجوز وقرأ حمزة والكسائي والليث بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص (ويونس) وهو يونس بن متى (ولوط) وهو لوط بن هاران بن اخي ابراهيم (وكلنا فضلنا على العالمين) أي عالمي زمانهم (ومن آباؤهم) من فيه للتبميز لان آباء بعضهم كانوا مشركين (وذرياتهم) أي ومن ذرياتهم وأراد ذرية بعضهم لان عيسى ربي لم يكن لها ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً (واخوانهم واجتبيناهم) اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) ارشدناهم (إلى صراط مستقيم) ذلك هدى الله دين الله (يهدي به) يرشد به (من يشاء من عباده ولو أشركوا) أي هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) لعل وذهب (عنهم) ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب أي الكتب المنزلة عليهم (والحكم) يعني العلم والفقه (والنبوة) فان يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) يعني الانصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد وقال قتادة (فان يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) يعني الانبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا وقال أبو رجاء العطاردي معناه فان يكفر بها أهل الارض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوما

المذكورين، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والأخوان وهم الاشباه (الذين هدى الله) أي هم أهل الهدى لا غيرهم (فبهداهم اقتده) أي اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن جريح أخبرهم قال أخبرني سليمان الاحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس (ص) سجدة فقال نعم ثم تلا (ووهبنا له اسحق ويعقوب — إلى قوله — فبهداهم اقتده) ثم قال هو منهم، زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم، وقوله تعالى (قل لأسألكم عليه أجراً) أي لا أطلب منكم على ابلاغي إياكم هذا القرآن أجراً، أي أجرة ولا أريد منكم شيئاً (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان

وما قدرُوا الله حقَّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء. قل من أنزل الكتاب

الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجمعونه قرأ طيس تبدو نهاؤن تحفون كثير أوعدهم ما لم

تملوا أنتم ولا آباؤكم؟ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٩١) وهذا كتب أنزلناه مبارك

مصدق الذي بين يديه ولتُنذِرَ أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به

وهم على صلاتهم يحافظون (٩٢)

«١» لم يذكر

ههنا: نص الآية قبل

تفسيرها كعادته فلعله

سهو

يقول تعالى (١) وما عظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم: قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله ابن كثير نزلات في قریش واختاره ابن جریر، وقيل نزلت في طائفة من اليهود، وقيل في فنجاص رجل منهم، وقيل في مالک بن الصیف (قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) والاول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون انزال الكتاب من السماء وقریش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد ﷺ لأنه من البشر كما قال (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس) وكقوله

ليسوا بها بكافرين ﴿أو أهلك الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله ﴿فبهداهم﴾ فبسيرتهم وسيرتهم ﴿اقتده﴾ الهلك فيها ها، الوقف وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل والباقون باثباتها وصلاً ووقفاً وقرأ ابن عامر اقتده باشباع الهاء كسراً ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو﴾ ما هو ﴿الا ذكرى﴾ أي تذكرة وموعظة ﴿للعالمين﴾

قوله عز وجل ﴿وما قدرُوا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه حق عظمتهم وقيل ما وصفوه حق صفته ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ قال سعيد بن جبیر جاء رجل من اليهود يقال له مالک بن

تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا؟ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) وقال ههنا (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال الله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لا ينزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سليمهم التمام بآيات قضية جزئية موجبة (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نوراً وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات ، وقوله (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) أي تجعلون جوامعها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتخفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتناولون، وتقولون هذا من عند الله ، أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبا ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم ، وقد قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب^(١) وقال مجاهد هذه للمسلمين ، وقوله تعالى (قل الله) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي قل الله أنزله، وهذا الذي قلناه ابن عباس هو المتميز في تفسير

«١» قيل ان هذه نزلت مرتين مرة بمكة والخطاب فيها للمشركين ولعلها قراءة ابن كثير وأبي عمر (يجعلونه قراطيس تبدونها) بالياء التحتانية . ومرة بالمدينة ولعلها قراءة (تجعلونه) بالفوقانية لانه خطاب لليهود والمراد أن النبي (ص) لما قرأها واحتج بها على اليهود قرأ الافعال بالتاء

الصيف بخاصم النبي ﷺ بمكة فقال له النبي ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يغيض الجبر السمين؟ - وكان جبراً سمينا - فغضب فقال والله (ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال السدي نزلت في فيحاص بن عازراء وهو قاتل هذه المقالة وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس ان الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت (ما أنزل الله على بشر من شيء)؟ قال فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فمزعوه من الجبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف، وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتاباً قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال الله (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) يعني التوراة (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) أي تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة تبدونها أي تبدون ماتحبون وتخفون كثيراً من نعمت محمد ﷺ وآية الرجم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يجعلونه ويبدونها ويخفونها بالياء جميعاً لقوله تعالى (وما قدروا الله) وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) وقوله (وعلمتم ما لم تعلموا) الا كثرون على أنها خطاب لليهود يقول علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا (أنتم ولا آباؤكم) قل الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد ﷺ (قل الله) هذا راجع الى

هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض المتأخرين من أن المعنى (قل الله) أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة « الله » وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب والابتياز بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها ، وقوله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتي يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألمهم العاقبة أم لعباء الله المتقين ؟ وقوله (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ولتنذرا أم القرى (يعني مكة (ومن حولها) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى (قل يأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال (لا نذركم به ومن بلغ) وقال (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال (وقل للذين أتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنا عليكم البلاغ والله بصير بالعباد) وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمسا لم يعطن أحد من الانبياء قبلي » وذكر منهم « وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » ولهذا قال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن (وهم على صلاتهم محافظون) أي يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يُوحَ إليه شيء ، ومن قال

سأزل مثل ما أنزل الله ؟ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم

أخرجوا أنفسهم اليوم تجزؤن مذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن

آيته تستكبرون (٩٣) ولقد جئتمونا فرأي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء

«١» الأرض

لا تسمى قرى وإنما

القرى البلاد ذات

المساكن الجامعة

وأما هي الكبرى

التي يتبعها غيرها

وتسمى العاصمة مكة

عاصمة البلاد العربية

قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فان اجابوك والافعل أنت الله أي قل أنزل الله ﷻ ثم

ذرهم في خوضهم يلعبون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك أي القرآن كتابا مبارك أنزلناه (مصدق الذي

بين يديه) ولتنذر يا محمد قرأ أبو بكر عن عاصم ولينذر بالباء أي ولينذر الكتاب (أم القرى) أي

مكة سميت أم القرى لان الارض دحيت من تحتها فهي أصل الارض كلها (١) كلام أصل النسل وأراد

أهل أم القرى (ومن حولها) أي أهل الارض كلها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به)

بالكتاب (وهم على صلاتهم) يعني الصلوات الخمس (محافظون) يداومون يعني المؤمنون

قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فزعم أن الله تعالى هه نبياً (أو

ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء. لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترعمون (٩٤)

يقول تعالى (ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا) أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولد أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى (أوقال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) قال عكرمة وقتادة نزلت في مسيلة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) أي ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتره من القول كقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) الآية قال الله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) أي في سكراته وغمراته وكرباته (والملائكة باسطوا أيديهم) أي بالضرب كقوله (لئن بسطت إلي يدك لتقتلي) الآية وقوله (يبسطوا اليكم أيديهم وأستنهم بالسوء) الآية وقال الضحاك وأبو صالح

قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء قال قتادة نزلت في مسيلة الكذاب وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين فقال النبي ﷺ لهما «أشهد أن مسيلة نبي؟» قالا نعم فقال النبي ﷺ «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» أخبرنا حسان بن سعيد المنبجي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ «بيننا أنا نائم إذ أتيت من خزائن الأرض فوضع في يدي سواران ذهب فكبرا علي وأهمني فأرحتني إلى أن انفختها فنفختها فذهبا فأرتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» أراد بصاحب صنعاء الأسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قيل نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه سمعها بصيرا كتب عليها حكما وإذا قال عليها حكما كتب غفورا رجيا^(١) فلما نزلت (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال النبي ﷺ اكتبها فمكدا نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلي كما أوحى إليه. فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمر الظهران، وقال ابن عباس قوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا

(١) قد حققنا في تفسيرنا أن الآيات المحتمة بهذه الأسماء كلها نزلت بعد رده

قوله عز وجل (ولو ترى) يا محمد (إذ الظالمون في غمرات الموت) سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطوا أيديهم) بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل بقبض الأرواح

باسماؤهم أي بالعذاب كقوله (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ولهذا قال (والملائكة باسطوا أيديهم) أي بالضرب لم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والاضلال والسلاسل والجمع والجميع والجميع وغضب الرحمن الرحيم فتتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الآية أي اليوم تهانون غاية الاهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون على اتباع آياته والالتقياد لرسوله ، وقد وردت الاحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت وهي مكررة عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثا مطولا جداً من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً قاله أعلم ، وقوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أي يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث ، وقوله (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) أي من النعم والاموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك ، من مالك الا ما أكلت فأفنت . أو لبست فأبليت . أو تصدقت فأفنت . وبأسوى ذلك فذهب وتارك للناس » وقال الحسن البصري يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه يدخل فيقول الله عز وجل أين ما جمعت؟ فيقول يارب جمعت وتركته أو فر ما كان ، فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئاً « وتلا هذه الآية (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) الآية رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) تفريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الانداد والاصنام والاثوان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم ان كان ثم معاد فاذا كان

(أخرجوا) أي يقولون أخرجوا ﴿أنفسكم﴾ أي ارواحكم كرها لان نفس المؤمن تنشط للقاء ربه والجواب محذوف يعني ولو تراهم في هذه الحال لرأيت عجبا ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي الهوان ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ تعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة (ولقد جئتمونا فرادى) وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم ، وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكرى وكسلان وكسالى وقرأ الاعرج فردى بغير الف مثل سكرى ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ عراة حفاة غرلا ﴿وتركتم﴾ وخلفتم ﴿ما خولناكم﴾ أعطيناكم من الاموال والأولاد والخدم ﴿وراء ظهوركم﴾ خلف ظهوركم في الدنيا ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ وذلك ان المشركين زعموا أنهم

٣٦٢ الآيات في تكوين الحب والنبات والحياة والنيرات السماوية تفسير ابن كثير والبغوي

يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يقترون ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق: (أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ ولهذا قال ههنا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم، ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم قريء بالرفع أي شملكم وبالنصب أي لقد تقطع^(١) ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل (وضل عنكم) أي ذهب عنكم (ما كنتم تزعمون) من رجوى الاصنام والانداد كقوله تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقال تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وقال تعالى (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين) وقال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية وقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا) إلى قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) والآيات في هذا كثيرة جداً

« ١ » وفي
الازهرية : انقطع

إن الله قال الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي. ذلكم الله فأتى 'تؤفكون' (٩٥) قالق الإصباح وجعل الأمل سكنا والشمس والقمر حسابا، ذلك تقدير العزيز العليم (٩٦) وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون (٩٧)

يخبر تعالى أنه قالق الحب والنوى أي يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله (قالق الحب والنوى) بقوله

يعبدون الاصنام لانهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده ﴿لقد تقطع بينكم﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو تقطع الامر بينكم، وقرأ الباقر بن بينكم برفع النون أي لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله (وتقطعت بهم الأسباب) أي الوصلات والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجراً ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾

قوله عز وجل ﴿إن الله قالق الحب والنوى﴾ الفلق الشق قال الحسن وقتادة والسدى معناه يشق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها والحب جمع الحبة وهي اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى وقال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر وقال مجاهد يعني الشقين اللذين فيها أي يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق

(يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت كقوله (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) الى قوله (ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وقوله (ومخرج الميت من الحي) معطوف على (فالحق الحب والنوى) ثم فسرهُ ثم عطف عليه قوله (ومخرج الميت من الحي) وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ، ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التي تنظمها الآية وتشملها

ثم قال تعالى (ذلکم الله) أي فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له (فاني تؤفكون) أي كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه الى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله (فالحق الاصباح وجعل الليل سكنا) أي خالق الضياء والظلام كما قال في أول السورة (وجعل الظلمات والنور) أي فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصبح فيضيء الوجود ، ويستدير الافق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ، ويحيى النهار بضياءه واشراقه ، كقوله (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) فيبين تعالى قدرته على خالق الاشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظيمته وعظيم سلطانه فذكر أنه فالحق الاصباح وقابل ذلك بقوله (وجعل الليل سكنا) أي ساجيا مظلما لتسكن فيه الاشياء كما قال (والضحي والليل اذا سجي) وقال (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجل) وقال (والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) وقال صهيب الرومي رضي الله عنه لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا الا لصهيب ، إن صهيبا اذا ذكر الجنة طال شوقه ، واذا ذكر النار طار نومه . رواه ابن أبي حاتم . وقوله (والشمس والقمر حسبانا) أي يجريان بحساب مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا كما قال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) الآية وكما قال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (ذلك تقدير العزيز

النوى عن النخل ويخرجها منه والنوى جمع النواة وهي كل مالم يكن له حب كالقمر والشمس والخوخ ونحوها وقال الضحاك (فالحق الحب والنوى) يعني خالق الحب والنوى ﴿ يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلکم الله فاني تؤفكون ﴾ تصرفون عن الحق ﴿ فالحق الاصباح ﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكشفه وقال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كالاقبال والادبار وهو الاضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار يريد ومبدي الصبح وموضعه ﴿ وجعل الليل سكنا ﴾ يسكن فيه خلقه وقرأ اهل الكوفة وجعل على الماضي الليل نصب اتباعا للمصنف وقرأ ابراهيم النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا ﴿ والشمس والقمر حسبانا ﴾ أي جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى أقصى منازلها والحسبان مصدر كالحساب وقيل جمع حساب ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

العليم) أي الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء فلا يغرب عن علمه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالهزة والعلم كما ذكر في هذه الآية وكافي قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيها في أول سورة حم السجدة قال (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) قال بعض السلف من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه : أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقوله (قد فصلنا الآيات) أي قد بيناها ووضحناها لقوم يعلمون) أي يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (٩٨) وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعتاب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشبهه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون (٩٩) يقول تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام قال (يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) وقوله (فمستقر ومستودع) اختلفوا في معنى ذلك فمن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وقيس بن أبي حازم ومجاهد وعطاء وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وعطاء الخراساني وغيرهم فمستقر أي في الأرحام قالوا أو أكثرهم (ومستودع) أي في الأصاب وعن ابن مسعود وطائفة عن عكسه

قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم) أي خلقها لكم (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) والله تعالى خلق النجوم لفوائد (أحدها) هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصدهم (والثاني) أنها زينة للسماء كما قال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) ومنها رمي الشيطان كما قال (وجعلناها رجوما للشياطين) (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) وهو الذي أنشأكم (خلقكم) وأبدأكم (من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) قرأ ابن كثير وأهل البصرة فمستقر بكسر التاء يعني فمستقر ومنكم مستودع وقرأ الآخرون بفتح التاء أي فمستقر ومستودع واختلفوا في المستقر والمستودع قال عبد الله بن مسعود فمستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث وقال سعيد بن جبير وعطاء فمستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب

وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت ، وقال سعيد بن جبير فمستقر في الارحام وعلى ظهر الارض وحيث يموت ، وقال الحسن البصري المستقر الذي قد مات فاستقر به عمله ، وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الاول أظهر والله أعلم ، وقوله تعالى (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أي يفهمون ويعون كلام الله ومعناه ، وقوله تعالى (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي بقدر مبارك ورزقا للعباد وإحياء وغيانا للخلائق رحمة من الله بخلقه (فأخرجنا به نبات كل شيء) كقوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » (فأخرجنا منه خضرا) أي زرعاً وشجراً أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والتمر ولهذا قال تعالى (نخرج منه حبا متراكبا) أي يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها (ومن النخل من طلعها قنوان) أي جمع قنوه وهي عذوق الرطب (دانية) أي قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الواابي عن ابن عباس (قنوان دانية) يعني بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالارض رواه ابن جرير . قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيس يقولون قينوان . قال امرؤ القيس :
فأتت أعاليه وأدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمر

قال وتميم يقولون قنيان بالياء قال وهي جمع قنوه كما أن صنوان جمع صنوه وقوله تعالى (وجنات من

الآباء وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما أنه ما كان مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل وروي عن أبي أنه قال مستقر في أصلاب الآباء ومستودع في أرحام الامهات وقيل مستقر في الرحم ومستودع فوق الارض قال الله تعالى (ونقر في الارحام ما نشاء) وقال مجاهد مستقر على ظهر الارض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة ويدل عليه قوله تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وقيل المستودع القبر والمستقر الجنة والنار لقوله عز وجل في صفة أهل الجنة (حسنت مستقراً ومقاماً) وفي صفة أهل النار (ساءت مستقراً ومقاماً) ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ﴿ أي بالماء ﴾ نبات كل شيء فأخرجنا منه ﴿ من الماء وقيل من النبات ﴾ خضراً يعني أخضر مثل العود والاعور يعني ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما ﴿ نخرج منه حبا متراكباً ﴾ أي متراكباً بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وسائر الجبوب ﴿ ومن النخل من طلعها ﴾ والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل ﴿ قنوان ﴾ جمع قنوه وهو العذق مثل صنوه وصنوان ولا نظير لهما في الكلام ﴿ دانية ﴾ أي قريبة المتناول ينالها القام والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتزقة بالارض وفيه اختصار معناه ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بذكر القرية عن البعيدة لسبقه الى الافهام كقوله تعالى (سرايل تقيكم الحر) يعني الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿ وجنات من أعناب ﴾ أي وأخرجنا منه جنات وقرأ الاعمش عن عاصم وجنات بالرفع

أعنان) أى ونخرج منه جنات من أعنان وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما آمن الله بهما على عباده في قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وكان ذلك قبل تحريم الخمر قال (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعنان) وقوله تعالى (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) قال قتادة وغيره متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) أي نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وغطاء الخراساني والسدي وقاتدة وغيرهم، أي فكروا في قدرة خالقه من العدم الى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنبا ورطبا وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعنان وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) الآية ولهذا قال ههنا (إن في ذلكم) أيها الناس (آيات) أي دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) أي يصدقون به ويتبعون رسوله

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما

يصفون (١٠٠)

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به في عبادته أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له في العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم . فان قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب أنهم ما عبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم أيأهم بذلك كقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولا تضلنهم ولا تمنينهم ولا تمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولا تمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غورا) وكقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية وقال إبراهيم لآبيه (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا) وكقوله (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لسكم عدو

نسقا على قوله قنوان وعامة القراء على خلافة ﴿والزيتون والرمان﴾ يعني وشجر الزيتون وشجر الرمان ﴿مشتبها وغير متشابه﴾ قال قتادة معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشتبه في المنظر مختلف في الطعم ﴿انظروا الى ثمره﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم هذا وما بعده وفي يس على جمع الثمار وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الثمرة مثل بقرة وبقرة ﴿إذا أثمر وينعه﴾ ونضجه وادراكه ﴿ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون﴾

قوله عز وجل ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ يعني الكافرين جعلوا لله الجن شركاء ﴿وخلقهم﴾

مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) وتقول الملائكة يوم القيامة (سبحانك أنت وإنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) أي وقد خلقهم فهو الخالق وحده لا شريك له فكيف يعبد معه غيره كقول إبراهيم (أعبدون ما ترحمون والله خلقكم وما تعملون) ومعنى الآية أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلماذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له وقوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) ينه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في عزيز ومن قال من النصارى في عيسى ومن قال من مشركي العرب في الملائكة أنها بنات الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) ومعنى خرقوا أي اختلقوا واتفكوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وخرقوا يعني تخرصوا وقال العوفي عنه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الضحاك وضعوا وقال السدي قطعوا قال ابن جرير وتأويله إذاً وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياهم وهو المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبعظمته فإنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال (سبحانه وتعالى عما يصفون) أي تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجاهلة الضالون من الأولاد والانداد والنظراء والشركاء

بديع السموات والأرض أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو

بكل شيء عليهم (١٠١)

(بديع السموات والأرض) أي مبدعها وخالقها ومنشئها ومحدثها على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف (أني يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) أي والولد إنما يكون متولداً بين شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إداً) إلى قوله (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) (وخلق كل شيء وهو بكل

يعني وهو خلق الجن قال السكبي نزلت في الزنادقة أثبتوا الشراكة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب وهذا كقوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وإبليس من الجن (وخرقوا) قرأ أهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف أي اختلقوا له بنين وبنات بغير علم وذلك مثل قول اليهود عزير بن الله وقول النصارى المسيح بن الله وقول كفار مكة الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما يصفون) بديع السموات والأرض أي مبدعها لا على مثال سبق (أني يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شيء وهو

شيء عليم) فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء وأنه بكل شيء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خلق كل شيء فاعبدوه. وهو على كل شيء وكيل (١٠٢)

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣)

يقول تعالى (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة (لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل (وهو على كل شيء وكيل) أي حفظ ورقب يدبر كل ماسواه ويرزقهم ويكلاهم بالليل والنهار وقوله (لا تدركه الأبصار) فيه أقوال للأئمة من السلف (أحدها) لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب وفي رواية على الله فإن الله تعالى قال (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة عن غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رأى بفؤاده مرتين والمسئلة تذكر في أول سورة النجم أن شاء الله، وقال ابن أبي حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت اسماعيل بن علية يقول في قول الله (لا تدركه الأبصار) قال هذا في الدنيا، وذكر أبي عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك. وقال آخرون (لا تدركه الأبصار) أي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبه من الجبل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب فقول الله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] وقال تعالى عن الكافرين (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الإمام الشافعي فدل هذا على أن المؤمنين

بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه (فأطيعوه) وهو على كل شيء وكيل (بالخفظ له والتدبير) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار (يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفى رؤية الله عز وجل، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً كما جاء به القرآن والسنة قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال مالك رضي الله عنه لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الله الكفار بالحجاب وقرأ النبي عليه السلام (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

لأبججبون عنه تبارك وتعالى. وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريج وصيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين. وقيل المراد بقوله [لا تدركه الابصار] أي العقول رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدي عن أبي الحصين مجي بن الحصين قاريء أهل مكة أنه قال ذلك، وهذا غريب جداً وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية والله أعلم

وقال آخرون لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم. ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالحظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى. قال ابن علية في الآية هذا في الدنيا رواه ابن أبي حاتم

وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى (ولا يحيطون به علماً) وفي صحيح مسلم «لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا. قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال لا يحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا اسباط عن سماك عن عكرمة أنه قيل له (لا تدركه الابصار) قال ألسنت ترى السماء؟ قال بلى قال فكيف ترى؟ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) هو أعظم من أن تدركه الابصار

وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا أبو عريضة عن عطية العوفي في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال هم ينظرون إلى الله لا يحيط أبصارهم به من عظمتهم وبصره محيط بهم فذلك قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم ههنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث السهمي حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري

ابن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف البريعي أنا ابن شهاب عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس ابن حازم عن جرير بن عبد الله قال قال النبي ﷺ «أنكم سترون ربكم عياناً» وأما قوله (لا تدركه الابصار) اعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بالإدراك قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون

عن رسول الله ﷺ في قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) « قال لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله أبدا » غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي في جامعه وابن أبي عاصم في كتاب السنة له وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم في مستدركه من حديث المسك بن ابان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية ، فقال لي لأمر لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء ، وفي رواية لا يقوم له شيء ، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وفي معنى هذا الاثر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً « أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجاب به النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وفي الكتب المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى المسأل الرؤية : يا موسى انه لا يراني حي الامات ولا يابس الا تدهده . أي تدعثر وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) وفي هذا الاثر الادراك الخاص لا ينفي الرؤية بمرم القيامة يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء فاما جلالة وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الابصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالذي نفته الادراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء وقوله (وهو يدرك الابصار) أي يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لانه خلقها كما قال تعالى (الا يعلم من خلقى وهو اللطيف الخبير) وقد يكون عبر بالابصار عن المبصرين كما قال السدي في قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) لا يراه شيء وهو يرى الخلاق وقال أبو العالية في قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم

قال فلا) وقال (لا تخاف دركا ولا تخشى) فنفي الادراك مع إثبات الرؤية فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى (ولا يحيطون به علما) فنفي الاحاطة مع ثبوت العلم لم قال سعيد بن المسيب لا يحيط به الابصار وقال عطاء كات أبصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة قوله (وهو يدرك الابصار) أي لا يخفى على الله شيء ولا يفوته (والله اللطيف الخبير) قال ابن عباس رضي الله عنهما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل

وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه (يا بني انما ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأتي بها الله ان الله لطيف خبير)

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بفيظ (١٠٤)
وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)

البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ (فمن أبصر فلنفسه) كقوله (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ولهذا قال (ومن عمي فعليها) لما ذكر البصائر قال (ومن عمي فعليها) أي انما يعود وباله عليه كقوله « فانما لا تسمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (وما أنا عليكم بفيظ) أي بحافظ ولا رقيب بل انما أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله (وكذلك نصرف الآيات) أي وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من بيان التوحيد وانه لا إله الا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن للجهالة الجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارئهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا أبي حدثنا سفينان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تاوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخباراً عن كذبهم وعنادهم (وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً

للشيء بالين والرفق وقيل اللطيف الذي ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخرجوا وأصل اللطف دقة النظر في الاشياء قوله عز وجل ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل ﴿فمن أبصر﴾ أي فمن عرفها وآمن بها ﴿فلنفسه﴾ عمله ونفعه له ﴿ومن عمي فعليها﴾ أي من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها أي فبنفسه ضر ووبال العمى عليها ﴿وما أنا عليكم بفيظ﴾ برقيب أحصي أعمالكم انما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ نفصلها ونبينها في كل وجه ﴿وليقولوا﴾ قبل معناه لئلا يقولوا ﴿درست﴾ وقيل اللام لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا درست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً﴾ ومعلوم انهم لم ينتقطوه لذلك ولكن أراد ان عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم قال ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست أي تعلمت من يسار وجبر كانا عبيد من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله من قولهم درست الكتاب أدرس درسا ودراسة وقال الفراء رحمه الله يقولون تعلمت من اليهود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالألف أي

وقالوا أساطير الاولين اكتبها الآية) وقال تعالى اخباراً عن زعيمهم وكاذبهم (إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر)

وقوله (ولنبينه لقوم يعلمون) أي ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيتجنبونه فله تعالى الحكمة البالغة في اضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء ، كقوله تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) الآية وكقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء ولهذا قال ههنا (وكذلك نصرف الآيات ولنبينه لقوم يعلمون) وقرأ بعضهم (وليقولوا درست) قال التميمي عن ابن عباس درست أي قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن (وليقولوا درست) يقول تقادمت وانمحت وقال عبد الرزاق أيضاً أنبأنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبياناً يقرءون ههنا درست وإنما هي درست وقال شعبة حدثنا أبو اسحاق الهمداني قال هي في قراءة ابن مسعود درست يعني بغير الف بنصب السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انمحت وتقادمت أي ان هذا الذي تتلوه علينا قد مر بنا قديماً وتطاوت مدته وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة انه قرأها درست أي قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة ودرست قرئت وفي حرف ابن مسعود ودرس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هارون قال هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنون النبي ﷺ أنه قرأ وهذا غريب فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة

قارأت أهل الكتاب من المدارس بين الاثنين يقول قرأت عليهم وقرأوا عليك وقرأ ابن عامر ويعقوب درست بفتح السين وسكون التاء أي هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الاثر يدرس دروساً ولنبينه لقوم يعلمون أي القرآن وقيل (نصرف الآيات لقوم يعلمون) قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل يعني

حدثنا احمد بن ابي بزة المكي حدثنا وهب بن زمعة عن أبيه عن حميد الاعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله ﷺ (وليقولوا درست) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث وهب بن زمعة وقال يعني بحزم السين ونصب التاء ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو

شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧)
يقول تعالى أمر أرسوله ﷺ ولئن اتبع طريقتي (اتبع ما أوحى إليك من ربك) أي اقتد به واقتف أثره واعمل به فان ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه لأنه لا إله إلا هو (وأعرض عن المشركين) أي اغف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم واعلم أن الله حكمة في أضلالهم فانه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعا ولو شاء لجمعهم على الهدى (ولو شاء الله ما أشركوا) أي بل له المشيئة والحكمة فيما يشاء ويختاره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظا) أي حافظا تحفظ أقوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي موكل على أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقال (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل

أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)

يقول الله تعالى ناعياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصالحة لا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قالوا يا محمد لنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك ففهم الله أن يسبوا أو ثأنهم (فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية لما حضر

أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد (اتبع ما أوحى إليك من ربك) يعني القرآن اعمل به (لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) فلا تجادلهم (ولو شاء الله ما أشركوا) أي ولو شاء لجمعهم مؤمنين (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيباً قال عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني أي لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مباعاً (وما أنت عليهم بوكيل) قوله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) الآية قال ابن عباس

أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري وبعضوا رجلاً منهم يقال له المطالب قالوا استأذن لنا على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحسب أن تدعوه فتنهائهم عن ذكر آلهتنا ولدعاه وإلهه فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبا طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله ﷺ «ما تريدون؟» قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولدعك وإلهك فقال النبي ﷺ «أرايتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملككم بها العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج» قال أبو جهل وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا فما هي؟ قال «قولوا لا إله إلا الله» فأبوا واشمأزوا قال أبو طالب يا ابن أخي قل غيرها فإن قوهك قد فزعوا منها قال «يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها» ارادة أن يؤسبهم فغضبوا وقالوا لتكفرن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فذلك قوله (فيسبوا الله عدواً بغير علم) ومن هذا القبيل وهو ترك المصاحبة لمفسدة أخرج منها ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ملعون من سب والديه» قالوا يارسول

لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أو ثائتهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة وقال السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن أبي البختري إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآلهتنا فنحسب أن تدعوه وتنهائهم عن ذلك وعن ذكر آلهتنا ولدعاه وإلهه فدعاه فقال يا محمد هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا ندعك وإلهك وقد أنصفتك قومك فأقبل منهم فقال النبي ﷺ «أرايتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملككم بها العرب ودانت لكم بها العجم» فقال أبو جهل نعم وليك لنعطينكها وعشرة أمثالها قال فما هي قل «قولوا لا إله إلا الله» فأبوا وتفرقوا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو آتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا له لتكفرن عن سب آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فأنزل الله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) يعني الاوثان (فيسبوا الله عدواً أي اعتداء وظلماً بغير علم) وقرأ يعقوب

وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال « يسب أبا الرجل فيسب أباءه ويسب أمه فيسب أمه » أو كما قال ﷺ وقوله (كذلك زيننا لكل أمة عملهم) أي وكما زيننا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زيننا لكل أمة أي من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه والله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره (ثم إلى ربهم مرجعهم) أي معادهم ومصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) أي يجازيهم أعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) وتقلب أفتدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)

يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أي حلفوا أيماناً مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي معجزة وخارق (ليؤمنن بها) أي ليصدقنّها (قل إنما الآيات عند الله) أي قل يا محمد

عدواً بضم العين والدال وتشديد الواو فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه « لا نسبوا ربكم » فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم وظاهر الآية وإن كان نهياً عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لأنه سب سبب لذلك ﴿ كذلك زيننا لكل أمة عملهم ﴾ أي كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والحزلان كذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم ﴾ ويجازيهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ قوله عز وجل ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ الآية قال محمد بن كعب القرظي والسكابي قالت قریش يا محمد انك تخبرنا أن موسى عليه السلام كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه الماء اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ﷺ « أي شيء تجبون » قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل أو أرنا الملائكة يشهدون فقال رسول الله ﷺ « فإن فعلت بعض ما تقولون أنصدقوني » قالوا نعم والله لئن فعلت لتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عذبهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل يتوب تائبهم » فأنزل الله عز وجل ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ أي حلفوا بالله جهد أيمانهم أي مجهد أيمانهم يعني أوكد ماقد روا عليه من الإيمان وأشدها قال السكابي ومجاهد إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾ كما جاءت من قبلهم من الأمم ﴿ ليؤمنن بها قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما الآيات

لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعناداً لا على سبيل الهدى والاسترشاد إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن نود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ﷺ «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟» قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً فقال لهم «فإن فعلت تصدقوني؟» قالوا نعم والله لئن فعلت لتتبعك أجمعين فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاء جبريل عليه السلام فقال له ما شئت أن شئت أصبح الصفا ذهباً ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وإن شئت فأتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ «بل يتوب تائبهم» فأُنزل الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) إلى قوله تعالى [واسكنوا أكثرهم يحلون] وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر

وقال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية وقوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قيل الخطاب بما يشعركم المشركون، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريك بصدقهم في هذه الأيمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بكسر أنها على استئناف الخبر عنهم بنفي الأيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالتاء المثناة من فوق وقيل الخطاب بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول وما يدريك أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز في قوله (إنها) الكسر كالاول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لافي قوله (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) صلة كقوله (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) أي ما منعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون

عند الله ﷻ والله قادر على أنزالها ﷻ وما يشعركم ﷻ وما يدريك ﷻ واختلفوا في الخطابين بقوله وما يشعركم فقال بعضهم الخطاب للمشركين الذين أقسموا وقال بعضهم الخطاب للمؤمنين وقوله تعالى ﷻ أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﷻ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم أنها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون أنها لو جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم بقوله وما يشعركم، ثم ابتداء فقال جل ذكره (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون وقرأ الآخرون أنها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله لا يؤمنون فقال الكسائي لأصله ومعنى الآية وما يشعركم أيها المؤمنون إن الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون كقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي

وتقديره في هذه الآية وما يدريككم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصا على إيمانهم أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون قال بعضهم «أنها» بمعنى أهلها قال ابن جرير وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي ابن كعب قال وقد ذكر عن العرب سمعا اذهب إلى السوق انك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك تشتري قال وقد قيل إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله أعلم

وقوله تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر وقال مجاهد في قوله (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم) ونحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حللنا بينهم وبين الايمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعلمهم قبل أن يعملوه وقال (ولا ينبئك مثل خبير) أجل وعلا وقال (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله إلى قوله لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدرُوا على الهدى وقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حللنا بينهم وبينه أول

يرجعون وقيل أنها بمعنى لعل وكذلك هو في قراءة أبي، تقول العرب اذهب إلى السوق انك تشتري شيئا أي لعلك تشتري بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي * إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

أي لعل منيتي وقيل فيه حذف وتقديره وما يشعر كمن أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون. وقرأ ابن عامر وحزرة لا تؤمنون بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي إذا جاءكم لا تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء على الخبر دليلها قراءة الأعمش أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها (كما لم يؤمنوا به أول مرة) أي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به أول مرة يعني معجزات موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا تقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم كما قال (ولو ردوا لعادوا

مرة وهم في الدنيا وقوله (ونذرهم) أي نتركهم (في طغيانهم) قال ابن عباس والسدي في كفرهم ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة في ضلالهم (يعمهمون) قال الأعشى يلبسون وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع وأبو مالك وغيره في كفرهم يترددون

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا

إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون (١١١)

يقول تعالى ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فنزلنا عليهم الملائكة نخبهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سألوها فقالوا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) (وقالوا إن نؤمن لك حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً (وكلمهم الموتى) أي فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) قرأ بعضهم قبلاً بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعينة وقرأ آخرون بضمهما قيل معناه من المقابلة والمعينة أيضاً كما رواه علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلاً أي أفواجا قبيلاً أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤهم به (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) أي إن الهداية إليه لا إليهم بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفاعل لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى (ان الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم)

وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف

لما نهوا عنه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قال عطاء نخذلهم وندعهم في ضلالهم يتمادون (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) قرأهم عياناً (وكلمهم الموتى) باحيائنا أياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوها (وحشرنا) وجمعنا (عليهم كل شيء قبلاً) قرأ أهل المدينة وابن عامر قبلاً بكسر القاف وفتح الباء أي معينة وقرأ الآخرون بضم القاف والباء قيل هو جمع قبيل وهو الكفيل مثل رغيف ورغف وقضيب وقضب أي ضمنا وكفلاء وقيل هو جمع قبيل وهو القبيلة أي فوجاً فوجاً وقيل هو بمعنى المقابلة والمواجهة من قولهم أتيتك قبلاً لادبراً إذا أتاه من قبل وجهه (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ذلك (ولكن أكثرهم يجهلون)

قوله عز وجل (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً) أي أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ يعني كما

القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢) ولتصغى إليه أفئدة الذين

لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون (١١٣)

يقول تعالى وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية وقال تعالى (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وقوله (شياطين الانس والجن) بدل من (عدوا) أي لهم أعداء من شياطين الانس والجن ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبهم الله ولعنهم ، قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله (شياطين الانس والجن) قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض ، قال قتادة وبلغني أن أباذر كان يوما يصلي فقال النبي ﷺ « تعوذ يا أباذر من شياطين الانس والجن » فقال أوان من الانس شياطين فقال رسول الله ﷺ « نعم » وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطل فيه الجلوس قال فقال « يا أباذر هل صليت » قلت لا يا رسول الله قال « قم فاركع ركعتين » قال ثم جئت فجلست اليه فقال « يا أباذر هل تعوذت بالله من شياطين الجن والانس » قال قلت لا يا رسول الله وهل للانس من شياطين ؟ قال « نعم هم شر من شياطين الجن » وهذا أيضا فيه انقطاع ، وروى متصلا كما قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي أن أبا ناهن أبي عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسيح عن أبي ذر قال أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال

ابتلياك هؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء ثم فسره فقال (شياطين الانس والجن) قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي : معناه شياطين الانس التي مع الانس ، وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين ، وذلك أن ابليس جعل جنده فريقين : فبعث فريقا منهم إلى الانس وفريقا منهم إلى الجن ، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن : أضلت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله ، ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك ، فذلك وحي بعضهم إلى بعض . قال قتادة ومجاهد والحسن : إن من الانس شياطين كما أن من الجن شياطين ، والشيطان العاتي المتعرد من كل شيء قالوا : إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب إلى متعرد من الانس وهو شيطان الانس فأغواه بالمؤمن ليفتنه يدل

« يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقامت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعود بالله من شر شياطين الانس والجن » قال قلت يا رسول الله وللانس شياطين ؟ قال « نعم » وذكر تمام الحديث بطوله وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى ثلاثهم عن المسعودي به

﴿ طريق أخرى عن أبي ذر ﴾ قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن ؟ » قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين ؟ قال « نعم » ﴿ طريق أخرى للحديث ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاع عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن والانس ؟ » قال يا رسول الله وهل للانس شياطين ؟ قال « نعم » (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقوله (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس في الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن ، قال وحدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا اسراييل عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) قال الانس شياطين والجن شياطين فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، وقال أسباط عن السدي عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم الى بعض) أما شياطين الانس فالشياطين التي تضل الانس وشياطين الجن التي تضل الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه أي اضللت صاحبي بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا ، فهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الانس عند عكرمة والسدي الشياطين من الجن الذين يضلون الناس لا أن المراد منه شياطين الانس منهم ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى وهو محتمل وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الانس يضلونهم قال فياتقي شياطين الانس وشياطين الجن فيقول هذا لهذا أضلاه

عليه ماروي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والانس » فقلت يا رسول الله : وهل للانس من شياطين ؟ قال « نعم هم شر من شياطين الجن » وقال مالك بن دينار : إن شياطين الانس أشد علي من شياطين الجن وذلك أي اذا تعوذت بالله ذهب غي شياطين الجن وشياطين الانس تحيطني فتجبرني إلى المعاصي عيانا

بكذا فهو قوله (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر ان للانس شياطين منهم وشيطان كل شيء مارده ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال « الكلب الاسود شيطان » ومعناه والله أعلم شيطان في السكالب ، وقال ابن جريج قال مجاهد في تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون الى شياطين الانس كفار الانس زخرف القول غرورا ، وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمني وأنزلي حتى كاد يتعاهد مبتي بالليل ، قال فقال لي اخرج إلى الناس فخدمهم قال فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ، فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى (بما أوحينا إليك هذا القرآن) وقال تعالى (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم : ما لكم ذاك اني مفتيكم وضيغكم فتركوني ، وانما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد قبحة الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق قال الله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره (ولو شاء ربك ما فعلوه) أي وذلك كله بقدر الله وقضائه وارادته ومشيتته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء (فذرهم) أي فذرهم (وما يفترون) أي يكذبون ، أي دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم فان الله كافيك وناصرك عليهم ، وقوله تعالى (ولتصغى اليه) ولتميل اليه . قاله ابن عباس (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم . وقال السدي : قلوب الكافرين (وليرضوه) أي يحبوه ويريدوه ، وانما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى (فانكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم) وقل تعالى (انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وقوله (وليقتروا ما هم مقترفون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليكتسبوا ما هم مكتسبون وقال السدي وابن زيد وليعملوا ما هم عاملون

قوله تعالى ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض ﴾ أي يلقي ﴿ زخرف القول ﴾ وهو قول موه من مزخرف بالباطل لا معنى تحته ﴿ غرورا ﴾ يعني هؤلاء الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم غرورا والغرور القول الباطل ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ أي ما ألقوه من الوسوسة في القلوب ﴿ فذرهم وما يفترون ﴾ ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ أي تميل اليه ، والصغو الميل ، يقال صغو فلان معك أي ميله ، والفعل منه صغى يصغى صغاً ، وصغى يصغى ويصغو صغواً ، والهاء راجعة إلى زخرف القول ﴾ وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ﴿ يقال اقتترف فلان مالا اذا اكتسبه وقال تعالى (ومن يقترب حسنة) وقال الزجاج : أي ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون

أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتينهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (١١٤) وتمت كلمت ربك صدقا

وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (١١٥)

يقول تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله غيره الذين يعبدون غيره (أفغير الله أبتغي حكما) أي بيني وبينكم (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) أي مبيناً (والذين آتينهم الكتاب) أي من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أي بما عندهم من البشارات بك من الانبياء المتقدمين (فلا تكونن من الممترين) كقوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وهذا شرط والشرط لا يقتضي وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال «لأشك ولا أسأل» وقوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) قال قتادة صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم يقول صدقا في الاخبار وعدلا في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مزية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فانه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل) (لا مبدل لكلماته) أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى لافي الدنيا ولا في الآخرة (وهو السميع) لا أقوال عباده (العليم) بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله

قوله عز وجل ﴿ أفغير الله ﴾ فيه اضمار أي قل لهم يا محمد أفغير الله ﴿ أبتغي ﴾ أطلب ﴿ حكماً ﴾ قاضياً بيني وبينكم ، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ : اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم به ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾ مبيناً فيه أمره ونهيه يعني القرآن ، وقيل مفصلاً أي خمسا وخمسا ، وعشراً عشرأ كما قال (لثبتت به فؤادك) ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعني علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل ، وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب ، وقال عطاء : هم رؤس أصحاب النبي ﷺ والمراد بالكتاب هو القرآن ﴿ يعلمون أنه منزل ﴾ يعني القرآن ، قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوما متفرقة ، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الانزال كقوله تعالى (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب) ﴿ من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين ﴾ من الشاكين أنهم يعلمون ذلك قوله عز وجل ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد ، وقرأ الآخرون كلمات بالجمع ، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعدته ووعيدته ﴿ صدقا وعدلا ﴾ أي صدقا في الوعد والوعيد ، وعدلا في الأمر والنهي . قال قتادة ومقاتل : صدقا فيما وعد ، وعدلا فيما حكم ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ قال ابن عباس : لأراد لقضائه ، ولا مغير لحكمه ، ولا خلف لوعده ﴿ وهو السميع العليم ﴾ قيل أراد بالكلمات القرآن (لا مبدل له) يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون

وإن تطعم أكثر من في الأرض يضلواك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم

إلا يخرسون (١١٦) إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١١٧)
يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال كما قال تعالى (واقعد ضل قبليهم
أكثر الأولين) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهم في ضلالهم ليسوا على يقين
من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل (إن يتبعون إلا الظن وأنهم إلا يخرسون)
فإن الخرس هو الحزر ومنه خرص النخل وهو حزر ما عليها من التمر وذلك كله عن قدر الله ومشيتته
(هو أعلم من يضل عن سبيله) فييسره لذلك (وهو أعلم بالمهتدين) فييسرهم لذلك وكل ميسر لما خلقه

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآيته مؤمنين (١١٨) وما لكم ألا تأكلوا مما
ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيراً ليضلون
بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين (١١٩)

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ومفهومه أنه لا يباح
ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب
وغيرها ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل
لكم ما حرم عليكم) أي قد بين لكم ما حرم عليكم ووضعه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلواك عن سبيل الله﴾ عن دين الله وذلك أن أكثر أهل
الأرض كانوا على الضلالة، وقيل أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة وقالوا
تأكلون ما تقتله ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل فقال (وإن تطعم أكثر من في الأرض) أي وإن
تطعمهم في أكل الميتة يضلواك عن سبيل الله ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ يريد أن دينهم الذي هم عليه
ظن وهوى لم يأخذه عن بصيرة ﴿وإن هم إلا يخرسون﴾ يكذبون ﴿إن ربك هو أعلم من يضل
عن سبيله﴾ قيل موضع من، نصب بنزع حرف الصفة أي بمن يضل. وقال الزجاج: موضعه رفع
بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾
أخبر أنه أعلم بالفريقين بالضالين والمهتدين فيجازي كلا بما يستحقون

قوله تعالى ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ أي كلوا مما ذبح على اسم الله ﴿إن كنتم بآياته
مؤمنين﴾ وذلك أنهم كانوا يحرمون أصنافاً من النعم ويحلون الاموات فتبيل لهم أحلوا ما أحل الله،
وحرّموا ما حرّم الله ثم قال ﴿وما لكم﴾ يعني أي شيء لكم من ﴿أن لا تأكلوا﴾ وما يمنعكم من أن تأكلوا
﴿مما ذكر اسم الله عليه﴾ من الذبائح ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب

بالتخفيف والكل بمعنى البيان والوضوح (إلا ما اضطررتم إليه) أي إلا في حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال (وان كثيرًا يضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافتراءهم

وذروا ظاهر الأثم وباطنه ان الذين يكسبون الأثم سيجزون بما كانوا يقترفون (١٢٠) قال مجاهد (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) معصيته في السر والعانية وفي رواية عنه هو ما ينوي مما هو عامل، وقال قتادة (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) أي سره وعلايته قليله وكثيره، وقال السدي: ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الزنا مع الحائلة والصدائق والاخذان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح ان الآية عامة في ذلك كله وهي كقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الآية ولهذا قال تعالى (ان الذين يكسبون الأثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أي سواء كان ظاهراً أو خفياً فان الله سيجزيهم عليه قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأثم فقال «الأثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه» وحفص فصل وحرم بالفتح فيهما، أي فصل الله ما حرمه عليكم لقوله (اسم الله) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويحيى بن عمرو بضم الفاء والحاء، وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل لقوله (ذكر) وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر فصل بالفتح وحرم بالضم وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) إلا ما اضطررتم إليه من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار (وان كثيرًا يضلون) قرأ أهل الكوفة بضم الياء، وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس لقوله تعالى (يضلوك عن سبيل الله) وقيل أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البخاير والسوائب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله (من يضل) (بأهوائهم بغير علم) حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) يعني الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين وقال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهره ما يعمله الانسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالصبر على الذنب القاصد له. قال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه الخالة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الأثم الاعلان بالزنا وهم أصحاب الرايات وباطنه الاستسرار به، وذلك أن العرب كانوا يجبون الزنا، وكان الشريف منهم يتشرف فيسربه وغير الشريف لا يبالي به فيظهر فخرهما الله عز وجل وقال سعيد بن جبير: ظاهر الأثم نكاح المحارم وباطنه الزنا. وقال ابن زيدان: ظاهر الأثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف، والباطن الزنا، وروى جبان عن الكلبي ظاهر الأثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة (ان الذين يكسبون الأثم سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكسبون في الدنيا

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه نفسق وإن الشيطان ليوحون إلى

أولياهم ليجبدوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون (١٢١)

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الذابح مسلماً، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسئلة على ثلاثة أقوال، فمنهم من قال لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً وهو مروي عن ابن عمر ونافع مولاة وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الامام مالك ورواية عن احمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري واختار ذلك أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الاربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله في آية الصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) ثم قد أكد في هذه الآية بقوله (وإنه نفسق) والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله وبالأحاديث الواردة في الامر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » وهما في الصحيحين، وحديث رافع ابن خديج « ما نهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » وهو في الصحيحين أيضاً، وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن « اسم كل عظم ذكر اسم الله عليه » رواه مسلم، وحديث جندب بن سفيان البجلي قال قال رسول الله ﷺ « من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صليها فليذبح باسم الله » أخرجاه، وعن عائشة رضي الله عنها أن ناساً قالوا يا رسول الله إن قومياً أتونا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ قال « سموا عليه أنتم وكلوا » قالت وكانوا حديثي عهد بالكفر رواه البخاري، ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها وخشوا أن لا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت وأمرهم بأجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم،

والمذهب الثاني في المسئلة أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فإن تركها عمداً أو نسياناً لا تضر وهذا مذهب الامام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الامام أحمد نقاباً عنه حنبل وهو رواية عن الامام مالك وناض على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح والله

قوله عز وجل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها . وقال عطاء : الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام ، واختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عمداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر هذه

أعلم : وحمل الشافعي الآية السكرية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وأنه لفسق (على ما ذبح
لغير الله كقوله تعالى (أو فسقا أهل غير الله به) وقال ابن جريج عن عطاء (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه) قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح الجوس
وهذا المسلك الذي طرقة الامام الشافعي قوي وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو
في قوله (وأنه لفسق) حالية أي . لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً ولا يكون
فسقاً حتى يكون قد أهل به لغير الله ، ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لانه يلزم
منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله (وإن الشياطين ليوحرن
الى أوليائهم) فانها عاطفة لامحالة فان كانت الواو التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال أمتهم
عطف هذه عليها فان عطف على الطلبية وورد عليه ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من
أصله والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جريج عن عطاء عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس في الآية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال هي الميتة . ثم رواه عن أبي زرعة عن
يحيى بن أبي كثير عن ابن لميعة عن عطاء وهو ابن السائب به ، وقد استدلل لهذا المذهب بما رواه
أبو داود في المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدوسي مولى سويد بن ميمون أحد
التابعين أنذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات قال قال رسول الله ﷺ « ذبيحة المسلم
حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر انه ان ذكر لم يذكر إلا اسم الله » وهذا مرسل يعضد بما رواه
الدارقطني عن ابن عباس انه قال « اذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فإن المسلم فيه اسم من
أسماء الله » واحتج البيهقي أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم ان ناساً قالوا يا رسول الله
ان قوما حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال « سموا أنتم واكلوا »
قالوا فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرخص لهم إلا مع تحققها والله أعلم

المذهب الثالث في المسئلة أن ترك البسملة على الذبيحة نسياناً لم يضر وإن تركها عمداً لم تحل هذا
هو المشهور من مذهب الامام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحاق ابن
راهويه وهو محكي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي
مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، ونقل الامام أبو الحسن
المرغيناني في كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمداً فلماذا قال أبو يوسف

الآية وذهب قوم إلى تحليلها ، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان
الله عليهم أجمعين ، وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عمداً لا يحل ، وإن تركها ناسياً يحل ، حكى
الخرقي من أصحاب أحمد أن هذا مذهبه وهو قول الثوري وأصحاب الرأي ، ومن أباحها قال : المراد
من الآية الميتات أو ما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه قال (وأنه لفسق) والفسق في ذكر اسم

والشايع لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الاجماع ، وهذا الذي قاله غريب جدا وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعي والله أعلم

وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أدية الطرسوسي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا مفضل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «المسلم يكفيه اسمه ان نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله» وهذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه مفضل ابن عبيد الله الجزري فانه وإن كان من رجال مسلم الا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي ورواه عن سفیان بن عيينة عن عمرو عن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزادا في اسناده أبا الشعثاء ورواه وهذا أصح نص عليه البيهقي وغيره من الحفاظ ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين انها كرها متروكة التسمية نسيانا والساف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم ، الا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنین مخالفا لقول الجمهور فيعده اجماعا فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيم حدثنا أبو أسامة عن جبير بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل أتيت بطير كذا فيه ما قد ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه مانسي ان يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كاه كاهه ، قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) واحتج لهذا المذهب بالحديث الروي من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وابي هريرة وأبي ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وفيه نظر والله أعلم ، وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث مروان بن سالم القرقساني عن الارزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسي أن يسمي؟ فقال النبي ﷺ «اسم الله على كل مسلم» ولكن هذا اسناده ضعيف فان مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله الشامي ضعيف تكلم فيه غير واحد من الائمة والله أعلم ، وقد أفردت هذه المسئلة على حدة وذكرت مذهب الائمة وما أخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات والله أعلم ،

قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به ، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم ، وروي عن الحسن

غير الله كما قال في آخر السورة (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم - الى قوله - أو فسقا أهل لغير الله به) واحتج من أباحها بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام بن عروة

البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصري قال قال الله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) وقال (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) فنسخ واستثنى من ذلك فقال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) وقال ابن أبي حاتم قرأ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شعيب أخبرني النعمان يعني ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله في القرآن (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب، ثم قال ابن جرير والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه، وهذا الذي قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ ههنا قائما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم، وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق قال قال رجل لابن عمر ان المختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق وتلا هذه الآية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) وحدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس وحيج المختار ابن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو اسحاق انه أوحى اليه الليلة فقال ابن عباس صدق، فنفر وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحى الشيطان فوحى الله إلى محمد ﷺ ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ (وان الشيطان ليوحون إلى أوليائهم) وقد تقدم عن عكرمة في قوله (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) نحو هذا وقوله (ليجادلوك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير قال خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) هكذا رواه مراسلا ورواه أبو داود متصلا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت اليهود الى النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة به. ورواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي عن عمران بن عيينة به وهذا فيه نظر من وجوه (ثلاثة) أحدها أن اليهود لا يرون إبادة الميتة حتى يجادلوا (الثاني) أن الآية من الانعام وهي مكية

يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن قوما قالوا يا رسول الله: إن هنا أقواما حديث عهدم بشرك يأتون بلحمان لا ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال « اذكروا أنتم اسم الله وكلا » ولو كانت التسمية شرطا للإبادة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها كالكاف في أصل الذبح. قوله (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك) أراد إن الشياطين ليووسوسون الى

(الثالث) أن هذا الحديث رواه الترمذي عن محمد بن موسى الحرشي عن زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه الترمذي بلفظ أتى ناس النبي ﷺ فذكروه وقال حسن غريب وروى عن سعيد بن جبير مراسلاً وقال الطبراني حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (ولأن تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون) أي وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش، وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سمك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله (ولأن تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم عن عمرو بن عبد الله عن وكيع عن إسرائيل به وهذا اسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود، فهذا هو المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يحبون الميتة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولأن تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) إلى قوله (ليجادلوكم) قال يوحى الشياطين إلى أوليائهم تأكلون مما قتلتم ولأن تأكلون مما قتل الله؟ وفي بعض ألفاظه عن ابن عباس أن الذي قتلتم ذكر اسم الله عليه وإن الذي قد مات لم يذكر اسم الله عليه، وقال ابن جرير قال عمرو بن دينار عن عكرمة أن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكانتهم فارس فكتبت فارس إليهم أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أسرار الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله ﷺ فوقع في أنفسهم ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله (وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون) ونزلت (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقال السدي في تفسير هذه الآية إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله فما قتل الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم تأكلونه؟ فقال الله تعالى (وإن أطعموهم) في أكل الميتة (إنكم لمشركون) وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف

وقوله تعالى (وإن أطعموهم إنكم لمشركون) أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقد متم عليه غيره فهذا هو الشرك كقولته تعالى (اتخذوا أحمبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)

أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا يا محمد: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال «الله قتلها» قالوا فزعم أن ما قتل أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر والفهد حلال، وما قتل الله حرام، فأنزل الله هذه الآية ﴿وإن أطعموهم﴾ في أكل الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾ قال الزجاج: وفيه دليل

الآية وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال يارسول الله ما عبدوهم فقال « بلى انهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » ١

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زَيْنَ للكافرين ما كانوا يعملون (١٢٧)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا أي في الضلالة هالكا حائراً فأحياه الله أي أحيا قلبه بالآيمان وهداه له ووقفه لاتباع رساله وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس أي يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به والنور هو القرآن كما رواه العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال السدي الاسلام والكل صحيح (كمن مثله في الظلمات) أي الجهالات والاهواء والضلالات المتفرقة (ليس بخارج منها) أي لا يهتدي الى منفذ ولا مخلص مما هو فيه ، وفي مسند الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم) وقال تعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون) وقال تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ان أنت الا نذير) والآيات في هذا كثيرة ووجه المناسبة في ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة (وجعل الظلمات والنور) وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان فقيل عمر بن الخطاب هو الذي كان

على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك قوله (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) قرأ نافع ميتاً ولحم أخيه ميتاً والارض الميتة أحييناها بالتشديد فيهن وقرأ الآخرون بالتخفيف (فأحييناها) أي كان ضالاً فهديناها كان ميتاً بالكفر فأحييناها بالآيمان (وجعلنا له نوراً) يستضيء به (يمشي به في الناس) على قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لقوله تعالى (يخرجهم من الظلمات الى النور) وقال قتادة هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمنين بها يعملون بها يأخذون اليها ينتهي (كمن مثله في الظلمات) المثل صلة أي كمن هو في الظلمات (ليس بخارج منها) يعني من ظلمة الكفر قيل نزلت هذه الآية في رجلين باعياهما ثم اختلفوا فيهما قال ابن عباس جعلنا له نوراً يدير حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات يريد أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل رمي

مينا فأحمياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي حسنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدراً من الله وحكمة بالغة لا إله الا هو وحده لا شريك له

وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشمرون (١٢٣) وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغاراً عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (١٢٤)

يقول تعالى وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ورؤساء ودعاة الى الكفر والبعد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) الآية وقال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالفوا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمراً قديراً كما قال ههنا (ليمكروا فيها) وقوله تعالى (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال سلطنا شرارهم فقصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . وقال مجاهد وقادة (أكابر مجرميها) عظماءها وقتلت وهكذا قوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال

رسول الله ﷺ بفرث فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ويده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى رمى ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا أبا يعلى أمارى ما جاء به سفه عقولنا وسب أكتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله فانزل الله هذه الآية ، وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل ، وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) من الكفر والمعصية قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان عبادة الاصنام قوله عز وجل (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) أي كما أن فساق مكة أكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها أي عظماءها جمع أكبر مثل أفضل وأفاضل وأسود وأسود وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال في قصة نوح عليه السلام (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وجعل فساقهم أكابرهم (ليمكروا فيها) وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق

مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون» وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدين) وقال تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم الى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخباراً عن قوم نوح (ومكروا مكراً كباراً) وكقوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال كل مكر في القرآن فهو عمل. وقوله تعالى (وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) أي وما يعود وبال مكرهم ذلك واضلأهم من أضلوه الا على أنفسهم كقوله تعالى (وليحملن أثقالهن وأثقالهم مع أثقالهن) وقال (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) وقوله تعالى (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) أي اذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا : لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله : أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الآية ، وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أنهم يقسمون رحمة ربك) الآية ، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم (من القريتين) أي من مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزددون بالرسول

من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد ﷺ يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب ﴿ وما يمكرون الا بأنفسهم ﴾ لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ أنه كذلك

قوله تعالى ﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ﴾ يعني مثل ما أوتي رسل الله من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سناً وأكبر منك مالاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال زاحماً بني عبد مناف في الشرف حتى انا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً الا أن يأتينا وحياً كما يأتيه فانزل الله عز وجل واذا جاءتهم آية حجة على صدق محمد ﷺ قالوا يعني أبا جهل لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله يعني محمداً ﷺ ثم قال الله تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد وقرأ الآخرون

صلوات الله وسلامه عليه نبياً وحيداً ، وعناداً واستكباراً كقوله تعالى نخبراً عنه (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك إلا هزواً ، أهذا الذي بعث الله رسولا) وقال تعالى (واذا رآوك ان يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذکر آلهتکم وهم بذکر الرحمن هم کافرون) وقال تعالى (واقد استهزي برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومرباه ، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه ، حتى إنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى اليه الا بين وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفیان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب ، قال هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بظاهر صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » انفرد باخراجه مسلم من حديث الاوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو امام أهل الشام به نحوه . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتي بعثت من القرن الذي كنت فيه » وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم عن سفیان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطالب بن أبي وداعة قال قال العباس بلغه رسول الله ﷺ بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال « من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطالب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فانا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » صدق صلوات الله وسلامه عليه . وفي الحديث أيضاً المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد نبياً أفضل من بني هاشم » رواه الحاكم والبيهقي . وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر ابن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال : ان الله نظر في قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالة ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ . وقال أحمد حدثنا شعاع بن الوليد قال ذكر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال قال لي رسول الله ﷺ « يا سلمان لا تبعنني فنفارق دينك » قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ قال « تبغض العرب فتبغضني » وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجرار حدثنا

رسالاته بالجمع يعني الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة (سيصيب الذين أجمعوا صفار) ذل وهو ان (عند

سفيان عن ابن أبي حسين قال أبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر إليه رآه فقال من هذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد) الآية هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع ربه والالتقياد لهم فيما جاؤا به فانه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة كما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذل يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) اي صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) لما كان المكر غالبا انما يكون خفيا وهو اللطف في التحيل والخديعة قبولوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا (ولا يظلم ربك أحدا) كما قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر المستورات والمكنونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال «ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان بن فلان» والحكمة في هذا انه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا

حرجا كما يصفد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (١٢٥)

يقول تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أي ييسره له وينشطه ويسم له لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى (أمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والايمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر. وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ قال «أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم لما بعده استعدادا» قال وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال «نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح» قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال «الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعني الثوري عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال

الله أي من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) قيل صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة قوله عز وجل (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) أي يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الاسلام، ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر قال «نور يقذفه الله في قلب

سئل النبي ﷺ عن قول الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فذكر نحوه ما تقدم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله ﷺ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قال رسول الله ﷺ « اذا دخل الايمان القلب انفسح له القلب وانشرح » قالوا يا رسول الله هل لذلك من أمانة؟ قال « نعم » الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت » وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري حدثنا المعتز بن سليمان سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر فذكره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال « نور يقذف به في القلب » قالوا يا رسول الله فهل لذلك من أمانة تعرف؟ قال « نعم » قالوا وما هي؟ قال « الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت »

وقال ابن جرير أيضا حدثني هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد ابن مسلم عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » قالوا فهل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال « الانابة الى دار الخلود والتنجي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال حدثني ابن سنان القزاز حدثنا محبوب ابن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره؟ قال « يدخل فيه النور فينفسح » قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت » فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم

وقوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) قري، بفتح الضاد وتسكين الباء والاكثر ضيقا بتشديد الباء وكسرهما وهما لغتان كمين وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر

المؤمن فينفسح له وينفسح » قيل فهل لذلك أمانة؟ قال « نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت »

قوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا) قرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ههنا وفي الفرقان والباقون بالتشديد وهما لغتان مثل هين وهين ولين ولين (حرجا) قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان أيضا مثل الدنف والدنف قال سيويه الحرج بالفتح المصدر

الراء قيل بمعنى أثم قاله السدي وقيل بمعنى القراءة الاخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص اليه شيء ما ينفعه من الايمان ولا ينغذ فيه . وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الاعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة فقال هي الشجرة تكون بين الاشجار لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير . وقال اعوفي عن ابن عباس يجعل الله عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) يقول ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق وقال مجاهد والسدي ضيقا حرجا شاكا . وقال عطاء الخراساني ضيقا حرجا أي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجهد فيه مسلكا الا صعدا وقال السدي كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره

وقال عطاء الخراساني (كأنما يصعد في السماء) يقول مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد إلى السماء وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (كأنما يصعد في السماء) يقول فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وقال الاوزاعي (كأنما يصعد في السماء) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما . وقال الامام أبو جعفر بن جرير وهذا مثل ضرب به الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الايمان اليه يقول فمثله في امتناعه من قبول الايمان وضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لانه ليس في وسعه وطاقته . وقال في قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصدّه عن سبيل الله وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الرجس الشيطان

كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو اشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ قال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا ذكر شيء من عبادة الاصنام ارتاح الى ذلك ، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية فسأل اعرابيا من كنانة ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ قرأ ابن كثير يصعد بالتخفيف وسكون الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم يصاعد بالالف أي يتصاعد وقرأ الآخرون يصعد بتشديد الصاد والعين أي يتصعد يعني يشق عليه الايمان كما يشق عليه صعود السماء واصل الصعود المشقة ومنه قوله تعالى سارهاقه صعودا أي عقبة شاقة (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) قال ابن عباس الرجس هو الشيطان أي يسلط به عليه وقال الكلبي هو المأثم وقال

وقال مجاهد: الرجس كل مالا خير فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرجس العذاب

وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون (١٢٦) لهم دار السلام

عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون (١٢٧)

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيماً) منصوب على الحال أي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم في حديث الحارث عن علي في نعت القرآن: هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذي ذكر الحكيم رواه أحمد والترمذي بطوله (قد فصلنا الآيات) أي وضجناها وبينناها وفسرناها (لقوم يذكرون) أي لمن له فهم ووحي يعقل عن الله ورسوله (لهم دار السلام) وهي الجنة (عند ربهم) أي يوم القيامة وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتضى أثر الأنبياء وطرائقهم فكما سلموا من آفات الأعوجاج أفضوا إلى دار السلام (وهو وليهم) أي حافظهم وناصرهم ومؤيدهم (بما كانوا يعملون) أي جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهاهم وأثابهم الجنة بمنه وكرمه

(١) في النسختين المطبوعة والازهرية زيادة: والسلام وهو الله وليهم الخ

ويوم يحشرهم جميعاً يومئذ الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس

مجاهد الرجس مالا خير فيه وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجز وقيل هو النجس روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال «اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس» وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة

قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيماً) أي هذا الذي بينا وقيل هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً لا عوج فيه وهو الاسلام (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة قال أكثر المفسرين السلام هو الله وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة أي لهم دار السلامة من الآفات وهي الجنة وسميت دار السلام لان كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلام فقال في الابتداء (ادخلوها بسلام آمنين) والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم وقال (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) وقال (نحببهم فيها سلاماً) وقال (سلام قولاً من ربهم) (وهو وليهم بما كانوا يعملون) قال الحسين بن الفضل يتولاهاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء

قوله عز وجل (ويوم يحشرهم) قرأ حفص يحشرهم بالياء (جميعاً) يعني الجن والانس يجمعهم

ربنا استمتع بعضهم ببلغنا أجلنا الذي أجات لنا، قال النار مشوا كم خالدين فيها الا ماشاء

الله إن ربك حكيم عليم (١٢٨)

يقول تعالى واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتذذرهم به (يوم يحشرهم جميعا) يعني الجن وأولياءهم من الانس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) أي ثم يقول يامعشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف ومعنى قوله (قد استكثرتم من الانس) أي من اغوائهم واضلالهم كقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) يعني أضلتم منهم كثيرا وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض) يعني ان أولياء الجن من الانس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الاشهب هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن في هذه الآية قال استكثرتم أهل النار يوم القيامة فقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض، قال الحسن وما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس. وقال محمد بن كعب في قوله (ربنا استمتع بعضهم ببعض) قال الصحابة في الدنيا. وقال ابن جريج كان الرجل في الجاهلية ينزل الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي. فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم في استعانتهم بهم فيقولون قد سدنا الانس والجن (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) قال السدي يعني الموت (قال النار مشواكم) أي

في موقف القيامة فيقول ﴿يامعشر الجن﴾ والمراد بالجن الشياطين ﴿قد استكثرتم من الانس﴾ أي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء أي أضلتم كثيرا ﴿وقال أولياؤهم من الانس﴾ يعني أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الانس ﴿ربنا استمتع بعضهم ببعض﴾ قال الكلبي استمتع الانس بالجن هو ان الرجل كان إذا سافر ونزل بارض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس هو أنهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهذا كقوله تعالى (وأنة كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وقيل استمتع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الامور التي يهوونها حتى يسهل فعلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض ﴿ربلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ يعني القيامة والبعث ﴿قال﴾ الله تعالى

ماؤاكم ومنزلكم أنتم وإياهم وأولياؤكم (خالدين فيها) أي ما كثر فيها مكشاً مخلداً إلا ما شاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستثناء الى البرزخ وقال بعضهم هذا رد الى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي حاتم عن أبي طلحة عن ابن عباس قال (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال ان هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون (١٢٩)

قال سعيد بن قتادة في تفسيرها إنما يولي الله الناس بأعمالهم فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولي الكافر أينما كان وحيماً كان ليس الايمان بالثني ولا بالتحلي واختاره ابن جرير ، وقال معمر بن قتادة في تفسير الآية يولي الله بعض الظالمين بعضاً في النار يتبع بعضهم بعضاً. وقال مالك بن دينار قرأت في الزبور إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ثم أنتقم من المنافقين جميعاً وذلك في كتاب الله قول الله تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) قال ظالمي الجن وظالمي الانس وقرأ (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الباقي بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار السكرانيسي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً « من أعان ظالماً سلطه الله عليه » وهذا حديث غريب وقال بعض الشعراء وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيلى بظالم

(النار مثواكم) مقامكم (خالدين فيها إلا ما شاء الله) اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) قيل أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم يعني هم خالدون في النار إلا هذا المقدار . وقيل الاستثناء يرجع إلى العذاب وهو قوله (النار مثواكم) أي خالدين في النار سوى ما شاء من أنواع العذاب ، وقال ابن عباس الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار و « ما » بمعنى « من » على هذا التأويل (ان ربك حكيم عليم) قيل حكيم بمن استثنى عليم بما في قلوبهم من البر والتقوى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) قيل أي كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضاً أي نسلط بعض الظالمين على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء « من أعان ظالماً سلطه الله عليه » وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن أين كان

ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الانس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم .

يُبعث الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آيتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠)

وهذا أيضا مما يقرع الله به كافري الجن والانس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته وهذا استيفام تقرير (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أي من جملةكم والرسل من الانس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الائمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نذر. وحكى ابن جرير عن الضحاك ابن مزاحم انه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان) الى أن قال (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلوى^(١) وهذا واضح والله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير، والدليل على أن الرسل إنما هم من الانس قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده — الى قوله — رسلا مبشرين لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله تعالى (عن ابراهيم وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فخصر النبوة والكتاب بعد ابراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس ان النبوة كانت في

(١) هكذا كان المتقدمون يقولون ثم ثبت أن بعض الأنهار الحلوة الماء قد استخرج منها اللؤلؤ

والكافر ولي الكافر حيث كان؛ وروى معمر عن قتادة يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة، وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن ونولي ظلمة الجن ظلمة الانس أي نكل بعضهم الى بعض كقوله تعالى (نوله ماتولى) وروى عن أبي صالح الكلابي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو أن الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم

قوله عز وجل (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) واختلفوا في أن الجن هل أرسل اليهم منهم رسول؟ فسئل الضحاك عنه فقال بلى ألم تسمع الله يقول (ألم يأتكم رسل منكم) يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن . قال السكاكي : كانت الرسل من قبل أن يبعث محمد ﷺ يبعثون الى الجن والانس جميعا^(١) ومحمد الرسول ﷺ يبعث الى الجن والانس كافة قال مجاهد : الرسل من الانس ، والنذر من الجن ثم قرأ (ولوا إلى قومهم منذرين) وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ماسمعوا ، وليس للجن رسل فعلى هذا قوله (رسل منكم) ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الانس كما قال (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من الملح دون العذب وقال (وجعل القمر

(١) هكذا في الاصل وهو خطأ لأن المعنى المراد غير مستقيم

الجن قبل ابراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بيعته وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون في الطعام ويمشون في الأسواق) وقال (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى) ومعلوم ان الجن تبع للانسان في هذا الباب ولهذا قال تعالى اخباراً عنهم (وإذ صرفنا اليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولّوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرم من عذاب أليم * ومن لا ينجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس من دونه أولياء، أولئك في ضلال مبين) وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى (سنفرغ لكم أنهما الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (يامعشر الجن والانسان ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) أي أقررنا ان الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة وقال تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهاكوا بتكذيبهم الرسل ومخافتهم المعجزات لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها (وشهدوا على أنفسهم) أي يوم القيامة (أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غفلون (١٣١) ولكل درجات مما

عملوا وما ربك بغفل عما يعملون (١٣٢)

يقول تعالى (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غفلون) أي إنما أعذرنا الى الثقلين بالرسال الرسل وانزال الكتب لئلا يؤاخذ أحدا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ولكن أعذرنا الى الامم وما عذبنا أحدا الا بعد ارسال الرسل اليهم كما قال تعالى (وان من قرية الا خلا فيها نذير) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث

فيهن نورا) وإنما هو في سما واحدة ﴿ يقصون عليكم ﴾ أي يقرؤون عليكم ﴿ آياتي ﴾ كتيبتي ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ أنهم قد بلغوا . قال مقاتل : وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله عز وجل ﴿ وغرهم الحياة الدنيا ﴾ حتى لم يؤمنوا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ، أي لم يهلكهم بظلم ، أي بشرك من أشرك ﴿ وأهلها غفلون ﴾ لم ينذروا حتى يبعث اليهم رسلا ينذرونهم . وقال

(م ٥١ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

رسولاً) وقال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) والآيات في هذا كثيرة قال الامام أبو جعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى بظلم وجهين (أحدهما) (ذلك) من أجل (ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه) (وهم غافلون) يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسولاً ينبههم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير (والوجه الثاني) (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) يقول لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ثم شرع يرجع الوجه الاول ولا شك أنه أقوى والله أعلم .

قال وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) أي ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يباغضه الله إياها ويشبه بها إن خيراً فخير أو إن شراً فشرأ (قلت) ويحتمل أن يعود قوله (ولكل درجات مما عملوا) أي من كافري الجن والانس أي ولكل درجة في النار بحسبه كقوله (قال لكل ضعف) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (وما ربك بغافل عما يعملون) قال ابن جرير أي وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقاءهم إياه ومعادهم اليه

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣) إن ماتوا عدون لآت وما أنتم بمعجزين (١٣٤) قل يقوم أعمالوا على مكاتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (١٣٥)

يقول تعالى (وربك) يا محمد (الغني) أي عن جميع خلقه ، من جميع الوجود وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم (ذو الرحمة) أي وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (ان يشأ يذهبكم أي اذا خالفتم أمره) (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي قوما آخرين أي يعملون بطاعته

الكلبي : لم يكن يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتهم الرسل ، وقيل معناه لم يكن يهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول فيكون قد ظلمهم وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب ، وإنما يكون مذنباً اذا أمر فلم يأت أو نهى فلم ينته ، وذلك يكون بعد انذار الرسل (ولكل درجات مما عملوا) يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أشد عذاباً ، ومنهم من هو أجزل ثواباً (وما ربك بغافل عما يعملون) قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون بالياء (وربك الغني) عن خلقه (ذو الرحمة) قال ابن عباس : بأوليائه وأهل طاعته . وقال الكلبي : يخلق ذواته تجاوز (ان يشأ يذهبكم) يهلككم وعيد لأهل مكة (ويستخلف) ويخلف وينشيء من (بعدكم ما يشاء)

(كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على اذهاب هؤلاء والأتين بآخرين كما قال تعالى (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)

وقال تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبا ن بن عثمان يقول في هذه الآية (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) الذرية الاصل والذرية النسل وقوله تعالى (إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) أي أخبرهم بالمحمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة (وما أنتم بمعجزين) أي ولا تعجزون الله بل هو قادر على اعادةكم وإن صرتم ترابا رفاتا وعظاما هو قادر لا يعجزه شيء ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن حسين عن أبي بكر بن ابراهيم عن عطاء ابن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »

وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون) هذا تهديد شديد ووعد أكيد أي استمروا على طريقكم وناحياتكم إن كنتم تظنون انكم على هدى فأنا مستمر على طريقي ومنهجي كقوله (قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا إنا منتظرون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (على مكانتكم) ناحياتكم (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أي أكون لي أو لكم وقد أنجز الله مواعده لرسوله صلوات الله عليه أي فانه تعالى مكنته في البلاد وحكمه في نواصي مخالفه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناراه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم

خلقاً غيركم أمثل وأطوع ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ أي من نسل آبائهم الماضين قرنا بعد قرن ﴿ إنما توعدون ﴾ أي ما توعدون من مجيئ الساعة والحشر ﴿ لآت ﴾ كائن ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ أي بفائتين يعني يدرككم الموت حيث ما كنتم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع حيث كان أي على تمكنكم . قال عطاء : على حالاتكم التي أنتم عليها قال الزجاج : اعملوا على ما أنتم عليه ، يقل للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان ، أي اثبت على ما أنت عليه وهذا أمر وعيد على المبالغة ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ (قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون) (اني عامل) ما أنرني به ربي عز وجل ﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ أي الجنة ، قرأ حمزة والنكسائي يكون بالياء هنا وفي القصص ، وقرأ الآخرون بالناء لتأنيث العاقبة ﴿ انه لا يفلح الظالمون ﴾ قال ابن عباس : معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك . قال الضحاك : لا يفوز

فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ وَالْأَقَالِمُ وَالرَّسَائِقُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ خُلَفَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ غَزِيظٌ) وَقَالَ (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) وَقَالَ تَعَالَى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) وَقَالَ تَعَالَى أَخْبَاراً عَنْ رَسُولِهِ (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنَسْكُنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ) وَقَالَ تَعَالَى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) الْآيَةُ وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ أَوَّلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)

هَذَا ذِمٌّ وَتَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا بِدْعًا وَكَفَرُوا وَشُرَكَاءُ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ وَجْزًا مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ) أَيُّ مِمَّا خَلَقَ وَبَرَأَ (مِنَ الْحَرْثِ) أَيُّ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّمَارِ (وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) أَيُّ جِزًا وَقَسَمًا (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) وَقَوْلُهُ (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ) وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَالْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ كَانُوا إِذَا حَرَثُوا حَرْثًا أَوْ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) الْآيَةُ ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مِنْ حَرْثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَنَمَارِهِمْ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِمْ نَصِيبًا ، وَالْأَوْثَانُ نَصِيبًا فَمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ صَرْفَهُ إِلَى الضُّيْقَانِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَمَا جَعَلُوهُ لِلْأَصْنَامِ أَنْفَقُوهُ عَلَى الْأَصْنَامِ وَخَدَمَهَا ، فَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي نَصِيبِ الْأَوْثَانِ تَرَكُوهُ وَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا ، وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِ الْأَصْنَامِ فَمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ رَدَّهُ إِلَى الْأَوْثَانِ وَقَالُوا أَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ ، وَكَانَ إِذَا هَلَكَ أَوْ انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ لَمْ يَبَالُوا بِهِ ، وَإِذَا هَلَكَ أَوْ انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوا لِلْأَصْنَامِ جَبَرُوهُ بِمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنْ خَلْقِ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) وَفِيهِ اخْتِصَارٌ مُجَازٌ وَجَعَلُوا نَصِيبًا ، وَلِشُرَكَائِهِمْ نَصِيبًا (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ) قَرَأَ الْكَسَائِيُّ بِزَعْمِهِمْ بضم الزاي والباقون بفتحها وهما لغتان وهو القول من غير حَقِيقَةٍ (وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) يَعْنِي الْأَوْثَانُ (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ) ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ (وَمَعْنَاهُ مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ مَا جَعَلُوا لِلْأَوْثَانِ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ ، وَلَا يَتَّبِعُونَ

كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه وان سقط منه شيء ، فيما سمي للصمد ردوه الى ما جعلوه للوثن وان سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوها لله فاخلط بالذي جعلوه للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوه لله وان سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ماسمي للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للأوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية وهكذا قال مجاهد وقنادة والسدي وغير واحد ، وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في الآية كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ (ساء ما يحكمون) أي ساء ما يقسمون فأنهم اخطأوا أولا في القسم لان الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشئته لا إله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الناسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقال تعالى (وجعلوا له من عبادته جزءا ان الانسان لكفور مبين) وقال تعالى (ألكم الذكر وله الانثى) وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى)

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم

دينهم ولو شاء الله مفعلوهم فذروهم وما يفترون (١٣٧)

يقول تعالى وكما زينت الشياطين هؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق وواد البنات خشية العار ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم يأمرهم أن يثدوا أولادهم خشية العيلة

ما جعلوه لله مما جعلوه للاوثان . وقال قتادة : كانوا اذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزوا لله وأكلوا منه فوفروا ماجزوا لشركائهم ولم يأكلوا منه (سواء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون (وكذلك زين لكثير من المشركين) أي كما زين لهم تحريم الحرث والانعام كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم قال مجاهد : شركاؤهم أي شياطينهم زينوا وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله ، وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها . وقال الكلبي شركاؤهم سدة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الاولاد ، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له

وقال السدي أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وأما ليردرهم فيهلكوهم ، وأما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم ونحو ذلك ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) الآية وكقوله (وإذا المؤودة سُئلت بأي ذنب قتلت) وقد كانوا أيضاً يقتلون الأولاد من الملاق وهو الفقر أو خشية الملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد مباحهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى (ولو شاء الله ما فعلوا) أي كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كوناً وله الحكمة التامة في ذلك فلا يستل عما يفعل وهم يستلون (فذرهم وما يفترون) أي فذرهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم

وقالوا هذه أنعم وحرث حَجَرٌ لا يَطْعَمُهَا إلا من نشاء بزعمهم وأنعم حرمت ظهورها

وأنعم لا يذكر اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون (١٣٨) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام ماحرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال قتادة (وقالوا هذه انعام وحرث حجر) تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتعليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم (حجر) إنما احتجروها لآلهتهم ، وقال السدي (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يقولون حرام أن يطعم إلا من شئنا وهذه الآية السكرية كقوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم

كذا غلاما لينحرن أحدهم كاحاف عبد المطالب على ابنه عبد الله ، وقرأ ابن عباس زين بضم الزاي وكسر الياء قتل رفع أولادهم نصب شركتهم بالخفض على التقديم كأنه قال : زين لكثير من المشركين قتل شركتهم أولادهم فصل بين الفعل وفاعله بالفعول به وهو الأولاد كما قال الشاعر

فرججته متمكناً زج القلوص أبي مزاده

أي زج أبي مزادة القلوص فأضيف الفعل وهو القتل إلى شركا وإن لم يقولوا ذلك لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه فكانهم فعلوه ، قوله عز وجل (ليردوهم) ليهلكوهم (وليلبسوا عليهم) ليخلطوا عليهم (دينهم) قال ابن عباس : ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسماعيل فرجعوا لباس الشياطين (ولو شاء الله ما فعلوه) أي لو شاء الله اعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والانعام وقتل الأولاد (فذرهم) يا محمد (وما يفترون) يخلقون من الكذب فإن الله تعالى بالمرصاد (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أي حرام يعني ما جعلوا لله ولا آلهتهم من الحرث والانعام على ماضى ذكره . وقال مجاهد : يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يعنون الرجال دون النساء (وأنعام حرمت

من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) وكقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يتقلون) وقال السدي أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن محروها. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال لي أبو وائل أندري مافي قوله (وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) قلت لا نال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها؛ وقال مجاهد كان من أبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملوا شيئاً (اقتراء عليه) أي على الله وكذب منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم (سيجزئهم بما كانوا يفترون) أي عليه ويسندون إليه

وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة

فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (١٣٩)

قال أبو اسحاق السبيعي عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا (مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) الآية قال اللين وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) فهو اللين كانوا يحرمونه على أناسهم ويشربهم ذكر أناسهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكر أذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء. فنهي الله عن ذلك. وكذا قال السدي وقال الشعبي البحيرة لا يأكل كل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال مجاهد في قوله (وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قل هي السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة في

ظهورها يعني الحوامي كانوا لا يركبونها ﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴾ أي يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله . وقال أبو وائل : معناه لا يحجرون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير ﴿ اقتراء عليه ﴾ يعني أنهم يفعلون ذلك ويؤمنون أن الله أمرهم به اقتراء به سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ أي نسائنا . قال ابن عباس وقتادة والشعبي : أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حياً فهو خالص للرجال دون النساء ، وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء جميعاً ، وأدخل الماء في الخالصة للتأكيد للخالصة والعامية كقولهم نسابة وعلامة . وقيل الغراء رحمه الله : أدخلت الماء لتأنيث الأنعام لأن مافي بطونها مثلها فأنت لتأنيثها . وقال الكسائي : خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة ﴿ وإن يكن ميتة ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكن بالناء ميتة رفع

٤٨ خال مشركي العرب بقتلهم أولادهم وتحريمهم رزق الله تفسير ابن كثير والبغوي

قول الله (سيجزيهم وصفهم) أي قولهم الكذب في ذلك يعني كقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية (انه حكيم) أي في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليهم) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد

ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠)

يقول تعالى قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقوا عليهم في أهوالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافتراءهم كقوله (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم ألينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبي النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبي عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله الشكري عن أبي بشر واسمه جعفر بن أبي وحشية عن إياس به

ذكر الفعل بعلامة التأنيث لأن الميئة في اللفظ مؤنثة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميئة نصب أي وإن تكن الاجنبة ميئة ، وقرأ ابن كثير وإن يكن بالياء ميئة رفع لأن المراد بالميئة الميتة ، أي وإن يقع ما في البطون ميئاً ، وقرأ الآخرون وإن يكن بالياء ميئة نصب رده إلى ما ، أي وإن يكن ما في البطون ميئة يدل عليه أنه قال ﴿ فهم فيه شركاء ﴾ ولم يقل فيها ، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء ﴿ سيجزيهم وصفهم ﴾ أي بوصفهم أو على وصفهم الكذب على الله ﴿ انه حكيم * عليهم ﴾ قد خسر الذين قتلوا أولادهم ﴿ قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء على التكثير ، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ سفها ﴾ جبلاً ﴿ بغير علم ﴾ نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر ، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك ﴿ وحرموا ما رزقهم الله ﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ افتراء على الله ﴾ حيث قالوا إن الله أمرهم بها ﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾

وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ والنخل والزرع مختلفاً أكله
والزيتون والرمان متشبهها وغير متشبهه، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (١٤١) ومن الأنعام حمولةً وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا
تتبعوا خطيئته الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٤٢)

يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والانعام التي تصرف فيها هؤلاء
المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراماً وحلالاً فقال (وهو الذي أنشأ جنات
معروشات وغير معروشات) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفي رواية
فالمعروشات ماعرش الناس وغير معروشات ماخرج فبالبر والجبال من الثمرات، وقال عطاء الخراساني
عن ابن عباس معروشات ماعرش من الكرم وغير معروشات ما لم يعرش من الكرم وكذا قال السدي
وقال ابن جريج متشابهها وغير متشابهه قال متشابهها في المنظر وغير متشابهه في المطعم وقال محمد بن كعب
(كلوا من ثمره إذا أثمر) قال من رطبه وعنبه، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير
قال بعضهم هي الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس
ابن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
(وآتوا حقه يوم حصاده) يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب،
وقال العوفي عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده
لم يخرج مما حصده شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة
واحد وما يلقط الناس من سنبله، وقدروى الامام أحمد وأبوداود في سننه من حديث محمد بن اسحاق
حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسم بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أمر من كل
جاذ عشرة أوسق من التمر يعلق في المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوي، وقال طاوس وأبو الشعثاء

قوله تعالى ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ بساتين ﴿معروشات وغير معروشات﴾ أي مسموكات
مرفوعات وغير مرفوعات . وقال ابن عباس : معروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما
يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها ، وغير معروشات ما قام على ساق ونسق مثل النخل
والزرع وسائر الأشجار . وقال الضحاك . كلاهما من الكرم خاصة منها ماعرش ومنها ما لم يعرش
﴿والنخل والزرع﴾ أي وأنشأ النخل والزرع ﴿مختلفاً أكله﴾ ثمره وطعمه ، منها الحلو والحامض ،
والحيد والردى ، ﴿والزيتون والرمان متشابهاً﴾ في المنظر ﴿وغير متشابه﴾ في المطعم مثل الرمانتين
لونهما واحد والطعم مختلف ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ هذا أمر اباحة ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾

وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج هي الزكاة ، وقال الحسن البصري هي الصدقة من الحب والثمار وكذا قال ابن زيد بن أسلم وقال آخرون هو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن قتيبة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطى القبضة وعند الصرام يعطى القبضة ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، وقال الثوري عن حماد عن إبراهيم النخعي قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبيرة (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته وفي حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الميثم عن أبي سعيد مرفوعاً (وآتوا حقه يوم حصاده) قال (ما سقط من السنبيل) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شيء كان واجباً ثم نسخ الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعي والحسن والسدي وعطية العوفي وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفي تسمية هذا نسخاً نظر لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار الخرج وكميته قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة فآله أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن» (إذ أقسموا ليصرم منها مصبحين ولا يستنذون) فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون * فاصبحت كالصريم) أي كالليل المدلم سوداء محترقة (فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانتلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد) أي قوة وجلد وهمة (قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضآلون بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلأومون * قالوا ياولينا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الجاء وقرأ الآخرون بكسرها ومعناها واخذ كالصرام ، والصرام والجذاد والجذاذ ، واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب أنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر . وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم هو حق في المال سوى الزكاة أمر باتيانه لأن الآلة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة . قال إبراهيم : هو الضغث . وقال الربيع : لقاط السنبيل . وقال مجاهد : كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر . وقال يزيد بن الأصم : كان أهل المدينة إذا أصرموا يجمعون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجني المسكين بضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه . وقال سعيد

وقوله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) قيل معناه لا تسرفوا في الاعطاء فتعطوا فوق المعروف، وقال أبو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله (ولا تسرفوا) وقال ابن جريج نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جند نخل له فقال لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فاطعم حتى أمتسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) رواه ابن جريج عنه وقال ابن جريج عن عطاء نهوا عن السرف في كل شيء ، وقال إياس بن معاوية ماجاوزت به أمر الله فهو سرف، وقال السدي في قوله ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم فتتعدوا فقراء ، وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب في قوله (ولا تسرفوا) قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم، ثم اختار ابن جرير قول عطاء أنه نهى عن الاسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) أن يكون عائداً على الأكل أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية، وفي صحيح البخاري تعليقا « كلوا واشربوا والبسوا من غير اسراف ولا تخيلة » وهذا من هذا والله أعلم وقوله عز وجل (ومن الانعام حمولة وفرشا) أي وأنشأ لكم من الانعام ماهو حمولة وماهو فرش قيل المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الابل والفرش الصغار منها كما قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة ما حمل عليه من الابل وفرشا الصغار من الابل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش

ابن جبير : كان هذا حقاً يؤمر باتياناه في ابتداء الاسلام فصار منسوخا بإيجاب العشر . قال مقسم عن ابن عباس : نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ قيل أراد بالاسراف اعطاء الكل . قال ابن عباس في رواية الكلبي : عهد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال السدي : لا تسرفوا أي لا تعطوا أموالكم فتتعدوا فقراء . قال الزجاج : على هذا اذا أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل إلى عيانه شيئاً فقد أسرف لأنه جاء في الخبر « ابدأ بمن تعول » وقال سعيد بن المسيب : معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل هذه الآية على هذا لا تتجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة . وقال مقاتل : لا تسرفوا الاضنام في الحرث والانعام . وقال الزهري : لا تنفقوا في المعصية . وقال مجاهد : الاسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل وقال : لو كان أبوقبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ، ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً^(١) وقال إياس بن معاوية : ماجاوزت به أمر الله فهو سرف واسراف ، وروى ابن وهب عن أبي زيد قال الخطاب للسلطين يقول : لا تأخذوا فوق حقهكم

قوله عز وجل ﴿ ومن الانعام ﴾ أي وأنشأ من الانعام ﴿ حمولة ﴾ وهي كل ما يحمل عليها من

« ١ » ومن المعصية أن يضيع أو يؤخر حقاً عليه لعياله أو غيرهم من أصحاب الحقوق الخاصة بسبب النفقة على من لا حق لهم عليه

الصغار من الابل وكذا قال مجاهد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن الانعام حمولة وفرشا) أما الحمولة فالابل والحيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمي فرشا لدنوه من الارض ، وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم ، وقال السدي أما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلاں والعجائيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ما تركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون : شاة لا تحمل تأكلون لحما وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال تعالى (وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) إلى أن قال (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون *) ويرى آياته فأي آيات الله تنكرون) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أي من الثمار والزرع والانعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أي من الثمار والزرع اقترأ على الله (انه لكم) أي ان الشيطان أيها الناس لكم (عدو مبين) أي مبين ظاهر العداوة كما قال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما) الآية وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات في هذا كثيرة في القرآن

ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آذكرين حرم أم الاثنتين أمّا

اشتملت عليه أرحام الاثنتين ؟ نبثوني بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) ومن الابل اثنين ومن

البقر اثنين قل آذكرين حرم أم الاثنتين أمّا اشتملت عليه أرحام الاثنتين أم كنتم

شهداء إذ وصلكم الله بهذا ؟ فمن أظلم ممن اقترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله

لا يهدي القوم الظالمين (١٤٤)

الابل (وفرشا) وهي الصغار من الابل التي لا تحمل (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام (إنه لكم عدو مبين) ثم بين الحمولة والفرش فقال (ثمانية أزواج) نصبها على البدل من الحمولة والفرش ، أي وأنشأ من الانعام ثمانية

هذا بيان لجهل العرب قبل الاسلام فيما كانوا حرموا من الانعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الانواع التي ابتدعوها في الانعام والزروع والثمار فينبى تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الانعام حمولة وفرشا، ثم بين أصناف الانعام الى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز^(١) ذكره وأشاه والى ابل ذكرها وإناتها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلا وركوبا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الاثنين) رد عليهم في قولهم (مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) الآية وقوله تعالى (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) أي اخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام^(٢) ونحو ذلك ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فهذه أربعة أزواج (قل آلاذكرين حرم أم الاثنين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) يعني هل يشمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا؟ [نبئوني بعلم إن كنتم صادقين]

أزواج أصناف (من الضأن اثنين) أي الذكر والانثى ، فالذكر زوج والانثى زوج ، والعرب تسمى الواحد زوجا اذا كان لايفتك عن الآخر ، والضأن النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم ، والواحد ضأن ، والانثى ضائنة ، والجمع ضواثن (ومن المعز اثنين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون بسكونها والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم ، وجمع الماعز مزمى ، وجمع الماعزة مواعز (قل يا محمد (آلاذكرين حرم) الله عليكم يعني ذكر الضأن والمعز (أم الاثنين) يعني أنثى الضأن والمعز (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) منها فانها لا تشمل إلا على ذكر أو أنثى (نبئوني) أخبروني (بعلم) قال الزجاج : فسروا ما حرمتم بعلم (إن كنتم صادقين) ان الله تعالى حرم هذا

(ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلاذكرين حرم أم الاثنين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) وذلك أنهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا : مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء ، وبعضها على النساء دون الرجال ، فلما قام الاسلام وثبت الاحكام جادلوا النبي ﷺ وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الاحوص الجشيمي قالوا يا محمد : بلغنا أنك تحرم أشياء ما كان آباؤنا يفعلونه ، فقال لهم رسول الله ﷺ « انكم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل ، وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها ، فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الانثى » فسكت مالك بن عوف وتخير فلم يتكلم ، فلو قال جاء هذا التحريم بسبب الذكورة وجب

«١» ليس كل الضأن أبيض ولا كل المعز أسود وليس في الآية ذكر للبياض والسواد
«٢» الحامي من الحماية يقولون حمى ظهره أنت يركب فيكتب معرقا بالياء

الكلام أغلاط منها إن حصر المحرمات فيما ذكر يدل على إباحة غيرها بالمنطوق لا بالمفهوم ومنها أن المائدة ليس فيها محرمات زائدة عما هنا وإنما فيها تفصيل في الميتة بإدخال المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع فيها إذا تم موتها بغير تذكية. وأما منهيات الأحاديث كسباع الوحش والطيور ولحم الحمر الأهلية لحمل النهي مالك على الكراهة ليتفق مع هذه الآية وما في معناها في البقرة والمائدة. وما في بعض الروايات من لفظ التحريم محمول على الرواية بمعنى ما فهم الراوي. ومن يقول بنسخ السنة للقرآن لا يأتي القول بنسخ الآيات على تأكيد بعضها لبعض بصيغتي الحصر والتحقيق عند مجوزي ذلك أنه لم يقع إلا بسنة متواترة، وأن هي ؟

يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى [أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا] تهكم بهم فيما ابتدعوه واقتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك [فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم] أي لأحد أظلم منه [إن الله لا يهدي القوم الظالمين] وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي بن قعدة لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سبب السوائب ووصل الوصيلة وحى الحامي كما ثبت ذلك في الصحيح

قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً

مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلّ لنير الله به فمن اضطرّ بخير باع ولا عاد فإن ربك غفور رحيم (١٤٥)

يقول تعالى أمرأ عبده ورسوله محمداً ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله اقتراء على الله [لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه] أي آكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئاً مما حرّم حراماً سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه فعلى هذا يكون ماورد من التحريمات بعد هذا في سورة المائدة وفي الأحاديث الواردة رافعاً لمفهوم هذه الآية (١) ومن الناس من يسمي هذا نسخاً إلا كثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم، وقال العوفي عن ابن عباس (أو دماً مسفوحاً) يعني المهرق، وقال عكرمة في قوله (أو دماً مسفوحاً) لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العروق كما تتبعه اليهود، وقال حماد عن عمران بن جرير قال سألت أبا مجلز عن الدم وما يتلطح من الذبيح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحفرة فقال إنما

أن يحرم جميع الذكوة، وإن كان بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، وإن كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع، أو ببعض دون البعض فمن أين؟ ويروى أن النبي ﷺ قال للمالك «مالك يمالك لا تتكلم» قال له مالك: بل تكلم وأنا أسمع منك ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ؟ ﴾ قيل أراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل فقال

﴿ قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً ﴾ أي شيئاً محرماً، وروي أنهم قالوا: فما المحرم إذا؟ فنزل (قل) يا محمد (لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً) ﴿ على طاعم يطعمه ﴾ آكل يأكله ﴿ إلا أن يكون ميتة ﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر تكون بالثناء ميتة رفع أي إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحجزة تكون بالثناء ميتة نصب على تقدير اسم مؤنث، أي إلا أن تكون النفس أي الجثة ميتة، وقرأ الباقر بالباء، ميتة نصب، يعني إلا أن يكون المطعوم ميتة ﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾ أي مهراقاً سائلاً. قال ابن عباس

نهى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ما كان مسفوحا فاللهم خالطه الدم فلا بأس به ، وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بالعموم السباع بأسا والجريرة والدم يكونان على القدر وقرأت هذه الآية صحيح غريب

وقال الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لجايز بن عبد الله أنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الجوارح الا هلية زمن خيبر فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ ولكن أبي ذلك البحر يعني ابن عباس وقرأ (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية وكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان به ، وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم في مستدركه مع أنه في صحيح البخاري كما رأيت ، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمر بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية وهذا لفظ بن مردويه ورواه أبو داود منفردا به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبي نعيم به وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة قال « فلم لا أخذتم مسكها » قالت تأخذ مسك شاة قد ماتت فقال لها رسول الله ﷺ « إنما قال الله (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه) إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) وانكم لا تطعمونه ان تدبغوه

يريد ما خرج من الحيوان وهن أحياء ، وما يخرج من الوداج عند الذبح ولا يدخل فيه الكبدة والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتها ، ولا ما اختلط باللحم من الدم لأنه غير سائل . قال عمران بن جرير : سألت أبا مجاز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس به إنما نهى عن الدم المسفوح . وقال ابراهيم : لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا المسفوح الذي يعد ذلك . وقال عكرمة : لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ماتت اليهود في أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الاشياء ، يروى ذلك عن عائشة وابن عباس قالوا : ويدخل في الميتة المنخقة والموقوذة وما ذكر في أول سورة المائدة وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بهذه الاشياء ، بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا وذلك معنى قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى إلي

فتتفعوا به « فأرسلت فسلخت مسكها فاتخذت منه قرية حتى تخرقت عندها » رواه أحمد ورواه البخاري والنسائي من حديث الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن حجر عن عيسى ابن نميلة الفزاري عن أبيه قال كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرأ عليه (قل لأجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه) الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبي ﷺ فقال « خبيث من الخبائث » فقال ابن عمر: ان كان النبي ﷺ قاله فهو كما قال، ورواه أبو داود عن أبي ثور عن سعيد بن منصور به وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي فمن اضطر الى أكل شيء مما حرم الله في هذه الآية الكريمة وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان (فان ربك غفور رحيم) أي غفور له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه ان ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم والمسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو غفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ومن أين حرمتوه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء آخر فيما بعد هذا كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخالب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء ^(١)

« ١ » لكنها

مكروهة للهي عنها
فلا يحسن أن تؤكل
مع وجود ما يفي عنها

محرمات) وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بها منها ما أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال ثنا عبيد الله ابن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخالب من الطير أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن احمد ثنا أبو اسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن اسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أكل كل ذي ناب من السباع حرام » والاصل عند الشافعي أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل فإن كان مما أمر الشرع بقتله كما قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم » أو نهى عن قتله كما روي أنه نهى عن قطع النحلة وقتل النملة ، فهو حرام - وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الاغلب من عادات العرب فما يأكله الاغلب منهم فهو حلال ، وما لا يأكله الاغلب منهم فهو حرام لأن الله تعالى خاطبهم بقوله (اليوم أحل لكم الطيبات) فثبت أن ما استطابوه فهو حلال (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. ذلك جزينهم بينهم وإننا لصدقون (١٤٦)

قال ابن جرير يقول تعالى وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) وهو البعير والنعام وكذا قال مجاهد والسدي في رواية وقال سعيد بن جبير هو الذي ليس منفرج الاصابع وفي رواية عنه كل متفرق الاصابع ومنه الديك وقال قتادة في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) وكان يقال البعير والنعام وأشياء من الطير والخيتان وفي رواية البعير والنعام وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الاصابع، وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعام والبعير شقاشقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته ما شقاشقا؟ قال كل ما لا ينفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكنته قال انفرجت قوائم البهائم والعصافير قال فيهود تأكله قل ولم تنفرج قائمة البعير - خفه - ولا خف النعام ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الابل ولا النعام ولا الوز ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش، وقوله تعالى (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) قال السدي يعني الثرب^(١) وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انه حرمه اسرائيل فحن نحره وكذا قال ابن زيد، وقال قتادة الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الا ما حملت ظهورهما) يعني ماعلق بالظهر من الشحوم، وقال السدي وأبو صالح الألية مما حملت ظهورهما وقوله تعالى (أو الحوايا) قال الامام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدا حوايا وحواية وحوية وهو ما نحوى من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرائب وفيها الامعاء قال ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما وما حملت الحوايا. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهي المبعر وقال مجاهد الحوايا المبعر والمريض وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقاتة وأبو مالك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغير واحد الحوايا المرائب التي تكون فيها الامعاء تكون وسطها

«١» الثرب
بالفتح الشحم الذي
على الكرش والامعاء

قوله عز وجل ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا﴾ يعني اليهود ﴿كل ذي ظفر﴾ وهو ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعام والاوز والبط. قال القتيبي هو كل ذي مخالب من الطير وكل ذي حافر من الدواب، وحكاه عن بعض المفسرين بمعنى الحافر ظفراً على الاستعارة ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ يعني شحوم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أي إلا ماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما ﴿أو الحوايا﴾ وهي المباعر واحدها

(م ٥٣ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

وهي بنات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المرائب ، وقوله تعالى (أو ما اختلط بعظم) يعني إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحلناه لهم ، وقال ابن جريج شحم الالية ما اختلط بالعصعص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله السدي وقوله تعالى (ذلك جزيناهم بغيرهم) أي هذا التضيق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به بمجازاة على بغيرهم ومخالفتهم أوامرنا كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدمهم عن سبيل الله كثير) وقوله (وأنا لصادقون) أي وأنا لعادلون فيما جازيناهم به وقال ابن جرير وأنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمرة باع خمرأ فتأمل قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوهما فباعوها » أخرجه من حديث سفیان بن عیینة عن عمرو بن دينار عن طلوس عن ابن عباس عن عمر به وقال الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب قال قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » رواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حبيب به ، وقال الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها » ورواه البخاري ومسلم جميعا عن عبدان عن ابن المبارك عن بونس عن الزهري به ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعداً خلف المقام فرفع بصره إلى السماء فقال « لعن الله

حاوية وحوية أي ما حلت الخوايا من الشحم (أو ما اختلط بعظم) يعني شحم الالية هذا كله داخل في الاستثناء والتحریم مختص بالترب وشحم الكلية ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة « إن الله ورسوله حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام ، قيل يا رسول الله : أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ، ويدهن بها الجلود ، ويستضيء بها النار فقال « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود » إن الله عز وجل لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه (ذلك جزيناهم) أي ذلك التحريم عقوبة لهم (بغيرهم) أي بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصددهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل

اليهود ثلاثاً إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم ثمنه » وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أنبأنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ قاعداً في المسجد مستقبلاً الحجر فنظر إلى السماء فضحك فقال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء ، وقال الاعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد قال دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نعرده فوجدناه نائماً قد غطى وجهه يبرد عندي فكشف عن وجهه وقال « لعن الله اليهود يجرمون شعوم الغنم ويأكلون أثمانها » وفي رواية « حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها » وفي لفظ لأبي داود عن ابن عباس مرفوعاً « إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه »

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)
يقول تعالى فإن كذبتكم بالحق فقل للمؤمنين ربكم ذو رحمة واسعة (ربكم ذو رحمة واسعة) وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) ترهيب لهم في مخالفتهم الرسول خاتم النبيين وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى في آخر هذه السورة (إن ربك سريع العقاب وأنه يغفور رحيم) وقال (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (نبيء عبادي أنا الغفور الرحيم) * وإن عذابي هو العذاب الأليم) وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال (إن بطش ربك لشديد) * أنه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود) والآيات في هذا كثيرة جداً

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا
الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) قل
هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ، فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء
الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)

(وإننا لصادقون) في الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيتهم
(فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بتأخير العذاب عنكم (ولا يرد بأسه) عذابه (عن
القوم المجرمين) إذا جاء وقته (سيقول الذين أشركوا) لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شرهم وتحريم ما حرموا فان الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهيهم الايمان و يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وارادته ورضاه منا بذلك ولهذا قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) كما في قوله تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسوله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام قل هل عندكم من علم

من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ نحن ﴿ ولا آباءنا ﴾ من قبل ﴿ ولا حرمنا من شيء ﴾ من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله (لو شاء الله ما أشركنا) حجة لهم على إقامتهم على الشرك وقالوا : إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراد منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيباً لهم ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ من كفار الامم الخالية ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ عذابنا ، ويستدل أهل القدر بهذه الآية يقولون انهم لما قالوا : لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) قلنا التكذيب ليس في قولهم : لو شاء الله ما أشركنا ، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم : لو شاء الله ما أشركنا ، قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالتشديد ، ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم : لو شاء الله ما أشركنا لقال : كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف ، فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً واجلالاً لله عز وجل ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لأن الله تعالى قال (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال (وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكديباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون . نظيره قوله عز وجل (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) قال الله تعالى (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) وقيل في معنى الآية أنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ، ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته ، فان مشيئته لا تكون عذراً لأحد ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾ أي كتاب وحجة من الله

أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون
 إلا الظن) أي الوهم والخيال والمراد بالظن ههنا الاعتقاد الفاسد (وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون
 على الله فيما ادعيتموه ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولو شاء الله ما أشركنا وقال (كذلك
 كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولو شاء الله ما أشركوا) فانهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله
 زلفى فأخبرهم الله أنها لا تقربهم فقوله (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على
 الهدى أجمعين ، وقوله تعالى (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهذا كم أجمعين) يقول تعالى لنبيه ﷺ
 (قل) لهم يا محمد [فله الحجة البالغة] أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى واضلال
 من ضل [فلو شاء لهذا كم أجمعين] فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن
 المؤمنين ويبغض الكافرين كما قال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال تعالى (ولو شاء ربك
 لآمن من في الأرض) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم
 ربك ولذلك خلقهم) وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال الضحاك لا حجة
 لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقوله تعالى (قل هلم شهداءكم) أي أحضروا
 شهداءكم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أي هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتربتم على الله فيه
 (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا (ولا تتبع أهواء الذين
 كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) أي يشركون به ويجعلون له عديلا

قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا. وبالوالدين إحسانا. ولا تقتلوا

أولادكم من إمامن نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا

تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصصكم به لعلكم تعقلون (١٥١)

(فتخرجوه لنا) حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرمتموه (إن تتبعون
 ما تتبعون فيما أنتم عليه) إلا الظن (من غير علم ويقين) وإن أنتم إلا تخرصون (تكذبون) قل
 فله الحجة البالغة (التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان) فلو شاء لهذا كم أجمعين (فهذا يدل
 على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه) قل هلم (يقال للواحد والاثنين والجمع هلم) شهداءكم الذين
 يشهدون (أي أتتوا بشهادتكم الذين يشهدون) أن الله حرم هذا (هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم
 الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به) فإن شهدوا (وهم كاذبون) فلا تشهد (أنت) معهم
 ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (أي يشركون
 قوله عز وجل) قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا (وذلك أن المشركين

قال داود الاودي عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من أراد أن ينظر الى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) الى قوله --- لعلمكم تتقون (وقال الحاكم في مستدركه حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرور حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك بن اسماعيل المهدي حدثنا اسرايل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة قال سمعت ابن عباس يقول في الانعام آيات محكمة هن أم الكتاب ثم قرأ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه. قلت ورواه زهير وقيس بن الزبيع كلاهما عن أبي اسحاق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس به والله أعلم. وروى الحاكم أيضاً في مسنده من حديث يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي ادريس عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « أياكم يبغى على ثلاث » ثم تلا رسول الله ﷺ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من الآيات « فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فادركه الله به في الدنيا كانت عقوبته ومن أخر الى الآخرة فأمره الى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه » ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (١) وإنما انفقأ على حديث الزهري عن أبي ادريس عن أبي عوانة « يا يهوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً » الحديث، وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين فلا ينبغي أن ينسب الى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما والله أعلم.

« ١ » لكنه غير صحيح المعنى فالوصايا في الآية خمس لا ثلاث على أنها نزلت مع ما بعدها من الوصايا بل نزلت السورة كلها دفعة واحدة .

وأما تفسيرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بأثرائهم وتسويل الشياطين لهم (قل) لهم (تعالوا) أي هلموا واقبلوا (أتل ما حرم ربكم عليكم) أي اقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرفوا ولا ظننا بل وحياً منه وأمرأ من عنده (ألا تشركوا به شيئاً) وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق وتقديره وأوصاكم (ألا تشركوا به شيئاً) ولهذا قال في آخر الآية (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) وكما قال الشاعر

حج وأوصي بسليحي الاعبدا * أن لا تربي ولا تكلم أحداً * ولا يزل شرابها مبرداً
وتقول العرب أمرتك أن لا تقوم وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمته دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر ؟ قال وإن شرب الخمر » وفي بعض الروايات

سألوا وقالوا : أي شيء حرم الله تعالى ؟ فقال عز وجل (قل تعالوا أتل) أقرأ (ما حرم ربكم عليكم) حقاً ويقيناً لا ظناً ولا كذباً كما تزعمون ، فإن قيل : ما معنى قوله (حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك ؟ قيل موضح (أن) لرفع معناه هو أن لا تشركوا . وقيل محله نصب

أن قائل ذلك إنما هو أبو ذر رسول الله ﷺ وأنه عليه الصلاة والسلام قال في الثالثة «وان رغم أنف أبي ذر» فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث «وان رغم أنف أبي ذر» وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى (يا ابن آدم انك مادعوتي ورجوتني فأغفر لك على ما كان منك ولا أبالي ولو أتيتني بقراب الارض خطيئة أنيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً، وان أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . ولهذا شاهد في القرآن قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً ، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وابي الدرداء « لا تشركوا بالله شيئاً وان قطعتم أو صلبتم أو حرقتهم » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثني سيار بن عبد الرحمن عن يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال « ألا تشركوا بالله شيئاً وان حرقتهم وقطعتم رصبتهم » رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وبالوالدين إحساناً) أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحساناً أي أن تهتموا اليهم كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وقرأ بعضهم « ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » أي احسنوا اليهم والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال (أن اشكر لي ولوالديك الى المصير * وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فانبثكم بما كنتم تعملون) فأمر بالاحسان اليهما وان كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحساناً) الآية والآيات في هذا كثيرة (١) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أي ؟ قال « برّ الوالدين » قلت ثم أي ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » قال ابن مسعود حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزده لزادني وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصاني خليلي رسول الله ﷺ « أطع والديك وان أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل » ولكن في اسناديهما ضعف والله أعلم .

وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إبلان نحن نرزقكم وإياهم) لما أوصى تعالى بالوالدين (٢)

واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم أن تشركوا (لا) صلة كقوله تعالى (ما منعك أن تسجد) أي منعك أن تسجد . وقيل تم الكلام عند قواه (حرم ربكم) ثم قال (عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) على وجه الاغراء ، قال الزجاج يجوز أن يكون هذا محمولا على المعنى أي أتى عليكم تحريم الشرك . وجائز أن يكون على معنى أوصيكم ألا تشركوا (وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إبلان) فقر

« ١ » أي الآيات

في الوصية بالوالدين

متعددة منها ٣ بلفظ

(ووصينا الانسان

بوالديه) و٤ بلفظ

(وبالوالدين إحساناً

ذكرت هنا الآية

النساء (واعبدوا الله

ولا تشركوا به

وبالوالدين إحساناً

« ٢ » في الازهرية:

بر الآباء الخ

والأجداد عطف على ذلك الاحسان إلى الأبناء والاحفاد فقال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إِملاق) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يثدنون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني حيلة جارك» ثم تلا رسول الله ﷺ (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله بالحق ولا يزنون) الآية وقوله تعالى (من إِملاق) قال ابن عباس وقناة والسدي وغيره هو الفقر أي ولا تقتلوه من فقركم الحاصل، وقال في سورة الأسراء [ولا تقتلوا أولادكم خشية إِملاق] أي لا تقتلوه من خوفكم الفقر في الآجل ولهذا قال هناك (نحن نرزقهم وإياكم) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال نحن (نرزقكم وإياهم) لأنه لا هم ههنا والله أعلم، وقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش مظهر منها وما بطن) كقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش مظهر منها وما بطن والائم والبغي بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقد تقدم تفسيرها في قوله تعالى (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش مظهر منها وما بطن» وقال عبد الملك بن عمير عن وراد عن مولاة المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربت به بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لا أنا أغير من سعد والله أغير مني من أجل ذلك حرم الفواحش مظهر منها وما بطن» أخرجه وقال كامل أبو العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله انا نغار قال «والله اني لا غار والله أغير مني ومن غيرته نهى عن الفواحش» رواه ابن مردويه ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذي فقد روى بهذا السند «أعمار أبي ماين السنين إلى السبعين»

وقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق) وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهي عنه تأكيداً والا فهو داخل في النهي عن الفواحش مظهر منها وما بطن فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي

«نحن نرزقكم وإياهم» أي لا تثدوا بناتكم خشية العيلة فاني رازقكم وإياهم (ولا تقربوا الفواحش مظهر منها وما بطن) مظهر يعني العلانية وما بطن يعني السر. وكان أهل الجاهلية يستمتعون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر. وقال الضحاك (مظهر) الخمر (وما بطن) الزنا (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد (إلا بالحق) إلا بما أبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» وفي لفظ لمسلم «والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم» وذكره قال الأعشى فحدثت به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بمثله وروى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث: خصال: زان محصن يرحم، ورجل قتل متعمدا فيقتل، ورجل يخرج من الاسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصاب أو ينفى من الأرض» وهذا لفظ النسائي وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، أو زنى بعد احصائه، أو قتل نفسا بغير نفس» فوالله ما زلت في جاهلية ولا اسلام، ولا تمنيت أن لي بدني بدلا منه بعد اذ هداني الله، ولا قتلت نفسا، فبم تقتلونني رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن، وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستامن من أهل الحرب فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مرفوعا «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما» وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا» رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح، وقوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) أي هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا السكيل والميزان بالقسط، لا تكلف نفسا إلا وسعها وإذا قاتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢)

قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) (وإن الذين يأكون أموال اليتامى ظلما) الآية فأنطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله ويفسد فاشتد ذلك

عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يحل دم امرئ يشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله ﷺ إلا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» الذي ذكرت ﴿وصاكم به﴾ أمركم به ﴿لعلكم تعقلون﴾ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴿يعني بما فيه صلاحه وتتميره﴾ وقال مجاهد هو التجارة فيه.

وقال الضحاك هو أن يمتنعي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حتى يكتب له الحسنات وتسكتب عليه السيئات . قال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته . وقال الكلبي الأشد ما بين الثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة . وقيل إلى أربعين سنة وقيل إلى ستين سنة . وقال الضحاك عشرون سنة . وقال السدي ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة . والأشد جمع شد مثل قد وأقد وهو استحكام قوة شبابه وسنه ومنه شد النهار وهو ارتفاعه وقيل بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ . وتقدير الآية ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أي طاقها في إيفاء الكيل والميزان لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ فاصدقوا في الحكم والشهادة ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ ولو كان المحكوم والمشهد

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) الآية وكذا التي تشبهها في سورة النساء يأمر تعالى بالعدل في الغل والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال، وقوله (وبعهد الله أوفوا) قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء لذلك بأن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بدلتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بهمد الله (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) يقول تعالى هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه (لعلكم تذكرون) أي تتعظون وتنتهون مما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخرون بتخفيفها

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون (١٥٣)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفي قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وكذا رواه الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه، وهكذا رواه أبو جعفر الرازي وورقاء وعمر بن قيس عن عاصم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعا به نحوه، وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد والنسائي عن يحيى بن حبيب بن عربي وابن حبان من حديث ابن وهب أربعة عنهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود به، وكذا رواه ابن جرير عن المثنى عن الحماني عن حماد بن زيد به، ورواه الحاكم

عليه ذاقوبة (وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون. قرأ حمزة والكسائي وحفص (تذكرون) خفيفة الذال في كل القرآن والآخرون بتشديد ها. قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخن شيء وهن محرمات على نبي آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركن دخل النار (وأن هذا) أي الذي وصاكم به في هاتين الآيتين (صراطي) طريقي وديني (مستقيما) مستويا قويا (فاتبعوه) قرأ حمزة والكسائي (وان) بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الالف قال الفراء والمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما وقرأ ابن عامر ويعقوب

عن أبي بكر بن اسحاق عن اسماعيل بن اسحاق التناضي عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد بنه كذلك وقال صحيح ولم يخرج ، وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحماني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقتين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبي النجود عن زر وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم . وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر بن عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال « هذه سبل الشيطان » ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ورواه أحمد وابن ماجه في كتاب السنة من سننه والبراز عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن أبي خالد الأحمر به ، قلت ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين عن أبي سعيد الكندي حدثنا أبو خالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال خط رسول الله ﷺ خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف ان كان مؤثراً ، وقد روي موقوفاً عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلاً قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من صر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش

بسكون النون ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ اي الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل وقيل الاهواء والبدع ﴿ فتفرق ﴾ فتميل ﴿ بكم ﴾ وتشتت ﴿ عن سبيله ﴾ عن طريقه ودينه الذي ارتضى وبه اوصي ﴿ ذلكم ﴾ ان الذي ذكرنا ﴿ وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بأبي بكر بن الهيثم اخبرنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الخدادي ثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد

عن مسلم بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد ﷺ في أدناه وطره في الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم وقد روي من حديث النواس بن سمعان نحوه قال الامام أحمد حدثني الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا إيث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فانك أن تفتحه تلجبه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » ورواه الترمذي والنسائي عن علي بن حجر زاد النسائي وعمر بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به ، وقال الترمذي حسن غريب وقوله تعالى (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « أيسم يا بني على هؤلاء الآيات الثلاث » ثم تلا (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال « ومن وفي بين فأجره على الله ومن انتقص منه شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره الى الآخرة كان أمره الى الله ان شاء أخذه وإن شاء عفا عنه »

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعالمهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) وهذا كتب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥) قال ابن جرير (ثم آتينا موسى الكتاب) تقديره ثم قل يا محمد مخبرا عنا بأنا آتينا موسى

ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال : خط رسول الله ﷺ خطا ثم قال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه - ثم قرأ - (وأن صراطي مستقيما فاتبعوه) » الآية

قوله عز وجل (ثم آتينا موسى الكتاب) فان قيل : لم قال ثم آتينا وحرف ثم للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن ؟ قيل : معناه : ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب فأدخل ثم لتأخير

الكتاب بدلالة قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) قلت وفي هذا نظر وتم ههنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا لترتيب ههنا كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه * ثم مر قبل ذلك قد ساد جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله (وأن هذا صراطي مستقيم فاتبهوه) عطف بمدح التوراة ورسولها فقال (ثم آتينا موسى الكتاب) وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) وقوله أول هذه السورة (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) الآية وبعدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية وقال تعالى مخبراً عن المشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا يا قومنا، إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق) الآية ، وقوله تعالى (تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً) أي آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في شريعته كقوله (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) الآية وقوله تعالى (على الذي أحسن) أي جزاء على إحسانه في العمل وقيامه بأوامرنا وطاعتنا كقوله (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكثوله (واذا ابتلى إبراهيم إbraهيم ربه بكلمات فآمن قال إني جاعلك للناس إماماً) وكثوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن) يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن في الدنيا ثم له ذلك في الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً) على إحسانه فكانه جعل الذي مصدرية كما قيل في قوله تعالى (وخضعت كالأرض خاضوا) أي كخوضهم وقال ابن رواحة

وثبت الله ما آتاك من حسن * في المرسلين ونصراً كالذي نصروا

وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان

الخبر لا لتأخير النزول (تماماً على الذي أحسن) اختلفوا فيه قيل تماماً على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي على من أحسن من قومه وكان منهم محسن ومسي يدل عليه قراءة ابن مسعود : على الذين أحسنوا . وقال أبو عبيدة معناه على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعني أظهرنا فضله عليهم ، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون ، وقيل الذي أحسن هو موسى و (الذي) بمعنى ما أي على ما أحسن موسى . تقديره : آتينا الكتاب يعني التوراة تماماً عليه للنعمة لأحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر ، وقيل الإحسان بمعنى العلم وأحسن بمعنى علم ومعناه تماماً على الذي

يقرؤها تماماً على الذي أحسنوا، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد تماماً على الذي أحسن قال على المؤمنين والمحسنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوي المحسنون الأنبياء، والمؤمنون يعني أظهرنا فضلهم عليهم قالت كقوله تعالى (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء، والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى قال ابن جرير وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرؤها تماماً على الذي أحسن رفعاً بتأويل على الذي هو أحسن قال وهذه قراءة لا تستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح، وقيل معناه تماماً على احسان الله اليه زيادة على ما أحسن اليه حكاه ابن جرير والبغوي ولا منافاة بينه وبين القول الاول وبه جمع ابن جرير كما بيناه والله الحمد، وقوله تعالى (وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة) فيه مدح الكتاب الذي أنزله الله عليه (اعلمهم بقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) فيه الدعوة الى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة اليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين

أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين (١٥٦)
أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (١٥٧)

قال ابن جرير معناه وهذا كتاب أنزلناه لثلاث طائفتين من قبلنا (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعني لينقطع عنكم كقوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم لقالوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فنتبع آياتك) الآية وقوله تعالى (على طائفتين من قبلنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدي وقادة وغير واحد وقوله (وإن كنا عن دراستهم

أحسن موسى من العلم والحكمة أي آتيناها الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماماً مني على احساني الى موسى (وتفصيلاً) بياناً (لكل شيء) يحتاج اليه من شرائع الدين (وهدى ورحمة) هذا في صفة لتوراة (اعلمهم بقاء ربهم يؤمنون) قال ابن عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا) يعني القرآن (كتاب أنزلناه إليك) مبارك فاتبعوه فاعملوا بما فيه (واتقوا) وأطيعوا (لعلكم ترحمون) أن تقولوا (بهي ثلاثاً تقولوا كقوله تعالى) (يبين لكم أن تضلوا) أي ثلاثاً تضلوا. وقيل معناه أنزلناه كراهة أن تضلوا أن تقولوا. قال الكسائي معناه واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعني اليهود والنصارى (وان كنا) وقد كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين)

لخافلين) أي وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله ﴿أوتوا ولو أنا أنزل علينا الكتاب لسنكنا أهدي منهم﴾ أي وقطعنا تعلكم أن تقولوا ﴿لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لسنكنا أهدي منهم﴾ فيما أوتوه كقوله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ الآية وهكذا قال ههنا ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ يقول فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويتقنون ما فيه

وقوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أي لم ينتفع بما جاء به الرسول ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أي صرف الناس وصدفهم عن ذلك قاله السدي، وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدي ههنا فيه قوة لأنه قال ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ كما تقدم في أول السورة (وهم ينهون عنه ويتأبون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم) وقال تعالى ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فرق العذاب﴾ وقال في هذه الآية الكريمة (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقد يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أي لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتمال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدي أقوى وأظهر والله أعلم لأن الله قال ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ كقوله تعالى ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيت ربك يوم يأتي بعض آيت ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون (١٥٨)

لا أعلم ماهي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لتلا تقولوا إن الكتاب الذي أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتجسأوه عذراً لأنفسكم ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم﴾ وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكننا خيراً منهم قال الله تعالى ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾ حجة واضحة باغة تعرفونها ﴿وهدى﴾ بيان ﴿ورحمة﴾ ونعمة لمن اتبعه ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف﴾ أعرض ﴿عنها سنجزى الذين يصدفون﴾ عن آياتنا سوء العذاب ﴿أي شدة العذاب﴾ بما كانوا يصدفون ﴿يعرضون﴾ قوله تعالى ﴿هل ينظرون﴾ أي هل ينظرون بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن ﴿إلا أن﴾

يقول تعالى متوعداً للكافرين به والمخالفين لرسوله والمكذبين آياته والصادقين عن سبيله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة واشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها » فذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) حدثنا اسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » وفي لفظ فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ هذه الآية . هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الاول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم الا الترمذي من طرق عن عمارة ابن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به .

وأما الطريق الثاني فرواه عن اسحاق غير منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل اسحاق ابن نصر والله أعلم . وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجندبساوري كلاهما عن عبد الرزاق به . وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد

تأتيهم الملائكة لتقبض أرواحهم وقيل بالعذاب ، قرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء هنا وفي النحل والباقون بالتاء (أو يأتي ربك) بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) يعني طلوع الشمس من مغربها وعليه أكثر المفسرين، ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان (أو كسبت في إيمانها خيراً) يريد لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق (قل انتظروا) يا أهل مكة (إنا منتظرون) بكم العذاب

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزيايدي ثنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى

الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة به ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن كُتبت في إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم سلمان عن أبي هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه هو أيضا والترمذي من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه إسحاق بن عبد الله التروبي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ولكن لم يخرجهم أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف التروبي والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت أمّن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية ورواه ابن لميعة عن الأعرج عن أبي هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة به ، أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا معمر عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه » لم يخرجهم أحد من أصحاب الكتب الستة

﴿ حديث آخر ﴾ عن أبي ذر الغفاري في الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد ابن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أندري أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ » قلت لا أدري قال « إنها تنتهي دون العرش فتخرو ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها ارجعي من حيث جئت » وذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل)

﴿ حديث آخر ﴾ عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريحة الغفاري رضي الله عنه ، قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ،

الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « يد الله يسطان »^(١) مسمى الليل ليتوب بالتهار ، ومسمى النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها » أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد

(١) قوله يد الله يسطان كذا في نسخة وفي أخرى بسيطتان والذي في الجامع الصغير عن أبي موسى الأشعري إن الله يسط يده بالليل ليتوب مسمى النهار ويسط يده بالتهار ليتوب مسمى الليل فليحرر اه مصححه

وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذي حسن صحيح (حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال الثوري عن منصور عن ربي عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال النبي ﷺ «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لا ترى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تبطل عليهم جنوبهم حتى ينطاول عليهم الليل فيفزع الناس ولا يصبحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم» رواه ابن مردويه وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم.

(حديث آخر) عن أبي سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان رضي الله عنه وأرضاه، قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها» قال طلوع الشمس من مغربها ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفي حديث طلوت بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي امامة صدى بن عجلان قال قال رسول الله ﷺ «أن أول آيات طلوع الشمس من مغربها» وفي حديث عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبیش عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه في حديث طويل

(حديث آخر) عن عبد الله بن أبي أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن يزيد عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذلك بعرفها المتفانون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مظهرها قال حينئذ «لا ينفع نفسا إيمانها» هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة

ابن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » أخبرنا عبد الواحد المايحي أنا أبو منصور السمعاني

﴿ حديث آخر ﴾ عن عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات يقول ان أولها خروج الدجال قال فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات فقال لم يقل مروان شيئاً حفظت من رسول الله ﷺ يقول « ان أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهمما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها » ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجاً طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت في الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ماشاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت رب ما أبعد المشرق من لي بالناس حتى إذا صار الافق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الآية وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما من حديث أبي حيان التميمي واسمه يحيى بن سعيد ابن حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير به

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدثنا اسحاق ابن ابراهيم بن زريق الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي ﷺ « إذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجداً ينادي ويحجر إلهي مرني أن أسجد لمن شئت قال فيجتمع اليه زبائنه فيقولون كلهم ما هذا اتضرع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال ثم تخرج دابة الارض من صدع في الصفا قال فأول خطوة تضعها بانطاكيا فتأتي ابليس فتلطمه » هذا حديث غريب جداً وسنده ضعيف ولعله من الزامتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فاما رفعه فمكرر والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين قال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدي أن رسول الله ﷺ قال « لا تنقطع

أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبد الله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يخلق ما لم تطلع الشمس من قبله » وذلك

الهجرة مادام العدو يقاتل » فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال « إن الهجرة خصلتان إحداهما تهجر السيئات والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ما قبلت التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتي تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل » هذا الحديث حسن الاسناد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

(حديث آخر) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عوف الاعرابي عن محمد بن سيرين حدثني أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر من الآيات ففسد مضي غير أربع طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الارض، وخروج يأجوج ومأجوج. قال وكان يقول الآية التي تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها لم تر أن الله يقول (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية كلها يعني طلوع الشمس من مغربها حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعاً فذكر حديثاً طويلاً غريباً منكرارفعه، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه. وهو حديث غريب جداً بل منكر بل موضوع ان ادعى أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الاشبه بغير مدفوع والله أعلم، وقال سفیان عن منصور عن عامر عن عائشة رضي الله عنها قالت اذا خرج أول الآيات دارحت وحسبت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى، فقوله تعالى (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي اذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمناً قبل ذلك فان كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم وان لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الاحاديث المتقدمة. وعليه يحمل قوله تعالى (أو كسبت في إيمانها خيراً) أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح اذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك وقوله تعالى (قل انظروا انا منتظرون) تهديد شديد للكافرين ووعد أكيدهم سوف بإيمانهم وتوبته الى وقت لا ينفعه ذلك وانما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لا اقتراب الساعة وظهور اشراطها كما قال «فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم» وقوله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا الآية

قول الله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) وروى أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها »

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩)

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل بعث محمد ﷺ ففرقوا فلما بعث محمد ﷺ أنزل الله عليه (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية، وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمر السكوني حدثنا بقية بن الوليد كتب إلي عباد بن كثير حدثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في هذه الآية (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وليسوا منكم هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الامة» لكن هذا اسناد لا يصح فإن عباد بن كثير متروك الحديث ولم يخلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فانه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية أنه قال نزلت في هذه الامة، وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله (وكانوا شيعا) قال هم الخوارج وروي عنه مرفوعا ولا يصح وقال شعبة عن مجاهد عن الشعبي عن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) قال «هم أصحاب البدع» وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحدا لا اختلاف فيه ولا افتراق فن اختلف فيه (وكانوا شيعا) أي فرقا

قوله عز وجل ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف هنا، وفي سورة الروم. أي خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الآخرون فرقوا مشدداً، أي جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله عز وجل ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي، وقيل هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الامة، وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة «يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب الاهواء من هذه الامة» حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الانصاري أنا أبو عبيد الله محمد بن عقيل الازهري البلخي أنا الزيايدي أنا أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مخلد أنا ثور بن يزيد أنا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمر السلمي عن العرياض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قاتل يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً جبشياً،

كأهل المال والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه وهنئه الآية كقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) الآية وفي الحديث « نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برآء منها كما قال الله تعالى (لست منهم في شيء) وقوله تعالى (انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) كقوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) الآية ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون (١٦٠)

وهذه الآية السكرية مفصلة لما أجمل في الآية الاخرى وهي قوله (من جاء بالحسنة) فله خير منها وقد وردت الاحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى « ان ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم

فان من بعش منكم فسيروا اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة »

وروي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « ان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة » قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي » قال عبد الله بن مسعود : فان أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، ورواه جابر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ قوله عز وجل ﴿ لست منهم في شيء ﴾ قيل لست من قتالهم في شيء نسختها آية القتال وهذا على قول من يقول المراد منه اليهود والنصارى ، ومن قال أراد بالآية أهل الاهواء قال المراد من قوله (لست منهم في شيء) أي أنت منهم بري ، وهم منك برآء يقول العرب : إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي كل واحد منا بري ، من صاحبه ﴿ انما أمرهم إلى الله ﴾ يعني في الجزاء والمكافآت ﴿ ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ اذا ردوا للقيامة

قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ أي له عشر حسنات أمثالها ، وقرأ يعقوب عشر منون أمثالها بالرغم ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ أخبرنا حسان بن سعيد

يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو بمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك»
ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به
وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة
فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة
ومن اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا ومن اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا ومن أتاني بمشي
أثبته هرولة » ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية به وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن
الأعمش به ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا
شيبان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه
شيء فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة » واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة
يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها الله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة
كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح فأنما تركها من جرائي أي من أجلي ، وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها
فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ، وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعي في
أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال
« إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقى المقتول في النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟
قال « انه كان حريصا على قتل صاحبه » وقال الامام أبو يعلى الموصلي حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا
مكي حدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة قالا حدثنا إسحاق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة
عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس عن جده أنس قال قال رسول الله ﷺ « من هم بحسنة كتب
الله له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت عليه

المنيعة ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزبدي ثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ثنا محمد بن
يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « إذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف
وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلتقي الله عز وجل » وأخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني
ثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأزيد (ومن جاء
بالسيئة فجزاؤها سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا

سنة فان تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى انما تركها من مخافتي « هذا لفظ حديث مجاهد يعني ابن موسى، وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه فلان بن عميلة عن خريم بن فاتك الاسدي أن النبي ﷺ قال « ان الناس أربعة والاعمال ستة فالناس موسع له في الدنيا والآخرة وموسم له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة وشقي في الدنيا والآخرة والاعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعائة ضعف فالموجبتان من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ومن مات كافراً وجبت له النار ومن هم بحسنة فلم يعملها فعمل الله انه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسنة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل الله عز وجل كانت بسبعائة ضعف « ورواه الترمذي والنسائي من حديث الركين بن الربيع عن أبيه عن بشير بن عميلة عن خريم بن فاتك به ببعضه والله أعلم، وقال بن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن الملم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها بلغوه فهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحداً فهي كفارة له الى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام « وذلك لان الله عز وجل يقول (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال الخافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها ^(١) وزيادة ثلاثة أيام « وذلك لأن الله تعالى قال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله « رواه الامام أحمد وهذا لفظه والنسائي وابن ماجه والترمذي وزاد: فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) اليوم بعشرة أيام . ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) من جاء بلا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضي الله عنهم اجمعين وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكنني لم أروه من وجه يثبت والآحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً وفيما ذكر كفاية ان شاء الله وبه الثقة

تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن أقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة « قال ابن عمر الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعائة ضعف

(م ٥٦ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

(١) في مكة
(قبلها)

قل إني هداي ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين (١٦١) قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣)

يقول تعالى أمرأ نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية الى صراطه
المستقيم الذي لا عوجاج فيه ولا انحراف (ديناً قيماً) أي قائماً ثابتاً [ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين] كقوله [ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه] وقوله [وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم] وقوله (إن إبراهيم كان
أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباؤه وهداه الى صراط مستقيم *
واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً
وما كان من المشركين) وليس يلزم من كونه ﷺ أمراً باتباع ملة إبراهيم الخفيفة أن يكون إبراهيم
أكل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكملت له إكبالاً تاماً لم يسبقه أحد الى هذا
الكمال، ولهذا كان خاتم الانبياء، وسيد ولد آدم على الاطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب
اليه الخلق حتى الخليل عليه السلام. وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا
أحمد بن عصام حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله
الهمداني يحدث عن ابن ابري عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال «أصبحنا على ملة
الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» وقال الامام
أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه قال قيل لرسول الله ﷺ أي الاديان أحب الى الله تعالى؟ قال «الخفيفة السمحة» وقال أحمد
أيضاً حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
رضي الله عنها قالت وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبي لا نظن الى زفن الحبشة حتى كنت التي
ملئت فانصرفت عنه. قال عبد الرحمن عن أبيه قال قال لي عروة إن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ
يومئذ «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة» أي أرسلت بخفيفة سمحة أصل الحديث مخرج في الصحيحين
والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري والله الحمد والمنة، وقوله تعالى

قوله تعالى قل إني هداي ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً قرأ أهل الكوفة والشام
قيماً بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناها واحد
وهو القويم المستقيم وانتصابه على معنى هداي ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين *

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله وينجسون أغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي اخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام وينجسون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله (إن صلاتي ونسكي) النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير (ونسكي) قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال ضحى رسول الله ﷺ في يوم عيد النحر بنخشين وقال حين ذبحها ^(١) (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله (وأنا أول المسلمين) قال قتادة أي من هذه الأمة وهو كما قال فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا رحي إليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين *) اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لسمك الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا الآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال موسى (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقال تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) الآية وقال تعالى (واذا أوحيت الى الخوايين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) فاخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضها الى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ

(١) في المكية:

وجهها

قل إن صلاتي ونسكي محيائي ومماتي لله رب العالمين . وقال مقاتل : نسكي حجتي ، وقيل ديني ومحياي ومماتي أي حياتي ومماتي لله رب العالمين أي هو يحييني ويميتني ، وقيل محياي بالعمل الصالح ، ومماتي اذا مت على الايمان بالله رب العالمين ، وقيل طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين ، قرأ أهل المدينة محياي بسكون الياء ومماتي بفتحها ، وقرأ العامة محياي بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان

التي لا تنسخ أبد الآبدين ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة الى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام « نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » فان أولاد العلات هم الاخوة من أب واحد وأمها شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وان تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الامهات كما أن اخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والاخوة الاعيان الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الاعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا كبر استفتح ثم قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين * — قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الى الآية (١) « اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب اليك » ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم في صحيحه

(١) كذا في النسختين المطبوعة والمكتوبة. والمراد إلى آخر الآية التي بعد هذه ، وقد اثبتت الآية الأخيرة في النسخة الأزهرية فلم تذكر فيها هذه العبارة

قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ؟ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون (١٦٥)

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغير الله أبغي ربا) أي أطلب ربا سواه (وهو رب كل شيء) بريني ويحفظني ويكافؤني ويدبر أمري ، أي لا أتوكل الا عليه ولا أنيب الا اليه لانه رب كل شيء ، ومليكه وله الخلق والامر . ففي هذه الآية الامر باخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وهذا المعنى يقرن بالآخر كثير في القرآن كقوله تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا له (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله (فاعبدوه وتوكل عليه) وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وأشبه ذلك من الآيات ، وقوله تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) اخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس انما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه

قوله تعالى لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قال قتادة : وأنا أول المسلمين من هذه الامة قل أغير الله أبغي ربا قل ابن عباس رضي الله عنهما : سيداً وإلهاً وهو رب كل شيء وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ : ارجع إلى ديننا . قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول : اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم ، فقال الله تعالى قل ولا تكسب كل نفس إلا عليها لا تجني كل نفس إلا ما كان الله على الجاني ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل كل نفس حاملة حمل

لا يجعل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وقوله تعالى (فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال علماء التفسير : أي فلا يظلم بأن يجعل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته ، وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) معناه كل نفس مرتبته بعملها السيئ ، إلا أصحاب اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم كما قال في سورة الطور (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) أي ألحقنا بهم ذريتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الاعمال ، بل في أصل الايمان ، وما ألتناهم أي أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئاً حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضلهم ومنته ثم قال (كل امرئ بما كسب رهين) أي من شر ، وقوله (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي اعملوا على مكائتكم انا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه ، وينبئنا واياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا كقوله (قل لا تسألون عما أجرمتنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما

آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٥)

يقول تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) أي جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) وكقوله تعالى (وجعلكم خلفاء الارض) وقوله (اني جاعل في الارض خليفة) وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) وقوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي فاوت بينكم في الارزاق والاخلاق والمحاسن والمساوي والمناظر والاشكال والالوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) وقوله (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)

أخرى ، أي لا يؤخذ أحد بذنب غيره ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهو الذي جعلكم خلائف الارض يعني أهلك القرون الماضية وأورثكم الارض يأمة محمد ﷺ من بعدهم فجعلكم خلائف منهم فيما تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة ، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة لأنه يخلفه ثم ورفع بعضكم فوق بعض درجات

وقوله تعالى (ليلوكم فيما آتاكم) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحانكم به ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره . وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » وقوله تعالى (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) ترهيب وترغيب ان حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله (وانه لغفور رحيم) لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤا به من خبر وطلب . وقال محمد بن اسحاق ابراهيم العباد على ما فهم رواه ابن أبي حاتم وكثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين عاتين الصفتين كقوله (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وان ربك شديد العقاب) وقوله (نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم) الى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده اليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم اليه بالرهبة وذكر النار وأنكأها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجمع في كل بحسبه ، جعلنا الله من أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدق فيما أخبر ، انه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ان رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طعم بجنه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما فظ أحد من الجنة خاق الله عائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » ورواه الترمذي عن قتيبة عن عبد العزيز الدراوردي عن العلاء به وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ثلاثتهم عن اسماعيل بن جعفر عن العلاء وعنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي » وعنه أيضاً قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تترامح الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية من أن تصيبه » رواه مسلم

آخر تفسير سورة الانعام والله الحمد والمنة

(١) في الهندية:
خلف بين أحوالكم

أي خالف بين أحوالكم (١) فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق ، والمعاش والقوة والفضل (ليلوكم فيما آتاكم) ليختبركم فيما رزقكم ، يعني يبتلي الغني والفقير ، والشريف والوضيع ، والحر والعبد ، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب (ان ربك سريع العقاب) لأن ما هو آت فهو سريع قريب ، قيل هو الملأ في الدنيا (وانه لغفور رحيم) قال عطاء : سريع العقاب لأعدائه ، غفور لأوليائه رحيم بهم

تفسير سورة الاعراف وهي مكيت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المص (١) كتب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين (٢) اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون (٣) قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه قال ابن جرير حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس (المص) أنا الله أفضل وكذا قال سعيد بن جبير (كتاب أنزل اليك) أي هذا كتاب أنزل اليك أي من ربك (فلا يكن في صدرك حرج منه) قال مجاهد وقتادة والسدي شك منه وقيل لا تنحرج به في ابلاغه والانداز به فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولهذا قال (تنذر به) أي أنزلناه اليك لتنذر به الكافرين (وذكرى للمؤمنين) ثم قال تعالى مخاطبا للعالم (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي اقتفوا آثار النبي الامي الذي جاءكم بكتاب أنزل اليكم من رب كل شيء ومليكه (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدتم عن حكم الله إلى حكم غيره (قليلا ما تذكرون) كقوله (وما أكنر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله (وإن تطمأ كنر من في الارض بضلوك عن سبيل الله) الآية وقوله (وما يؤمن أكنرهم بالله إلا وهم مشركون)

وكن من قرية أهلكنها فجاءها بأسنا يبتأ أو هم قائلون (٤) فما كان دعوتهم إذ جاءهم

تفسير سورة الاعراف

مكية كلها الا خمس آيات أولها وأسألمهم عن القرية التي كانت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المص كتاب) أي هذا كتاب (أنزل اليك) وهو القرآن (فلا يكن في صدرك حرج منه) قال مجاهد هذا شك فالحطاب للرسول ﷺ والمراد به الامة وقال أبو العالية حرج أي ضيق معناه لا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما رسلت به (تنذر به) أي كتاب أنزل اليك لتنذر به (وذكرى للمؤمنين) أي عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب (اتبعوا) أي وقل لهم اتبعوا (ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى (قليلا ما تذكرون) تعظون وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء (وكن من قرية أهلكنها) بالعذاب وكن للتكثير ورب

بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (٥) فاستثنى الذين أرسل إليهم ولنستأن المرسلين (٦)
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (٧)

يقول تعالى (وكم من قرية أهلكناها) أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي الدنيا
موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
يستهزئون) وكقوله (فكأني من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطاة
وقصر مشيد) وقال تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا
قليلاً وكنا نحن الوارثين) وقوله (فجاءها بأسنا بيانا أو هم قائلون) أي فكل من منهم من جاءه أمر الله
وبأسه ونقمته بيانا أي ليلاً أو هم قائلون من القيلولة وهي الاستراحة وسط النهار وكلما الوقتين وقت
غفلة وهو كما قال (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيانا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا ضحى وهم يلاعبون) وقال (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم
لرؤوف رحيم) وقوله (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) أي فما كان
قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا كقوله تعالى (وكم قصصنا من
قرية كانت ظالمة -- إلى قوله -- خامدين) قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة
ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله «ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» حدثنا بذلك
ابن حميد حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود
قال رسول الله ﷺ «ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك

للتقليل «فجاءها بأسنا» عذابنا «بيانا» ليلاً (أو هم قائلون) من القيلولة تقديره فجاءها بأسنا ليلاً وهم
نائمون أو نهارة وهم قائلون أو نائمون ظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم
ومعنى الآية أنهم جاءهم بأسهم وهم غير متوقعين إما ليلاً وإما نهارة قال الزجاج وأو لتصرف العذاب
أي مرة ليلاً ومرة نهارة وقيل معناه من أهل القرى من أهلكناهم ليلاً ومنهم من أهلكناهم نهارة
أي حكنا بهلاكها فإن قيل ما معنى أهلكناها فجاءها بأسنا فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك قيل
معنى أهلكنا حكنا بهلاكها فجاءها بأسنا وقيل فجاءها بأسنا هو بيان قوله أهلكناها مثل قول القائل
أعطيتني فأحسننت إلي الآخرة لافرق بينه وبين قوله أحسننت إلي فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من
الآخر فما كان دعواهم أي قولهم ودعائهم وتضرعهم والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء
قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم «إذ جاءهم بأسنا» عذابنا
«إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين» معناه لم يقدروا على رد العذاب وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجنابة

قال فقراً هذه الآية (فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين)
 وقوله (فلنستأن الذين أرسل اليهم) الآية كقوله (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله
 (يوم يحجم الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب) فيسأل الله الامم يوم
 القيامة عما أجاؤا رسوله فيما أرسلهم به ويسأل الرسل أيضاً عن ابلاغ رسالاته ولهذا قال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية (فلنستأن الذين أرسل اليهم ولنستأن المرسلين) قال عما بلغوا
 وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو سعيد
 السكدي حدثنا الحارثي عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « كلكم راع
 وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت
 زوجها والعبد يسأل عن مال سيده » قال الليث وحدثني ابن طاووس مثله ثم قرأ (فلنستأن الذين أرسل
 اليهم ولنستأن المرسلين) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة وقال ابن عباس في قوله
 (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون (وما كنا غائبين) يعني
 أنه تعالى بنجر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقيق لأنه تعالى الشهيد
 على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يفعل عن شيء بل هو العالم بخائنة الاعين وما تخفي الصدور
 (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)
 والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه

فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظاهون (٩)

يقول تعالى (والوزن) أي للأعمال يوم القيامة (الحق) أي لا يظلم تعالى أحداً كقوله (ونضع الموازين
 القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)

حين لا ينفع الاعتراف (فلنستأن الذين أرسل اليهم) يعني الامم عن اجابتهم الرسل وهذا سؤال توبيخ
 لا سؤال استعلام يعني نسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل (ولنستأن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن
 عليهم بعلم) أي نخبرهم عن علم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينطق عليهم كتاب أعمالهم كقوله
 تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) (وما كنا غائبين) عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما أجاؤا
 قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني يومئذ السؤال قال مجاهد معناه : والقضاء يومئذ العدل
 وقال الآخرون أراد به وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل
 كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب واختلفوا في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال وروينا
 أن رجلاً ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله

(م ٥٧ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

وقال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعتها ويؤت من لدنه أجرأ عظيماً) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأما هاهوية * وما أدراك ما هية * نار حامية) وقال تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)

﴿ فصل ﴾ والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قبل الاعمال وإن كانت أعراضاً إلا أن الله تعالى يقبلها يوم القيامة أجساماً قال البغوي يروي نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف . ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك . وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر « فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح » وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الاعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يارب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول الله تعالى : انك لا تظلم . فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان قال رسول الله ﷺ « فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث « يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ثم قرأ (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال « أتعجبون من دقة ساقه والذي نفسي بيده

إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . وقيل توزن الأشخاص وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة » وقيل توزن الاعمال روي ذلك عن ابن عباس فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان والحكمة في وزن الاعمال امتحان الله عباده بالآيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ قال مجاهد حسناته ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴿ بحمدون ﴾ وقال أبو بكر رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل عليهم ، وحق الميزان يوضع فيه ألحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحق الميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً ، فإن قيل فقد قيل (فمن ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع والميزان واحد قيل يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحداً

لها في الميزان أثقل من أحد » وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الاعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معيشة قليلا ما تشكرون (١٠)

يقول تعالى ممتنا على عبده فيما مكن لهم من أنه جعل الأرض قراراً وجعل فيها رواسي وأنهاراً وجعل لهم فيها منازل وبيوتا أباح لهم منافعها وسخر لهم السحاب لخراج أرزاقهم منها وجعل لهم فيها معاش أي مكاسب وأسبابا يكسبون بها ويتجرون فيها ويتسببون أنواع الأسباب وأنكرهم هذا قليل الشكر على ذلك كقوله (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) وقد قرأ الجميع معاش بلا همز إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها والصواب الذي عليه الأكرهون بلا همز لأن معاش جمع معيشة من عاش يعيش عيشا ومعيشة أصلها معيشة فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى العين فصارت معيشة فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال فقليل معاش ووزنه مفاعل لأن الياء أصلية في الكلمة بخلاف مدائن وصحائف وبصائر جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من مدن وصحف وأبصر فان الياء فيها زائدة ولهذا تجمع على فعائل وتهمز لذلك والله أعلم

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للانسكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم

يسكن من الساجدين (١١)

ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولا يبهيم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه فقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم

كقوله (يا أيها الرسل) وقيل لكل عبد ميزان وقيل الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به وقيل جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن إلا باجتماعها قوله تعالى ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي مكنناكم والمراد من التمكين التمليك والقدرة ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ أي أسبابا تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشرب والمعاش جمع المعيشة ﴿قليلا ما تشكرون﴾ فيما صنعت إليكم

قوله عز ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال ابن عباس خلقناكم أي اصولكم وآباءكم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم وقال قتادة والضحاك والسدي أما خلقناكم فآدم وأما صورناكم فقدرته وقال مجاهد خلقناكم آدم ثم صورناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه وقيل خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر وقال عكرمة خلقناكم في أصلاب الرجال وصورناكم في أرحام النساء وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صورته فشق سمعه وبصره

ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا (وهذا كقوله تعالى) وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشراً سوياً ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لشأن الله تعالى وجلاله فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير سورة البقرة وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن الأعشى عن منهال بن عمرو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ونقل ابن جرير عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية

وقال الزبيد بن أنس والسدي وقتادة والضحاك في هذه الآية (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقنا آدم ثم صورنا الذرية وهذا فيه نظر لأنه قال بعده (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ (وظلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى) والمراد بالآباء آبائهم الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذلك مئة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء وهذا بخلاف قوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) الآية فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة وصح هذا لأن المراد في خلقنا الإنسان الجنس لا معيناً والله أعلم

قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتلك؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١٢)

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى (مامنعك أن لا تسجد إذ أمرتك) لاهنا زائدة وقال بعضهم زيدت لتأكيد الجحد كقول الشاعر * ما إن رأيت ولا سمعت بمثله * فأدخل «إن» وهي للنفي على ما الذاتية لتأكيد النفي قالوا وكذا ههنا (مامنعك أن لا تسجد) مع تقدم قوله (لم يكن من الساجدين) حكاهما

وأصابه وقيل الكل آدم خلقه وصوره وثم بمعنى الواو (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فإن قيل الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم فما وجه قوله ثم قلنا وثم للترتيب والتراخي قيل على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم الكلام . أما على قول من يصرفه إلى الذرية فعنه أجوبة (أحدها) أن ثم بمعنى الواو وقلنا للملائكة فلا تكون للترتيب والتعقيب وقيل أراد ثم أخبرناكم أنا قلنا للملائكة اسجدوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم يعني آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ثم صورناكم . قوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (إلا إبليس لم يكن من الساجدين) لا آدم (قال) الله تعالى (بإبليس مامنعك أن لا تسجد إذ أمرتك) أي مامنعك أن تسجد

ابن جرير ورد بها واختار أن منعك مضمن معنى فبطل آخر تقديره ما أخرجك والزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ونحو هذا. وهذا القول قوي حسن والله أعلم وقول ابليس لعنه الله (أنا خير منه) من العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع من الطاعة لانه لا يؤمر بالفضل بالسجود للمفضل يعني لعنه الله وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين انه خير منه بأنه خلق من نار والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر العين الى اصل العنصر ولم ينظر الى التشريف العظيم وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وقاس قياسا فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى (فتعوا له ساجدين) فشذ من بين الملائكة لترك السجود فهذا ابليس من الرحمة أي أوبس من الرحمة فأخطأ فبجحه الله في قياسه ودعواه ان النار أشرف من الطين أيضا فان الطين من شأنه الرزانة والحلم والاناة والتثبت والطين محل النبات والنمو والزيادة والاصلاح والنار من شأنها الاجراق والطيش والسرعة ولهذا خان ابليس عنصره ونعم آدم عنصره بالرجوع والاناة والاستكانة والانهياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «خلق الله الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم» هكذا رواه مسلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله ابن مسعود حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «خلق الله الملائكة من نور العرش وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم» قلت لنعيم بن حماد أين سمعت هذا من عبد الرزاق؟ قال باليمن، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح «وخلقت الحور العين من الزعفران» وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن الحسن في قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) قال قاس ابليس وهو أول من قاس اسناده صحيح وقال حدثني عمر بن مالك حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام

ولا زائدة كقوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكنا انهم لا يرجعون﴾ قال ابليس محبباً له ﴿أنا خير منه﴾ لانك ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس أول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع ابليس، قال ابن سيرين ما عبت الشمس الا بالقياس قال محمد بن جرير ظن الحديث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل وقد فضل الطين على النار وقالت الحكماء للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتناب والتوبة والهداية ومن جوهر النار الحفة والطيش والجرأة والارتفاع وهو الداعي لابليس بعد الشقاوة التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثه اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الاشجار

عن ابن سيرين قال أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس اسناد صحيح أيضاً قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصغرين (١٣) قال

أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥)

يقول تعالى مخاطباً لإبليس بأمر قدرى كوني (فاهبط منها) أي بسبب عصيانك لأمرى وخروجك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها قال كثير من المفسرين الضمير عائد إلى الجنة ويحمل أن يكون عائداً إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى (فاخرج إنك من الصغرين) أي الدليلين الحقيرين معاملة له بنقيض قصده ومكافأة لمراعاة بضده فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة إلى يوم الدين قال (أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين) أجابه تعالى إلى ما سأل لئلا يظن في ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمنع ولا معقب لحكمة (وهو سريع الحساب)

قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن

خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شكرين (١٧)

يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس (إلى يوم يبعثون) واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال (فما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي كما أغويتني قال ابن عباس كما أضللتني

والنبت به والنار سبب الهلاك

قوله تعالى ﴿قال فاهبط منها﴾ أي من الجنة وقيل من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه اطار يروع فيها حتى يخرج منها

قوله تعالى ﴿فما يكون لك أن تتكبر﴾ بمخالفة الأمر ﴿فيها﴾ أي في الجنة ولا ينبغي أن يسكن الجنة ولا السماء متكبر مخالفاً لأمر الله ﴿فاخرج إنك من الصغرين﴾ من الإذلاء والصغار والذل والمهانة ﴿قال﴾ إبليس عند ذلك ﴿أنظرني﴾ أخرني وأمهاني فلا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ من قبورهم وهو النفخة الآخرة عند قيام الساعة أراد الحديث أن لا يذوق الموت ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿إنك من المنظرين﴾ المؤخرين وبين مدة النظرة والمهلة في موضع آخر ﴿فقال إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم ﴿قال فما أغويتني﴾ اخلفوا فيما قيل هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني ثم ابتداء فقال لأقعدن لهم وقيل هو ما الجزاء أي لاجل إنك أغويتني أقعدن لهم وقيل هو ما المصدر موضع القسم تقديره فباغوائك إياي لأقعدن لهم كقوله (بما غفرت لي ربني) يعني بغفران ربني والمعنى بقدرتك علي ونفاذ سلطانك وقال ابن الأنباري أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء (أغويتني) أي أضللتني عن الهدى وقيل أهلكتني وقيل خيبتني ﴿لأقعدن﴾

وقال غيره كما أهلكني لا أقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعثني بسببه على (صراطك المستقيم) أي طريق الحق وسبيل النجاة ولا ضللتهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحّدوك بسبب اضلالك إياي وقال بعض النحاة الباء هنا قسمية كأنه يقول فبأغرائك إياي لا أقعدن لهم صراطك المستقيم قال مجاهد صراطك المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله يعني طريق مكة قال ابن جرير الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك (قلت) لا روى الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفني عبد الله بن عقيل حدثنا موسى بن المسيب أخبرني سالم ابن أبي الجعد عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم » قال « وقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماؤك وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد » وقال رسول الله ﷺ « فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وان قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة » وقوله (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لا تينهم من بين أيديهم) أشككم في آخرتهم (ومن خلفهم) أرغبهم في دنياهم (وعن إيمانهم) أشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) أشهي لهم المعاصي وقال ابن أبي طلحة في رواية والعمري كلاهما عن ابن عباس أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن إيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أتاهاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن إيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي

لهم صراطك المستقيم أي لا جالس لبني آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ثم لا تينهم من بين أيديهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككم فيها (ومن خلفهم) أرغبهم في دنياهم (وعن إيمانهم) أشبه عليهم أمر دينهم (وعن شمائلهم) أشهي لهم المعاصي وروى عطية عن ابن عباس من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أرزينا في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن إيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وقال الحكم من بين أيديهم من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يثبطهم عنها وعن إيمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يزينه لهم وقال قتادة أتاهاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها وعن إيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها

ودعاهم إليها وأمرهم بها آتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله . وكذا روي عن إبراهيم النخعي والحكم بن عبيدة والسدي وابن جريج إلا أنهم قالوا من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة وقال مجاهد من بين أيديهم وعن إيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون واختار بن جرير أن المراد بجميع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم) ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي أبي طلحة عن ابن عباس (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قال موحدون وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو ابن مجمع عن يونس بن خباب عن بن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم أن اغتال من تحتي » تفرد به البزار وحسنه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله ﷺ يدعو هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي » قال وكيع من تحتي يعني الخسف

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به وقال الحاكم صحيح الاسناد

أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد من بين أيديهم وعن إيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون وقال ابن جريج معنى قوله (حيث لا يبصرون) أي لا يخطئون حيث يعلمون أنهم يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين فإن قبل كيف علم الخبيث

قال اخرج منها مذموماً مدحوراً آمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (١٨)

أكد تعالى عليه اللعنة والطرود والابعاد والنفي عن محل الملائكة الأعلى بقوله (اخرج منها مذموماً مدحوراً) قال ابن جرير أما المذموم فهو المعيب والذام غير مشدد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذموم ويتركون الغمر فيقول ذمته أذيمه ذيماً وذاماً والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم قال والمدحور المقصي وهو المبعد المطرود وقال عبد الله بن زبير بن أسلم ما نعرف المذموم والمذموم إلا واحداً وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس اخرج منها مذموماً مدحوراً قال مقيماً وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس صغيراً مقيماً وقال السدي مقيماً مطروداً وقال قتادة لعيناً مقيماً وقال مجاهد مقيماً مطروداً وقال الثوري بن أنس مذموماً منفياً والمدحور المصغر . وقوله تعالى (لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) كقوله (قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً * أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً)

وباء آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (١٩) فرسوس لها الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءتهما وقال ما بينهما ريكةما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١)

يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام بزوجه حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا

ذلك قيل قاله ظناً فأصاب قال الله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) (قال) الله تعالى لا بليس (اخرج منها مذموماً مدحوراً) أي معيباً والذام اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذموم وذامه يذيمه ذاماً فهو مذموم مثل ساريسير سيراً والمدحور المبعد المطرود يقال دحره يدحره دحراً إذا أبعد وطرده قال ابن عباس مذموماً أي مموتاً قال قتادة مذموماً مدحوراً أي لعيناً شقياً وقال الكلبي مذموماً ملعوماً مدحوراً مقصياً من الجنة ومن كل خير (لمن تبعك منهم) من بني آدم (لأملأن جهنم) اللام لام القسم (فمنكم أجمعين) أي منك ومن ذريتك ومن كفار ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين قوله تعالى (وباء آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

شجرة واحدة وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليهلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن (وقال) كذبا واقتراء (ما هما كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) أي لئلا تكونا ملكين أو خالدين ههنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما كقوليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أي لئلا تكونا ملكين كقوليه (يبين الله اسمكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا وألقى في الأرض رواسي أن يمدبكم أي لئلا تميدبكم وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن (الا أن تكونا ملكين) بكسر اللام وقرأ الجمهور بفتحها (وقاسمهما) أي حلف لهما بالله (إني لكما من الناصحين) فإني من قبلكما ههنا وأعلم بهذا المكان وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين كما قال خالد بن زهير بن عم أبي ذؤيب وقاسمهم بالله جهداً لأنتم ألد من السلاوى إذا ما نشورها

أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله وقال قتادة في الآية حلف بالله أني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعان أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له

فدلسهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقما يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢)

قالا ربنا ظاننا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين (٢٣)
قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان آدم رجلاً

فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان أي اليها ، والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان ليؤدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما أي ليظهر لهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما قيل اللام فيه لام العاقبة وذلك أن ابليس لم يوسوس لهذا ، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك وهو ظهور عورتهم كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) ثم بين الوسوسة فقال ﴿وقال﴾ ابليس لا آدم وحواء ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ يعني إلا كراهية أن تكونا من الملائكة يعلمان الخير والشر ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ من الباقيين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر (هل أدلك على شجرة الخلد) ﴿وقاسمهما إني لكما من الناصحين﴾ أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد . وقال قتادة : حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال : اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما ، وابليس أول من حلف بالله كاذباً ، فلما حلف ظن آدم أن أحداً لا يحلف بالله إلا صادقاً فاعتبر به ﴿فدلاهما بغرور﴾ أي خدعهما ، يقال

طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعلق برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسليني فقالت إني غير مسلتك فساداه ربه عز وجل يا آدم أمي تفر قال يارب إني استحييتك وقد رواه ابن جرير وابن مردويه عن الحسن بن أبي بن كعب عن النبي ﷺ مرفوعا والموقوف أصح اسنادا وقال عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك أنبأنا الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكل منها بدت لهما سواتهما وكان الذي وارى عنهما من سواتهما اظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين يلزقان بعضه إلى بعض فانطلق آدم عليه السلام موليا في الجنة فعلق برأسه شجرة من الجنة فناداه الله يا آدم أمي تفر؟ قال لا واسكني استحييتك يارب قال أما كان لك فيما صنعتك من الجنة وأنتجت منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب واسكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله عز وجل (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) قال فبعزتي لا يبطئك إلى الارض ثم لا تنال العيش إلا كذا قال فاهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغداً فاهبط إلى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبالغه حتى بلغ منه ماشاء الله أن يبلغ وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قال ورق التين صحيح اليه وقال مجاهد جملا يخصفان عليهما من ورق

مازال ابليس يدلي فلانا بالغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول ، وقيل حطها من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية ، ولا يكون التدلي من علو إلى أسفل ، والتدلية ارسال الدلو في البئر يقال تدلى بنفسه ودعا غيره . وقال الازهري : أصله من تدلية العطشان في البئر ليروي من الماء ، ولا يجذ الماء فيكون تدلى بالغرور عن اظهار النصيح مع ابطان الغش في فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما قال الكلبي : فلما أكل منها ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة ، والعقوبة أن بدت ظهرت لهما سواتهما عوراتهما ، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك . قال وهب : كان لباسهما من النور . وقال قتادة : كان ظفرا ألبسها الله من الظفر لباساً ، فلما واقعا الذنب بدت لهما سواتهما فاستحيا وطفقا أقبلا وجعلا يخصفان برقعان ويلزقان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب . قال الزجاج : يجعلان ورقة على ورقة ليستراسوا سواتهما وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ « كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس ، فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعرضت له

الجنة قال كهيئة الشرب وقال وهب بن منبه في قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أكلتا من الشجرة بدت لهما سواتهما رواه ابن جرير بسند صحيح اليه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم أي رب أرايت إن تبت واستغفرت قال اذاً أدخلتك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فأعطى كل واحد منهما الذي سأله وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن سفيان ابن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قبل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فاني قد أعتقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت عند ذلك حواء فتقبل لها الرنة عليك وعلى ولدك وقال الضحاك بن مزاحم في قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) هي السمات التي تلقاها آدم من ربه

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين (٢٤) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (٢٥)

قيل المراد بالخطاب في (اهبطوا) آدم وحواء وابليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم والعمدة في العداوة آدم وابليس ولهذا قال تعالى في سورة طه قال (اهبطا منها جميعا) الآية وحواء تبع لآدم والحية إن كان ذكرها صحيحاً فهي تبع لابليس وقد ذكر المفسرون الا ما كن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الاخبار الى الاسرائيليات والله أعلم بصحتها ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ وقوله (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) أي قرار وأعمار مضروبة الى آجال معلومة

شجرة من شجر الجنة فخبسته بشعره فقال لها : أرسليني ، قالت لست بمرسلة فناداه يا آدم أنفر مني ؟ قال لا يارب ولكن استحييتك وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ يعني عن الاكل منها ؟ وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ أي بين العداوة . قال محمد بن قيس : ناداه ربه يا آدم أكلت منها وقد نهيتك ، قال رب أطعمني حواء ، قال لحواء لم أطعمتيه ؟ قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتها ؟ قالت أمرني ابليس فقال الله أما أنت يا حواء فسكما أدميت الشجرة فتدعين كل شهر ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك وسيتشدخ رأسك من لقيك ، وأما أنت يا ابليس فمعاون مدحور قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا ؟ ضررناها بالمعصية ؟ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ؟ الهاالكين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع

قد جرى بها القلم وأحصاها القدر وسطرت في الكتاب الأول وقال ابن عباس (مستقر) القبور وعنه قال (مستقر) فوق الأرض وتحتها رواها ابن أبي حاتم وقوله قال (فيها يحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) كقوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) يخبر تعالى أنه جعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها يحياهم وفيها مماتهم وبقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بعمله

يأبني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءتجهم وريشاً ولباساً التقوى ذلك خير، ذلك من آيت الله لعالمهم يذكرون (٢٦)

يتمن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس ستر العورات وهي السواك والريش والريش ما يتجمل به ظاهراً فالأول من الضروريات والريش من التكميلات والزيادات قال ابن جرير الريش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكاة البخاري عنه الريش أثال وهكذا قال مجاهد وعروة بن الزبير والسدي والضحاك وغير واحد وقال العوفي عن ابن عباس الريش اللباس والعيش والنعيم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الريش الجمال وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أصبغ عن أبي العلاء الشامي قال لبس أبو أمامة ثوباً جديداً فلما بلغ ثرقوته قال الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ «من استجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ثرقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتاً» رواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هارون عن أصبغ هو ابن زيد الجهني وقد وثقه يحيى بن معين وغيره وشيخه أبو العلاء الشامي لا يعرف إلا بهذا الحديث ولكن لم يخرج له أحد والله أعلم

إلى حين * قال فيها يحيون * يعني في الأرض تعيشون * وفيها تموتون ومنها تخرجون * أي من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث ، قرأ ابن عامر وحمة والكسائي تخرجون بفتح التاء ههنا ، وفي الزخرف وانق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي ، وكذلك تخرجون في أول الروم والباقون بضم التاء ورفع الراء فيهن

قوله تعالى * يا بني آدم قد أنزلنا عليكم * أي خلقنا لكم * لباساً * وقيل إنما قال (أنزلنا) لأن اللباس يكون من نبات الأرض ، والنبات يكون بما ينزل من السماء فمضى قوله (أنزلنا) أي أنزلنا أسبابه ، وقيل كل بركات الأرض منسوبة إلى السماء كما قال تعالى (وأنزلنا الحديد) وإنما يستخرج الحديد من الأرض ، وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة يقولون

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع التمار عن أبي مطر أنه رأى عليا رضي الله عنه أتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرصغين الى السكبين يقول حين لبسه الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي فقل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي ﷺ قال هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة « الحمد لله الذي رزقني من الريش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي » رواه الامام أحمد وقوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) قرأ بعضهم ولباس التقوى بالنصب وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وذلك خير خبره واختلاف المفسرون في معناه فقال عكرمة يقال هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة رواه ابن أبي حاتم وقال زيد بن علي والسدي وقتادة وابن جريج ولباس التقوى الايمان وقال العوفي عن ابن عباس العمل الصالح قال الديال بن عمرو عن ابن عباس هو السميت الحسن في الوجه وعن عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولباس التقوى يتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى وكلها متقاربة ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال حدثني المنى حدثنا اسحاق بن الحجاج حدثني اسحاق بن اسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان ابن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص فوهي محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا أبسه الله رداءها علانية إن خيرا

لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها فكان الرجال يطوفون بالنهار ، والنساء بالليل عراة . قال قتادة : كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأمر الله سبحانه بالستر فقال (قد أنزلنا عليكم لباسا) ﴿ يوارى سواكم ﴾ يستر عوراتكم واحدها سواء سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة ﴿ وريشا ﴾ يعني مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي يقال تريش الرجل اذا تمول ، وقيل الريش الجمال أي ماتجملون به من الثياب ، وقيل هو اللباس ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بنصب السين عطفا على قوله (لباسا) وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره خير وجعلوا ذلك صلة في الكلام ، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ولباس التقوى خير واختلفوا في لباس التقوى قال قتادة والسدي : التقوى هو الايمان . وقال الحسن : هو الحياء لأنه يبعث على التقوى . وقال عطاء عن ابن عباس هو العمل الصالح ، وعن عثمان بن عفان أنه هو السميت الحسن . وقال عروة بن الزبير : لباس التقوى خشية الله . وقال الكلبي هو العفاف والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل . وقال ابن الانباري : لباس

خير وإن شراً فشر ثم قرأ هذه الآية (وريشاً واباساً التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) قال السمت الحسن هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف وقد روى الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الأدب من طريق صحيحته عن الحسن البصري أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على المنبر وأما الرفع منه فقد روى الحافظ أبو التماسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهد من وجه آخر حيث قال حدثنا (١)

يأبى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة ينزع عنها لباسها ليريهما

سوءها إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين

لا يؤمنون (٢٧)

يحذر تعالى بني آدم من إبليس وقبيله مبيناً لهم عداوته القديمة لأبى البشر آدم عليه السلام في سعيه في إخراجهم من الجنة التي هي دار النعيم إلى دار التعب والعناء والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه وما هذا إلا عن عداوة أكيدة وهذا كقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)

وإذا فعلوا فحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر

بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند

كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقاً هدى وفريقاً حق

عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله يحسبون أنهم مهتدون (٣٠)

التقوى هو اللباس الأول، وإنما أعاده اخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف . وقال زيد بن علي لباس التقوى الآلات التي يتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين، وقيل لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع في ذلك من آيات الله عليهم يذكرون يأبى آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم الشيطان كما أخرج أبوكم أي كما فتن أبوكم آدم وحواء فأخرجها من الجنة ينزع عنها لباسها ليريهما سوءاً أي ليري كل واحد سوء الآخر (أنه يراكم) يعني إن الشيطان يراكم يأبى آدم (هو وقبيله) جنوده قال ابن عباس هو وولده وقال قتادة قبيلة الجن والشياطين (من حيث لا ترونهم) قال مالك بن دينار إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله (إنا جعلنا الشياطين أولياء) قرناً وأعواناً (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) وإذا فعلوا

قال مجاهد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضم المرأة على قبلها النسعة أو الشيء وتقول

اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية قلت كانت العرب ماعدا قريشا لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الخمس يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحسني ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يليقه فلا يتملكه أحد ومن لم يجد ثوبا جديداً ولا أعاره أحسني ثوبا طاف عريانا وربما كانت امرأة فتطوف عريانة فتجمل على فرجها شيئا ليستره بعض الستر فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع فانكر الله تعالى عليهم ذلك فقال (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فقال تعالى ردا عليهم (قل) أي يا محمد لمن ادعى ذلك (إن الله لا يأمر بالفحشاء) أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك (أتقولون على الله مالا تعلمون) أي اتسندون إلى الله من الأقوال مالا تعلمون صحته وقوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أي بالعدل والاستقامة (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيها أخبروا به عن الله وما جاءوا به من الشرائع وبالاخلاص له في عبادته فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين أن يكون صوابا موافقا للشرعية وأن يكون خالصا من الشرك وقوله تعالى كما بدأكم (تعودون) أي قوله (الضلالة) اختلف في معنى قوله (كما بدأكم تعودون) فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (كما بدأكم تعودون) وقال الحسن البصري كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم

فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة وقال عطاء الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح قالوا وجدنا عليهم آباءنا وفيه اضمار معناه وإذا فعلوا فاحشة قالوا (وجدنا عليها آباءنا) وإذا قيل ومن أين أخذ آباؤكم قالوا (والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) أقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربي بالقسط قال ابن عباس بلا إله إلا الله وقال الضحاك بالنوحيد وقال مجاهد والسدى بالعدل وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال مجاهد والسدى يعني توجها حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقوان أحدكم أصلى في مسجدي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه واخلصين له الدين والطاعة ولي العبادة كما بدأكم تعودون قال ابن عباس إن الله بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا

القيامة أحياء وقال قتادة (كما بدأكم تعودون) قال بدأ خلقهم ولم يكنوا شيئا ثم ذهبوا ثم يعيدهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما بدأكم أولا كذلك يعيدكم آخرها واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « يا أيها الناس إنكم تمشرون إلى الله حنفا عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث شعبة وفي حديث البخاري أيضا من حديث الثوري به وقال ورقاء بن إياس أبو يزيد عن مجاهد (كما بدأكم تعودون) قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا وقال أبو المالبة (كما بدأكم تعودون) ردوا إلى علمه فيهم وقال سعيد بن جبيرة كما بدأكم تعودون كما كتب عليكم تكونون وفي رواية كما كنتم عليه تكونون وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل السعادة ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدؤا عليه وقال السدي (كما بدأكم تعودون) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول (كما بدأكم تعودون) كما خلقناكم فريق مهندون وفريق ضلال كذلك تعودون تخرجون من بطون أمهاتكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (كما بدأكم تعودون) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا قالت وتأييد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري « فوالذي لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة »

كما قال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا قال جابر يبعثون على ما ماتوا عليه أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « يبعث كل عبد على ما مات عليه المؤمن على إيمانه والكافر على كفره » وقال أبو العالية عادي على علمه فيهم قال سعيد بن جبيرة كما كتب عليكم تكونون قال محمد بن كعب من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل أعمال أهل السعادة كما أن إبليس كان يعمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بعمل أهل الشقاوة وكما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « أن العبد يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنه يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم » هذا قطعة من حديث البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني في قصة قزمان يوم أحد وقال ابن جرير حدثني ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال « تبعث كل نفس على ما كانت عليه » وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن الأعمش به ولفظه « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وعن ابن عباس مثله قلت ويتأيد بحديث ابن مسعود قلت ولا بد من الجمع بين هذا القول أن كان هو المراد من الآية وبين قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) ومأجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد يهودا ويهودا وينصرانه ويهودا ويهودا » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ « أنا خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » الحديث ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بأنه لا إله غيره كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وجعله في غرائزهم وفطرهم ومع هذا قدر أن منهم شقيقا ومنهم سعيدا (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وفي الحديث « كل الناس يفترون فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » وقدر الله نافذ في بريته فانه (هو الذي قدر فهدى) (والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وفي الصحيحين « فاما من كان منكم من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة » ولهذا قال تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) ثم علل ذلك فقال (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) قال ابن جرير وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب

القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول قال رسول الله ﷺ « إن العبد يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنه يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم » وقال الحسن ومجاهد كما بدأكم وخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال كما بدأنا أول خلق نعيده قال قتادة بدأكم من التراب والى التراب يعودون فظيره قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) قوله عز وجل (فريقا هدى) أي هداى الله (وفريقا حق) وجب (عليهم الضلالة) أي بالأرادة السابقة (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) ويحسبون أنهم مهتدون (فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والمجاهد والمعاند سواء

وجهاً فيركبها عناداً منه لربه فيها لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله تعالى بين امماتهما وأحكامهما في هذه الآية

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١)

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وهكذا قال مجاهد وعطاء وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والضحاك ومالك عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها أنها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة . وقد روى الحافظ ابن مردويه من حديث سعيد بن بشير والاوزاعي عن قتادة عن أنس مرفوعاً أنها نزلت في الصلاة في النعل ولكن في صحته نظر والله أعلم ، وهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لانه من الزينة والسواك لانه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير وصححه عن ابن عباس مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وإن خير أكلكم الأمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر » هذا حديث جيد الاسناد رجاله على شرط مسلم ، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقال الترمذي حسن صحيح ، وللإمام أحمد أيضاً واهل السنن باسناد جيد عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ « عليكم بثياب البياض فالبسوها فانها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين ان تمبا الداري اشترى رداء بألف وكان يصلي فيه ، وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) الآية قال بعض السلف جمع الله

قوله تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال أهل التفسير كانت بنوعامر يطوفون بالبيت عراة فأنزل الله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) يعني الثياب قال مجاهد ما يوارى عورتك ولو عبادة قال الكاكي الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة ووكاوا

الطب كله في نصف آية (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال البخاري قال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال (أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة أسناده صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فان الله يحب أن يرى نعمته على عبده » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سليمان بن سليم الكنعاني حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدم بن عبد كرب العبدي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فان كان فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ورواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا بقية عن يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن بن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « إن من السرف أن تأكل كل ما شئت » ورواه الدارقطني في الأفراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية ، وقال السدي كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم أن يأكلوا في الموسم فقال الله تعالى لهم (كلوا واشربوا) الآية يقول (لا تسرفوا في التحريم) وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ولا تسرفوا) يقول ولا تأكلوا حراماً ذلك الاسراف ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) انه لا يجب المسرفين في الطعام والشراب ، وقال ابن جرير وقوله (انه لا يجب المسرفين) يقول الله تعالى (ان الله لا يحب المعتدين) حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل باحلال الحرام أو بتحريم الحلال ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في

واشربوا) قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً بعضهم بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (وكلوا) يعني اللحم والدسم (واشربوا) (ولا تسرفوا) بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم (انه لا يجب المسرفين) الذين يفعلون ذلك قال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة قال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية وقال (كلوا واشربوا) قوله عز وجل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) يعني لبس الثياب في الطواف والطيبات

الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون (٣٢)

يقول تعالى رداً على من حرم شيئاً من المأكّل أو المشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبدته في الحياة الدنيا وإن شرّكم فيها الكفار حبا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة لا يشرّكم فيها أحد من الكفار فإن الجنة محرمة على الكافرين قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كنت قرئش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) فاهروا بالثياب

قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والباطن والبغى بغير الحق وأن

تشرّكوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغبر من الله فذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن شقيق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود وتقدم الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الانعام

من الرزق يعني اللحم والدم في أيام الحج وعن ابن عباس وقتادة والطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البهائم والسواحب (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فيه حذف تقديره هي للذين آمنوا والمشرّكين في الحياة الدنيا فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا وهي في الآخرة خاصة للمؤمنين لاحظ للمشرّكين فيها وقيل هي خالصة يوم القيامة من التغيص والغم وقرأ نافع خالصة رفع أي قل هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا خالصة يوم القيامة وقرأ الآخرون بالنصب على القطع (كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) يعني الطواف عراة ما ظهر طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل وقيل هو الزنا سرّاً وعلاية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن ابن اسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبد الله قال قلت أنت سمعت هذا من عبد الله قال نعم رفعه قال لا أحد أغبر من الله فذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله فذلك مدح نفسه

وقوله (والأثم والبغي بغير الحق) قال السدي أما الأثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق وقال مجاهد الأثم المعاصي كلها وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه، وحاصل ما يفسر به الأثم أنه الخطايا المتعلقة بالاعمال نفسه والبغي هو التصدي إلى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى (وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) أي تجعلوا له شركاء في عبادته (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولا آ ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الآية .

ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٣٤) يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥) والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦)

يقول تعالى (ولكل أمة) أي قرن وجيل (أجل فاذا جاء أجلهم) أي ميقاتهم المقدر لهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ثم أنذر تعالى بني آدم أنه سيبعث إليهم رسلاً يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال (فمن اتقى وأصلح) أي ترك المحرمات وفعل الطاعات (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها

قوله عز وجل ﴿والأثم﴾ يعني الذنب والمعصية . وقال الضحاك : الذنب الذي لا حد فيه . وقال الحسن : الأثم الحر، قال الشاعر :

شربت الأثم حتى ضل عقلي كذاك الأثم يذهب بالعقول

﴿والبغي﴾ الظلم والكبر ﴿بغير الحق﴾ وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴿حجة وبرهان﴾ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿في تحريم الحرث والانهام في قول مقاتل . وقال غيره : هو عام في تحريم القول في الدين من غير تعين﴾ ولكل أمة أجل ﴿مدة وأكل وشرب . وقال ابن عباس وعطاء والحسن يعني وقتاً لتزول العذاب بهم﴾ فاذا جاء أجلهم ﴿واقطع أكلهم﴾ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿أي لا يتقدمون وذلك حين سألو العذاب فأنزل الله عذبه الآية

قوله تعالى ﴿يا بني آدم﴾ إما يأتينكم رسل منكم ﴿أي أن يأتكم قيل أراد جميع الرسل، وقال مقاتل : أراد بقوله يا بني آدم مشركي العرب وبالرسل محمد ﷺ وحده﴾ يقصون عليكم آياتي ﴿قال ابن عباس فرائضي وأحكامي﴾ فمن اتقى وأصلح ﴿أي اتقى الشرك وأصلح عمله، وقيل أخلص ما بينه وبين ربه﴾ فلا خوف عليهم ﴿إذا خاف الناس﴾ ولا هم يحزنون ﴿أي إذا حزوا﴾ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴿تكبروا عن الإيمان بها ذكر الاستكبار لأن كل

(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما كثرون فيها مكثا مخلداً

فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا أضلوا نحنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (٣٧)

يقول (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته) أي لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المنزلة (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اختلف المفسرون في معناه فقال العوفي ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله أن وجهه مسود وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيراً جزى به ومن عمل شراً جزى به وقال مجاهد ما وعدوا به من خير وشر وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد واختاره ابن جرير وقال محمد بن كعب القرظي (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال عمله ورزقه وعمره وكذا قال الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وهو قوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) ونظير المعنى في هذه الآية كقوله (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم ألينا مرجعهم ثم نذيتهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله (ومن كفر فلا يحزنك كفره ألينا مرجعهم فنذيتهم بما عملوا ان الله عليهم بذات الصدور نمتهم قليلاً) الآية وقوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) الآية يحذر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم

مكذب وكافر متكبر قال الله تعالى (انهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) جعل له شريكاً (أو كذب بآياته) القرآن (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) نصيبهم أي حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ واختلفوا فيه . قال الحسن والسدي : ما كتب لهم من العذاب ، وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون قال عطية عن ابن عباس كتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود قال الله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال سعيد بن جبير ومجاهد : ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة وقال ابن عباس وقاتة والضحاك : يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجري عليها وقال محمد بن كعب القرظي ما كتب لهم من الارزاق والاعمار فاذا فئت (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه (قالوا) يعني يقول الرسل للكفار (أيما

وتعبدونهم من دون الله ادعواهم بخصائصكم مما أنتم فيه قالوا (ضلوا عنا) أي ذهبوا عنا فلا نرجوا انفسهم ولاخيرهم (وشهدوا على أنفسهم) أي أقروا واعترفوا على أنفسهم (انهم كانوا كافرين)

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا داركوا فيها جميعاً قالت آخرهم لأولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) وقالت أولهم لآخرهم

فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩) يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين به المقترين عليه المكذبين بآياته (ادخلوا في أمم) أي من أمثالك وعلى صفاتكم (قد خلت من قبلكم) أي من الأمم السالفة الكافرة (من الجن والانس في النار) يحتمل أن يكون بدلا من قوله في أمم ويحتمل أن يكون في أمم أي مع أمم وقوله (كلما دخلت أمة لعنت أختها) كما قال الخليل عليه السلام ثم (يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض) الآية ، وقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقوله (حتى إذا داركوا فيها جميعاً) أي اجتمعوا فيها كلهم (قالت آخرهم لأولهم) أي اخراهم دخولا

كنتم تدعون ﴿ تعبدون ﴾ ﴿ من دون الله ﴾ سؤال تبكيت وتقريع ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ بطلوا وذهبوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ اعترفوا عند معاينة الموت ﴿ انهم كانوا كافرين ﴾ قال ادخلوا في أمم ﴿ يعني يقول الله يوم القيامة ﴾ (ادخلوا في أمم) أي مع جماعات ﴿ قد خلت ﴾ مضت من قبلكم من الجن والانس في النار ﴿ يعني كفار الأمم الخالية ﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴿ يريد أختها في الدين لافي النسب فتلعن اليهود اليهود ، والنصارى النصارى وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الاتباع القادة ولم يقل أخاها لأنه غني الأمة والجماعة ﴿ حتى إذا داركوا فيها ﴾ أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿ جميعاً قالت آخرهم ﴾ قال مقاتل يعني آخرهم دخولا النار وهم الاتباع ﴿ لأولهم ﴾ أي لأولاهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا . وقال ابن عباس : يعني آخر كل أمة لأولاهم . وقال السدي : أهل آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ الذين ﴿ أضلونا ﴾ عن الهدى يعني القادة ﴿ فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ أي ضعف عليهم العذاب ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لكل ضعف ﴾ يعني للقادة والاتباع ضعف من العذاب ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ بالكل فريق منكم من العذاب ، وقرأ أبو بكر لا يعلمون بالياء ، أي لا يعلم الاتباع ما للقادة ، ولا القادة ما للاتباع قوله عز وجل ﴿ قالت أولاهم ﴾ يعني القادة ﴿ لآخرهم ﴾ للاتباع ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾

وهم الاتباع لاولاهم وهم المتبعون لانهم أشد جرماً من اتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوهم الاتباع الى الله يوم القيامة لانهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل فيقولون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار) أي اضعف عليهم العقوبة كما قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول * وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل * وربنا آتهم ضعف من العذاب) الآية وقوله (قال لكل ضعف) أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلنا بحسبه كقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً) الآية وقوله (وإيحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلوهم بغير علم) الآية وقالت (أولاهم لا خراهم) أي قال المتبعون للاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) قال السدي فقد ضللتكم كما ضللتنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة

حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن

فرقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١)

قوله (لا تفتح لهم أبواب السماء) قيل المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء قاله مجاهد وسعيد ابن جبير ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس، وقيل المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وقاله السدي وغير واحد ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن المنهال هو ابن عمرو عن زاذان عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء فيصعدون بها فلا تمر على ملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بأفح أسائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها له فلا يفتح له ثم

لأنكم كفرتم كما كفرنا فمحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون * إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا تدعيتهم ولا لأعمالهم . وقال ابن عباس حمزة والكسائي والباقون بالتاء والتشديد (لهم أبواب السماء) لا لا دعيتهم ولا لأعمالهم . وقال ابن عباس

(م ٦٠ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء) الآية هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال «استمعوا بالله من عذاب القبر» صرتين أو ثلاثا. ثم قال: ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أ كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى منفرة من الله ورضوان (قال) فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك السفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل مماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما عملك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه الجي فيقول أنا خير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي (قال) وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأتين ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون

لا تفتح لارواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين ، انما تفتح أبواب السماء لأرواح

فلان بن فلان بأفصح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سبعين في الارض السفلى، فتطرح روحه طر حاً ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ماديتك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى جنازة فذكر نحوه وفيه حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم وفي آخره ثم يقبض له أسمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربة فيصير تراباً ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فرش من النار وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « الميت تمضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث إرجعي ذميمة فانه لم يفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير إلى القبر ، وقد قال ابن جرير في قوله (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا تفتح لاعمالهم ولا لأرواحهم وهذا فيه جمع بين القولين والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى

المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم) ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل

يلج الجمل في سم الحياط) هكذا رواه الجمهور وفسروا بأنه البعير قال ابن مسعود هو الجمل ابن الناقة وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري حتى يدخل البعير في خرق الابرة وكذا قال أبو العالية والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يلج الجمل في سم الحياط بضم الجيم وتشديد الميم يعني الحبل الغليظ في خرق الابرة وهذا اختيار سعيد بن جبير وفي رواية أنه قرأ حتى يلج الجمل يعني قلوس السفن وهي الحبال الغلاظ، وقوله (لهم من جهنم مهاد) قال محمد بن كعب القرظي (لهم من جهنم مهاد) قال الفرش (ومن فوقهم غواش) قال اللخمي وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي (وكذلك نجزي الظالمين)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذلك حال السعداء فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم (وعملوا الصالحات) بجوارحهم ضد (أولئك الذين كفروا بآيات الله واستكبروا عنها) وينبئ تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل لأنه تعالى قال (لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ونزعنا ما في صدورهم من غل (أي من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخاري البعير في ثقب الابرة والحياط والحيط واحد وهو الابرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن الشيء إذا علق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع كما يقال : لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب أو يبيض القار ، يريد لا أفعله أبداً ﴿ وكذلك نجزي المجرمين ﴾ لهم من جهنم مهاد ﴿ أي فراش ومن فوقهم غواش ﴾ أي لحف وهي جمع غاشية يعني ما غشاهم وغطاهم يريد احاطة النار بهم من كل جانب كما قال الله لهم (من فوقهم ظل من النار ومن تحتهم ظل) ﴿ وكذلك نجزي الظالمين ﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها ﴿ أي طاقتها ومالا تخرج فيه ولا تضيق عليه ﴾ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ ونزعنا ﴾ أخرجنا ﴿ ما في صدورهم من غل ﴾ من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله بعضهم ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ روى الحسن عن علي رضي الله عنهم قال فينا والله أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال علي رضي الله عنه أيضاً : اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال لهم الله عز وجل (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن

من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقبض لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا » وقال السدي وقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار) الآية إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوها من إحداها فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعوا ولم يشحبوا بعدها أبدا ، وقد روى أبو اسحاق عن عاصم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحو من هذا كما سيأتي في قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقال قتادة قال علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل) رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن إسرائيل قال سمعت الحسن يقول قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وروى النسائي وابن مردويه واللفظ له من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكر أو كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني

إسماعيل حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقبض لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفسي محمد بيده لا أحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » وقال السدي في هذه الآية إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوها من إحداها فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلان يشعوا ولن يشحبوا بعدها أبدا ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ أي إلى هذا يعني طريق الجنة . وقال سفيان الثوري : مغناه هدانا لعمل هذا ثوابه ﴿ وما كنا ﴾ قرأ ابن عامر ما كنا بلا واو ﴿ لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون ﴾ قيل هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلکم الجنة ، وقيل هذا النداء يكون في الجنة

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي اسحاق عن الاغر عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا « ينادي مناد إن لكم أن

فيكون له حسرة» ولهذا لما أوردوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال «واعلموا أن أحداكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا نعم، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (٤٤) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كفرون (٤٥)

يخبر تعالى بما يخاطب به أهل الجنة أهل النار على وجه التقرير والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً «أن» ههنا مفسرة للقول المحذوف و«قد» للتحقيق أي قالوا لم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال تالله إن كدت لتردين* ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين* أما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) أي ينكر عليه، فقالت التي يقولها في الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنعكس وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون* أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون* اصبروا فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون) وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر فنادى «يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة -- وسمى رؤسهم -- هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً» وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوماً قد جيفوا فقال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا»

تصبروا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تصبوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً - فذلك قوله (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن اسحاق بن إبراهيم وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الاسناد مرفوعاً، وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من أحد إلا وله منزلة في الجنة ومنزلة في النار، فأما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، وأما المؤمن فيرث الكافر منزله من الجنة»

قوله تعالى ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾ من الثواب ﴿حقاً﴾ أي صدقاً ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ من العذاب ﴿حقاً؟ قالوا نعم﴾ قرأ الكسائي بكسر

وقوله (فأذن مؤذن بينهم) أي أعلم معلم ونادى مناد (أن لعنة الله على الظالمين) أي مستقرة عليهم ثم وصفهم بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً) أي يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ويغفون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد (وهم بالآخرة كافرون) أي وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلماذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً فهم شر الناس أقوالاً وأعمالاً

وبينهما حجابٌ وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلم عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦) وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (٤٧)

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال ابن جرير وهو السور الذي قال الله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) وهو الاعراف الذي قال الله تعالى (وعلى الاعراف رجال) ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله (وبينهما حجاب) هو السور وهو الاعراف وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب، قال ابن جرير والاعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. حدثنا سفيان ابن وكيم حدثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو الشيء المشرف

العين حيث كان والباقيون يفتحونها ولها لغتان ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ أي نادى مناد أسمع الفريقين ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم «أن» خفيف «لعنة» رفع، وقرأ الآخرون «أن» بالتشديد «لعنة الله» نصب «على الظالمين» أي الكافرين ﴿الذين يصدون﴾ أي يصدفون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ طاعة الله ﴿ويغونها عوجاً﴾ أي يطلبونها زيفاً وميلاً، أي يطلبون سبيل الله جاثرين عن التصدي. قال ابن عباس: يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً، وبالفتح كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ يعني بين الجنة والنار، وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو السور الذي ذكر الله في قوله (فضرب بينهم بسور له باب)

قوله تعالى ﴿وعلى الاعراف رجال﴾ والاعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده. وقال السدي

وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الأعراف سور كعرف الديك ، وفي رواية عن ابن عباس الأعراف جمع : تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار ، وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار ، وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير ، وقال السدي إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس ، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم وكلها قرينة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله ، وقد جاء في حديث مرفوع زواه الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن اسماعيل حدثنا عبيد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان ابن عبد السلام حدثنا شيخنا لما يقال له أبو عباد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته فقال « أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه آخر عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته وعن أصحاب الأعراف فقال « أنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله » وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر حدثنا يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدني عن أبيه قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال « هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنهم من دخول الجنة بمعصية آبائهم ومنهم من النار قتلهم في سبيل الله » ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به ، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصارها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال فقال « هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار » قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم ، وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي اسحاق قال قال الشعبي أرسل إلي عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فاذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكر أليس كما ذكرنا فقلت لهما ان شئكما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة (فاذا صرفت ابصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)

سعي ذلك السور أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس ، واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف فقال حذيفة وابن عباس : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم . وقال عبد الله ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله (فمن ثقلت موازينه) الآيتين ثم قال الميزان يخف بمثل حبة وبرج قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) تعوذوا بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومناقة فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا (ربنا أنعم لنا نورنا) وأما أصحاب الاعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع فبهالك يقول الله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) فكان الطمع دخولاً قال فقال ابن مسعود إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول هلك من غلبت واحدة أعشاره رواه ابن جرير وقال أيضاً حدثني ابن وكيع حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال الاعراف السور الذي بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف بذلك المكان حتى إذا بدا لله أن يعافهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة

محمد بن أحمد بن الحارث حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي حدثنا عبد الله بن محمود ثنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبير يحدث عن ابن مسعود قال : يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ثم قال : إن الميزان يخف بمثل حبة أو يزجج قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومناقة ، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا : ربنا أنعم لنا نورنا ، فأما أصحاب الاعراف فان النور لم ينزع من بين أيديهم ومنعهم سيئاتهم أن يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع إذ لم ينزع النور من بين أيديهم فبهالك يقول الله (لم يدخلوها وهم يطمعون) وكان الطمع للنور الذي بين أيديهم ثم أدخلوا الجنة وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً . وقال شرحبيل بن سعد : أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير

حافته ذهب مكال بالؤلؤ ترا به المالك فآلقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال «تمنوا ما شئتم» فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم «الحكم الذي تمنيتُمْ ومثله سبعون ضعفا» فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن جرير بن زيد وقد رواه سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد وعن عبد الله بن الحارث من قوله وهذا أصح والله أعلم وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال سعيد بن داود حدثني جرير عن عمار بن القفاص عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال «هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم» وهذا مرسل حسن ، وقيل هم أولاد الزنا حكاه القرطبي وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبه بن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيتهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ فسألناه وما الأعراف فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار رواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف ابن يزيد عن الوليد بن موسى به ، وقال سفيان الثوري عن خفيف عن مجاهد قال أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله تعالى (وينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون* وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين* ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعهم وما كنتم تستكبرون* أهؤلاء الذين أقسمت لينا لهم الله برحمة) قال فيقال حين يدخل أهل الجنة الجنة (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق ابن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضا والله أعلم ، وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً منها

أذن آبائهم ، ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعاً قال «هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لا آبائهم فقتلوا فأعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة» وروي عن مجاهد أنهم أقوام رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر يحبسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق ثم يدخلون الجنة . وقال عبد العزيز بن يحيى الكتاني : هم الذين ماتوا في الفترة

انهم شهدوا أنهم صلحاء تهرعوا من فزع الآخرة وخلق يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل ملائكة وقوله تعالى (يعرفون كلا بسيماهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه ، وقال العوفي عن ابن عباس أنزلهم الله تلك المنزلة ليعرفوا في الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطعمون أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله وكذا قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وقال معمر بن الحسن انه تلا هذه الآية (لم يدخلوها وهم يطعمون) قال والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريد بها بهم وقال قتادة قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع وقوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) قال الضحاك عن ابن عباس ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال السدي واذا مروا بهم يعني بأصحاب الاعراف زمرة يذهب بها الى النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال عكرمة تجدد وجوههم للنار فاذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزركة (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)

ونادى أصحاب الاعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (٤٨) أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٤٩)

يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الاعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم ولم يبدلوا دينهم وقيل هم أطفال المشركين . وقال الحسن : هم أهل الفضل من المؤمنين علواً على الاعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعاً وبطالعون أحوال الفريقين قوله تعالى ﴿ يعرفون كلا بسيماهم ﴾ أي يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم ، وأهل النار بسواد وجوههم ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ أي اذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم ﴿ لم يدخلوها ﴾ يعني أصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة ﴿ وهم يطعمون ﴾ في دخولها . قال أبو العالية : ما جعل الله ذلك الطمع فيهم الا كرامة يريد بها بهم قال الحسن الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم الى ما يطعمون ﴿ واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ﴾ تعوذوا بالله ﴿ قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ يعني الكافرين في النار ﴿ ونادى أصحاب الاعراف رجالاً ﴾ كانوا عظماء في الدنيا من أهل

يعرفونهم في النار بسيماهم (ما أغنى عنكم جمعكم) أي كثرتمكم (وما كنتم تستكبرون) أي لا ينفعكم كثرتمكم ولا جوعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) الآية قال فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الاعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لأهل التكبر والاموال (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (وقال حذيفة إن أصحاب الاعراف قوم تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحداً خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتنوا ابني إبراهيم فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذ الله خليلاً هل تعلمون أن أحداً أحرقه قومه بالنار في الله غيري؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتنوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحداً خلقه الله من غير أب^(١) فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبريء الأكمه والابرص ويحيي الموتى بأذن الله غيري؟ قال فيقولون لا فيقول أنا حجيج نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتنوا محمداً عليه السلام فيأتوني فاضرب بيدي على صدري ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أفق بين يدي العرش فأني ربي عز وجل فيفتح لي من السماء ما لم يستمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي ثم أثني على ربي عز وجل ثم آخرت ساجداً

(١) لم يرد في النسخ هنا كلمة غيري

النار (يعرفونهم بسيماهم) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم (في الدنيا من المال والولد) وما كنتم تستكبرون (عن الإيمان) قال الكاظمي ينادون وهم على السور يا وليد بن المغيرة وبأبا جهل بن هشام ويا فلان ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان وصبيب وخباب وبلال وأشباهم فيقول أصحاب الاعراف لأولئك الكفار (أهؤلاء) يعني هؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) حلفتم (لا ينالهم الله برحمة) أي حلفتم أنهم لا يدخلون الجنة ثم يقال لأهل الاعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وفيه قول آخر أن أصحاب الاعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار إن دخل أولئك الجنة فأنتم لم تدخلوها فيغيرونهم بذلك ويقسمون أنهم يدخلون

فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول رب أمتي فيقول هم لك فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب الا غبطني بذلك المقام وهو المقام المحمود فأتي بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحيوان حافته قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباءه الباقوت فيغسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا فاليوم ننسهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآيتنا يحدون (٥١)

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وانهم لا يجابون الى ذلك قال السدي (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم ، وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفرض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون (ان الله حرمهما على الكافرين) وروي من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ان الله حرمهما على الكافرين) يعني طعام الجنة وشرابها، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة الماء ألم تسمع الى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » وقال ايضاً حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب

النار فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الاعراف على الصراط لاهل النار أهولاء يعني أصحاب الاعراف الذين أفسمهم بأهل النار أنه لا ينالهم الله برحمة ؟ ثم قالت الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون فيدخلون الجنة

قوله تعالى ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا ﴾ أي صبوا ﴿ علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ أي أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة قال عطاء عن ابن عباس لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج وقالوا يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلهم فنظروا الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم واخبروهم بقراباتهم : أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ يعني الماء والطعام ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً

قالوا له لو أرسلت الى ابن أخيك هذا فيرسل اليك يعتقد من الجنة لهله أن يشفيك به فجاءه الرسول وأبو بكر عند النبي ﷺ فقال أبو بكر ان الله حرمهما على الكافرين ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة ، وقوله (فالיום ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا) أي يعاملهم معاملة من نسأهم لانه تعالى لا يشد عن علمه شيء ولا ينسأه كما قال تعالى (في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله (نسأ الله فنسيهم) وقال (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى (وقيل اليوم ننسأكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) رقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فالיום ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا) قال نسيهم الله من الخير ولم ينسأهم من الشر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال نرأهم كما تركوا لقاء يومهم هذا ، وقال مجاهد نرأهم في النار ، وقال السدي نرأهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا لقاء يومهم هذا ، وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزورك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والابل وأذكرك رأس وتربع ؟ فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فالיום أنسأك كما نسيته

ولقد جئتهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) هل ينظرون إلا تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسلنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣)

يقول تعالى مخبراً عن إعداده الى المشركين بارسال الرسل اليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل مبين كقوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) الآية ، وقوله (فصلناه على علم) للعالمين أي (على علم) منا بما فصلناه به كقوله (أنزله بعلمه) قال ابن جرير وهذه الآية مردودة على قوله (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) الآية (ولقد جئناهم بكتاب) الآية وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد طال الفصل ولا دليل عليه وإنما الامر انه لما أخبر بما صاروا اليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أزاح عنهم في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ولعباً وهد ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة واخواتها والمساكن والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل دينهم أي عيدهم ووغرتهم الحياة الدنيا فالיום ننسأهم تركهم في الدنيا (كما نسأ لقاء يومهم هذا) أي كما تركوا العمل لقاء يومهم هذا (وما كانوا بآياتنا يجحدون * ولقد جئناهم بكتاب) يعني القرآن (فصلناه) بيناه (على علم) منا بما يصلحهم (هدى

ولهذا قال (هل ينظرون الا تأويله ؟) أي ما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك ثوابه وقال الربيع لا يزال يحجي من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ وقوله (يوم يأتي تأويله) أي يوم القيامة قاله ابن عباس (يقول الذين نسوه من قبل) أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) أي في خلاصتنا مما صرنا اليه مما نحن فيه (أو نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) كقوله (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) كما قال ههنا (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا ينقذونهم مما هم فيه

إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)

يخبر تعالى أنه خالق العالم سمواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن والستة أيام هي الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم عليه السلام واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم منها كنهه الايام كما هو المتبادر الى الاذهان أو كل يوم كالف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من زوايا الضحاك عن ابن عباس ، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو

ورحمته أي جعلنا القرآن هادياً وذارحة ﴿لقوم يؤمنون هل ينظرون﴾ أي هل ينتظرون ﴿الا تأويله﴾ قال مجاهد جزاءه وقال السدي عاقبه ومعناه هل ينتظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من العذاب ومصيرهم الى النار ﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي جزاؤه وما يؤول اليه أمرهم ﴿يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف ﴿فهل لنا﴾ اليوم ﴿من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾ الى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ قد خسروا أنفسهم ﴿أهلكوها بالعذاب﴾ وضل ﴿وبطل﴾ عنهم ما كانوا يفترون ﴿

قوله تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ أراد به في مقدار ستة أيام لان اليوم من لدن طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء وقيل ستة أيام

القطع فاما الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا حجاج حدثنا ابن جريج أخبرني اسمايل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل» فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الاعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الايام السبعة والله تعالى قد قال في سنة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الاحبار ليس مرفوعا والله أعلم . وأما قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو امرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منفي عن الله فان الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثل شيء (وهو السميع البصير) بل الامر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلق كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ماوردت به الآيات الصريحة والاخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بحلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى ، وقوله تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا

كايام الآخرة وكل يوم كالف سنة وقبل كايام الدنيا قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادراً على خلق السموات والارض في لحظة وخلق خلقه في ستة أيام تعالماً لخلقهم التثبت والتأني في الامور وقد جاء في الحديث « الثاني من الرحمن والعجلة من الشيطان » (ثم استوى على العرش) قال السكاكي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة سعد وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكمل العلم فيه الى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الا ضالاً . ثم أمر به فاخرج وروي عن سفیان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف ، والعرش في اللغة هو السرير وقيل هو ماعلا فأظلم ومنه عرش الكروم وقيل العرش الملك (يغشي الليل النهار) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب يغشي بالتشديد

بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فقوله (ولا الليل سابق النهار) أي لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال (يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منها (ألا له الخلق والأمر) أي له الملك والتصرف (تبارك الله رب العالمين) كقوله (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) الآية قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحاق حدثنا هشام أبو عبد الرحمن حدثنا بقة بن الوليد حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الانصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ « من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء وروي مرفوعاً « اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله واليك يرجع الأمر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله »

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥) ولا تقسداً في الأرض بعد

إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريبٌ من المحسنين (٥٦)

ها هنا وفي سورة الرعد والباقون بالتخفيف أي يأتي الليل على النهار فيغطيه وفيه حذف أي ويفشي النهار الليل ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴿ يطلبه حثيثاً ﴾ أي سريعاً وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه والشمس والقمر والنجوم مسخرات ﴿ قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب وكذلك في سورة النحل عطفاً على قوله (خلق السموات والأرض) أي خلق هذه الأشياء مسخرات أي مذلات ﴿ بأمره ألا له الخلق والأمر ﴾ له الخلق لأنه خلقهم وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء قال سفيان بن عيينة فرق الله بين الخلق والأمر فن جمع بينهما فقد كفر ﴿ تبارك الله ﴾ أي تعالى الله وتعظم وقيل ارتفع المبارك المرتفع وقيل تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة أي البركة تكتسب وتنال بذكره وعن ابن عباس قال جاء بكل بركة وقال الحسن تجي البركة من عنده وقيل تبارك تقدس والقدس الطهارة وقيل تبارك الله أي باسمه يتبرك في كل شيء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف ﴿ رب العالمين ﴾ ادعوا ربكم تضرعاً ﴿ تذللوا واستكانة ﴾ وخفية ﴿ أي سرا قال

(م ٦٢ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وآخرتهم فقال (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) قيل معناه تذلاً واستكانة كقوله (واذكر ربك في نفسك) الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً ان الذي تدعون سميع قريب » الحديث، وقال ابن جرير عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله (تضرعاً وخفية) قال السر وقال ابن جرير تضرعاً تذلاً واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدايته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا بهراً مرأاة وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وان كان الرجل لقد فقه انفعه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أئواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الإهمساً بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وذلك ان الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال (إذ نادى ربه نداء خفياً) وقال ابن جرير يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ثم روى عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله (انه لا يحب المعتدين) في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز (انه لا يحب المعتدين) لا يسأل منازل الانبياء ، وقال احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخرق سمعت أبا نعامة عن مولى اسعد أن سمع ابنه يدعو وهو يقول اللهم اني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحوها

الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الإهمساً بينهم وبين ربهم ذلك ان الله سبحانه يقول (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وان الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال (إذ نادى ربه نداء خفياً) (انه لا يحب المعتدين) قيل المعتدين في الدعاء وقال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عليهم السلام ، أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود السجستاني حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة أنبأنا سعيد الجريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء » وقيل أراد به الاعتداء بالجور ، قال ابن جرير من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح رويانا عن أبي موسى قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله ﷺ « اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً » وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون اللهم اخزم

من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت به من شر كثير وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» وفي لفظ «يعتدون في الطهور والدعاء» وقرأ هذه الآية (ادعوا ربكم تضرعاً) الآية وان بحسبك ان تقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن مخراق عن أبي نعامه عن ابن لسهب عن سعد بن سعد فذكره والله أعلم ، وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامه أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وعذبه من النار فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور» وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن سعيد بن إياس الحريري عن أبي نعامه واسمه قيس بن عباية السفي البصري وهو اسناد حسن لا بأس به والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) ينهي تعالى عن الافساد في الارض وما اضره بعد الاصلاح فانه اذا كانت الامور ماشية على السداد ثم وقع الافساد بعد ذلك كان اضر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والنضج اليه والتذلل لديه فقال (وادعوه خوفاً وطمعاً) أي خوفاً مما عنده من وبيل العقاب وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال (ان رحمة الله قريب من المحسنين) أي ان رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون اوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) الآية وقال قريب ولم يقل قريبة لانه ضمن الرحمة معنى الثواب أو لانها مضافة الى الله فلهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر الوراق استنجزوا موعود الله بطاعته فانه قضى أن رحمته قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم .

اللهم الغنهم ﴿ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها﴾ أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكافي ، وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله بعد إصلاحها أي بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ أي خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه . وقال ابن جريج : خوف العدل وطمع الفضل ﴿ان رحمت الله قريب من المحسنين﴾ ولم يقل قريبة . قال سعيد بن جبیر : الرحمة ههنا الثواب فرجع التعت إلى الماضي دون اللفظ كقولهم (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال . وقال الخليل بن أحمد : القريب والبعيد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع . قال أبو عمرو بن العلاء : القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة تقوا العرب هذه امرأة قريبة منك اذا كانت بمعنى القرابة ، وقريب منك اذا كانت بمعنى المسافة

وهو الذي يرسل الريح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه
لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون
(٥٧) والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف
الآيات لقوم يشكرون (٥٨)

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض وأنه المتصرف الحاكم المدبر المسخر وارشد إلى
دعائه لأنه على ما يشاء قادر نبيه تعالى على أنه الرزاق وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال (وهو الذي
يرسل الرياح نشرأ) أي منتشرة بين يدي السحاب الحامل المطر ومنهم من قرأ بشراً كقوله (ومن
آياته أن يرسل الرياح مبشرات) وقوله (بين يدي رحمته) أي بين يدي المطر كما قال (وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) وقال (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي
الأرض بعد موتها ان ذلك للحَيِّ الموتى وهو على كل شيء قدير) وقوله (حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً)
أي حملت الرياح سحاباً ثقالاً أي من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة كما
قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

قوله تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرأ ﴾ قرأ عاصم بالباء وضمها وسكون الشين ههنا ،
وفي الفرقان وسورة النمل يعني أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى (الرياح مبشرات) وقرأ حمزة
والكسائي نشرأ بالنون وفتحها وهي الريح الطيبة اللينة ، قال الله تعالى (والناشرات نشرأ) وقرأ
ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأ آخرون بضم النون والشين جمع نشور مثل صبور وصبر ،
ورسل ورسلى أي متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية ﴿ بين يدي رحمته ﴾ أي قدام المطر .
أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنبأنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنبأنا أبو العباس الاصم أنبأنا
الريعم أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال : أخذت الناس ريح
بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر رضي الله عنه لمن حوله : ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا إليه شيئاً
فبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثت راحتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس
قلت يا أمير المؤمنين : أخبرتك أنك سألت عن الريح وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « الريح من
روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها » ورواه عبد الرزاق
عن معمر عن الزهري بإسناده ﴿ حتى إذا أقلت ﴾ حملت الرياح ﴿ سحاباً ثقالاً ﴾ بالمطر ﴿ سقناه ﴾

وقوله (سقناه لبلد ميت) أي إلى أرض ميتة مجددة لانبات فيها كقوله وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية ولهذا قال (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى) أي كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رميا يوم القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوما فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض وهذا المعنى كثير في القرآن يضرب الله مثلا ليوم القيامة بأحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال (لعلكم تذكرون) وقوله (والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه) أي والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعا حسنا كقوله «وانبتها نباتا حسنا» (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) قال مجاهد وغيره كالسباخ ونحوها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر ، وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ «مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها نقيية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا

ورد الكناية إلى السحاب ﴿بلد ميت﴾ أي إلى بلد ميت محتاج إلى الماء ، وقيل معناه لأحياء بلد ميت لانبات فيه ﴿فأنزلنا به﴾ أي بالسحاب ، وقيل بذلك البلد ﴿الماء﴾ يعني المطر فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى ﴿استدل بأحياء الأرض بعد موتها على أحياء الموتى﴾ لعلكم تذكرون ﴿قال أبو هريرة وابن عباس : إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطرا كمي الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يفتي عليهم النوم فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم فعند ذلك يقولون (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)

قوله تعالى ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه﴾ هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر ، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته بأذن ربه ﴿والذي خبث﴾ يريد الأرض السبخة التي ﴿لا يخرج﴾ نباتها ﴿إلا نكدا﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الكاف وقرأ الآخرون بكسرها أي عسرا قليلا بعناء ومشقة (فالاول) مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به (والثاني) مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ نبينها ﴿لقوم يشكرون﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة

وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به « رواه مسلم والنسائي من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يقوموا عبدوا الله ما لكم من إله غيري إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩) قال الملائكة من قومه إنما نرسلك في ضلال مبين (٦٠) قال يقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (٦١) أبأنكم زسلتم ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (٦٢)

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفقر منه شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو أدريس النبي عليه السلام فابن يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم عليهم السلام هكذا نسبهم محمد بن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب قال محمد بن إسحاق ولم يلق نبي من قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل وقال يزيد الرقاشي إنما سمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما عبدت الأصنام أن قومًا صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا سألهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجساداً على تلك الصور فلما تآدى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواها وبغوث ويعوق ونسراً فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى إليه الحمد والملة رسوله نوحاً فأمرهم بعبادة الله وحده

أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قوله تعالى ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو أدريس وهو أول نبي بعثه الله بعد أدريس وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة . وقال ابن عباس : ابن أربعين سنة ، وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة . وقال مقاتل : ابن مائة سنة . وقال ابن عباس : سمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالملايك ، وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان ، وقيل لأنه مرّ بكلب مجذوم

لاشريك له فقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي من عذاب يوم القيامة إذا لقين الله وأنتم مشركون به قال (الملائ من قومه) أي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم (إنا لنراك في ضلال مبين) أي في دعوتك أيانا الى ترك عبادة هذه الاصنام التي وجدنا آباءنا عليها وهكذا حال انفجار أنما يرون الأبرار في ضلالة كقولهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذا لم يبتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) الى غير ذلك من الآيات (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) أي ما أنا ضال ولكن أنا رسول من رب العالمين كل شيء ومليكه (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم واعلمن الله مالا تعلمون) وهذا شأن الرسول ان يكون مبلغاً فصيحاً ناهجاً عالماً بالله لا يدرهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أرغر ما كانوا وأكثر جمعاً « أيها الناس إنكم مسئلون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفعه أصمعه الى السماء وينكسها عليهم ويقول « اللهم اشهد اللهم اشهد »

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣)
فكذبوه فأنجينه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا منهم كانوا قوماً عمين (٦٤)
يقول تعالى اخباراً عن نوح إنه قال لقومه (أو عجبتم) الآية أي لا تستعجبوا من هذا فان هذا ليس بعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفنا واحساناً اليكم لينذركم ولتتقوا نقمة الله فقال اخساً يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتي أم عبت الكلاب (قال) لقومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) قرأ أبو جعفر والكسائي من إله غيره بكسر الراء حيث كان على نعت الإله وافق حمزة في سورة فاطر (هل من خالق غير الله) وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم تقديره ما لكم غيره من إله (إني أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم عظيم * قال الملائ من قومه إنا لنراك في ضلال) خطأ وزوال عن الحق (مبين) بين (قال) نوح (يا قوم ليس بي ضلالة) ولم يقل ليست لأن معنى الضلالة الضلال أو على تقديم الفعل (ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم) قرأ أبو عمرو وأبلغكم بالتخفيف حيث كان من الأبلغ لقوله لقد أبلغتكم (رسالات ربي) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ لقوله تعالى (بلغ ما أنزل اليك) (رسالات ربي وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له ، والنصح أن يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه (وأعلمن الله مالا تعلمون) أن عذابه لا يرد عن القوم المجرمين

قوله تعالى (أو عجبتم) ألف استفهام دخلت على واو العطف (أن جاءكم ذكر من ربكم) قال ابن عباس رضي الله عنهما : موعظة وقيل بيان وقيل رسالة (على رجل منكم لينذركم) عذاب الله

ولا تشركوأ به (واعلمكم ترحمون) قال الله تعالى (فكذبوه) أي تمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم الا قليل كما نص عليه في موضع آخر (فأنجيناه والذين معه في الفلك) أي السفينة كما قال فأنجيناه وأصحاب السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) كما قال (مما خطيئناهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) وقوله (إنهم كانوا قوماً عمين) أي عن الحق لا يبصرونه ولا يهتدون له فبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لاوإياته من أعدائه وأنجى رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم من الكافرين كقوله (إنا لننصر رسلنا) الآية وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة فيهما للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى نوحاً وأصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوماً الا والأرض ملأى بهم وليس بقعة من الأرض الا ولها مالك وحائز وقال ابن وهب بلغني عن ابن عباس أنه نجامع نوح في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربياً رواه ابن أبي حاتم وروى متصلًا من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما

وإلى عاد أخاهم هوداً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة أفلا تتقون (٦٥)

قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال

يقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (٦٧) أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح

أمسين (٦٨) أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم

خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلمكم تفاجحون (٦٩)

يقول تعالى وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً قال محمد بن

اسحاق هم ولد عاد بن أرم بن عوص ابن سام بن نوح (قلت) هؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكروا

إن لم تؤمنوا ﴿ولتفتوا﴾ أي لكي تتقوا الله ﴿واعلمكم ترحمون﴾ لكي ترحموا ﴿فكذبوه﴾ يعني

كذبوا نوحاً ﴿فأنجيناه﴾ من الطوفان ﴿والذين معه في الفلك﴾ في السفينة ﴿وأغرقنا الذين كذبوا

بآياتنا﴾ إنهم كانوا قوماً عمين ﴿أي كفاراً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : عميت قلوبهم عن معرفة

الله . قال الزجاج : عموا عن الحق والإيمان ، يقال رجل عم عن الحق وأعمى في البصر ، وقيل العمي

والاعمى كل خضر والاخضر . قال مقاتل : عموا عن نزول العذاب وهو الغرق

قوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام

ابن نوح عليه السلام وهي عاد الأولى أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبدالله بن رباح بن

الجلود بن عاد بن عوص . وقال ابن إسحاق : هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ﴿قال

الله وهم أولاد عاد بن أرم الذين كانوا يأورن إلى العباد في البر كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * أرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؛ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل قال محمد بن اسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاز عن أبي الطفيل عامر بن وائلة سمعت علياً يقول لرجل من حضر موت : هل رأيت كتيبا أحر من الخالطه مدرة هراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضر موت ؟ هل رأيت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنفعه نعمت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هو وعليه السلام رواه ابن جرير ، هذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن فإن هوداً عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسباً لأن الرسل إنما يعظمهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم وكانوا من أشد الأمم تكديبا للحق ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتقواه (قال الملأ الذين كفروا من قومه) والملأ هم الجمهور والساداة والتمادة منهم (أنا أنراك في سفاهة وأنا لنظنك من الكاذبين) أي في ضلالة حيث تدعوننا إلى ترك عبادة الأصنام والاقبال على عبادة الله وحده كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلى إله واحد فقالوا « أجعل الآلهة إلها واحداً » الآية (قال يا قوم ليس بي سفاهة واسكني رسول من رب العالمين) أي ليست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه (أبلاغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والامانة (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقائه بل احمدا الله على ذاكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي واذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوتيه لما خافوه وكذبوه (وزادكم في الخلق

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) أفلا تخافون نعمته ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك يا هود في سفاهة في حق وجهالة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : تدعو إلى دين لا تعرفه (وأنا لنظنك من الكاذبين) أنك رسول الله البنا ؟ قال هود (يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلاغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة . قال السكاكي : كنت فيكم قبل اليوم آميناً ؟ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ؟ يعني نفسه ؟ واذكروا إذ جعلكم خلفاء ؟ يعني في الأرض ؟ من بعد قوم نوح ؟ أي من بعد أهلاكهم ؟ وزادكم في الخلق بسطة ؟ أي طولا وقوة . قال السكاكي والسدي . كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع ، وقامة القصير ستون ذراعا . وقال أبو حمزة الثمالي سبعون ذراعا ،

بسطة أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم^(١) كقوله في قصة طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم (واذكروا آل الله) أي نعمه ومنه عليكم (اعلمكم تفاحون) والأكلاء جمع ألوقيل أي قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا؟ فأتنا بما آتيناكم من الصدقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان؟ فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٧١) فأنجيناه والذين معه

(١) لم يرج عند الحافظ ابن كثير شيء من خرافات وهب ابن منه في قوم هود كما راجت عند البخوي عفا الله عنه

برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢) يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وانكارهم على هود عليه السلام (قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده) الآية كقول الكفار من قرش (واذكروا آل الله) أي ما كان هذا هو الحق من عندك فاطر علينا حجارة من السماء أو آتينا بعذاب اليم (وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره أنهم كانوا يعبدون أصناماً فمنهم يقال له صدا وآخر يقال له صمودا وآخر يقال له الهنا^(٢)) ولهذا قال هود عليه السلام (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) أي قد رجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجوع ابن عباس معناه سخط وغضب (أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أي أتجادلوني في هذه الأصنام التي سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً ولهذا قال (ما نزل الله بها من سلطان؟ فانتظروا إني معكم من المنتظرين) وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ولهذا عقبه بقوله (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وقد ذكر الله سبحانه صفة أهلاكهم في أما كن آخر من القرآن بأنه

(٢) كذا في المكية وصوابها الهباء

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانون ذراعاً . وقال مقاتل : كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة ، وكان عين الرجل يفرخ فيها الضباء وكذلك مناخرهم (فاذكروا آل الله) نعم الله واحدها إلى وألى مثل معي وأمعاء ، وقفاً واقفاً ، ونظاء ما آتاه الليل واحدها أي وإني (اعلمكم تفاحون) قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام (فأتنا بما آتيناكم من الصدقين) قال (هود) قد وقع عليكم من ربكم رجس (أي عذاب والسين مبدلة من الزاي) (وغضب) أي سخط (أتجادلوني في أسماء سميتوها) وضعتموها (أنتم وآباؤكم) قال أهل التفسير كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة (ما نزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان (فانتظروا) نزول العذاب (إني معكم من المنتظرين) فأنجيناه يعني هوداً عند نزول العذاب (والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين)

أرسل عليهم (الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم) كما قال في الآية الاخرى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) فهل ترى لهم من باقية) لما تمردوا وعتوا أهلهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتبلغ رأسه حتى تدينه من بين جثته ولهذا قال (كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقال محمد بن اسحاق كانوا يسكنون باليمن بين عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله فبعث الله إليهم هودا عليه السلام وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً فأمرهم أن يوحّدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتفون إيمانهم فلما عنت عاد على الله وكذبوا نبيه وأكفروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) وتتخذون مصانم لعلكم تحلدون) وإذا بطشتم بطنم الجبارين) فاتقوا الله وأطيعون) قلوا يا هود ما جئنا بينة وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) ان تقول الا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء) أي يجنون (قال أي أشهد الله وأشهدوا أي برى مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أي توكلت على الله ربي وربكم) مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) قل محمد بن اسحاق فلما أبوا الا الكفر به أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس اذا جهدهم أمر في ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج فيه انما يطلبونه بجرمته ومكان بيته وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان وبه العالقي مقيمون وهم من سلالة علق بن لاوذ^(١) بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذك رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت له أم

(١) في الازهرية
لاوم بالميم

﴿قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره﴾

إنهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها صنم يقال له صدداء، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فأمرهم أن يوحّدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم بغير ذلك فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة؟ وبنوا المصانع، وبتشوا بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك، وكان النامس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشرِكهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكأهم معظم لمكة، وأهل مكة يومئذ العالقي سموا عمالقي لأن أباهم علق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان سيد العالقي إذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم

(١) في تفسير
البغوي في النسخة
الهندية: كلدة
(٢) في الازهرية
الخيزري

من قوم عاد واسمها جلدة^(١) ابنة الخيزري^(٢) قال فبشئت عاد وفداقرياً من سبعين رجلاً إلى الحرم ليستسقوا
إيهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قيتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا إليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على
قومه واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعراً يعرض إيهم بالانصراف وأمر القينتين أن
تغنيهم به فقال

ألا يا قيل ويحك قم فبينهم لعل الله يصبحنا غماما
فيستقي أرض عاد إن عاداً قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد وليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم غيامي
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ولا تخشى لصادي سهاماً

معاوية كلدة بنت الخيزري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفداً منكم
إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عنز وقيم بن هزال بن هزيل وعقيل بن صندين بن عاد
الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتنم أسلامه وجاهمة بن الخيزري خال معاوية بن بكر
ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن ضمد بن عاد الأكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهن من
قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة
خارجاً من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً، فلما رأى معاوية بن بكر
طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يغفرون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه، وقال هلاك أخوالي
وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيق والله ما أدري كيف أصنع بهم أستحي أن آمرهم بالخروج
إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً
فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتتين فقالتا قل شعراً تغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن
يحررهم فقال معاوية بن بكر

ألا يا قيل ويحك قم فبينهم لعل الله يستقينا غماما
فيستقي أرض عاد إن عاداً قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم غيامي
وإن الوحش تأتيهم جهاراً فلا تخشى لعادي سهاماً

وأنتم ههنا فيما اشتبهتم نهاركم وليلكم التمام
فقيح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا له فمضوا الى الحرم ودعوا قومهم فدعا داعيهم وهو قيل بن
عنز فأنشأ الله سحباب ثلاثا بيضاء وسوداء وحمرأ ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك أو قومك
من هذا السحاب فقال : اخترت هذه السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت
رماداً رمداً ، لا تبقى من عاد أحداً ، لا والدأ يترك ولا ولداً ، إلا جملة همداً ، الابني الودية المهداة ، قال
وبنو الرذية بطن من عاد مقيمون بمكة فلم يصبرهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقي من أناسهم وذراريهم
عاد الآخرة قال وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النعمة

وأنتم ههنا فيما اشتبهتم نهاركم وليلكم التمام
فقيح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومكم يتفوتون بكم من البلاء الذي
نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا قومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير وكان
قد آمن بهود سرأ أنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنتم إلى ربكم سقيتم فأظهر
إسلامه عند ذلك وقال شعراً

عصت عاد رشولهم فأمسوا عطاشا ماتلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد فأبصرنا الهدى وجلى العما
وانب إليه هود هو إلهي على الله التوكل والرجاء

فقالوا لمعاوية بن بكر الحبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك
ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى
أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له ، فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون
فقال : اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قيل بن عنز
رأس وفد عاد ، فقال وفد عاد اللهم اعط قبلاً ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤلهم ، وكان قد تخلف عن
وفد عاد حين دعوا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم فقال : اللهم اني جئتك
وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي . وسأل الله طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر ، وقال قيل بن عنز حين
دعا يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحباب ثلاثا بيضاء وحمرأ وسوداء
ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحاب ما شئت فقال : قيل اخترت
السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رماداً رمداً ، لا يبقى من آل عاد أحداً

الى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا غارض ممطرنا يقول (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء) أي تهلك كل شيء صرت به فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها ميمد^(١) فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت يا ميمد^(١) قالت ريحا فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك ، واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ماتلين عليه الجلود وتلذذ الانفس وأنها لتمر على عاد بالظن ما بين السماء والارض ، تدمرهم بالحجارة وذكر تمام القصة بطولها وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال الله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ)

(١) في النسخة
المكية : ميمد ، وفي
البغوي : ميمد

وقد ورد في الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله ، وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سلمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو النساء بن الحضرمي الى رسول الله ﷺ فررت بالربذة فاذا بعجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله ﷺ حاجة هل أنت مبغى اليه قال فحملتها فأنت المدينة فاذا المجد خاص بأهله واذا راية سوداء تحفق واذا بلال متقلد سيفاً بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ما شأن اناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وسلمت فقال هل بينكم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم وصررت بعجوز من بني

وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث ، فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا غارض ممطرنا يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها) أي تهلك كل شيء صرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها ميمد ، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ماذا رأيت ؟ قالت رأيت ريحاً فيها كسهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ماتلين عليه الجلود وتلذذ الانفس وأنها لتمر على عاد بالظن فتحملهم بين السماء والارض وتدمرهم بالحجارة ، وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثلاثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له فأين فارقت هوداً وأصحابه ؟ فقال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيمة بنت بكر صدق ورب مكة ، وذكروا أن مرثد بن سعد وانيان بن

تبعهم منقطع بها فسمعتني ان أحملها اليك وهماهي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله ان رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدمناء فخميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فالي أين يضطر مضطرك قال قلت ان مثلي مثل ما قال الاول « معزى حملت حقتها » حملت هذه ولا أشعر انها كانت لي خصماً أعزذ بالله وبرسوله ان أكون كوافد عاد قال لي « وما واغد عاد؟ » وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قالت ان عاداً قهقروا فبعثوا وافتدا لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جارية يقال لها الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم اني لم أجيء الى مريض فأداويه ولا الى أسير فأفاده ، اللهم اسق عاداً ما كنت تستميه ، فمرت به سحباب سود فتردي منها اختر فأوماً الى سحابة منها سوداء فتودى منها خذها رمداً رمداً ، لا تبقي من عاد أحداً ، قال فما بلغني أنه بعث الله عليهم من الريح الا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق قال وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافتدا لهم قالوا لا تكن كوافد عاد هكذا رواه الامام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلام ابن أبي المنذر عن عاصم وهو ابن سيدة ومن طريقه رواه ابن ماجه ايضا عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكري به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن

عاد وقيل بن عتير حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتكم مناكم فاختروا لأنفسكم إلا أنه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت ، فقال مرثد اللهم اعطني صدقاً وبراً فأعطني ذلك ، وقال لقمان أعطني يارب عمراً فقيل له اختر فاختر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرج حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكرك منها لقوته حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان آخرها ابداً ، فلما مات لبد مات لقمان معه ، وأما قيل فانه قال أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له انه الهلاك ، فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه الذي أصاب عاداً من البلاء والعذاب فهلك . قال السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض ، فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقتوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم الى البحر فألقتهم فيه

وروي أن الله عز وجل أمر الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ايام وثمانية ايام لهم أنين تحت الرمل ، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتلقتهم فرمت بهم في البحر ولم تخر - ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فانها عمت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكياها ، وفي الحديث إنها خرجت على قدر خرق الخاتم ، وروي عن علي أن قبر هود بحضرموت في كتيب أحر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمن قبر تسعة وتسعين نبياً ، وأن قبر هود وشعيب

زيد بن حباب به ووقع عنده عن الحارث بن يزيد البكري فذكره ورواه أيضا عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث بن حسان البكري فذكره ولم أر في النسخة أبا وائل والله أعلم

والى ثمود أخاهم صالحاً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم

عذاب أليم (٧٣) واذكروا اذ جعلكم خلائف من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتتحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٧٤)

قال الملائكة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً رسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم

به كفرون (٧٦) فمقرروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يصالح انئتنا بما تعدنا إن كنت من

المرسلين (٧٧) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٧٨)

قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله وقد مر رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ففجعوا منها وانصبوا لها القدور فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور وعلفوا العجيين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم» وقال أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر (لا تدخلوا على

وصالح وإسماعيل في تلك البقعة، ويروى أن النبي ﷺ قال «ان نبيا من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا»

قوله تعالى ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ وهو ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وأراد ههنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة ماؤها والتمد الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين

هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم « وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه ، وقال الامام احمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون المسعودي عن اسماعيل بن اوسط عن محمد بن أبي كبشة الانباري عن أبيه قال لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس الى اهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس « الصلاة جامعة » قال فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله ؟ قال « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك : رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعذبكم شيئا وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا » لم يخرج به أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما سار رسول الله ﷺ بالحجر قال « لاتسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح فسكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم صيحة أهدى الله من تحت أديم السماء منهم الارجالا واحداً كان في حرم الله فقالوا من هو يا رسول الله قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم

قوله تعالى (والى ثمود) أي ولقد أرسلنا الى قبيلة ثمود أخاهم صالحا (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فجميع الرسل يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) أي قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئكم به وكانوا هم الذين سألوا صالحا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشرةا فأنزل عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله الى سؤالهم وأجابهم الى طلبهم ليؤمنن به وليتبعنني فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام الى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبتيها كسألوا فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية

الحجاز والشام الى وادي القرى (أخاهم صالحا) أي أرسلنا الى ثمود أخاهم في النسب لاني الدين صالحا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) أي صدقي (هذه ناقة الله) أضافها

أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أو ثمانهم ورباب بن صمعر ابن جليس وكان جندع بن عمرو ابن عم له شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فاراد أن يسلم أيضاً فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش بن عثمة بن الذميل رحمه الله

وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا فهم بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا

وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعتها بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوما وتدعه لهم يوماً وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم كما قال في الآية الأخرى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) وقال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فجج وتصدر من غيره ليسعها لأنها كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقها هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بانعامهم نفرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقوله تعالى (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) وقال (وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظاوموا بها) وقال (فعقروا الناقة) فاشتد ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم، وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير أن سبب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجاز وتكنى أم عثمان كانت عجوز كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة^(١) بنت الحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة^(١) رجلا يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها أن هو عقر الناقة فأبى عليها

(١) في النسخة

المكية: صروف

إليه على التفضيل والتخصيص كما يقال بيت الله ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ نصب على الحال ﴿فذروها تأكل﴾ العشب ﴿في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ لا تصيبوها بعقر ﴿فياخذكم عذاب أليم﴾ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ﴿أسكنكم وأنزلكم﴾ في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ﴿كانوا ينقبون في الجبال البيوت في الصيف يسكنون بيوت الطين﴾ وفي الشتاء بيوت الجبل وقيل كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول

فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مہرج بن الحميا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار ابن سالف بن جذع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب اليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له ضيان ولكن ولد على فراش سالف وقالت له أعطيك أي بنتي شئت على أن تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مہرج فاستغوا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم الذين قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وكانوا رؤساء في قومهم فاستألفوا القبيلة الكافرة بكاملها فطأو عثهم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كن لها قدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمريت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً فسفرت عن وجهها لقدار ودمرتة وشد عليها قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فحرت ساقطة الى الأرض ودرغت رغاء واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها وهو فصيلها حتى أتى جبلا منيعا فصعد أعلى صخرة فيه ورغا فروى عبدالرزاق عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال يارب أين أمي ويقال أنه رغا ثلاث مرات وأنه دخل في صخرة فغاب فيها ويقال إنهم اتبعوه فقروه مع أمه فالله أعلم . فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحا عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون فلما رأى الناقة بكى وقال (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) الآية وكان قتلهم الناقة يوم الاربعاء فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا إن كان صادقا عجلائنا قبلنا وإن كان كاذبا ألحقناه بناتقته (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم) الآية فلما عزموا على ذلك وتواطؤا عليه وجأوا من الليل ليفتكوا بنبي الله فأرسل الله سبحانه وتعالى وله العزة ورسوله عليهم حجارة فرفضتهم سلفاً وتعجلاً قبل قومهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الاول من أيام النظرة ووجوههم صفرة كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم حمرة وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أصبحوا من يوم الاحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياداً بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم

أعمارهم ﴿ فاذكروا آلاء الله ولا تعشوا في الأرض مفسدين ﴾ والعشو أشد الفساد قوله تعالى ﴿ قال الملأ ﴾ قرأ ابن عامر (وقال الملأ) بالواو ﴿ الذين استكبروا من قومهم ﴾ يعني الاشراف والقادة الذين تعظموا عن الايمان بصالح (الذين استضعفوا) يعني الاتباع ﴿ لمن آمن منهم ﴾ يعني قال الكفار للمؤمنين ﴿ أن تعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ﴾ اليكم ﴿ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ﴾ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴿ جاحدون ﴾ ففعلوا الناقة ﴿ قال الازهري : العقر

ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي صرعى لأرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قالوا الا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها الذريعة وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام فلما رأت مارات من العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسمى كأسرع شيء فأتت حيا من الأحياء فاخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم استسقتهم من الماء فلما شربت ماتت قال علماء التفسير ولم يبق من ذرية نوح أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضي الله عنهم الا أن رجلا يقال له أبو رغال كان لما وقعت النعمة بقومه مقيما إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الأيام الى الحل جاءه حجر من السماء فقتله وقد تقدم في أول القصة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف قال عبد الرزاق عن معمر أخبرني اسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مرّ بقبر أبي رغال فقال «أتدرون من هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هذا قبر أبي رغال رجل من نوح كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروا بأسياقهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن» وقال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روي متصلا من وجه آخر كما قال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من نوح وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النعمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن» وهكذا رواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن اسحاق به قال شيخنا أبو الحجاج المزني وهو حديث حسن عزيز (قلت) تفرد بوضعه بجير بن أبي بجير هذا وهو شيخ لا يعرف الا بهذا الحديث قال يحيى بن معين ولم أسمع أحدا روى عنه غير اسماعيل بن أمية (قلت) وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم

هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره ثم عتوا عن أمر ربهم ﴿والعتوا الغلو في الباطل يقال عتا يعتو عتوا إذا استكبر﴾ والمعنى عصوا الله وتركوا أمره في الناقه وكذبوا نبيهم ﴿وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿أن كنت من المرسلين﴾ فأخذتهم الرجفة وهي زلزلة الأرض وحر كثرها وأهلكوا بالصيحة والرجفة ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ قيل أراد الديار وقيل أراد في أرضهم وبلدتهم ولذلك وحد الدار ﴿جاثمين﴾ خامدين ميتين . قيل سقطوا على وجوههم موتي

فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة (٧٨)

هذا تفريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بخلافتهم إياه وتمردهم على الله وإياهم عن قبول الحق وأعرضهم عن الهدى إلى العمى قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريبا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثا ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القلب قليب بدر فجعل يقول « يا أبا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال له عمر يا رسول الله ماتكم من أقوام قد جيفوا فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم « بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم » وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) أي فلم تنتفعوا بذلك لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا ولهذا قال (ولكن لا تحبون

عن آخرهم » فتولى عنهم وأعرض صالح ﷺ عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة فان قيل كيف خاطبهم بقوله (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) بعد ما أهلكوا بالرجفة قيل كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قلى بدر حين أقام في القلب فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم « أيسر كم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ماتكم من أجساد لا أرواح لها فقال النبي ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وقيل خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم : وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديرها : فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة ، وكان قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب وغيرهما ان غادا لما هلكوا وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها وكثروا وعمرروا حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من معاشهم فعثوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسبا وموضعاً فبعثه الله اليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شحط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال لهم أي آية تريدون ؟ قالوا تخرج معنا إلى عيدنا ، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فدعوا إلهك وندعوا آلهتنا فان استجب لك انبعثك وان استجب لنا انبعثنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها

(الناحين) وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلك أمتة كان يذهب فيقيم في الحرم حرم مكة والله أعلم ، وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا زبعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن

أن لا يستجاب اصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد نمود
ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة - الصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكتابة - ناقة مخترجة جوفاء
وبراء عشاء والمخترجة ماشا كل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح
مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنني ولتؤمنن بي قالوا نعم فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخص النتوج ولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشاء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما
بين جنبهما عظم الا الله وهم ينظرون ثم تنجست سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط
من قومه وأراد أشراف نمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهأهم ذؤاب بن عمرو بن لييد والحباب صاحب
أوثانيم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف نمود فلما خرجت الناقة قال لهم صالح
(هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فكشفت الناقة ومعها سقبتها في أرض نمود ترى الشجر
وتشرب الماء فكانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال له بئر الناقة فلما
ترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتفتح حتى تفتح لهم فيحلبون
ماشأوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملأوا أو انهم كها ثم تصدر من غير انفج الذي وردت منه
لا تقدر أن تصدر من حيث ترد يضيق عنها حتى إذا كان يومها فيشربون ماشأوا من الماء ويدخرون
ماشأوا ليوم الناقة من ذلك فهم في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب
منها المواشي أغنامهم وبقرهم وابلهم فتعبط الى بطن الوادي في حره وجذبه وذلك أن المواشي تنفر
منها إذا رأتهما وتشتمو بطن الوادي إذا كان الشتاء فتهرب مواشيهما الى ظهر الوادي في البرد والجذب
فأضر ذلك بمواشيهما للبلاء والاختيار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر
الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من نمود احدهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام
غنم وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من
ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت الحيا وكانت بحيلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا
من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يجبان عقر الناقة لما أضرت بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر
الناقة فدعت صدوف رجلا من نمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها أن هو فعل فأبى
عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت
من أحسن الناس وأكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا
احمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنبة ولم يكن لسالف واكنه ولد على فراش سالف فقالت أعطيك
أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

عباس قال لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال «يا أبا بكر أي واد هذا؟» قال هذا

ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ «اذ انبعث أشقاها» انبعث لها رجل عزيز عازم منيع في قومه مثل أبي زمة» (رجعنا الى القصة) قالوا فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهران فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في طريق آخر فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم بها في عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت اقدار ثم زمرته فشدها على الناقة بالسيف فكسف عرقوبها فخرت ورغت رغاء واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبها فزجرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحما وطبخوه فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل اسمه قارة وأتى صالح فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه يا بني الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيحها فان ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتناول في السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغاء أجل يوم (فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وقال ابن اسحاق اتبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهران وأخوه ذؤاب بن مهران فرماهم مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله فالتقوا لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء حبار والخميس مؤنسا والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلائه قبلنا وان كان كاذبا قد كنا ألحقناه بناقته فأتوه ليلا لبييتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم؟ ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلاف صغيرهم

وادي عسفان قال « لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمن الليف ازهرهم العباء

وكبرهم ذكرهم وأثامهم فعند ذلك أيقنوا العذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هارباً منهم حتى جاء إلى بطن من ثمود يقال لهم بني غنم فنزل على سيدهم رجل يقال له ثعلب ويكنى بأبي هذب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدرُوا عليه ففندوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا بني الله انهم ليعذبوننا لنهديم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه وأتوا أبا هذب فكلموه في ذلك فقال نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وبكوا فلما أمسوا وصاحوا بأجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضر كم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم الا قد حضر كم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكففوا وتحنطوا وألقوا أنفسهم بالارض يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال الله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله رجلها بعد ما عانت العذاب فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قزح وهو واد القرى من حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت .

وذكر السدي في عقر الناقة وأوحى الله إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا : ما كنا نفعل ، فقال صالح انه يولد في شهر كم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه ، فقالوا لا يولد لنا ولد في هذا الشهر إلا قتلناه ، قال فولد التسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك ، وكان ابنه أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً ، وكان اذا مر بالتسعة قالوا لو كان أبناءنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله للبيتنة وأهله ، قالوا نخرج قترى الناس انا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا إلى الغار فسكننا فيه ثم انصرفنا إلى رحلتنا فقلنا ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا يظنون انا

وأرديتهم النار يلبون بمجئون البيت العتيق » هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرج له أحد منهم

قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية ، وكان يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا أصبح أتاعم فوعظهم وذكرهم ، واذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فدخلوا الغار فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضى فرجعوا يصيحون في القرية أي عباد الله ماضي صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة . وقال ابن اسحاق : كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة كما ذكرنا . قال السدي وغيره : فلما ولد ابن العاشر يعني قدار شب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، وشب في شهر شباب غيره في السنة ، فلما كبر جلس مع أناس يصيدون من الشراب فأرادوا ماء بمزجون به شربهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بالبلن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا ، فقال ابن العاشر هل لكم في أن أعقرها لكم ؟ قالوا نعم فقعرها ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنما محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئر بها ولا يستقوا منها فقالوا : قد عجبنا منها واستقينا فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء . وقال نافع عن ابن عمر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها ، وأن يعلفوا الابل العجين ، أمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وروي عن الزبير عن جابر قال : لما مر النبي ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه « لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » ثم قال « أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، وتشرب ماءهم يوم ورودها ، وأراهم مرتقى الفصيل من الجبل فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب » وأراهم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروا بأسيا فهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن ، وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم إلى حضرموت ، فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة آلاف مدينة يقال لها حضوراء . قال قوم من أهل العلم : توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة

ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين؟ (٨٠) إنكم

لتأتون الرجال شهوة من دون النساء؟ بل أنتم قوم مسرفون (٨١)

يقول تعالى (و) لقد أرسلنا (لوطاً) أو تقديره (و) اذكر (لوطاً) إذ قال لقومه (ولوط هو ابن هارون بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعبدوه ولا تألفوه ولا يحظر بيباهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله قال عمرو بن دينار في قوله (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) قال مانزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً ولهذا قال لهم لوط عليه السلام (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال وهذا إسراف منكم وجهل لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الأخرى قال (هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين) فأرشدكم إلى نسائهم فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك

قوله تعالى ﴿ ولوطاً ﴾ أي وأرسلنا لوطاً وقيل معناه واذكر لوطاً وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم ﴿ إذ قال لقومه ﴾ وهم أهل سدوم، وذلك أن لوطاً شخص من أرض بابل مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً مهاجراً معه إلى الشام فقتل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطاً الأردن فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ يعني إتيان الذكر ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ قال عمرو بن دينار : مانزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط ﴿ أنكم ﴾ قرأ أهل المدينة وحنف انكم بكسر الالف على الخبر ، وقرأ الآخرون على الاستفهام ﴿ لتأتون الرجال ﴾ في أدبارهم ﴿ شهوة من دون النساء ﴾ فسر تلك الفاحشة يعني أدبار الرجال أشهى إليكم من فروج النساء ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام . قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلاً فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فأذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ فقال : إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم فأبوا فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوهم غلماناً صابحاً فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم وأخشوا بهم فاستحجم ذلك فيهم . قال الحسن : كانوا لا ينكحون إلا الغرباء . وقال السكابي إن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس ثم دعاهم إلى ذلك لأن بلادهم أخصبت فالتجعبها أهل البلدان

لتعلم ما تريد) أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا ارادة وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضا

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوه من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢)

أي ما أجبوا لوطاً إلا أن هموا باخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم فأخرجه الله تعالى سالماً وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين ، وقوله تعالى (إنهم أناس يتطهرون) قال قتادة : عابوهم بغير عيب . وقال مجاهد : إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروي مثله عن ابن عباس أيضاً

فأنجيناه وأهلكه إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف

كان عقوبة المجرمين (٨٤)

يقول تعالى فأنجيناه لوطاً وأهلكه ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط كما قال تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) إلا امرأته فانها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها تماليهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه بأشارات بينها وبينهم ، ولهذا لما أمر لوط عليه السلام ليسري بأهلكه أمر أن لا يعلمها ولا يخرجها من البلد ، ومنهم من يقول بل اتبعتهم فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم ، والظاهر أنها لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل بقيت معهم ، ولهذا قال ههنا (إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين وقيل من الهاالكين وهو تفسير باللازم ، وقوله (وأمطرنا عليهم مطراً) مفسر بقوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) ولهذا قال (فانظر كيف كان عقوبة المجرمين) أي انظر يا محمد كيف كان عقوبة من يجترئ على معاصي الله عز وجل ويكذب رسله . وقد ذهب الامام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللأط يلتقى من شاقق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط ، وذهب

فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح في دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصصهم والارض أن تحسف بهم ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿ أخرجوه ﴾ يعني لوطاً وأهل دينه ﴿ من قريبتكم ﴾ إنهم أناس يتطهرون ﴿ يتنزهون ﴾ عن أدبار الرجال ﴿ فأنجيناه ﴾ يعني لوطاً ﴿ وأهلكه ﴾ المؤمنين ، وقيل أهله ابتلاه ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ يعني الباقين في العذاب ، وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد آتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط ، وإنما قال من الغابرين لأنه أراد ممن بقي من الرجال ، فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال (من الغابرين) ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ يعني حجارة من سجيل . قال وهيب : الكبريت والنار ﴿ فانظر كيف كان عقوبة

آخرون من العلماء إلى أنه يرجح سواء كان محصناً أو غير محصن وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله والحجة مارواه الامام احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراوردي عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقبلوا الفاعل والمفعول به » وقال آخرون هو كزاني فان كان محصناً رجيم ، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة وهو القول الآخر للشافعي ، وأما اتيان النساء في الادبار فهو اللواطية الصغرى وهو حرام باجماع العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة

وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم فآوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥)

قال محمد بن اسحاق : هم من سلالة مدين بن ابراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وهم أصحاب الايكة كما سنده إن شاء الله وبه الثقة (قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءكم بينة من ربكم ، أي قد أقام الله الحجج والبيانات على صدق ما جئتمكم به ، ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي لا يخونوا الناس في

المجرمين ﴿ قال أبو عبيدة : يقال في العذاب أمطر ، وفي الرحمة مطر قوله تعالى ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ أي وأرسلنا إلى ولدي مدين وهو مدين بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهم أصحاب الايكة أخاهم شعيباً في النسب لاني الدين . قال عطاء : هو شعيب ابن بويب بن ابراهيم . وقال اسحاق : هو شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين بن ابراهيم ، وأم ميكائيل بنت لوط ، وقيل هو شعيب بن يثرون بن بويب بن مدين بن ابراهيم وكان شعيب أعمى ، وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ فان قيل ما معنى قوله تعالى (قد جاءكم بينة من ربكم) ولم يكن لهم آية مذكورة ، قيل قد كانت لهم الآية إلا أنها لم تذكر وليست كل الآيات مذكورة في القرآن ، وقيل أراد بالبينه مجيء شعيب ﴿ فآوفوا الكيل ﴾ أنموا الكيل ﴿ والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم أيها ﴿ ولا

أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليسا كما قال تعالى (ويل للمطففين — إلى قوله — لرب العالمين) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد نسأل الله العافية منه ، ثم قال تعالى اخبراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الانبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا

واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦) وإن كان

طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا

وهو خير الحكمين (٨٧)

ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أى توعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم . قال السدي وغيره : كانوا عشارين ، وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أى توعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليثبعوه والاول أظهر لأنه قال (بكل صراط) وهو الطريق ، وهذا الثاني هو قوله (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) أى وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) أى كنتم مستضعفين لقتلكم فصرتم أعزة الكثرة عددكم فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أى من الامم الحالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجرائهم على معاصي الله وتكذيب رسله ، وقوله (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) أى قد اختلفتم علي (فاصبروا) أى انتظروا

تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أى يبعث الرسل والامر بالعدل . وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) الذى ذكرت لكم وأمرتكم به (خير لكم إن كنتم مؤمنين) مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط) أى على كل طريق (توعدون) تهددون (وتصدون عن سبيل الله) دين الله (من آمن به وتبغونها عوجا) زيفاً ، وقيل تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الايمان بشعيب إن شعيباً كذاب فلا يفتكك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم ، وقال السدي كانوا عشارين (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم) فكثرت عددكم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أى آخر أمر قوم لوط (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) أى إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدين (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) بتعذيب المكذبين وانجاء المصدقين

(حتى يحكم الله بيننا) وبينكم أي يفصل (وهو خير الحاكمين) فانه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار على الكافرين

قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا . قال أو لو كنا كارهين ؟ (٨٨) قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربناوسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفتحين (٨٩)

هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالانقياد عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول والمراد اتباعه الذين كانوا معه على الملّة ، وقوله (أو لو كنا كارهين ؟) يقول أو أنتم فاعلو ذلك ولو كنا كارهين ماتدعوننا إليه ، فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً وهذا تنفير منه عن اتباعهم (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) وهذا رد إلى الله المسبب فانه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء (على الله توكلنا) أي في أمورنا مانأني منها وما نذر (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق)

(وهو خير الحاكمين) * قال الملائكة الذين استكبروا من قومه ﴿ يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به ﴾ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴿ لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه ﴾ قال ﴿ شعيب ﴾ (أو لو كنا كارهين؟) يعني أو لو كنا ، أي وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه

قوله تعالى ﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ بعد إذ أنقذنا الله منها ﴿ إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أن نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا فان قبل ما معنى قوله (أو لتعودن في ملتنا) وما يكون لنا أن نعود فيها) ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا ؟ قيل معناه أو لتدخلن في ملتنا فقال وما كان لنا أن ندخل فيها ؟ قيل معناه ان صرنا في ملتكم ومعنى عاد صار وقيل أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فأجاب شعيب عنهم ، قوله (وسع ربنا كل شيء علماً) أحاط علمه بكل شيء ﴿ على الله توكلنا ﴾ فيما تواعدونا فيه ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا ﴾ أي أقض بيننا ﴿ بالحق ﴾ والفتاح القاضي ﴿ وأنت

أي احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) أي خير الحاكمين ، فانك العادل الذي لا ينجور أبداً

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون (٩٠) فأخذتهم

الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٩١) الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين (٩٢)

ينجر تعالى عن شدة كفرهم وتمردهم وعتوهم وما هم فيه من الضلال وما جبت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ولهذا أقسموا وقالوا (لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون) فلماذا عقبه بقوله (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين) أخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة وذلك كما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدوهم بالجلأ كما أخبر عنهم في سورة هود فقال (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جثمين) والمناسبة هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا به في قولهم (أصلاتك تأمرك ؟) الآية فجاءت الصيحة فأسكتتهم ، وقال تعالى اخباراً عنهم في سورة الشعراء (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة (فأسقط علينا كسفاً من السماء) الآية ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة ، وقد اجتمع عليهم ذلك كله (أصابهم عذاب يوم الظلة) وهي سحابة أظلمت فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الارواح وفاضت النفوس

خير الفاتحين أي الحاكمين * وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً تركتم دينكم إنكم إذا لخاسرون يغبونون قال عطاء جاهلون وقال الضحاك عجزه : فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين قال الكلبي الزلزلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حراً من الظاهر فخرجوا هرباً الى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت فنادى بعضهم بعضاً وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً حتى اجتمعوا تحته السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي وصاروا رماداً ، وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر قال يزيد الجريري سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله (عذاب يوم الظلة) قال قتادة بعث الله شعيباً الى أصحاب الايكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة

وخذت الاجسام (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ثم قال تعالى (كأن لم يغنوا فيها) أي كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا اجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابلاً لقيلمهم (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين)

فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالتى ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين (٩٣)

أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنعمة والنعكس وقال مقرعاً لهم وموحيًا (يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتى ربى ونصحت لكم) أي قد أدت اليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به فلهذا قال (فكيف آسى على قوم كافرين ؟)

وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤)
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بفتنة وهم لا يشعرون (٩٥)

يقول تعالى مخبراً عما اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل اليهم الانبياء بالبأساء والضراء يعني

صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فيها كوا جميعاً قل أبو عبد الله البجلي كان أبو جاد وهو ذو حطى وكلمن وسعصع وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة كلمن فلما هلك قامت ابنته تبكيه

كلمن قد هد ركني هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الخنف ناراً تحت ظله

جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة

وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ أي لم يقيموا ولم ينزلوا فيها من قولهم غنيت بالمسكان إذا أقت به والغاني المنازل واحداً مغنى وقيل كأن لم يتنعموا فيها ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ لا المؤمنين كما زعموا ﴿فتولى عنهم﴾ أنرض عنهم شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتى ربى ونصحت لكم فكيف آسى﴾ أحزن ﴿على قوم كافرين؟﴾ والاسى الحزن والاسى الصبر

قوله ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ فيه إضمار يعني فكذبوه ﴿إلا أخذنا﴾ عاقبنا ﴿أهلها﴾ حين لم يؤمنوا ﴿بالبأساء والضراء﴾ قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى قول من قال

بالأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام ، والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك ،
 لعلمهم بضرعون ، أي يدعون ويخشعون ويتهللون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم . وتقدير الكلام
 إنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم
 فيه ولهذا قال (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء ومن مرض وسقم
 إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك فما فعلوا ، وقوله (حتى عفوا) أي كثروا
 وكثرت أموالهم وأولادهم يقال عفا الشيء إذا كثر ، (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
 بغتة وهم لا يشعرون) يقول تعالى ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله فما نجح فيهم لا هذا
 ولا هذا ولا انتهوا بهذا ولا بهذا ، وقالوا قد مسنا من الأساء والضراء ، ثم بعده من الرخاء مثل
 ما أصاب آباءنا في قديم الزمان والدهر ، وإنما هو الدهر تارات وتارات ، بل لم يتفطنوا لأمر الله فيهم
 ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء
 ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين « عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ،
 إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له » فالمؤمن من يتفطن
 لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء ، ولهذا جاء في الحديث « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً
 من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه » أو كما قال ، ولهذا عقب
 هذه الصفة بقوله (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) أي أخذناهم بالعقوبة بغتة ، أي على بغتة وعدم
 شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث « موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر »

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن

كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم ناعمون (٩٧)

الأساء في المال والضراء في النفس وقيل الأساء البؤس وضيق العيش والضراء والضر سوء الحال وقيل
 الأساء في الحزن والضراء في الجذب ﴿ لعلمهم بضرعون ﴾ لكي يتضرعوا فيتوبوا ﴿ ثم بدلنا مكان
 السيئة الحسنة ﴾ يعني مكان الأساء والضراء الحسنة يعني النعمة والسعة والخصب والصحة ﴿ حتى عفوا ﴾
 أي كثروا وازدادوا أو كثرت أموالهم يقال عفا الشعر إذا كثر قال مجاهد كثرت أموالهم وأولادهم
 ﴿ وقالوا ﴾ من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء ﴿ قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي هكذا
 كانت عادة الدهر قديماً لنا ولا بآئنا ولم يكن مامسنا من الضراء عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه
 كما كان آباؤكم فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء قال الله تعالى عز وجل ﴿ فأخذناهم بغتة ﴾
 فجأة آمن ما كانوا ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بنزول العذاب ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩)

يخبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل كقوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) أي ما آمنت قرية بتامها إلا قوم يونس فانهم آمنوا وذلك بعد ما عاينوا العذاب كما قال تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتحناهم إلى حين) وقال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا آية وقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات (ففتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أي قطر السماء ونبات الأرض قال تعالى (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ثم قال تعالى مخوفاً ومخذراً من مخالفة أوامره والتجروء على زواجه (أفأمن أهل القرى) أي الكفرة (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا ونكالنا (بيانا) أي ليلاً (وهم نائمون) أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي في حال شغلهم وغفلتهم (أفأمنوا مكر الله) أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذهم إياهم في حال سهوهم وغفلتهم (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن

أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع

على قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠٠)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أولم يتبين

بركات من السماء والأرض يعني المطر من السماء والنبات من الأرض وأصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الأعمال الخبيثة (أفأمن أهل القرى) الذين كفروا وكذبوا يعني مكة وما حولها (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلاً (وهم نائمون أو آمن) قرأ أهل الحجاز والشام أو آمن بسكون الواو والباقون بفتحها (أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهراً والضحى صدر النهار وقت انبساط الشمس (وهم يلعبون) ساهون لاهون (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ومكر الله استدراجه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم وقال عطية يعني أخذه وعذابه (أو لم يهد) قرأ قتادة ويعقوب نهد بالنون على التعظيم والباقون بالياء على التفريد يعني أولم يتبين للذين يرثون الأرض

لهم ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم وكذا قال مجاهد وغيره وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها يقول تعالى أولم يتبين للذين يستخلفون في الارض من بعد اهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا على ربهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يقول ان لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم (ونطبع على قلوبهم) يقول ونختم على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة ولا تذكرة (قلت) وهكذا قال تعالى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لا ولي النهى) وقال تعالى (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) قال (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي هل ترى لهم شخصا أو تسمع لهم صوتا وقال تعالى (أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم يمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى بعد ذكره اهلاك عاد (فأصبحوا لآتري إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما إن مكانهم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات عنهم يرجعون) وقال تعالى (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلنا فكيف كان نكير) وقال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) وقال تعالى (فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيرا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تسمع ولا تبصر ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (ولقد استهزى برسل من قبلك لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) الى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه وحصول نعمه لأوليائه ولهذا عقب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما

كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) وما وجدنا لا أكثرهم من عهد

وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (١٠٢)

من بعد هلاك أهلها الذين كانوا فيها (أن لو نشاء أصبناهم) أي أخذناهم وعاقبناهم (بذنوبهم) كما عاقبنا من قبلهم (ونطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الايمان ولا يقبلون الموعظة قال الزجاج قوله ونطبع منقطع عما قبله لأن قوله أصبناهم ماض ونطبع مستقبل (تلك القرى) أي هذه القرى التي ذكرت

لما قص تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح رهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من اهلا كه الكافرين وانجائه المؤمنين وأنه تعالى أعذر اليهم بأن لهم الحق بالحجج على السنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين قال تعالى (تلك القرى نقص عليك) أي يا محمد (من أنبائها) أي من أخبارها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) الباء سببية أي فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ماورد عليهم حكاة ابن عطية رحمه الله وهو متجه حسن نقوله (وما يشعر كم أنها اذا جاءت لا يؤمنون * وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية ولهذا قال هنا (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لا كثرهم) أي لا كثر الالم الماضية (من عهد وان وجدنا أ كثرهم لفاسقين) أي ولقد وجدنا أ كثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامثال والعهد الذي أخذه هو ما جعلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ عليهم في الاصلا ب أنه ربه ومليكهم وأنه لا إله الا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي النظر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل السكرام من أولهم الى آخرهم بالنهي عن ذلك كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى « إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم » وفي الصحيحين « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » الحديث وقال تعالى في

لك أمرها وأمر أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب ﴿ نقص عليك من أنبائها ﴾ أخبارها لما فيه من الاعتبار ﴿ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالآيات والمعجزات والعجائب ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴾ أي فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب نظيره قوله عز وجل (قد سأها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال ابن عباس والسدي يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكتناهم ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وقال مجاهد معناه فيما كانوا فيه لو أحييناهم بعد اهلاكم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكم لقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) قال يمان بن رباب هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه يقول ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الالم الخالية بل كذبوا بما كذب أوائلهم نظيره قوله عز وجل (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ أي كما طبع الله على قلوب الالم الخالية وأهلككم كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كتب أن لا يؤمنوا من قومك ﴿ وما وجدنا لا كثرهم من عهد ﴾ أي وفاء بالعهد الذي

كتابه العزيز (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (وأسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجمعينا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) إلى غير ذلك من الآيات وقد قيل في تفسير قوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) (ما روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال كان في علمه تعالى يوم أقرؤا له بالميثاق أي فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن أنس واختاره ابن جرير وقال السدي (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأمنوا كرها وقال مجاهد في قوله (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) هذا كقوله (ولوردوا لعادوا) الآية

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه فظاموا بها فانظر كيف كان عقبة المفسدين (١٠٣)

يقول تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين (موسى بآياتنا) أي بحججنا ودلائلنا البينة إلى فرعون وهو ملك مصر في زمن موسى (وملأه) أي قومه (فظاموا بها) أي جحدوا وكفروا بها ظلمهم منهم وعناداً كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله أي انظر يا محمد كيف فعلنا بهم وأغرقتهم عن آخرهم برأى من موسى وقومه وهذا أبلغ في النكل بفرعون وقومه وأشفي لقلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به

وقال موسى يفرعون اني رسول من رب العالمين (١٠٤) حقيق على أن لا أقول على

الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل (١٠٥) قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (١٠٦)

عاهدهم يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد

قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد نوح وهود وصالح وشعيب (موسى بآياتنا) بأدلتنا (إلى فرعون وملأه فظاموا بها) فجحدوا بها والظلم وضع الشيء في غير موضعه وظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) كيف فعلنا بهم (وقال موسى) لما دخل

ينخر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجأه إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبض مصر فقال تعالى (وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين) أي أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربهم ومليكهم (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) فقال بعضهم معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق أي جدير بذلك وحري به قالوا والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال حسنة وبمحال حسنة وقال بعض المفسرين معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق علي بمعنى واجب وحق على ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق لما أعلم من عز جلاله وعظيم شأنه (قد جئتكم ببينة من ربكم) أي بحجة قاطعة من الله أعطانيها دليلاً على صدقي فيما جئتكم به (فأرسل معي بني إسرائيل) أي أطلقهم من أسرك وقهرك ودعهم وعبادة ربك وربهم فأنهم من سلالته نبي كريم إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن (قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت فان كانت معك حجة فإظهرها لئراها إن كنت صادقاً فيما ادعيت

فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٦) ونزع يده فإذا هي بيضاء للظنن (١٠٨) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ثعبان مبين) الحية الذكر وكذا قال السدي والضحاك وفي حديث الفتون من رواية يزيد بن هارون بن الأصبع بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (فألقى عصاه) فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريرته واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل وقال فتادة تحولات حية عظيمة مثل المدينة وقال السدي في قوله (فإذا هي ثعبان مبين) الثعبان الذكر من الحيات

على فرعون (يا فرعون إني رسول من رب العالمين) اليك فقال فرعون كذبت ، فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) أي أنا خليق بأن لا أقول على الله إلا الحق فتكون على معنى الباء كما يقال رميت بالقوس ورميت عن القوس ، وجئت على حال حسنة وبمحال حسنة يدل عليه قراءة أبي والاعمش حقيق بأن لا أقول ، وقال أبو عبيدة معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق ، وقرأ نافع علي بتشديد الياء أي حق واجب علي أن لا أقول على الله إلا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعني العصا (فأرسل معي بني إسرائيل) أي أطلق عنهم وخلصهم يرجعون إلى الأرض المقدسة وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما فقال فرعون مجيباً لموسى (قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) فألقى موسى (عصاه) من يده (فإذا هي ثعبان مبين) والثعبان الذكر العظيم من الحيات ، فان قيل أليس قد قال في موضع

فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والآ خر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها دعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح ياموسى خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعادت عصاه وروى عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا ، وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون أعرفك قال نعم قال (ألم تربك فينا وليدًا) قال فرد اليه موسى الذي رد فقال فرعون خذوه فيادر موسى (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مابين) فحملت على الناس فانهمزوا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهمزما حتى دخل البيت رواه ابن جرير والامام أحمد في كتابه الزهد وابن أبي حاتم وفيه غرابية في سياقه والله أعلم وقوله (وتزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) أي أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فاذا هي بيضاء تلتلأ من غير برص ولا مرض كما قال تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) الآية وقال ابن عباس في حديث الفتون من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها إلى كه فعادت إلى لونها الاول وكذا قال مجاهد وغير واحد

قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليهم (١٠٩) يريد ان يخرجكم من ارضكم

فإذا تأمرون (١١٠)

أي قال الملأ وهم الجهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد ما رجم اليه روعه واستقر على سريره مملكتيه بعد ذلك قال الملأ حوله (إن هذا لساحر عليم) فوافقوه وقالوا

آخر (كأنها جان) والجان الحية الصغيرة ؟ قيل إنها كانت كالجان في الحركة والخفة وهي في جثتها حية عظيمة . قال ابن عباس والسدي : إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاعرة فاها مابين لحيها ثمانون ذراعا ارتفعت من الأرض بقدر ميل وقامت له على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الأرض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه ، وروى أنها أخذت قبة فرعون بين نايبها فوثب فرعون من سريره هاربا وأحدث قيل أخذه البطن في ذلك اليوم أربعائة مرة وحملت على الناس فانهمزوا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالله الذي أرسلاك خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ، ثم قال فرعون هل معك آية أخرى ؟ قال نعم ﴿ وتزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ فأدخل يده في جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرجها من تحت إبطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس ، وكان موسى آدم اللون ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت

قوله تعالى ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ﴾ يعنون أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل اليهم العصا حية والآ دم أبيض ويرى أن الشيء بخلاف ما هو عليه ﴿ يريد أن يخرجكم ﴾ يامعشر

كقالتهم وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخفاء كلمته وظهور كذبه وإفترائه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال تعالى (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) فلما تشاوروا في شأنه واتمروا فيه اتفق رأيهم على ما حكاها الله تعالى عنهم في قوله تعالى

قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المداائن حشرين (١١١) يأتوك بكل سحر عليم (١١٢)
قال ابن عباس (أرجه) أخره وقال قتادة أحبسه (وأرسل) أي ابعث (في المداائن) أي في الأقاليم ومداائن مملكتك (حاشرين) أي من يحشرك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم أن ماجاء موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلماذا جمعوا له السحرة ليهارضوه بنظير ما أراهم من البينات كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال (أجئتنا لتخرجننا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله

القبط من أرضكم) مصر (فماذا تأمرون) أي تشيرون إليه ، هذا قول فرعون وإن لم يذكره ، وقيل هذا من قول الملاء لفرعون وخاصته (قالوا) يعني الملاء (أرجه) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء ، وقرأ الآخرون بلا همز ثم نافع رواية ورش والكسائي يشبعان الهاء كسراً ويسكنها عاصم وحزمة ويختلسها أبو جعفر وقالون . قال عطاء : معناه أخره وقيل أحبسه (وأخاه) معناه أنهم أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض إليه بالقتل (وأرسل في المداائن حشرين) يعني الشرط في المداائن هي مداائن الصعيد من نواحي مصر ، قالوا أرسل إلى هذه المداائن رجالاً يحشرون اليك من فيها من السحرة ، وكان رؤساء السحرة بأقصى مداائن الصعيد ، فإن غلبهم صدقناه ، وإن غلبوا علمنا أنه ساحر فذلك قوله (يأتوك بكل ساحر عليم) قرأ حمزة والكسائي سحار ههنا ، وفي سورة يونس ، ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار ، قيل الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلم ، والسحار الذي يعلم ويعمل^(١) وقيل الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت ، والسحار من يديم السحر . قال ابن عباس وابن اسحاق والسدي : قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى أنا لا تغالب إلا بمن هو أعلم منه فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحراً كثيراً ووعد فرعون موسى موعداً فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت ؟ قال قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لهم به ، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى به واختلفوا في عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين : اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني إسرائيل . وقال الكلابي : كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل فينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم . وقال

(١) وفي الخازن :

ويعلم من التعليم

فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى * قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى * فتولى فرعون فجمع كيدَهُ ثُمَّ أتَى (وقال تعالى ههنا

وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً أن كنا نحن الغالبين (١١٣) قال نعم وانكم لمن المقربين (١١٤)

ينخر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام ان غلبوا موسى ليثبتهم وليعطيهم عطاء جزيلاً فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده فلما وثقوا من فرعون لعنه الله

قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦)

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) أي قبلك كما قال في الآية الأخرى (وإما أن نكون أول من ألقى) فقال لهم موسى عليه السلام ألقوا أي أنتم أولاً قيل الحكمة في هذا والله أعلم ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه فإذا فرغوا من بهرجهم ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم لمحيته فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) أي خيلوا إلى الابصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال كما قال تعالى (فاذا جبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: ألقوا حبلاً غلاتاً وخشباً طويلاً قال فأقبلت يخيل إليه

كعب : كانوا اثني عشر ألفاً . وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وقال عكرمة كانوا سبعين ألفاً ، وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفاً ، وقال مقاتل كان رئيس السحرة شمعون . وقال ابن جريج كان رئيسهم يوحنا ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ واجتمعوا ﴿ قالوا ﴾ لفرعون ﴿ ان لنا لأجراً ﴾ أي جنّة ومالاً ﴿ ان كنا نحن الغالبين ﴾ قرأ أهل الحجاز وحفص ان لنا على الخبر ، وقرأ الباقر بالاستفهام ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ نعم وانكم لمن المقربين ﴾ في المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر . قال الكلبي : يعني أول من يدخل وآخر من يخرج ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة ﴿ يا موسى إما أن تلقى ﴾ عصاك ﴿ وإما أن نكون نحن الملقين ﴾ لعصينا وحبالنا ﴿ قال ﴾ موسى بل ﴿ ألقوا ﴾ أنتم ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس ﴾ أي صرفوا أعينهم عن ادراك حقيقة ما فعلوه من

من سحرهم أنها تسعى وقال محمد بن اسحاق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكبي على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مم أشرف أهل مملكته ثم قال السحرة (يا موسى إما أن تلقني وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس، بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس رجل منهم إلا ومعه حبل وعصا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) يقول فرقوهم أي من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال جمع فرعون سبعين ألف سحر فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ولهذا قال تعالى (وجاؤا بسحر عظيم)

وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فتابوا هنالك وانقلبوا صغرين (١١٩) وألقي السحرة سجين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهرون (١٢٢)

ينجز تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه (فإذا هي تلقف) أي تأكل (ما يأفكون) أي ما يلتقونه ويبرهون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم

التويه والتخييل وهذا هو السحر ﴿ واسترهبوهم ﴾ أي أربهوهم وأفزعوهم ﴿ وجاؤا بسحر عظيم ﴾ وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، وفي القصة أن الأرض كانت ميلا في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ﴾ فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة، ثم فتحت فها ثمانين ذراعاً ﴿ فإذا هي تلقف ﴾ قرأ حفص تلقف ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف أي تتلعق ﴿ ما يأفكون ﴾ يكذبون من التخييل، وقيل يزورون على الناس وكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوق الزحام عليهم فملك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت ﴿ فوق الحق ﴾ قال الحسن ومجاهد ظهر الحق ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ من السحر وذلك أن السحرة

ولا من خشيتهم إلا التتمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخرؤا سجداً وقالوا (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وقال محمد بن اسحاق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير عما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحر أما غلبنا وقال الناسم بن أبي برة أوحى الله اليه أن ألقى عصاك فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبین فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيتهم فألقى السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا

منها أهلها فسوف تعادون (١٢٣) لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ثم لا صابنكم أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منتقلون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين (١٢٦).

يخبر تعالى عما نعهد به فرعون لعنه الله السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهره للناس من كيد ومكره في قوله (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي ان غلبته لكم في يومكم هذا انما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك كقوله في الآية الاخرى (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهو يعلم وكل من له لب ان هذا الذي قاله من أبطل الباطل فان موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون الى الله وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن مملكه ومعامله سلطنته فجمع سحرة متفرقين من سائر الاقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملا من قومه وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون وموسى عليه

قالوا : لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصيتنا ، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ ذليلين مهزومين ﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾ لله . قال مقاتل : أقام الله ، وقيل ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا . قال الاخفش : من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ فقال فرعون أيأي تعنون فقالوا ﴿ رب موسى وهارون ﴾ قال مقاتل : قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي إن غلبتك ؟ فقال لا آتين بسحر لا يغلبه سحر ، وإن غلبتني لا تؤمن بك وفرعون ينظر ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ فرعون ﴾ حين آمنوا ﴿ آمنتم به ﴾ ﴿ قرأ حفص ﴾ (آمنتم) على الخبر ههنا وفي طه والشعراء ، وقرأ الآخرون بالاستفهام ، آمنتم به ﴿ قبل أن آذن لكم ﴾ أصدقتم موسى من غير أمري إياكم ﴿ ان هذا لمكر مكرتموه ﴾ أي صنم صنعتموه أنتم وموسى ﴿ في المدينة ﴾ في مصر

السلام لا يعرف أحداً منهم ولا رآه ولا اجتمع به وفرعون يعلم ذلك وإنما قال هذا تستراً وتديلاً على رعا ع دولته وجهلهم كما قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) فإن قوما صدقوه في قوله (أنار بكم الأعلى) من أجل خلق الله وأصابهم ، وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى (أن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) قال التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أرايتك أن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق قال الساحر لا تبن غداً بسحر لا يغلبه سحر والله لأن غلبتني لا ومن بك ولا شهد أنك حق وفرعون ينظر إليهما قالوا فلهذا قال ما قال ، وقوله (لتخرجوا منها أهلها) أي تجميعوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصوله وتخرجوا منها إلا كابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم (فسوف تعلمون) أي ما أضمر بكم ثم فسر هذا الوعيد بقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس (ولأصابعكم أجمعين) وقال في الآية الأخرى (في جذوع النخل) أي على الجذوع قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة (أنا إلى ربنا منقلبون) أي قد تحققنا أنا إليه راجعون وعذاباً أشد من عذابك ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك فلنصبر اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ولهذا قالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أي عمن بالصبر على دينك والثبات عليه (وتوفنا مسلمين) أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ، أنا آمنا بربنا ليعفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى *) انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأت مؤمناً عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) فكانوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره شهداء بررة ، قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة وابن جريج كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء

قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر ﴿ لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴾ ما فعل بكم ﴿ لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ وهو أن يقطع من كل شق طرفاً . قال الكلبي : لا قطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى ﴿ ثم لأصابعكم أجمعين ﴾ على شاطئ نهر مصر ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة لفرعون ﴿ أنا إلى ربنا منقلبون ﴾ راجعون في الآخرة ﴿ وما تنقم منا ﴾ أي ما تكره منا . وقال الضحاك وغيره : وما تطعن علينا . وقال عطاء : ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه ﴿ إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ ثم فرغوا إلى الله عز وجل فقالوا ﴿ ربنا أفرغ ﴾ أصيب ﴿ علينا صبراً ﴾ وتوفنا مسلمين ﴿ ذكر الكلبي أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصدبهم ، وذكر غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى (لا يصلون اليكما بآياتنا أنما ومن اتبعكما الغالبون)

وقال الملائكة من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك؟ قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩)

ينجز تعالى عما آتاه عليه فرعون وملائه وما أضمره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة (وقال الملائكة من قوم فرعون) أي لفرعون (أتذر موسى وقومه) أي أتدعهم ليفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم ذنوبك . يا لله العجب صار هؤلاء يشفقون من افساد موسى وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا (ويذرك وآلهتك) قال بعضهم الواو هاهنا حالية أي أنذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك؟ وقرأ ذلك أبي ابن كعب وقد تركوك أن تعبد وآلهتك حكاه ابن جرير وقال آخرون هي عاطفة أي أتدعهم يصنعون من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك آلهتك وقرأ بعضهم الاهتك أي عبادتك وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الاولى قال بعضهم كان لفرعون إله يعبد قال الحسن البصري كان لفرعون إله يعبد في السر وقال في رواية أخرى كان له حنانة في عنقه معلقة يسجد لها وقال السدي في قوله تعالى (ويذرك وآلهتك) وآلهته فيما زعم ابن عباس كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج السامري عجلاً جسداً له خوار . فأجابهم فرعون فيما سأله بقوله

قوله تعالى ﴿ وقال الملائكة من قوم فرعون ﴾ له ﴿ أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ﴾ وأرادوا بالافساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته ﴿ ويذرك ﴾ أي وليذرك ﴿ وآلهتك ﴾ فلا يعبدك ولا يعبدها . قال ابن عباس : كان لفرعون بقرة يعبدوها وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً . وقال الحسن : كان قد علق على عنقه صليباً يعبد . وقال السدي : كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها وقال لقومه : هذه آلهتكم أراد بها أنا ربها وربكم فذلك قوله أنا ربكم الأعلى ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك وآلهتك بكسر الالف أي عبادتك فلا يعبدك لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد ، وقيل أراد بالآلهة الشمس وكانوا يعبدونها . قال الشاعر :

تروحنا من العبء قصرأ وأعجلنا الإلاهة أن نؤبأ

سنة تمل أبناءهم ونستحيي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذراً من وجوده فكان خلاف مارامه وضد ما قصده فرعون . وهكذا عوّل في صنيعه أيضاً لما أراد اذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد: أعزهم الله وأذله وأرغم ألفه وأغرقه وجنوده . ولما صمم فرعون على ما ذكره من المسااة لبني إسرائيل (قال موسى لقومه استمعينوا بالله واصبروا) ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله (أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا) أي قد فعلوا بنماثل ما رأيت من الهوان والاذلال من قبل ماجئت ياموسى ومن بعد ذلك فقال منبها لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون اليه في ثاني الحال (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الآية وهذا تخفيض لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) فإذا

جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّاروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند

الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣١)

(قال) فرعون (سنقتل أبناءهم) قرأ أهل الحجاز سنقتل بالتخفيف من القتل ، وقرأ الآخرون بالتشديد من القتل على التكثير (ونستحيي نساءهم) نتركهن أحياء (وانا نوقم قاهرون) غالبون قال ابن عباس : كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له إنه يولد مولود يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان فقال فرعون أعيدهم وأعليهم القتل فأعادوا عليهم القتل فشكت ذلك بنو إسرائيل (قال موسى لقومه استمعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله) يعني أرض مصر (يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) النصر والظفر ، وقيل السعادة والشهادة ، وقيل الجنة (قالوا أؤذينا) قال ابن عباس : لما آمنت السحرة أتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل فقالوا يعني قوم موسى انا أؤذينا : (من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الأبناء (ومن بعد ماجئتنا) باعادة القتل علينا ، وقيل المراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار ، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر ، وذكر السكابي أنهم كانوا يضربون له اللابن بطين فرعون فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بطين من عندهم (قال) موسى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) فرعون (ويستخلفكم في الأرض) أي يسكنكم أرض مصر من بعدهم (فينظر كيف تعملون) فحقق الله ذلك فأغرق فرعون واستخلفهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة

يقول تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون) أي اختبرناهم وامتحانهم وابتليناهم (بالسنين) وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع (ونقص من الثمرات) قال مجاهد وهو دون ذلك ، وقال أبو اسحاق عن رجاء ابن حيوة كانت النخلة لا تحمل الا ثمرة واحدة (لعلهم يذكرون، فاذا جاءتهم الحسنة) أي من الخصب والرزق (قالوا لنا هذه) أي هذا لنا بما نستحقه (وان تصيبهم سيئة) أي جدد وقحط (يطيروا بموسى ومن معه) أي هذا بسببهم وما جاءوا به (الا انما طائرهم عند الله) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الا انما طائرهم عند الله) يقول مصائبهم عند الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال ابن جريج عن ابن عباس قال (الا انما طائرهم عند الله) أي من قبل الله

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والنمل والضفادع والدم آيات مفصلة فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (١٣٣) ولما وقع عليهم الرجز قالوا ي موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم يملغوه إذا هم ينجثون (١٣٥)

هذا الخبر من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم للحق واصرارهم على الباطل

أي جذب السنة وشدة السنة ، وقيل أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ والغلات بالآفات والعاهات . قال قتادة : أما السنين فلاهل البوادي ، وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ أي يتعظون وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ يعني الخصب والسعة والعافية ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أي نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلا من الله عز وجل فيشكروا عليها ﴿ وإن تصيبهم سيئة ﴾ جذب وبلاء ورأوا ما يكرهون ﴿ يطيروا ﴾ يتشاءموا ﴿ بموسى ومن معه ﴾ وقالوا ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم فهذا من شؤم موسى وقومه . وقال سعيد بن جبيرة ومحمد بن المنكدر : كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ، ولو كان له في تلك المدة جوع أو حى ليلة ، أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط

قال الله تعالى ﴿ ألا انما طائرهم عند الله ﴾ نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله . وقال ابن عباس : طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ، وفي رواية عنه شؤمهم عند الله ومن قبل الله أي انما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله ، وقيل معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الذي أصابهم من الله ﴿ وقالوا ﴾ يعني القبط لموسى ﴿ مهما ﴾ متى ما

في قولهم (مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) يقولون أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا تقبلها منك ولا تؤمن بك ولا بما جئت به قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلفوا في معناه فعن ابن عباس في رواية كثيرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك ابن مزاحم، وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء، وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال، وقال ابن جرير حدثنا ابن هشام الرفاعي حدثنا يحيى ابن يمان حدثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «الطوفان الموت» وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) وأما الجراد فهو مشهور وهو ما كثر لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد فقال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد، وروى الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر

كلمة تستعمل للشرط والجزاء ﴿تأتينا به من آية﴾ علامة ﴿لتسحرنا بها﴾ لثقلنا عما نحن عليه من الدين ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين

قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة ورجم فرعون مغلوباً أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتماذي في الشر فتابع الله عليهم الآيات، وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عاجل منهم بالآيات الأربع العصا واليد والسنين ونقص الثمار فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم فقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وطغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلهم لهم نعمة، ولقومي عظة، ولم يعدم آية وعبرة. فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة من الماء وركد الماء على أرضهم لا يقدر أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بغصة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حرومهم

وروى ابن طبيان عن ابن عباس قال: الطوفان أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) قال نوح الكوفة الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان. وقال أهل البصرة هو جرم واحد طوفانة فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان فأثبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت لهم قبل

عن النبي ﷺ قال « أحلت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد والكبد والطحال » ورواه أبو القاسم البغوي عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أبي تمام الايلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً مثله ، وروى أبو داود عن محمد بن الفرّج عن محمد بن زبرقان الهمداني عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال « أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه » وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب وأذن فيه ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي الهذلي حدثنا نصر ابن يحيى بن سعيد حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها ، أما الجراد فرجز وعذاب . وأما الكلوتان فلقرههما من البول ، وأما الضب فقال « أتخوف أن يكون مسخاً » ثم قال غريب لم أكتبه إلا من هذا الوجه وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتبهه ويحبه فروى عبد الله ابن دينار عن ابن عمر أن عمر سئل عن الجراد فقال ليت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين نأكله ، وروى ابن ماجه حدثنا احمد بن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال سمع أنس ابن مالك يقول كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الاطباق ، وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن يزيد القتيبي حدثني أبي عن صدى بن عجلان عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها عز وجل أن يطعمها لحماً لا دم لها فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شيع » وقال نعيم الشيبان الصوت

ذلك من الكلاً والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً فلم يؤمنوا وأقاموا شهرراً في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الابواب وسقوف البيت والحشب والثيراب والامتعة ومسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع ولم يصب بني اسرائيل شيء من ذلك ففجعوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى برز إلى الغضا فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يفوا بما عاهدوا وعادوا إلى أعمالهم السوء فأقاموا شهرراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا في القمل فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل السوس الذي يخرج من الحنطة . وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي : القمل الدبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة ، والدبى الصغار التي لا أجنحة لها ، وقال عكرمة هي بنات الجراد ، وقال أبو

وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا أبو بقي هشام بن عبد الملك المزني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير النخعي قال قال رسول الله ﷺ « لا تقاتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم » غريب جداً وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد) قال كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب ، وروى ابن عساکر من حديث علي بن زيد الفرائضي عن محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول خرجت الى الصحراء فاذا أنا برجل من جراد في السماء فاذا برجل راكب على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكلما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل الدنيا باطل ما فيها الدنيا باطل ما فيها الدنيا باطل ما فيها ، وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري حدثنا محمد بن الحسن بن زياد حدثنا أحمد بن عبد الرحيم أخبرنا وكيع عن الأعمش أنبأنا عامر قال سئل شريح القاضي عن الجراد فقال قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس . وعنقها عنق ثور . وصدرها صدر أسد . وجناحها جناح نسر . ورجلاها رجلا جمل . وذنبها ذنب حية . وبطنها بطن عقرب . وقدمنا عند قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم والسيارة) حديث حماد بن سلمة عن أبي ادق المهرم عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربه بالعصي ونحن محرمون فسلنا رسول الله ﷺ فقال « لا بأس بصيد البحر » وروى ابن ماجه عن هارون الحسائي عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علقمة وعن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم اهلك كبارهم واقتل صغارهم وافسد بيضهم واقطع دابرهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وارزاقنا إنك سميع الدعاء »

عبدة هو الحنّان وهو ضرب من القراد ، وقال عطاء الخراساني هو القمل ، وبه قرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم قالوا امر الله موسى أن يمشي إلى كتيب أعقر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكتيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتبع ما بقي من خروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلي . قلا . قال سعيد بن المسيب : القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم ، وأشعار عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء فدعا موسى عليه السلام فرفع الله القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا : ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم بمجعل الرمل دواب وقالوا : وعزة فرعون لا نتبعه أبداً ولا نصدقه فأقاموا شهراً في عافية فدعا موسى علياً

فقال جابر^(١) « يا رسول الله أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابرهم ؟ فقال « إنما هو ثمرة حوت في البحر » قال هشام أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت قال من حقق ذلك إن السمك اذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدأ للشمس أنه يفتس كله جراداً طياراً . وقدمنا عند قوله (الا أم أمثالكم) حديث عمر رضي الله عنه أن الله خلق ألف أمة ستمائة في البحر واربعمائة في البر وإن أولها هلاك الجراد، وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا عبد الرحمن بن قيس حدثنا سلم بن سالم حدثنا أبو المغيرة الجورجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ « لا وباء مع السيف ولا لواء مع الجراد » حديث غريب ،

وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة وعنه أنه الدبا وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود صفار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القمل البراغيث ، وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغني وهي التي عناها الإعشى بقوله :

قوم يعالج قملاً أبناهمو * وسلاسلأجداً وباباً موصدا

قال وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحنثان واحدتها حنثانة وهي صغار القردان فوق القممقامة . وقال الامام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل معي بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئاً خافوا أن يكون عذاباً فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فتؤمن لك ونرسل معك

السلام بعد ما أقاموا شهراً في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلات منها بيوتهم وأفنتهم وأطعمتهم وآنتهم فلا يكشف أحد اناء ولا ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فتركه الضفادع فتكون عليه ركماً حتي ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ويفتح فاه لا كاته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجينة إلا تشدخت فيه ، ولا يفتح قدراً إلا امتلات ضفادع ، فلقوا منها أذى شديداً ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف نفسها في القدور وهي تغلي وفي التناير ، وهي تغور فأنابها الله بحسن طاعتها برد الماء ، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا : هذه المرة نتوب إلى الله ولا نعود فأخذ عهودهم وموائيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام سبعا من السبت إلى السبت فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً ، وصارت مياههم دماً ، وما

(١) في النسخة المسكية:

فقال له خالد

بني اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت
 قبل ذلك من الزروع والثمار والكلأ فقالوا هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على
 الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا
 الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا
 معه بني اسرائيل فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو النوص
 الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها الا ثلاثة أقفزة فقالوا يا موسى
 ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا
 أن يرسلوا معه بني اسرائيل فيينا هو جالس عند فرعون إذ سمع تقيق ضفدع فقال لفرعون ماتلقني
 أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذفنه
 في الضفادع ويهم أن يتكلم فتشب الضفدع في فيه ، فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه
 الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل ^(١) فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم الدم فكانوا ما استقوا
 من الانهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دماً عبيطاً فشكوا إلى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا
 بالدم وليس لنا شراب فقال : انه قد سحركم ، فقالوا من أين سحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئاً
 من الماء إلا وجدناه دماً عبيطاً فأتوه وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل
 معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل ، وقد روي نحو
 هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف أنه أخبر بذلك
 وقال محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله : فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مغلولاً

(١) كذا في جميع
 النسخ وقد سقط منه :
 فدعا ربه فكشف
 عنهم الضفادع

يستقون من الآبار والانهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا : ليس لنا
 شراب فقال انه قد سحركم ، فقال القوم من أين سحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً
 عبيطاً ، وكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على الاناء الواحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء
 وما يلي القبطي دماً ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج الاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى كانت المرأة
 من آل فرعون تأتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائك فتصب لها
 من قربتها فيعود في الاناء دماً حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يحبه في في فتأخذ في فيها ماء فاذا
 محبته في فيها صار دماً ، وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة ، فاذا
 مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً فشكوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم . قال زيد بن
 أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه السلام وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف
 عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا
 فذلك قوله عز وجل (فأرسلنا عليهم الطوفان) ﴿ والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ﴾

ثم أبي إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات فأخذه بالسنين وأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصلات. فأرسل الطوفان وهو الماء، ففاض على وجه الأرض، ثم ركذ لا يقدرّون على أن يجرثوا ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بني إسرائيل) فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى إن كان لياكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمشي إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فائثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فسأل ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من أناء إلا عاد دماً عبيطاً.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي أنا النضر أنا إسرائيل أنا جابر بن يزيد عن عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال : لا تقتلوا الضفادع فإنها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوق في تنور فيه نار يطلب بذلك مرضاة الله فابدهن الله من هذا أبرد شيء يعلمه من الماء وجعل نقيتهن التسبيح ، وروي من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه : وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الزعاف . رواه ابن أبي حاتم

يقع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً (فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز) أي نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيرها . وقال سعيد بن جبير : الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد فامسوا وهم لا يتدافعون (قالوا) لموسى (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أوصاك ، وقال عطاء بما نبأك ، وقيل بما عهد عندك من أجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) وهو الطاعون (لنؤمنن لك ولترسلن معك بني إسرائيل)

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر وعن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد أسمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ، فقال أسامة بن زيد : قال رسول الله ﷺ « الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غفلين (١٣٦) وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشرق الارض ومغربها التي بركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧)

يخبر تعالى أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه ايامهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم باغراقه اياهم في اليم وهو البحر الذي فرقه لموسى فجأوزه وبني إسرائيل معه ، ثم ورد فرعون وجنوده على أثرهم فلما اسنكلوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها ، وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون وهم بنو إسرائيل مشارق الارض ومغربها كما قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين) وعن الحسن البصري وقناة في قوله (مشارق الارض ومغربها) التي باركنا فيها يعني الشام ، وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) قال مجاهد وابن جرير وهي قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقوله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانوا يعرشون)

بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »
قوله عز وجل ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغيوه ﴾ يعني الى العرق في اليم ﴿ إذا هم ينكثون ﴾ ينقضون العهد ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم ﴾ يعني البحر ﴿ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ أي عن النعمة قبل حلولها وقيل معناه عن آياتنا معرضين ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ يقهرون ويستذلون بذبح الابناء واستحياء النساء والاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿ مشارق الارض ومغربها ﴾ يعني مصر والشام ﴿ التي باركنا فيها ﴾ بالماء والاشجار والثمار والخصب والسعة ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل ﴾ يعني وتمت كلمة الله وهي وعده اياهم بالنصر والتمكين في الارض ، وذلك قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية ﴿ بما صبروا ﴾ على دينهم وعلى عذاب فرعون ﴿ ودمرنا ﴾ وأهلكنا ﴿ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ في أرض مصر من العمارات ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ قال مجاهد يبنون من البيوت والقصور . وقال

قال ابن عباس ومجاهد (يعرشون) يبنون :

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) إن هؤلاء متبره ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩)

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني اسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا فأتوا أي فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم . قال بعض المفسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من لحم . قال ابن جرير وكانوا يعبدون أصناما على صور البثر فلهذا آثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا (ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل (إن هؤلاء متبره ما هم فيه) أي هالك (وباطل ما كانوا يعملون) وروى الامام أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن اسحاق وعقيل ومعر كلهم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « قاتم والذي نفسي بيده كما قل قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبره ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن

الحسن : يعرشون من الاشجار والثمار والاعناب ، وقرأ أبو بكر وابن عامر يعرشون بضم الراء ههنا وفي النحل ، وقرأ الآخرون بكسرها

قوله تعالى ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ﴾ قال الكسبي عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكر الله عز وجل ﴿ فأتوا ﴾ فرروا ﴿ على قوم يعكفون ﴾ يقيمون ، قرأ حمزة والكسائي (يعكفون) بكسر الكاف ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿ على أصنام ﴾ أو ثان ﴿ لهم ﴾ يعبدونها من دون الله . قال ابن جرير : كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل . قال قتادة : كن أولئك القوم من لحم وكانوا نزولا بالركة ، فقالت بنو اسرائيل لما رأوا ذلك ﴿ قالوا ياموسى اجعل لنا إلها ﴾ أي مثالا نعبده ﴿ كما لهم آلهة ﴾ ولم يكن ذلك شكاً من بني اسرائيل في وحدانية الله ، وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونقترب بتعظيمه الى الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ عظمة الله ﴿ إن هؤلاء متبره ﴾

أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت يا نبي الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها ، فقال النبي ﷺ « الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم » أورده ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعا

قال أغير الله أبغىكم إلها وهو فضلكم على العالمين (١٤٠) وإذا أنجينكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١٤١) يذكركم موسى عليه السلام نعم الله عليهم من انقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا اليه من العزة والاشفاء من عدوهم والنظر اليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم تفسيرها في البقرة

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه

هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)

يقول تعالى ممثنا على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفصيل شرعهم فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة قال المفسرون

مهلك (ما هم فيه) والتبشير بالهلاك (وباطل) مضجحل وزائل (ما كانوا يعملون * قال) يعني موسى (أغير الله أبغىكم) أي أبغى لكم وأطلب (إلها وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم . أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر بن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلمي عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما كان لكفار ذات أنواط - وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها - فقال النبي ﷺ « الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم »

قوله عز وجل (وإذا أنجينكم) قرأ ابن عامر وإذا أنجاكم وكذلك هو في مصاحف أهل الشام (من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يقتلون أبناءكم) قرأ نافع يقتلون خفيفة التاء من القتل وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة (وأتممناها بعشر) من ذي الحجة (فتم ميقات ربه أربعين

فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكل العشرة أربعين وقد اختلف المفسرون في هذه العشرة ما هي فلا كثرون على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر عشر ذي الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جريج وروى عن ابن عباس وغيره فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكل الله الدين لمحمد ﷺ كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب إلى الطور كما قال تعالى (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن) الآية فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ووصاه بالإصلاح وعدم الفساد وهذا تنبيه وتذكير والاهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعيقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣)

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) وقد أشكل حرف ان ههنا على كثير ليلة وقال موسى عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة (لاخيه هارون اخلفني) كن خليفتي في قومي وأصلح أي أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله . وقال ابن عباس : يريد الرفق بهم والاحسان إليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي لا تطعم من عصي الله ولا توافقه على أمره ، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون ، فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم ثلاثين يوماً فلما تمت ثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب . وقال أبو العالبيه : أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال أما علمت أن خلوف فم العباثم أطيب عندي من ريح المسك وكانت فتنتهم في العشر التي زادها

قوله عز وجل (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) أي للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه قال أهل التفسير إن موسى تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما أتى طور سيناء وفي القصة أن الله عز وجل أنزل ظلمة على أربعة^(١) فراسخ وطرده عن الشيطان وطرده هوام الأرض ونهى عنه الملكين وكشط له

(١) في النسخة الهندية

من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأييد فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله تعالى إخباراً عن الكفار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقيل إنها لنفي التأييد في الدنيا جها بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة ، وقيل إن هذا الكلام في هذا المقام كالسكلام في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقد تقدم ذلك في الانعام وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام « يا موسى إنه لا يراني سمي الامات ولا يابس إلا تدهده » ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الأعمش عن رجل عن أنس عن النبي ﷺ قال لما تجلى ربه للجبل أشار بأصبعه فجعله دكا وأرانا أبو اسماعيل بأصبعه السبابة ، هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن ليث عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال « هكذا بأصبعه » ووضع النبي ﷺ أصبعه الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر « فساخ الجبل » هكذا وقع في هذه الرواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس كما قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا هبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال « ووضع الابهام قريباً من طرف خنصره » قال « فساخ الجبل » قال حميد لثابت يقول هكذا

السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكله الله وناجاه حتى سمعه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمعه ما كلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته ﴿ قال رب أدني أنظر إليك ﴾ قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك قال ابن عباس أعطني النظر إليك فان قيل كيف سأل الرؤية وقد علم ان الله تعالى لا يرى في الدنيا ؟ قال الحسن هاج به الشوق فسأل الرؤية وقيل سأل الرؤية ظناً منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لن تراني ﴾ وليس لبشر أن يطبق النظر الي في الدنيا من نظر الي في الدنيا مات قال الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك فقال الله عز وجل (لن تراني) ولكن انظر الى الجبل) وهو أعظم جبل بمدينة يقال له زبير قال السدي لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه وقال ان من كلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله عز وجل (لن تراني) وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية وقالوا قال الله (لن تراني) وان تكون للتأييد ، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية ان تراني في الدنيا أوفي الحال لانه كان يسأل الرؤية في الحال وان

فرجع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقول رسول الله ﷺ ويقول أنس وأنا أكتمه ؟ وهكذا رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو المثنى معاذ بن معاذ الغنوي حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله (فلما تجلى ربه للجبل) قال « قال هكذا » يعني انه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال نضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ يقول ما تريد اليه ؟ وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق عن معاذ بن معاذ به وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به ثم قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن طريق عن حماد بن سلمة به وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . رواه أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الحلال عن محمد بن علي بن سريد عن أبي القاسم البغوي عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لاعلة فيه وقد رواه داود بن المخبر عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعا وهذا ليس بشيء لأن داود بن المخبر كذاب رواه الحفاظ أبو القاسم الطبراني وأبو بكر ابن مردويه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريق ابن أبي عمير عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا ولا يصح أيضا رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) قال ما تجلى منه إلا قدر الخنصر (جملة دكا) قال ترايا (وخر موسى صعقا) قال مضيا عليه رواه ابن جرير وقال قتادة

لا تكون للتأبيد كقوله تعالى (وإن يمشوه أبدا) إخباراً عن اليهود ثم أخبر عنهم أنهم يتعنون الموت في الآخرة كما قال الله تعالى (ونادوا يامالك ليقتض علينا ربك) و (ياليتها كانت القاضية) والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجبل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أرى حتى تكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلق بما لا يستحيل . لا يكون محالا قال الله تعالى (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) قال وهب وابن اسحاق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله ملائكة السموات أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تتبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الاسود لهم جلب بالتسبيح والتقديس ففرزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسئلتني فهل ينجنني من مكاني الذي أنا فيه شيء ؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم

وخر موسى صعقاً قال ميتا وقال سفيان الثوري ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال سنيد عن حجاج بن محمد الاور عن أبي بكر الهذلي (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة وجاء في بعض الاخبار أنه ساخ في الارض فهو يهوى فيها الى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شديدة حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان السكتاني حدثنا عبدالعزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل فوقمت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور » وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي البلاح حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة بن رويم قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صامسا فلمما تجلى الله لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الربيع بن أنس (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكك وقال بعضهم جعله دكا أي فتته وقال مجاهد في قوله (ولما نظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فانه أكبر منك وأشد خلاقا (فلما تجلى ربه للجبل) فنظر إلى الجبل لا يملك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقاً وقال عكرمة جعله دكا قال نظر الله إلى الجبل فصار صخرأ ترابا وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف أن الصعق هو الغشي ههنا كما فسره ابن

أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال النور لهم قصف ورجف ولجب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم فاصطكت ركبته وارتعد قلبه واشتد بكأؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكأؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلب النار إذا سبجوا وقدسوا جاوبهم من كان

عباس وغيره لا كما فسرهم قتادة بالموت وان كان ذلك صحيحاً في اللغة كقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) فان هناك قرينة تدل على الموت كما أن هناك قرينة تدل على الغشي وهي قوله (فلما أفاق) والافاقة لا تكون الا عن غشي (قال سبحانه) تنزيهاً وتعظيماً واجلالاً أن يراه أحد في الدنيا الا مات وقوله (ثبت اليك) قال مجاهد أن أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال ابن عباس ومجاهد من بني إسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك أحد وكذا قال أبو العالية قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه ، وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ههنا أثراً طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم ، وقوله (وخر موسى صعقاً) فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ ، فاما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ههنا فقال حدثنا محمد بن يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل من اليهود الى النبي ﷺ قد لطم وجهه ، وقال يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الانصار لطم وجهي قال « ادعوه » فدعوه قال « لم لطمت وجهه ؟ » قال يا رسول الله اني مررت باليهودي فسمعتهم يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال ولى محمد؟ قال قلت وعلى محمد وأخذتني غصبة فلطمته قال « لا تخبروني من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور »

قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح رب العزة أبدا لا يموت ، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري أنفقت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ليس معه روحه فارسل الله برحمته الروح فتغشاها وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بك ربي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب وإله الآلهة وملك الملوك ولا يعد لك شيء ولا يقوم لك شيء رب ثبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى ﴿ فلما تجلجج به للجبل

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ومسلم في أحاديث الانبياء من صحيحه وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني الانصاري المدني عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري به . وأما حديث أبي هريرة فقال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال استب رجلان من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودي فلطمه فأنى اليهودي رسول الله ﷺ فسأله فأكبره فدعاه رسول الله ﷺ فاعترف بذلك فقال رسول الله ﷺ « لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى ممسك بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل » أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به ، وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الانصار وهذا هو اصح واصرح والله أعلم والسكلام في قوله عليه السلام « لا تخيروني على موسى » كالكلام على قوله « لا تفضلوني على الانبياء ولا على يونس بن متى » قيل من باب التواضع وقيل قبل أن يعلم بذلك ، وقيل نهى أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي والله أعلم ، وقوله « فان الناس يصعقون يوم القيامة » الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به ، وقد يكون ذلك اذا

جعله دكا (قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل جبل زبير وقال الضحاك أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور وقال عبدالله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى من عظمة الله للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية . وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل وحكي عن سهل ابن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا أي مستويا بالارض قرأ حمزة والكسائي دكا ممدودا غير منون هاهنا وفي سورة الكهف وافق عاصم في الكهف وقرأ الآخرون دكا مقصورا منونا فن قصر فعناه جعله مدقوقا والدك والدق واحد وقيل معناه دكه الله دكا أي فتقه كما قال (إذا دكت الارض دكا دكا) ومن قرأ بالمد أي جعله مستويا أرضا دكا وقيل معناه جعله مثل دكا وهي الناقة التي لاسنام لها قال ابن عباس جعله ترابا ، وقال شفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه . وقال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أي كسراً جبالا صغاراً ووقع في بعض التفسيرات صارت اعظمته ستة أجيل وقعت ثلاثا بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء قوله عز وجل ﴿ وخر موسى

جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلي للخلائق الملك الديان كما صعد موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام «فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصمة الطور» ، وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه الشفاء بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا قتادة حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ثم قال ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكأنه صحح هذا الحديث وفي صحته نظر ولا تخلو رجال اسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الى منتهاه والله أعلم

قال موسى إني اصطفيتك على الناس برسائتي وبقلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (١٤٤) وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ساوركم دار الفسقين (١٤٥)

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وكلامه ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ولهذا اختصه الله بأن يجعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته الى قيام الساعة واتباعه أكثر من اتباع الأنبياء كلهم وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل ثم موسى بن عمران كلهم الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى له (فخذ ما آتيتك) أي من الكلام والمناجاة (وكن من الشاكرين) أي على ذلك ولا تطلب مالا طاقة لك به ثم أخبر تعالى

صعقاً قال ابن عباس والحسن مغشياً عليه وقال قتادة ميتاً ، وقال الكلبي (خر موسى صعقاً) يوم يرم الحليس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر . قال الواقدي لما خر موسى صعقاً قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية ، وفي بعض الكتب أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشياً عليه فجعلوا يركونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة ﴿فلما أفاق﴾ موسى من صدقته وثاب اليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً عظيماً لا ينبغي له ﴿قال سبحانه﴾ تثبت اليك ﴿عن سؤال الرؤية﴾ وأنا أول المؤمنين ﴿بأنك لك ترى في الدنيا وقال مجاهد والسدي وأنا أول من آمن بك من بني اسرائيل

قوله تعالى ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي اخترتك ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو إني بفتح الياء وكذلك أخي أشدد ﴿برسالاتي﴾ قرأ أهل الحجاز برسائتي على التوحيد والآخرين بالجمع ﴿وبكلامي﴾ فخذ ما آتيتك ﴿أعطيتك﴾ وكن من الشاكرين ﴿لله﴾ على نعمه ، فإن قيل فما معنى

أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء قيل كانت الألواح من جوهر وأن

قوله (اصطفتيك على الناس برسالاتي) وقد أعطى غيره الرسالة ، قيل لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله (اصطفتيك على الناس) وإن شارك فيه غيره كما يقول الرجل خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً ، وفي القصة أن موسى كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات ، وقالت له امرأته : أنا لم أرك (١) منذ كلمت ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت : ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة ، قال ذلك لك إن لم تنزوجني بعدي فإن المرأة لا آخر أزواجها

(١) في النسخة الهندية
أنا أيم منك

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المزي أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا رشدين بن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه عن كعب الأحبار أن موسى نظر في التوراة فقال : اني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقاؤون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الدجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسى ، فقال رب اني أجد أمة هم الحمادون لله على كل حال رعاة الشمس المحمكون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة محمد ، فقال رب اني أجد أمة يأكلون كفايراتهم وصدقائهم ، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم ، الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة محمد ، فقال يارب اني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله ، فإذا هبط وأدبا حمد الله الصعید لهم ظهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة ظهورهم بالصعيد كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ، قال يارب اني أجد أمة إذا هم بأحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلاً ، وإن عملها كتبت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت له سيئة مثلاً فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة أحمد ، فقال رب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفتيتهم فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة أحمد ، قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً إلا من يرى الحساب مثل ما يرى له الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي ، قال هي أمة أحمد ، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمه قال : ياليتني من أصحاب محمد فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن (ياموسى اني اصطفتيك على الناس برسالاتي

الله تعالى كتب له فيها مواظ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس) وقيل الألواح أعطىها موسى قبل التوراة فـالله أعلم ، وعلى كل تقدير فكانت كالتعويض له عما سأل من الرؤيا ومنع منها والله أعلم (وقوله فخذها بقوة) أي يعزم على الطاعة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال سفيان بن عيينة ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه وقوله (سأريكم دار الفاسقين) أي سترون عاقبة من خالف أمرني وخرج عن طاعتي وبكلامي — إلى قوله — سأريكم دار الفاسقين * ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضاء

قوله تعالى ﴿وكتبنا له﴾ يعني لموسى ﴿في الألواح﴾ قال ابن عباس يريد ألواح التوراة ، وفي الحديث كانت من صدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً ، وجاء في الحديث «خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده» وقال الحسن : كانت الألواح من خشب ، قال الكلابي كانت من زبرجدة خضراء ، وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوت أحمر ، وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من برد ، وقال ابن جريج كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور . قال وهب أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده وسجع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى : وقال مقاتل ووهب (وكتبنا له في الألواح) كمنقش الخاتم . وقال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهي سبعون وقرعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأه إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسي . وقال الحسن : هذه الآية في التوراة ألف آية ، يعني وكتبنا له في الألواح ﴿من كل شيء﴾ مما أمروا به ونهوا عنه ﴿موعظة﴾ نهيًا عن الجبل وحققة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ أي تبيناً لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿فخذها بقوة﴾ أي بجهد واجتهاد ، وقيل بقوة القلب وصحة العزيمة لأنه إذا أخذه بضعف النية أداه إلى الفتور ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ، ويتدبروا أمثالها ، ويعملوا بمحكمها ، ويقفوا عند متشابهها ، وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه فأمر بما لم يؤمروا به . قال قطرب (بأحسنها) أي بحسنها وكلها حسن ، وقيل أحسنها الفرائض والنوافل وهي ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه لا يستحق عليه الثواب ، وقيل (بأحسنها) بأحسن الأمرين في كل شيء . كالغفو أحسن من القصاص ، والصبر أحسن من الانتصار ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ قال مجاهد : مصيرهم في الآخرة ، قال الحسن وعطاء يعني جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم . وقال قتادة (م) ٧٠ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣

يا الله العجب من
الذين تناقلوا هذه
الخرافات الاسرائيلية
ألم تكن عقولهم تدرك
ان منها ما هو محال ؟ أو
لم يضمنوا بأعمالهم
وأعمار الناس الذين
شغلهم بها

كيف يصير الى الهلاك والدمار والتهاب قال ابن جرير وإنما قال (سأريكم دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غداً الى ما يصير اليه حال من خالف امرئ على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف امره، نقل معنى ذلك عن معجمه والحسن البصري وقيل معناه (سأريكم دار الفاسقين) أي من أهل الشام واعطيكم إياها وقيل منازل قوم فرعون والاول أولى والله أعلم لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم .

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غفلين (١٤٦) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧)

يقول تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) أي سأمنع فهم الحجج والادلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس بغير حق أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال بعض السلف لا ينال العلم حيي ولا مستكبر وقال آخر من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً . وقال سفيان بن عيينة في قوله (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي قال ابن جرير وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة . قلت ليس هذا بل لازم لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم . وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) كما قال تعالى (إن الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم

وغيره : سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها ، وقال عطية العوفي أراد دار فرعون وقومه وهي مصر يدل عليه قراءة قسامة بن زهير (سأورثكم دار الفاسقين) مصارع الكفار . وقال الكلبي : ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي ، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) قال سفيان ابن عيينة سأمنعهم فهم القرآن ، قال ابن جريج يعني عن خلق السموات والأرض وما فيها أصرفهم أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ، وقيل حكم الآية لأهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسم

كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقوله (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) أي وان ظهر لهم سبيل الرشداً أي طريق النجاة لا يسلكوها وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً ثم علل مصيرهم الى هذه الحال بقوله (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أي كذبت بها قلوبهم (وكانوا عنها غافلين) أي لا يعلمون شيئاً مما فيها وقوله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) أي من فعل منهم ذلك واستمر عليه الى الممات حبط عمله وقوله (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أي انما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسافوها إن خيراً فخير وان شراً فشر وكما تدين تدان

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨) ولما أسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويفقر لنا لنكونن من الخسرين (١٤٩)

يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذ له السامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم فشكل لهم منه عجلاً ثم القى فيه القبض من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلاً جسداً له خوار والحوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول تعالى إخباراً عن نفسه الكريمة قال (فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري) وقد اختلف المفسرون

التي أعطاه الله تعالى موسى والآخرين على أن الآيات عامة ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا ﴾ يعني هؤلاء المتكبرين ﴿ سبيل الرشداً ﴾ قرأ حمزة والكسائي الرشداً بفتح الراء والشين ، والآخرين بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالسقم والسقم ، والبخل والبخل ، والحزن والحزن وكان أبو عمرو يفرق بينهما فيقول الرشداً بالضم الإصلاح في الامر ، وبالفتح الاستقامة في الدين ، ومعنى الآية وإن يروا طريق الهدى والسداد ﴿ لا يتخذوه ﴾ لانفسهم سبيلاً ﴿ وإن يروا سبيل الغي ﴾ أي طريق الضلال ﴿ يتخذوه سبيلاً ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أي ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ بطلت وصارت كأن لم تكن ﴿ هل يجزون ﴾ في العقبي ﴿ إلا ما كانوا ﴾ أي إلا جزاء ما كانوا ﴿ يعملون ﴾ في الدنيا

قوله تعالى ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿ من حليهم ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون ، قرأ حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء ، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام خفيف اتخذ السامري منها ﴿ عجلاً ﴾ وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فتحول

في هذا العجل هل صار لحماً ودماً له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر على قوانين والله أعلم ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله واقتنوا به وقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسي قال الله تعالى (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعا) وقال في هذه الآية الكريمة (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال كما تقدم من رواية الامام أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «حبك الشيء يعني ويصم» وقوله (ولما سقط في أيديهم) أي ندموا على ما فعلوا (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا) وقرأ بعضهم لئن لم ترجعنا بالتاء المثناة من فوق (ربنا) منادى (ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) أي من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبيهم واتجاء إلى الله عز وجل

ولما رجع موسى إلى قومه غضبين أسفاً قال بثسماً خلفتموني من بعدي أعجلتم أمراً ربكم؟ وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجمعاني مع القوم الظالمين (١٥٠) قال ربي اغفر لي ولا تخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١)

عجلاً (جسداً) حياً لحماً ودماً له خوار وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة أهل التفسير، وقيل كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه كان يسمع منه صوت، وقيل كان صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج والاول أصح، وقيل إنه ماخار إلا مرة واحدة، وقيل إنه كان يخور كثيراً فكلمه خار سجدوا له، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي (ألم يروا) يعني الذين عبدوا العجل (أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) قال الله عز وجل (اتخذوه كانوا ظالمين) أي اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين (ولما سقط في أيديهم) أي ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر قد سقط في يديه (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا) يتب علينا ربنا (ويغفر لنا) يتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) قرأ حمزة والكسائي ترجعنا وتغفر لنا بالتاء فيها ربنا بنصب الباء وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليه

قوله تعالى (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) قال أبو الدرداء: الأسف شديد الغضب

ينبهر تعالى أن موسى عليه السلام رجع الى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب (قال بثسما خلفتموني من بعدي) يقول بثس ماصنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتهم ، وقوله (أعجلتم أمر ربكم) يقول استعجلتم مجيئي اليكم وهو مقدر من الله تعالى وقوله (والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه) قيل كانت الألواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من برد وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث « ليس الخبر كالمعاينة » ثم ظاهر السياق أنه إنما القى الألواح غضبا على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا ، وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح اسناده الى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة وقوله (وأخذ برأس أخيه يجره اليه) خوفاً أن يكون قد قصر في نهيمهم ، قال في الآية الأخرى (قال يهارون مامنك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمري * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي *) أي خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي (وقال هاهنا (ابن أم أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي لا تسوقي سياقتهم وتجعلني معهم وإنما قال « ابن أم » ليكون أرق وأنجم عنده والا فهو شقيقه لآبيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة

وقال ابن عباس والسدي : أسفاً أي حزينا والأسف أشد الحزن ﴿ قال بثسما خلفتموني من بعدي ﴾ أي بثس ماصنعتم بعد ذهابي يقال خلفه بخير أو بشر اذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً ﴿ أعجلتم ﴾ أسبقتم ﴿ أمر ربكم ﴾ قال الحسن وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة . وقال الكلبي أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم ﴿ وألقى الألواح ﴾ التي فيها التوراة وكانت حاملاً لها وألقاها على الأرض من شدة الغضب . قالت الرواة كانت التوراة سبعة أسباع ، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة والاحكام والحلال والحرام ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ بذوائبه ولحيته ﴿ يجره اليه ﴾ وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني اسرائيل من موسى لأنه كان لين الغضب ﴿ قال ﴾ هارون عند ذلك ﴿ ابن أم ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام ههنا وفي طه بكسر الميم يريد يا ابن أمي لخذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله ياعباد ، وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أمه ، وقيل جعله اسماً واحداً وبناء على الفتح كقولهم حضر موت وخمسة عشر ونحوها ، وإنما قال ابن أم وكان هارون أخاه لآبيه وأمه أيرقفه ويستعطفه ، وقيل كان أخاه لأمه دون أبيه ﴿ إن القوم استضعفوني ﴾ يعني عبدة العجل ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ هموا وقاربوا أن يقتلونني فلا ﴿ تشمت بي الأعداء ولا تجعلني ﴾ في مؤاخذتك علي ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ يعني عبدة العجل ﴿ قال ﴾

ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري) فعند ذلك (قال) موسى (رب اغفر لي ولا أخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا عفان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «يرحم الله موسى ليس المعادين كالخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعانينهم القى الألواح»

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي

المفترين (١٥٢) والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها

لغفور رحيم (١٥٣)

أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما تقدم في سورة البقرة (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة وصغارا في الحياة الدنيا وقوله وكذلك نجزي المفترين) نائلة لكل من افترى بدعة فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على اكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم الهراذين. وهكذا روى أيوب السخيتاني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية (وكذلك نجزي المفترين) فقال هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة وقال سفيان ابن عيينة كل صاحب بدعة ذليل، ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو

موسى لما تبين له عذر أخيه ﴿رب اغفر لي﴾ ما صنعت إلى أخي ﴿ولاخي﴾ أن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل ﴿وأدخلنا﴾ جميعاً ﴿في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ قوله تعالى ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ أي اتخذوه إلهاً ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ في الآخرة ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ قال أبو العالية: هو ماأمروا به من قتل أنفسهم، وقال عطية العوفي (إن الذين اتخذوا العجل) أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ غيرهم بصنيم آبائهم فاسبه اليهم (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ الكاذبين. قال أبو قلابة هو والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله، قال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة

شفاق ولهذا عقب هذه القصة بقوله (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك) أي يا محمد يا رسول التوبة ونبي الرحمة (من بعدها) أي من بعد تلك الفعل (لغفور رحيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا أبان ثنا قتادة عن عزرة عن الحسن العربي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) فتلاها عبد الله عشر مرات فلم يأمر بها ولم ينههم عنها

ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم

لربهم يرهبون (١٥٤)

يقول تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب) أي غضبه على قومه (أخذ الألواح) أي التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة لله وغضباً له (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يقول كثير من المفسرين إنها لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجد فيها هدى ورحمة، وأما التفصيل فذهب وزعموا أن رضاها لم يزل موجوداً في خزائن الملوك لبني اسرائيل إلى الدولة الاسلامية والله أعلم بصحة هذا وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا عداها باللام، وقال قتادة في قوله تعالى (أخذ الألواح) قال رب أني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب أني أجد في الألواح أمة هم الآخرون أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب أني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحد أمن الامم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال

قوله عز وجل (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) قوله تبارك وتعالى ﴿ ولما سكنت ﴾ أي سكن ﴿ عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ التي كان ألقاها وقد ذهبت ستة أسباعها ﴿ وفي نسختها ﴾ اختلفوا فيه ، قيل أراد بها الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ ، وقيل إن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله (وفي نسختها) وقيل أراد وفيما نسخ منها ، وقال ابن عباس وعمر بن دينار : لما ألقى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوماً فرددت عليه في لوحين فكان فيه ﴿ هدى ورحمة ﴾ أي هدى من الضلالة ورحمة من العذاب ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ أي للخائفين من ربهم واللام

رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فصول الضلالة حتى يقاثلون الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبات منه بعث الله ناراً فأكلتها وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطيور وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم قال رب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعائة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفوعون والشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد

واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإني أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين (١٥٥) * وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختار سبعين رجلاً فبرزهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله قالوا اللهم : اعطنا ما لم تعط

في ربهم زيادة للتوكيد كقوله (ردف لكم) وقال الكسائي : لما تقدمت قبل الفعل حسنت كقوله (للرويا تعبرون) قال قطرب أراد من ربهم يرهبون ، وقيل أراد راهبون لربهم

قوله تعالى ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أي من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة ﴿ سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل . قال السدي : أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً ﴿ فلما ﴾ أتوا ذلك المكان (قالوا لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) فأتوا . وقال ابن اسحاق : اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل . وقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب ﴿ أخذتهم الرجفة ﴾ لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر . وقال ابن عباس : إن السبعين الذين قالوا لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا أن قالوا : اللهم اعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا . فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم

أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا فنكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) الآية وقال السدي إن الله أمر موسى أن يأتيه في ثلاثين من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) على عينيه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المسكان قالوا (ان تؤمن لك) يا موسى (حتي نرى الله جهرة) فأذكك قد كلمته فأرنا (فأخذتهم الصاعقة) فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسالوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بأذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتي تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلم الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتي إذا دخلوا وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا يا موسى (ان تؤمن لك حتي نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة) وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) قد سففوا ، أفهلك من ورائي من بني إسرائيل

وقال سفیان الثوري حدثني أبو اسحاق عن عمارة بن عبيد الساولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انطلق موسى وهارون وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله عز وجل فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله عز وجل قالوا أنت تلتاه حسدنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاخترنا من شئتم قال فاخترنا سبعين رجلاً قال فذلك قوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) فلما انتهوا إليه قالوا يا هارون من قتلنا ماقتلني أحد ولكن توفاني الله قالوا يا موسى لن تعصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى عليه السلام

الرجفة . قال وهب : لم تكن تلك الرجفة صوتاً ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتي كادت أن تبين منهم مفاصلهم ، فلما رأى موسى ذلك رحيمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله عز وجل (قال) يعني موسى (رب لو

يرجع بمننا وشمالا وقال يارب (لوشئت أهلكهم من قبل وإياي) أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال فأحبهم الله وجهلهم أنبياء كلهم هذا أثر غريب جداً وعمارة بن عبيد هذا لا أعرفه وقد رواه شعبة عن أبي اسحق عن رجل من بني سلول عن علي فذكره وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جرير أنهم أخذتهم الرحمة لأنهم لم يزايلوا قومهم في عبادتهم العجل ولا نهوهم ويتوجه هذا القول بقول موسى (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) وقوله (إن هي إلا فتنتك) أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وأبو العالية والربيع ابن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف ، ولا معنى له غير ذلك ، يقول إن الأمر الأمر وأن الحكم إلا لك فما شئت كان . تضل من تشاء وتهدي من تشاء ولا هادي لمن أضلت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فالملك كله لك والحكم كله لك ، لك الخلق والأمر وقوله (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) المفر هو السر وترك المؤاخاة بالذنب . والرحمة إذا قرنت مع الغفر يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل (وأنت خير الغافرين) أي لا يغفر الذنوب إلا أنت (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) الفصل الأول من الدعاء دفع المحذور وهذا التحصيل المقصود (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) أي أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة ، وقد تقدم تفسير الحسنة في سورة البقرة (أنا هدنا إليك) أي تبنا ورجعنا وأبنا إليك قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد وأبو العالية والضحاك وإبراهيم التيمي والسدي وقتادة وغير واحد وهو كذلك لغة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال إنما سميت اليهود لأنهم قالوا (إنا هدنا إليك) جابر بن يزيد الجعفي ضعيف قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون

ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦)

شئت أهلكهم من قبل يعني عند عبادة العجل وإياي بقتل القبطي أهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وظن موسى أنهم عوقبوا باتخاذ بني إسرائيل العجل وقال هذا على طريق السؤال يسأل أهلكنا بفعل السفهاء ، وقال المبرد قوله : أهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا ، وقد علم موسى عليه السلام أن الله أعلم من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره ، قوله تعالى ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك أضلت بها قومًا فافتنوا وهديت قومًا فمعصمتهم حتى ثبتوا على دينك فذلك هو معنى قوله ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا﴾ ناصرنا وحافظنا ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ واكتب لنا ﴿أوجب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ النعمة والعافية ﴿وفي الآخرة﴾ أي وفي الآخرة حسنة أي المنفرة والجنة ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا إليك ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ من خلقي

سورة الاعراف : ٧ جزء ٩ رحمة الله في الدنيا جزء من مئة جزء من رحمته في الآخرة ٥٦٣

يقول تعالى مجيباً لنفسه في قوله (ان هي الا فتنةك) الآية قال (عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو ، وقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) آية عظيمة الشمول والعموم كقوله تعالى اخباراً عن جملة العرش ومن حوله انهم يقولون (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي عبد الله الجشمي حدثنا جندب هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلمها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقلمها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني وحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً فقال رسول الله ﷺ « أتقولون هذا أضل أم بعيره ألم تسمعوها ما قال ؟ » قالوا بلى قال « لقد حظرت رحمة واسعة إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتماطف بها الخلق جنبها وانسها وبها ثمنها وآخر عنده تسعا وتسعين رحمة أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ » رواه احمد وأبو داود عن علي بن نصر عن عبد الحميد بن عبد الوارث به ، وقال احمد أيضا حدثنا يحيى ابن سعيد عن سليمان عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي ﷺ قال « ان الله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وآخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة » تفرد باخراجه مسلم فرواه من حديث سليمان هو ابن طرخان وداود بن أبي هند كلاهما عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان هو الفارسي عن النبي ﷺ به ، وقال الامام احمد حدثنا عثمان حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندهم واحدة يتراحمون بها بين الجن والانس وبين الخلق فاذا كان يوم القيامة ضمها » اليه تفرد به احمد من هذا الوجه وقال احمد حدثنا عثمان حدثنا عبد الواحد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « لله مائة رحمة فقسم منها جزءا واحداً بين الخلق به يتراحم الناس والوحش والطير » ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعمش به ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الفاجر في دينه الا بحق »

(ورحمتي وسعت كل شيء) أي عمت كل شيء قال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة ، قال عطية العوفي (وسعت كل شيء) ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك أن الكافرين يرزقون ويدفع عنهم بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيشون فيها ، فاذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراج به . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج : لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء ، قال ابليس أنا

في معيشتة والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها ابليس رجاء أن تصيبه . هذا حديث غريب جدا وسعد هذا لا أعرفه ، وقوله (فسأكتبها للذين يتقون) الآية يعني فسأوجب حصول رحمتي منة مني واحسانا اليهم كما قال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقوله (للذين يتقون) أي سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ (الذين يتقون) أي الشرك والعظائم من الذنوب قوله (ويؤتون الزكاة) قيل زكاة النفوس وقيل الاموال ويحتمل أن تكون عامة لهما فان الآية مكية (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي يصدقون

الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبثات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون (١٥٧)

(الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الانبياء بشروا أممهم ببعثه وأمرهم بتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم . كما روى الامام أحمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الاعراب . قال جلبت حلوبة الى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلا سمعن منه قال فتلقياني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله ﷺ أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه هكذا أي لا فقال ابنه أي والذي أنزل التوراة انا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأني أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أنك رسول الله فقال « أقيموا اليهودي عن أخيك » ثم تولى كفته والصلاة عليه هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس ، وقال الحاكم صاحب المستدرک أخبرنا محمد بن

من ذلك الشيء ، فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فتمناها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن فجعلها الله لهذه الامة فقال ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الامي ﴾ الآية . قال نوف البكالي الحيري لما اختار موسى قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى : أجعل لكم الارض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدرتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر ، وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير ، فقال ذلك موسى لقومه ، فقالوا لا نريد

عبد الله بن اسحاق البغوي حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن ادريس حدثنا عبد الله بن إدريس عن شرحبيل بن مسلمة عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة ابن الاهيم الغساني فدخلنا عليه فاذا هو على سرير له فارس الينا برسوله نكلمه فقلنا والله لا نكلم رسولا وانما بعثنا الى الملك فان أذن لنا كامناه والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فاخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام فاذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك ؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا ومجلسك هذا والله لنأخذنه منك ولناخذن ملك الملك الاعظم ان شاء الله أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال « لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل فكيف صومكم ؟ فاخبرناه فليء وجهه سواداً فقال قوموا ويصت معنا رسولا الى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فان شئتم حملناكم على براذين وبغال قلنا والله لا ندخل الا عليها فارسلوا الى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن ندخل على رواحلنا فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا الى غرفة له فانحنوا في أصابها وهو ينظر الينا فقلنا لا إله الا الله والله أكبر فأنه يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح . قال فأرسل الينا ليس لكم أن تبهروا علينا بدينكم وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمر فدنونا منه فضحك فقال ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم ؟ واذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا أن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها قال كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا السلام عليك قال فكيف تحيرون ملككم ؟ قلنا بها قال فكيف يرد عليكم ؟ قلنا بها قال فما أعظم كلامكم ؟ قلنا لا إله الا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها قال فهذه الكلمة التي قاتموها حيث انتفضت الغرفة كلها قاتموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم قلنا لا مارأيناها فعلت هذا فإني لا أعنيك قال لوددت انكم كما قاتمتم تنفض كل شيء عليكم وأني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم ؟ قال لانه كان أيسر

أن نصلي إلا في الكنائس ، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا ، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً فقال الله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة — إلى قوله — أولئك هم المفلحون) فجعلها الله لهذه الامة ، فقال موسى عليه السلام : يارب اجعلني منهم ^(١) فقال انك ان تدرهم ، فقال موسى عليه السلام : يارب أتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وقادتنا لغيرنا ؟ فأنزل الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فرضي موسى قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) وهو محمد ﷺ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو

(١) في النسخة الهندية

لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس، ثم سألنا عما اراد فأخبرناه ثم قال كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه فقال قوموا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقننا ثلاثا فأرسل اليها ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فاعدناه ثم دعا بشيء، كهيئة الربة العظيمة مذهبة فيها بيوت صفار عليها أبواب ففتح بيتا وقفلا فاستخرج حريرة سوداء فنشرناها فاذا فيها صورة حراء وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله فقال أتعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشمس القطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يبتسم فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا ابراهيم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاذا فيه صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله ﷺ فقال أتعرفون هذا؟ قلنا نعم هذا محمد رسول الله ﷺ قال وبكىنا قال والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس، وقال والله إنه لهو قلنا نعم إنه لهم كأنك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال إما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لا أنظر ما عندكم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فاذا فيها صورة آدماء سحماء وإذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان متفلس الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا موسى عليه السلام وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبل^(١) فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا هارون بن عمران عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا لوط عليه السلام، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة أقوى خفيف العارضين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا اسحاق عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة تشبه اسحاق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا يعقوب عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقوى الأنف حسن القامة يعاى وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب إلى الحمرة قال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا اسماعيل جد نبيكم ﷺ ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس فقال هل تعرفون

(١) القبل بفتح الحاء
إقبال سواد العين على
الانقباض أو مثل الحول
أو احسن منه أو إقبال
أحدى الحدقتين على
الأخرى أو إقبالهما على
عرض الانقباض أو على
الحجر أو على
الحاجب أو قاموس

نبيكم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب وقال النبي ﷺ «أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» وهو منسوب إلى الام أي هو على ما ولدته أمه، وقيل هو منسوب إلى أمته أصله أمي وسقطت الاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني، وقيل هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة الذي يجدونه في أي يجدون صفته ونعته ونبوته ﴿مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل﴾

هذا قلنا لا قال هذا يوسف عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل أحمش الساقين أخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قل هذا داود عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرساً فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا سليمان بن داود عليها السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا شاب شديد سواد الوجه كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، قلنا من أين لك هذه الصور لا نعلم أنها على ما صورت عليه الانبياء عليهم السلام لا نأينا صورة نبينا عليه السلام مثله فقال أن آدم عليه السلام سأل ربه أن يرهبه الانبياء من ولده فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال ، ثم قال اما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي وإني كنت عبداً لأشركم ما بكه حتى أموت ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا وما أجازنا قال فبكي أبوبكر ، وقال مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم ، وهكذا أورده الحافظ الكبير أبوبكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم أجازة فذكره واسناده لا بأس به .

وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة كهصفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين أنت عبدني ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ وان يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوب أغلفاء آذاناً صاماً وأعيناً عمياً . قل عطاء ثم لقيت كعباً فسأله عن ذلك فما اختلف حراً إلا أن كعباً قال بلغته قال قلوباً غلوفاً وآذاناً صاماً وأعيناً عمياً ورواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكره باسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيدة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو ثم قال ويقع في كلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال بن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال : أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين أنت عبدني ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع بالسيدة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ويصفح وان يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله

كثير من السلف اطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب وقد ورد في بعض الاحاديث ما يشبه هذا والله أعلم ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا موسى بن هارون حدثنا محمد بن ادريس بن وراق بن الحميدي حدثنا محمد بن عمر بن ابراهيم من ولد جبير بن مطعم قال حدثني أم عثمان بنت سعيد وهي جدي عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال خرجت تاجرا الى الشام فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال هل عندكم رجل نبي اقلت نعم قال هل تعرف صورته اذا رأيته اقلت نعم فأدخلني بيتا فيه صور فلم أر صورة النبي ﷺ فبينما أنا كذلك اذ دخل رجل منهم علينا فقال فيم أنتم فأخبرناه فذهب بنا الى منزله فساعة ما دخلت نظرت الى صورة النبي ﷺ واذا رجل أخذ بعقب النبي ﷺ قلت من هذا الرجل القابض على عقبه قال انه لم يكن نبي الا كان بعده نبي الا هذا النبي فانه لا نبي بعده وهذا الخليفة بعده واذا صفة أبي بكر رضي الله عنه ، وقال أبو داود حدثنا عمر بن حفص أبو عمر والضريمر حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن اياس الجريري أخبرهم عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن الاقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال بعثني عمر الى الاسقف فدعوته فقال له عمر هل تجدني في الكتاب قال نعم قال كيف تجدني قال أجذك قرنا فرقم عمر الدرة وقال قرن مه قال قرن حديد أمير شديد قال فكيف تجد الذي بعدي قال أجد خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا قل كيف تجد الذي بعده قال أجد صدا حديد قال فوضع عمر يده على رأسه وقال يادفراه يادفراه قال يأمر المؤمنين انه خليفة صالح واسكنه يستخلف حين يستخلف والسيوف مسلولة والدم مهباق وقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة وهكذا كانت حاله عليه السلام

ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة . وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن ابن سلام أخبرنا الامام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي حمزة عن الاعمش عن أبي صالح عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال : اني أجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديتهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام

قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف) أي بالايان (وينهاهم عن المنكر) يعني عن الشرك ، وقبل المعروف الشريعة والسنة ، والمنكر مالا يعرف في شريعة ولا سنة . وقال عطاء : يأمرهم بالمعروف

لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ، ومن أم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الامر بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر هو العقدي عبد الملك بن عمرو حدثنا سلمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « اذا سمعتم الحديث غني تصرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به واذا سمعتم الحديث غني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » رواه الامام أحمد رضي الله عنه بإسناد جيد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ، وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه قال اذا سمعتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهدي والذي هو أهنأ والذي هو أنقى ثم رواه عن يحيى عن ابن سعيد عن مسهر عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال اذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهداه وأهنأه وأنقاه ، وقوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم ويحرم عليهم الخبائث قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلهم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى . قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المآكل فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتقبيح العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له وكذا احتج بهما من ذهب من العلماء الى أن المرجع في حل المآكل التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها الى ما استطابته العرب في حال رفاهيتها وكذا في جانب التحريم الى ما استخبطته وفيه كلام طويل أيضا ، وقوله (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي انه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن

بخلع الانداد ومكارم الاخلاق ، وصلة الارحام ، وبيناهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ يعني ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ يعني الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيرها من المحرمات ﴿ ويضع عنهم إصرهم ﴾ قرأ ابن عامر آصارهم بالجمع والأصر كل ما يثقل على الانسان من قول أو فعل . قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد : يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني اسرائيل بالعمل بما في التوراة . وقال قتادة : يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين ﴿ والأغلال ﴾ يعني الاثقال

رسول الله ﷺ أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال ﷺ لا ميري به معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن « بشرا ولا تنفرا ربسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تخلفا » وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي أني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم فوسم الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله ﷺ « ان الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » وقال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ولهذا قال أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واعف لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وثبت في صحيح مسلم ان الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه قد فعلت قد فعلت ، وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) أي عظموه ووقروه وقوله (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن والوحي الذي جاء به مبالغا إلى التامس (أولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨)

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل) يا محمد (يا أيها الناس) وهذا خطاب للاحمر والاسود والعربي والعجمي (إني رسول الله إليكم جميعا) أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ انه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى (قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لا أنذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانه عليك البلاغ) والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الاسلام

(التي كانت عليهم) وذلك مثل قتل النفس في التوراة (١) وقطع الاعضاء الخاطئة ، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت ، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكمائس وغير ذلك من الشدائد شبيهت بالاغلال التي تجمع اليد إلى العنق (فالذين آمنوا به) أي بمحمد ﷺ (وعزروه) وقروه (ونصروه) على الاعداء (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن (أولئك هم المفلحون)

(١) في الهندية :

في التوبة

قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله

ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى الناس كلهم قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالوا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زيد حدثني بشر بن عبيد الله حدثني ابو ادريس الخولاني قال سمعت ابا الدرداء رضي الله عنه يقول: كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر الى رسول الله ﷺ فقال ابو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ « اما صاحبكم هذا فقد غامر » أي غاضب وحاقد قال وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر قال أبو الدرداء فغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لأننا كنتم أظلم فقال رسول الله ﷺ « هل أنتم تاركوك لي صاحبي؟ أي قلت يأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت » انفرد به البخاري وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله غفرا بعثت إلى الناس كافة الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخترتها لأمي يوم القيامة فهي لمن لا يشرك بالله شيئا » اسناد جيد ولم يخرجوه وقال الامام احمد أيضا حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهاد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف اليهم فقال لهم « لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيتن أحد قبلي أما أنا فارسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لم يمني رعبا وأحللت لي الغنائم أكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا أينما أدرتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم والخامسة هي ما هي قيل لي سل فان كل نبي قد سأل فأخترت مسألتني إلى يوم القيامة فهي ليكم ولمن شهد أن لا إله الا الله » اسناد جيد قوي أيضا ولم يخرجوه ، وقال أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « من سمع بي من أمي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة » وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا

إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴿ أي آياته وهي القرآن

أبو يونس وهو سليمان بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «والذي نفسي بيده لا يجمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» تفرد به أحمد وقال الأمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإنني قد اختبأت شفاعة ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً» وهذا أيضاً اسناد صحيح ولم أرهم خرجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضاً وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضاً من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا لم يهطم من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة» وقوله (الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت) صفة الله تعالى في قول رسول الله ﷺ «إن الذي أرسلاني هو خالق كل شيء وربهم ومليك الذي بيده الملك والأحياء والميتة وله الحكم» وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أصروهم باتباعه والإيمان به (النبي الأمي) أي الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة فإنه منعوت بذلك في كتبهم ولهذا قال (النبي الأمي) وقوله (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي يصدق قوله وعمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه (وآتبعوه) أي اسلكوا طريقته واقتفوا أثره (اعلمكم تهتدون) أي إلى الصراط المستقيم.

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩)

يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم

وقال مجاهد والسدي : يعني عيسى ابن مريم ويقرأ (وكلمته ألقاها إلى مريم) ﴿ واتبعوه لعالم تهتدون ﴾ قوله عز وجل ﴿ ومن قوم موسى ﴾ يعني من بني إسرائيل ﴿ أمة ﴾ أي جماعة ﴿ يهدون بالحق ﴾ أي يرشدون ويدعون إلى الحق ، وقيل معناه يهتدون ويستقيمون عليه ﴿ وبه يعدلون ﴾ أي بالحق يحكمون وبالعادل يقومون . قال الكلبي والضحاك والربيع : هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على

مرتين بما صبروا) الآية وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به)
 الآية وقال تعالى (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون
 سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للاذقان يبيكون ويزيدهم خشوعا) وقد ذكر ابن
 جرير في تفسيرها خبراً عجيباً فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله
 (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا
 وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم
 ففتح الله لهم نفقاً في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين
 يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا
 الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغيفا) ووعد الآخرة عيسى ابن مريم قال ابن جريج قال
 ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا وقال ابن عيينة عن صدقة أبي الهذيل عن السدي (ومن قوم
 موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد

وقطعناهم اثني عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقى قومه أن يضرب

بعضاك الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغم
 وأنزلنا عليهم المن والسكوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
 يظلمون (١٦٠) واذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
 وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئتهم سنزيد المحسنين (١٦١) فبذل الذين ظلموا منهم
 قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢)

نهر مجرى الرمل يسمى نهر أوداف ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمحطون بالليل ويصحون
 بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا أحد وهم على دين الحق ، وذكر أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي
 ﷺ ليلة أسري به اليهم فكلهم فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا لا ، فقال لهم
 هذا محمد النبي الامي فآمنوا به ، فقالوا يارسول الله : إن موسى أوصانا أن من أدرككم منكم أحد فليقرأ
 عليه مني السلام ، فرد النبي ﷺ عليه وسلم على موسى وعليهم ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
 بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا
 السبت ، وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ والاول أصح
 قوله عز وجل ﴿ وقطعناهم ﴾ أي فرقناهم يعني بني اسرائيل ﴿ اثني عشرة أسباطاً أمماً ﴾ قال

تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السياق مكى ونبهنا على الفرق بين هذا السياق وذلك بما أغنى عن إعادته هنا والله الحمد والمنة

وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيتهم حيث تأتتهم يوم سببتهم شرعاً ويوم لا يسببون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣)

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية يقول تعالى لنبيه صافات الله وسلامه عليه (واسألهم) أي واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضر تلك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتياهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل باخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي ايلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) قال هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور وكذا

الفراء إنما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأنه قال أما فرجع التأنيث إلى الاسم . وقال الزجاج المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما ، وإنما قال أسباطا أمما بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع فلا يقال أتاني اثنا عشر رجلا لان الاسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة ، أي وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما وقبل فيه تقديم وتأخير تقديرهما وقطعناهم أسباطا أمما اثنتي عشرة والاسباط القبائل واحدها سبط ، قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى اذ استسفاه قومه ﴾ في التيه ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست ﴾ انفجرت . وقال أبو عمرو بن العلاء : عرقت وهو الانبجاس ثم انفجرت ﴿ منه اثنتا عشرة عينا ﴾ لكل سبط عين ﴿ قد علم كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم ﴾ وكل سبط بنو أب واحد ، قوله تعالى ﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ في التيه تقيهم حر الشمس ﴿ وأنزلنا عليهم المان والساوى كانوا من طيبات مازقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم ﴿ قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء ، وقرأ الآخرون بالدون وفتحها وكسر الفاء ﴿ خطيئاتكم ﴾ قرأ ابن عامر خطيئاتكم على التوحيد ورفع التاء ، وقرأ أبو عمرو خطاياكم ، وقرأ أهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم بالجمع ورفع التاء ، وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء ﴿ سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً ﴿ عذابا ﴾ من السماء بما كانوا يظلمون ﴿

قوله تعالى ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي بقربه . قال ابن عباس : هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطئ البحر . وقال الزهري : هي طبرية الشام

قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القاري، سمعنا أنها آيلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها منقنا بين مدين وعينونا وقوله (اذيعدون في السبت) أي يعتدون فيه ويخالقون أسر الله فيه لهم بالوصاة به اذذاك (اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس شرعا من كل مكان قال ابن جرير وقوله (ويوم لا يسبغون لأتيتهم كذلك نبلوهم) أي نختبرهم باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده واخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده (كذلك نبلوهم) نختبرهم بما كانوا يفسقون (يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الاسباب الظاهرة التي مهنها في الباطن تعاطي الحرام وقد قال الفقيه الامام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله حدثنا أحمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تركبوا ما ارتكب اليهود ففسدوا محارم الله بأدنى الخيل » وهذا اسناد جيد فان أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقة ويصحح الترمذي بمثل هذا الاسناد كثيرا

﴿ اذيعدون في السبت ﴾ أي يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك ﴿ اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ﴾ أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع . وقال الضحاك : متتابعة ، وفي القصة أنها كانت تأتيتهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ﴿ ويوم لا يسبغون لأتيتهم ﴾ قرأ الحسن يوم لا يسبغون بضم الياء أي لا يدخلون في السبت والقراءة المعروفة بنصب الياء ومعناه لا يعظمون السبت ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ نختبرهم ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ فوسوس اليهم الشيطان وقال : إن الله لم ينهكم عن الاصطياد إنما نهاكم عن الأكل فاصطادوا ، وقيل وسوس اليهم إنكم إنما نهيتهم عن الأخذ فأتخذوا حياضا على شاطئ البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تأخذونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ثم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا رباعا فصار أهل القرية أثلاثا وكانوا نجوا من سبعين ألفا ثلث نهوا وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم ، وثلث هم أصحاب الخطيئة ، فلما لم ينتهوا قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بمجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا : إن لهم لنا لعل الخمر غلبتهم فمسوروا الجدار واسترقوا عليهم فاذا هم كلهم صاروا قردة وخنازير فعرفت القردة أنسابها من الانس ولم تعرف الانس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول ألم تنهكم فتقول برأسها نعم ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم

واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً؟ قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون (١٦٤) فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفتقون (١٦٥) فلما اعتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خسئين (١٦٦)

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المخذور واحتالوا على اصطیاد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت المنكرة (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) أي لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيمكم إياهم؟ قالت لهم المنكرة (معذرة إلى ربكم) قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب أي نفعل ذلك (معذرة إلى ربكم) أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولعلمهم يتقون) يقولون ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة (أنجيناهم الذين يهون عن السوء) وأخذنا الذين ظلموا (أي ارتكبوا المعصية) بعذاب بئيس (فخص على نجات الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على

قوله تعالى ﴿واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾؟ اختلفوا في الذين قالوا هذا قيل كانوا من الفرقة الهاكية وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء قبل أن ينزل بكم العذاب فانا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴿أو﴾ علمتم أنه ﴿معذبهم عذاباً شديداً﴾؟ قالوا ﴿أي قال الناهون﴾ معذرة ﴿أي موعظتنا معذرة﴾ إلى ربكم ﴿قرأ﴾ حفص معذرة بالنصب، أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم والاصح أنها من قول الفرقة الساكئة للناحية قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم؟ قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله ﴿ولعلمهم يتقون﴾ أي يتقون الله ويتركون المعصية، ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول (ولعلمهم يتقون)

قوله تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي تركوا ما وعظوا به ﴿أنجيناهم الذين يهون عن السوء﴾ وأخذنا الذين ظلموا ﴿يعني الفرقة العاصية﴾ بعذاب بئيس أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة واختلف القراء فيه، قرأ أهل المدينة وابن عامر بئس بكسر الباء على وزن فعل إلا أن ابن عامر

قولين ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها إيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدرُوا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ؟ فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاية تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا (معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم واهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قرده ، وروى العوفي عن ابن عباس عنه قريبا من هذا ، وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدري أنجأ الذين قالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أم لا ؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة ، وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك ؟ قال فقال هؤلاء الورقات قال وإذا هو في سورة الاعراف قال تعرف إيلة ؟ قلت نعم قال فانه كان بها حي من اليهود سيقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرُونَ عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعا يبضاء سمنا كانوا الماخض تلتطح ظهورها لبطونها بأغنيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه واكلوها في غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن اكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الأيمنون ويلكم الله الله نهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله وقال الايسرون (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً) قال الايمنون (معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) أي ينتهون ، إن ينتهوا فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعذرة الى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الايمنون فعلم^(١) يا أعداء الله والله لنأتينكم الليلة في مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من

(١) وفي الازهرية

فقد فعلم

يهمز وأبو جعفر ونافع لا يهزان ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء ، وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل ، وقرأ الآخرون على وزن فيعل مثل بعير وصغير ^(٢) بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما نسمع الله يقول (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكنة . قال عكرمة : قلت له جعلني الله فداك

(٧٣م) — تفسير ابن كثير والبعوي — (ج ٣)

العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلاهما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أي عباد الله قردة والله تعادى تعاوى لها أذنان قال ففتحوها فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القردة يأتونها فليدنها من الانس فشم ثيابه وتبكي فيقول ألم فنيكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) قال فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها، قال قلت جعاني الله فذلك ألا ترى انهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه وقالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم؟) قال فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد عنه، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تعالى (تأتيتهم حيث أنهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم) قال كانت تأتيتهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهب فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر فأتخذ لذلك رجل خيطا ووتدا فربط حوتا منها في الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذ فاشتواه فوجد الناس ريحه فأثروه فسألوه عن ذلك فجدد لهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذ فاشتواه فوجدوا رائحة فجاءوا فسألوه فقال لهم لو شتمت صنعتكم كما أصنم فقالوا له وما صنعت؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربح يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم ففعلوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فذسوروا عليهم فإذا هم قردة فجعل القردة يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به، وقد قدمنا في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية والله الحمد والمنة

(القول الثاني) أن الساكتين كانوا من الهالكين قال محمد بن اسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهب فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم إن رجلا منهم أخذ

ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وإن لم يقل الله أنجينهم لم يقل أهلكهم فأعجبه قولي فرضي وأمر لي بيردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة. وقال يمان ابن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون قوما، والذين قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر

حوتاً فخرم أنفسه ثم ضرب له وتدّاً في الساحل وربطه وتركه في الماء ، فلما كان الغد أحسنه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهأ منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الاسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهونهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو يعذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم) فقالوا نسخط أعمالهم (ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به - الى قوله - قردة خاسئين) قال ابن عباس كانوا أثلاثاً ثلاث نهوا وثلاث قالوا (لم تعظون قوما الله مهلكهم) وثلاث أصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه الى قول عكرمة في نجاة الساكنين أولى من القول بهذا لانه تبين حالهم بعد ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (وأخذنا الذين ظلموا بئساب بئس) فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقرا نجوا وبئس فيه قرا آت كثيرة ومعنا في قول مجاهد الشديد ، وفي رواية أليم وقال قتادة مومج والكل متقارب والله أعلم ، وقوله (خاسئين) أي ذليلين حقيرين مهانين .

وإذ تأذن ربك ليعبثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب إن ربك

لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧)

(تأذن) تفعل من الاذان أي أعلم قال مجاهد وقال غيره أمر وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، وهذا اتبعت باللام في قوله (ليعبثن عليهم) أي على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أرل من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والسكشدانيين والكلدانيين ثم صاروا الى قهر النصارى واذلالهم ايهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ثم جاء الاسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية . قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال هي المسكنة وأخذ الجزية منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عنه هي الجزية والذي يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله ﷺ وأمه الى يوم القيامة ، وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج والسدي وقاتدة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن المسيب قال يستحب أن تبعث الأنباط في

قوله تعالى ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾ قال ابن عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر بعضهم الى بعض وينظر اليهم الناس ثم هلكوا ﴿ وإذ تأذن ربك ﴾ أي آذن وأعلم ربك ، يقال تأذن وأذن مثل توعّد وأوعّد . وقال ابن عباس : تأذن ربك قال ربك ، وقال عطاء حكم ربك ﴿ ليعبثن عليهم الى يوم القيامة ﴾ أي على اليهود ﴿ من يسومهم سوء العذاب ﴾ بسبب الله محمد ﷺ وأمه يقاتلونهم حتى يسلموا أو

الجزية قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للرجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان ، وقوله (إن ربك لسريع العقاب) أي لمن عصاه وخالف شرعه (وانه لغفور رحيم) أي لمن تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقي النفوس بين الرجاء والخوف

وقطعهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوئهم بالحسنة والسيئات لعلمهم يرجعون (١٦٨) خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفقر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (١٦٩) والذين يسكنون بالكتب وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين (١٧٠)

يذكر تعالى أنه فرقهم في الأرض أمماً أي طوائف وفرقا كما قال (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً) منهم الصالحون ومنهم دون ذلك (أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن) وأنا من الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً (وبلونا هم) أي اختبرناهم (بالحسنات والسيئات) أي بالرءاء والشدّة والرغبة والرغبة والعافية والبلاء (لعلمهم يرجعون) ثم قال تعالى (خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتب يأخذون عرض هذا الأدنى) الآية يقول تعالى

يعطوا الجزية (إن ربك لسريع العقاب) * وانه لغفور رحيم * وقطعناهم ﴿ في فرقناهم ﴾ في الأرض أمماً ﴿ فرقاً فرقهم الله فتشتت أمرهم فلم يجتمع لهم كلمة ﴾ منهم الصالحون ﴿ قال ابن عباس ومجاهد يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ﴾ ومنهم دون ذلك ﴿ يعني الذين بقوا على الكفر . وقال الكلبي ﴾ منهم الصالحون ﴿ هم الذين وراء نهر أو داف من وراء الصين ﴾ ومنهم دون ذلك ﴿ يعني من ههنا من اليهود ﴾ وبلوناهم بالحسنات ﴿ بالخصب والعافية ﴾ والسيئات ﴿ الجذب والشدّة ﴾ لعلمهم يرجعون ﴿ لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا

قوله تعالى ﴿ خلف من بعدهم ﴾ أي جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿ خلف ﴾ والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن . قال أبو حاتم : الخلف بسكون اللام الاولاد الواحد والجمع فيه سواء والخلف بفتح اللام البدل سواء كان ولداً أو غريباً . وقال ابن الاعرابي : الخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح ، وقال النضر بن شميل الخلف بتخريك اللام واسكنها في القرن السوء واحد ، وأما في القرن الصالح فتحرريك اللام لا غير ، وقال محمد بن جرير أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي

فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لاخير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أهم من ذلك (يأخذون عرض هذا الأدنى) أي يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم ويطؤونها بالتوبة وكلما لاح لهم مثل الاول وقعوا فيه ، ولهذا قال (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) وكما قال سعيد بن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون لله فإن عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى (يأخذون عرض هذا الأدنى) قال لا يشرف لهم شيء من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة (ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) وقال قتادة في الآية أي والله خلف سوء (ورثوا الكتاب) بعد انبيائهم ورسالهم أورثهم الله وعهد اليهم ، وقال الله تعالى في آية أخرى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) الآية قال (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) تمنوا على الله أمانى وغرة يفترون بها (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينههم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يباليون حلالا كان أو حراما ، وقال السدي قوله (فخلف من بعدهم خلف) إلى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض اليهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشى في الحكم ؟ فيقول سيغفر لي ، فقطع عليه البقية الآخرون من بني اسرائيل فيما صنع فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه

الدم بتسكينها ، وقد يحرك في الدم ويسكن في المدح ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ أي انتقل اليهم الكتاب من آباءهم وهو التوراة ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ العرض متاع الدنيا والعرض بسكون الراء ما كان من الاموال سوى الدراهم والدنانير وأراد بالأدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها برتشون في حكم الله وتبديل كلماته ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ ذنوبنا يمتنون على الله الا باطل . أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة انا طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة ابن جندب عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني »

﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب يقول إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه . وقال السدي : كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم فيقال له مالك ترتشى فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون ، فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن

فيرثي، يقول وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذه قال الله تعالى (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) الآية يقول تعالى منكرأ عليهم في صنيعهم هذا مع ما أخذ عليهم الميثاق لينين الحق للناس ولا يكتمون كقولهم (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) الآية ، وقال ابن جريج قال ابن عباس : ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) قال فيما يتنون على الله من غفران ذنوبهم التي لايزالون يهودون فيها ولا يتوبون منها ، وقوله تعالى (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) يرغبهم في جزيل ثوابه ويحذرهم من ويل عقابه أي وتوابعي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه (أفلا تعقلون) يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ، ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده الى اتباع رسوله محمد ﷺ كما هو مكتوب فيه فقال تعالى (والذين يسكنون بالكتاب) أي اعتصموا به ، واقتدوا بأوامره ، وتركوا زواجره (وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين)

وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (واذا نتقنا الجبل فوقهم) يقول رفعناه وهو قوله

كان يطعن عليه فيرثي أيضا، يقول وإن يأت الآخري عرض مثله يأخذه ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ أي أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل وهو تمنى المغفرة مع الاصرار وليس في التوراة بعباد المغفرة مع الاصرار ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك ولو عقلاه لعلوا الدار الآخرة. ودرس الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ والذين يسكنون بالكتاب ﴿ قرأ أبو بكر عن عاصم بمسكون بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لأنه يقال مسكت بالشيء ولا يقال أمسكت بالشيء إنما يقال أمسكته ، وقرأ أبي بن كعب (تمسكوا بالكتاب) على الماضي وهو جيد لقوله تعالى (وأقاموا الصلاة) إذ قل ما يعطف ماض على مستقبل إلا في المعنى ، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب قال مجاهد : هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ، ولم يكتمونه ، ولم يتخذوه مأكلة . وقال عطاء : هم أمة محمد ﷺ ﴿ وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين ﴾

قوله تعالى ﴿ واذا نتقنا الجبل فوقهم ﴾ أي قلعنا وقال المؤرج قطعنا ، وقال الفراء علقنا ، وقيل

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤسهم وهو قوله (ورفعنا فوقهم الطور) وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام الى الارض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقرأوا بها حتي نتق الله الجبل فوقهم (كأنه ظلة) قال رفعته الملائكة فوق رؤوسهم رواه الذهبي بطوله ، وقال سنيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أقبولونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم؟ قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها وحدودها بسيرة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوه مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى الاترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لارمينكم بهذا الحيط . قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقامن أن يسقط عليه فكذلك ليس اليوم في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الارض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه أي حول كما قال تعالى (فسينفضون اليك رؤوسهم) والله أعلم

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غفلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون (١٧٤)

رفعنا ﴿ كأنه ظلة ﴾ قال عطاء سقىة والظلة كل ما أنظلك ﴿ وظنوا ﴾ علموا ﴿ أنه واقع بهم خذوا ﴾ أي وقلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ واعملوا به ﴿ لعلكم تتقون ﴾ وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله على رؤوسهم جبلا . قال الحسن : فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الايسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقامن أن يسقط عليه ، ولذلك لا تجدد يهوديا إلا ويكون سجوده على حاجبه الايسر قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ الآية . أخبرنا أبو الحسن محمد

ينجز تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجلبهم عليه قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة » وفي رواية « على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول اقوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال « ما بال أقوام يتناولون الذرية » فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال « ان خياركم أبناء المشركين الا أنها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها » قال الحسن ولقد قال الله في كتابه (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ، وقد رواه الامام أحمد عن اسماعيل بن علية عن يونس ابن عبيد عن الحسن البصري به ، وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك ، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم الى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم : قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكننت مقتديا به قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك بي » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به

حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم

ابن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ، قال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها ، فقال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل

عليه السلام بنهان يوم عرفة فأخرج من صلبه نخل ذرية ذراها فذرهما بين يديه ثم كلمهم قبلا قال (أأست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون أو تقولوا — إلى قوله — المبطلون) وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبير به ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلامه ابن جبير هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقعه ، وكذا رواه اسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه به ، وكذا رواه عطاه بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بزيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس . قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة النذر وهو في إذي من الماء ، وقال أيضا حدثنا علي بن مهزيب حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال مات ابن لضعفك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر إذا أنت وضعت ابن في الحفرة فابرز وجهه وحل عنه عقدة فإن ابني مجلس ومسؤل ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عباس سئل ابنتك من يسأله إياه قال يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن يعبدوه لا ينسوا به شيئا وتكمل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلما تفرغ الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يرمث فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفسه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقرب به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على النظر فبهذه الطرق كلها مما تنوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم

الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون » فقال رجل ففهم العمل يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » قال أبو عيسى هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بن مسلم بن يسار وعمر رجلا . قال مقاتل وغيره من أهل التفسير : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة النذر يتحركون ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان ابن سعيد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم (ألسن بربكم قالوا بلى) قالت الملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون) أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدي حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله وكذا رواه ابن جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا اسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي انيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قل خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل قال رسول الله ﷺ « إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار » وهكذا رواه أبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن اسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيرى كلهم عن الامام مالك بن أنس

الذرفقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألسن بربكم قالوا بلى ، فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ، ثم أعادهم جميعا في صلبه فأهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء قال الله تعالى فيمن نقض العهد الاول (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) وقال بعض أهل التفسير إن أهل السعادة أقرأوا طوعا وقالوا بلى ، وأهل الشقاوة قالوه تقيية وكرها وذلك معنى قوله (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها) واختلفوا في موضع الميثاق . قال ابن عباس رضي الله عنه يطن نعمان واد إلى جنب عرفة

وروي عنه أيضاً أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه ،

به ، قال الترمذي وهذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جهم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فذكره وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن جهم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولها أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الاسم مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف الا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهما ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبينهما نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبص ما بين عينيه قال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطي آدم فخطئت ذريته » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحارثي في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن

وقال الكلبي بين مكة والطائف ، وقال السدي أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته ، وروي أن الله أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها ، وألسناً ينطقون بها ، ثم كلمهم قبلاً ، يعني عياناً وقال ألسنت بربكم ، وقال الزجاج وجائز أن يكون الله تعالى جعل لامثال الذر فيها تعقل به كما قال تعالى (قالت نملة يأيتها النمل ادخلوا مساكنكم) وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلوا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فاني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي ، واني مرسل اليكم رسلاً يذكر ونكم عهدي وميثاقى ، ومنزل عليكم كتاباً فتكلموا جميعاً وقالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك موافقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون

أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر نحو ما تقدم إلى أن قال «ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقل آدم يا رب لم فعلت هذا بذرتي قال كي تشكر نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً قال هؤلاء الانبياء يا آدم من ذريتك» ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم

﴿حديث آخر﴾ قال عبد الرحمن بن قنادة النضري عن أبيه عن هشام ابن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله اتبدا الأعمال أم قد قضى القضاء؟ قال فقال رسول الله ﷺ «إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة يمسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يمسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه

﴿حديث آخر﴾ روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي اسامة قال قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمن يمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمن فقالوا لبيك وسعديك قال ألسنت بربكم؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال ألسنت بربكم؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمالهم من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم» رواه ابن مردويه «آخر» قال أبو جعفر الرزي عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) ألا يأت قال فجعلهم له يومئذ جهنماً كما هو كائن من، إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا بلى (الآية قال فاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع

ذلك فقال رب لولا سميت بينهم، قال اني أحب أن أشكر، فلما قرره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقرب الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فذلك قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) أي من ظهور بني آدم ذرياتهم، قرأ أهل المدينة وأبرعرو وابن عامر ذرياتهم بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد ونصب التاء، فإن قيل معنى قوله (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) وإنما أخرجهم من ظهر آدم، قيل إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره

قوله تعالى ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى﴾ أي أشهد بعضهم على بعض، قوله ﴿شهدنا أن تقولوا﴾ قرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء فيها، وقرأ الآخرون بالتاء فيها، واختلفوا في قوله (شهدنا) قال السدي هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على اقرار

وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلوا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا نشر كوا
بي شيئا واني سأرسل اليكم رسلا لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا نشهد أنك ربنا
والهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغي
والفتور وحسن الصورة ودين ذلك فقال يا رب لو سويت بين عبادك قال اني أحببت ان اشكر ورأى
فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى (وإذ
أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية وهو الذي يقول فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله الآية ومن
ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) ومن ذلك قال (لوما وعدنا لأكثرهم من عهد) الآية رواه
عبد الله ابن الامام احمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تناسيرهم
من رواية ابن جعفر الرازي به وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي
 وغير واحد من علماء السلف سياقات توافق هذه الاحاديثا كقينا بايرادها عن التطويل في تلك الآثار
كأها وبالله المستعان فهذه الاحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين
أهل الجنة وأهل النار وأما الاشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو الا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم
ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف ان المراد بهذا الاشهاد انما هو فطرتهم على التوحيد كما تقدم
في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الاسود بن سريع
وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم لولم يقل من آدم) من
ظهورهم (ولم يقل من ظهره) (ذرياتهم) أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى (وهو
الذي جعلكم خلائف الارض) وقال (ويجعل منكم خلفاء الارض) وقال (كما أنشأكم من ذرية قوم
آخرين) ثم قال (وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى) أي أوجدتم شاعدين بذلك قائلين
نه حالا وقال والشهادة تارة تكون بالقول كقوله (قالوا شهدنا على أنفسنا) الآية وتارة تكون حالا

بني آدم ، وقال بعضهم هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا ، وقال
الكوفي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة اشهدوا
قالوا شهدنا ، قوله (ان يقولوا) يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا ، أي لئلا يقولوا ، أو كراهية
أن يقولوا ، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخطبكم ألسنت بربكم لئلا تقولوا في يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين ، أي عن هذا الميثاق والاقرار ، فان قيل كيف يلزم الحجة واحد لا يذكر الميثاق ، قيل
قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا ، فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد
ولزمته الحجة ، وبنيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار الخبر الصادق صاحب المعجزة
قوله (أو تقولوا انما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) يقول انما أخذ الميثاق عليكم لئلا

كقوله تعالى (ما كان المشركين أن يصموا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى (وإنه على ذلك شهيد) كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة يكون بالحال كقوله (وآذكم من كل مأسألموه) قالوا: وبما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الاشهاد حجة عليهم في الاشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لساكن كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الاقرار بالتوحيد ولهذا قال (أن تقولوا) أي اثلاثاً تقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا) أي التوحيد غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا (الآية

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥)

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هوته فمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

(١٧٦) ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧)

قال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية قال هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب قال قتادة وقال

تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم ، أي كنا أئبائنا لهم فاقصدنا بهم فجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا ﴿ أفهلكننا بما فعل المبطلون ﴾ أفقصدنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد ﴿ وكذلك فصل الآيات ﴾ أي نبين الآيات ليتدبرها العباد ﴿ ولعلهم يرجعون ﴾ من الكفر إلى التوحيد

قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ الآية اختلفوا فيه . قال ابن عباس : هو بلعم بن باعوراء ، وقال مجاهد بلعام بن باعور ، وقال عطية عن ابن عباس كان من بني اسرائيل ، وروي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة بلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس وابن اسحاق والسدي وغيرهم أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم وكان

كعب كان رجلاً من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقياً بيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس هو رجل من أهل اليمن يقال له بلعم آتاه الله آياته وتركها وقال مالك بن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان محجاً الدعوة يدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله فاقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعم وقالت ثقيف هو أمية بن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) الآية قال هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح إليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت بشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورأى أهل بدر من أشركين بمائة بليغة قبحه الله وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فإن له أشعاراً ربانية وحكماً وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره الإسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي نمر حدثنا سفيان عن أبي سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيمن وكنيت له امرأة له منها ولد يقال له أجمل لي منها واحدة قال ذلك واحدة فما الذي تريد ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلاً رغبته عنه وأرادت

عنده اسم الله الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وأنه قد جاء بخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويهلكنا بني إسرائيل وأنت رجل محب الدعوة فأخرج فادع الله أن يردهم عنا ، فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنيائي وآخرتي فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم ، فقيل له في المنام لا تدع عليهم ، فقال لقومه إني قد أمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يوح إليه شيء . فقال : قد أمرت فلم يوح إلي شيء ، فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك في المرة الأولى فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتن فركب أتانا له إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسان فلما سار عليه غير كثير ربضت به فتزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت وضربها حتى إذا

شيثا آخر فدعا الله أن يجعلها كعبة فصارت كعبة فذهبت دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس بنا على هذا قرار قد صارت أمنا كعبة بميرنا الناس بها فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى البسوس غريب ، وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية السكرية فأنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني اسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف كان يحجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأغرب بل أبعده بل أخطأ من قال كان قد أوتي النبوة فانسخ منها حكمه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم يعني بالجبارين

أذلقها أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ، أتذهب بي إلى نبي الله وأتؤمن به تدعو عليهم فلم ينزع فحلى الله سبلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسيان جعل يدعو عليهم ولا يدعو بشيء إلا صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه إلى بني اسرائيل ، فقال له قومه يا بلعام أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا ، فقال هذا مالا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقم على صدره فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المسكر والميلة فسأمر لكم وأحتال جماع النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى المسكر يدينها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فأنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتهم ففعلوا ، فلما دخل النساء المسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كشتي بنت صور برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شاوم رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه بها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى فقال : اني أظنك ستقول هذه حرام عليك ؟ قال أجل هي حرام عليك لا تقربها ، قال فوالله لا أطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقم عليها فأرسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنداح بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش ، وكان غائبا حين سبى زمري بن شاوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل عليها القبة وهما متضامان فأنظما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعاه واعتمد برقبته على خاصرته وأسند الحربة إلى الحية وكان بكر العيزار وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنداح فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار ، فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل ولده فنداح من كل ذبيحة ذبحوها القبة والدراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها إياها

ومن معه أتاه يعني بلعم أتاه بنو عمه وقومه فقاتلوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنيائي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى (فانسلخ منها فأتبعه الشيطان) الآية ، وقال السدي لما انقضت الاربعون السنة التي قال الله (فانها محرمة عليهم أربعين سنة) بعث يوشع بن نون نبيا فدعا بني اسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعام فكان عالما يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر لعنه الله وأتى الجبارين وقال لهم لا تهابوا بني اسرائيل فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء لعظمن فكان

بذراعه واسناده إياها إلى خيمته والبكر من كل أمواتهم وأنفسهم لأنه كان بكر العيزار ، وفي بلعام أنزل الله تعالى (وانزل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) الآية ، وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال انه من أهل ديني لا أدعو عليه فنحت خشبة ليصلبه ، فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه ، فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضر بها فقالت لم تضربني ؟ اني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال : لتدعون عليه أو لأصلبكم ، فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبني اسرائيل في التيه بدعائه ، فقال موسى : يارب بأي ذنب وقعنا في التيه ؟ فقال بدعاء بلعام ، قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايان ^(١) فتزع

«١» ما كان نبي

أن يدعو على أحد بسلب الايمان لأنه رضي بالكفر فهذه رواية إسرائيلية باطلة

الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت منه صورة ككناية بفضاء فذلك قوله (فانسلخ منها) وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وليث بن سعد : نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرّ على قتلى بدر فسأل عنهم ، فقيل قتلهم محمد ، فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه ، فلما مات أمية أنت أخته فازعة إلى رسول الله ﷺ فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت فنزلا فقعدا أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه أوعى قال وعي ، قال أزي قال أبي ، قالت فسألته عن ذلك فقال : خير أريد بي فصرف غني فغشي عليه فلما أفاق قال شعرا

كل عيش وإن تطاول دهرأ صائر مرة إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال أرى الوعولا

إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

(م ٧٥ - تفسير ابن كثير والبغوي - ج ٣)

ينكح أتاناً له وهو الذي قال الله تعالى (فانسلخ منها) وقوله تعالى (فاتبعه الشيطان) أي استحوذ عليه وعلى أمره ففهما أمره أمثل وأطاعه وهذا قال (فكان من الغاوين) أي من الهالكين الحائرين البائسين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحفاظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد أن حذيفة بن عمار رضي الله عنه حدثه قال قال رسول الله ﷺ « إن مما أخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الاسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك » قال قلت يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال « بل الرامي » هذا اسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشيء سوى الأرجاء وقد وثقه الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما

وقوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) يقول تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها) أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها (ولكنه أخلد إلى الأرض) أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من غير

ثم قال لها رسول الله ﷺ « أنشدني من شعر أخيك » فأشده بعض قصائده ، فقال لها رسول الله ﷺ « آمن شعره ، وكفر قلبه » فأنزل الله عز وجل فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ، وفي رواية عن ابن عباس أنها نزلت في البسوس رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدن؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني اسرائيل ، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحه فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحه والناس يعيروننا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها والقولان الاولان أظهر ، وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، وقال قتادة هذا مل ضرب به الله عز وجل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله فذلك قوله (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) قال ابن عباس والسدي اسم الله الأعظم ، قال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، وقال ابن عباس في رواية أخرى أوتي كتاباً من كتب الله (فانسلخ) أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ أي لحقه وأدركه ﴿ فكان من الغاوين ﴾ ولو شئنا لرفعناه بها ﴿ أي رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات . وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرفعناه بعلمه بها ، وقال مجاهد وعطاء لرفعناه عنه الكفر وعصمناه بالآيات ﴾ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ أي سكن إلى الدنيا ومال إليها ، قال

أولى البصائر والنهي . وقال أبو الراهويه في قوله تعالى (ولكنه اخلاص الى الارض) قال تراءى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس فسجدت الحمار لله وسجد بلعام للشيطان ، وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد ، وقال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية (وانزل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) فحدث عن شيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام وكان يحجاب الدعوة قال وان موسى أقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعباً شديداً فأتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال فآمر في الدعاء عليهم فقبل له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه إني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم واني قد نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يأمره بشيء فقال قد وأمرت فلم يأمرني بشيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحو من ذلك إن شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه أيضاً ما استجيب لي ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، ان الله يبغض الزنا وإنهم ان وقعوا في الزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء تستقبلهم فانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنا فيهلكوا قال ففعلوا فأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا يمكنني نفسك الا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال فأتاها رأس شبط من أسباط بني اسرائيل فأرادها على نفسها فقالت ما أنا بممكنة نفسي الا من موسى فقال ان منزلي كذا وكذا وان من حالي كذا وكذا فأرسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها مكنيه قال ويأتيها رجل من بني هارون ومعه الرمح فيقطعنهما قال وايد الله بقوة فانتظماهما جميعاً ورفعها على رحله فرآهما الناس - أو كما حدث - قال وسلط الله عليهم

الزجاج خلد وأخلد واحد وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام ، يقال أخلد فلان بالمكان اذا أتم به الارض ههنا عبارة عن الدنيا لان ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الارض ﴿واتبع هواه﴾ انتقاد لما دعاه الهوى ، قال ابن زيد كان هواه مع القوم ، قال عطاء أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء ، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الاعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون الى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن زكريا بن أبي

الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً . قال أبو المصنوع فحدثني سيار أن بلعاماً ركب حمارة له حتى أتى المعلولى أو قال طريقاً من المعلولى جعل يضربها ولا تتقدم وقامت عليه فقالت علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ فإذا الشيطان بين يدي قال فنزل وسجد له قال الله تعالى (وانزل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها — الى قوله — لعلمهم يتفكرون) قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعلمه قد دخل فيه شيء من حديث غيره (قلت) هو بلعام ويقال بلعم بن باعوراء ويقال ابن ابر ، ويقال ابن باعور بن شهتوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر وكان يسكن قرية من قرى البلقاء قال ابن عساکر : وهو الذي كان يعرف اسم الله الاعظم فانسلخ من دينه له ذكر في القرآن ثم أورد من قصته نحو ما ذكرنا ههنا أورده عن وهب وغيره والله أعلم ، وقال محمد بن اسحق بن سيار عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه فقالوا له هذا موسى بن عمران في بني اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلبنا بني اسرائيل وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله عليهم قال ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟ قالوا له مالنا من منزل فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتن فركب حمارة له متوجها الى الجبل الذي يطلقه على عسكر بني اسرائيل وهو جبل حسيبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا ازلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا ازلقها اذن لها فكلمتها حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة امامي تردني عن وجهي هذا ؟ تذهب الى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها فضربها فحلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على رأس حسيبان على عسكر موسى وبني اسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الا صرف الله لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا املا أملاك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، قال واندلع لسانه فوق علي صدره فقال لهم قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمر لكم واحتال : جعلوا النساء واعطوهن

زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن كعب بن مالك الانصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما ذئبان جائعان أرسلاني غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قوله تعالى ﴿ فمثل كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ يقال لهث الكلب يلهث لهثاً اذا أدغم لسانه ، قال مجاهد هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به والمعنى أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر ، وإن تركته لم يهتد ، فالحالتان عنده سواء كحالاتي الكلب إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً ، وإن ترك ورى بض كان لاهثاً . قال القتيبي : كل شيء يلهث ، انما يلهث من اعياء أو عطش

السلم ثم ارسلوهن الى العسكر يبعثها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني اسرائيل وعو زمري بن شلوم رأس سبط بني شمعون ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام فلما رآها أعجبتة فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال اني أظنك ستقول هذا حرام عليك لا تقربها قال أجل هي حرام عليك قال فوالله لا أطيعك^(١) في هذا فدخل بها قبته فوق عيلها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار ابن هارون صاحب أمر موسى وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون يحوس فيهم فاخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظما بها بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعاه واعتمد برفقه على خاصرته وامسك الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفاً والمقال لهم يقول عشرون ألفاً في ساعة من النهار فمن هنالك تعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها الرقبة والذراع واللحي والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر أبيه العيزار ، ففي بلعام بن باعور أنزل الله (وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها — الى قوله — لعلمهم يتفكرون) وقوله تعالى (فمثلهم كمثل الكلب إن يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث) اختلف المفسرون في معناه فعلى سياق بن اسحاق عن سالم عن أبي النضر أن بلعاما اندلع لسانه على صدره فتشبهه بالكلب في لهيشه في كلتي حالتيه ان زجر وان ترك ظاهر ، وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء الى الايمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيشه في حالتيه إن حملت عليه وان تركته هو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة الى الايمان ولا عذبه كما قال تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) ونحو ذلك : وقيل معناه ان قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره وقوله تعالى (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (فاقصص القصص

الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة ، وفي حال الري وفي حال العطش ، فضر به الله مثلاً ان كذب بآياته فقال : ان وعظته فهو ضال ، وان تركته فهو ضال ، كالكلب ان طردته لهث ، وان تركته على حاله لهث ، نظيره قوله تعالى (وإن تدعوهن الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتنهم أم أنتم صامتون) ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) وقيل هذا مثل لكفار مكة ، وذلك أنهم

لعلهم أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن . وشعب الإيمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كلهم الله وسى بن عمران عليه السلام . ولهذا قال (لعلهم يتفكرون) أي فيعذروا أن يكونوا مثله فإن الله قد أعطاهم علما وميزهم على من عداهم من الأعراب وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرة ربه وعوازرته كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك وأمرتهم به ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتبه فلم يعلم به العباد أحل الله به ذلا في الدنيا وصولا بذل الآخرة وقوله (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يقول تعالى ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ساء شلهم ان شبهوا بالكلاب التي لاهمة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه وانبع هواه صار شبيها بالكلب وبئس المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه » وقوله (وأنفسهم كانوا يظلمون) أي ما ظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم بأعراضهم عن اتباع الهدى ، وطاعة المولى ، إلى الركون إلى دار البلى ، والاقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨)

يقول تعالى من هداه الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة ، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا جاء في حديث ابن مسعود « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » الحديث بتمامه رواه الامام أحمد وأهل السنن وغيرهم

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغفلون (١٧٩)

كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله ، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أو دعوا

قوله تعالى ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وتقديره ساء مثلا مثل القوم الخذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ * من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون * ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ﴿

يقول تعالى (ولقد ذرأنا لجنهم) أي خلقنا وجعلنا لجنهم (كثيراً من الجن والانس) أي هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون فانه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء »

وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال رسول الله ﷺ « أوغير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم » وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود « ثم بعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد » وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال « هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي » والاحاديث في هذا كثيرة ومسألة التقدير كبيرة ليس هذا موضع بسطها وقوله تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية كما قال تعالى (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله) الآية ، وقال تعالى (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) هذا في حق المنافقين ، وقال في حق الكافرين (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) ولم يكونوا صاموا بل كما ولا عمياً الا عن الهدى كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم

أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقة الله لجنهم فلا حيلة له في الخلاص منها

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلمي أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي حدثنا موسى بن محمد بن الحسك الشطوي حدثنا حفص بن غياث عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الانصار فماتت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم » وقيل اللام في قوله لجنهم لام العاقبة أي ذرأناهم وعاقبة أمرهم جنة كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) ثم وصفهم فقال ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ أي لا يعلمون بها الخير والهدى ﴿ لهم أعين لا يبصرون بها ﴾ طريق الحق وسبيل الرشاد ﴿ لهم آذان لا يسمعون

معرضون) وقال (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وقوله تعالى (أولئك كالانعام) أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى كالانعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحراس منها إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي يذوق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الانعام اذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول ، ولهذا قال في هؤلاء (بل هم أضل) أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها اذا أبس بها ، وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ، ولأنها تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ، ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ، ولهذا قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا

يعملون (١٨٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عنه ، ورواه البخاري عن أبي اليان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد به ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن

بها ﴿ مواظب القرآن فيتمكرون فيها ويعتبرون بها ثم ضرب لهم مثلا في الجبل والاقتصار على الأكل والشرب فقال ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ أي كالانعام في ان همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات بل هم أضل لأن الانعام تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على المضار وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ قوله تعالى ﴿ والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ قال مقاتل وذلك ان رجلا دعا الله في صلواته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة إن محمداً ﷺ وأصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين فأُنزل الله عز وجل (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى فادعوه بها ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر »

شعيب فذكر بسنده مثله وزاد بعد قوله « يحب الوتر » : هو الله الذي لا إله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المحيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي القيوم الواحد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور » ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء إلا في هذا الحديث ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان به ، وقد رواه ابن ماجه في سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسر الاسماء كنحو مما تقدم بزيادة وتقصان ، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعائي عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي والله أعلم ، ثم ايعلم أن الاسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا » فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال « بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها » وقد أخرجه الامام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه

﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان واقفه الكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء ومعنى الالحاد هو الميل عن القصد يقال ألحد يلحد إلحاداً ولحد يلحد لحداً ولحدوا إذا مال . قال يعقوب بن السكيت الالحاد هو العدول عن الحق وادخال ما ليس منه فيه يقال ألحد في الدين ولحد وبه قرأ حمزة (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أو ثأنهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان هذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقيل هو تسميتهم الاصنام آلهة ، وروى عن

بمثله ، وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الاحوذى في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فله أعلم ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال الحاد الملحدون أن دعوا اللات في أسماء الله ، وقال ابن جريج عن مجاهد (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال اشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الاحاد التكذيب ، وأصل الاحاد في كلام العرب العدول عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر

وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١)

يقول تعالى (وممن خلقنا) أي بعض الأمم (أمة) قائمة بالحق قولاً وعملاً (يهدون بالحق) يقولونه ويدعون إليه (وبه يعدلون) يعملون ويتفوضون ، وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة الحمدية ، قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية بلغنا أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية « هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال : قال رسول الله ﷺ « إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل » وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ

ابن عباس يلحدون في أسمائه أي يكذبون ، وقال أهل المعاني الاحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وجهاته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فانه يسمى جواداً ولا يسمى سخياً وإن كان في معنى الجواد ويسمى رحيماً ولا يسمى رفيقاً ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً وقال تعالى ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ وقال عز من قائل ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ ولا يقال في الدعاء يا مخادع ويا مكار بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم فيقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا عزيز يا كريم ونحو ذلك ﴿ سيجزى ما كانوا يعملون ﴾ في الآخرة ، قوله تعالى ﴿ وممن خلقنا أمة ﴾ أي عصابة ﴿ يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان ، وقال قتادة بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال « هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل حدثنا الحميدي حدثنا الوليد حدثني عمير بن هاني ، انه سمع معاوية رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة »
وفي رواية « حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وفي رواية « وهم بالشام »

والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي

متين (١٨٣)

يقول تعالى (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يفتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء . كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ولهذا قال تعالى (وأملي لهم) أي وسأملهم أي أطول لهم فيما هم فيه (ان كيدي متين) أي قوي شديد

أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (١٨٤)

يقول تعالى (أولم يتفكروا) هؤلاء المكذبون بآياتنا (ما بصاحبهم) يعني محمداً ﷺ (من جنة) أي ليس به جنون بل هو رسول الله حقاً دعاً إلى حق (إن هو إلا نذير مبين) أي ظاهر لمن كان له لب وقلب يقتل به ويحيى به كما قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) ، وقال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) يقول إنما أطلب منكم أن تقوموا قياماً خالصاً لله ليس فيه تعصب ولا عناد مثنى وفرادى أي

حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وقال السكاكي هم من جميع الخلق والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون في قال عطاء سنمكر بهم من حيث لا يعلمون وقيل تأتيهم من ما منهم كما قال (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) قال السكاكي فزين لهم أعمالهم فمهلهم ، وقال الضحاك كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة قال سفيان الثوري نسب عليهم النعمة ونسيهم الشكر ، قال أهل المعاني الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً فلا يباغت ولا يجاهر ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج السكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء في وأملي لهم أي أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليمادوا في المعاصي في ان كيدي متين أي ان أخذي قوي شديد قال ابن عباس ان مكربي شديد قيل نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة . قوله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة في قال قتادة ذكر لنا ان النبي ﷺ قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشاً فخذأ فخذأ يابني فلان يابني فلان ينذرهم بأمر الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا مجنون بات يصوت إلى الصباح فأنزل الله تعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) محمد ﷺ (من جنة) جنون في ان هو في ما هو

مجتمعين ومتفرقين ثم تتفكروا في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله أبه جنون أم لا فانكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظاهر أنه رسول الله حقاً صدقاً ، وقال قتادة بن دعامة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا فدعا قريشاً فجعل يفضدهم فخذاً فخذاً يا بني فلان يا بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير مبين)

أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن

يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥)

يقول تعالى أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض وفيما خلق من شيء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبهة ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينبئوا إلى طاعته ويخلصوا الانداد والاثوان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصبروا الى عذاب الله وأليم عقابه ،

وقوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أناهم به من عند الله في أي كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ وقد روى الامام أحمد عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث كلهم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسري بي كذا فلما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذا أنا برعد وبرق وصواعق » وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم : قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا فلما نزلت الى السماء الدنيا فنظرت الى أسفل مني فاذا انا برهيج ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هؤلاء الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب » علي بن زيد بن جدعان له منكرات ثم قال تعالى

(إلا نذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم فقال (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فيهما) من شيء أي وينظروا الى ما خلق الله فيهما من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته (وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصبروا الى العذاب (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد القرآن يؤمنون يقول بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون وليس بعده نبي ولا كتاب ثم ذكر علة اعراضهم عن

من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦)

يقول تعالى من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ولو نظر لنفسه فيما نظر فإنه لا يجزي عنه شيئاً (ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً) وكما قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

يسألونك عن الساعة أيان مرسها ؟ قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والارض لا تأتیکم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧)

يقول تعالى (يسألونك عن الساعة) كما قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة) قيل نزلت في قريش وقيل في نفر من اليهود والاول أشبه لان الآية مكية وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا إن الذين يمارون في الساعة انفي ضلال بعيد) وقوله (أيان مرسها) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منتهأها أي متى محطها وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة ؟ (قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) أمر تعالى رسوله ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها الى الله تعالى فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جليتها أمرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك الا هو تعالى ولهذا قال (ثقلت في السموات والارض) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثقلت في السموات والارض) قال ثقل علمها على أهل السموات والارض أنهم لا يعلمون قال معمر قال الحسن إذا جاءت ثقلت على أهل السموات والارض

الايان فقال ﴿ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء لأن ذكر الله قد مر قبله وجزم الراء مردود على يضل وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على انه كلام مستأنف ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ يترددون متحيرين قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرسها ﴾ قال قتادة قالت قريش لرسول الله ﷺ ان بيننا وبينك قرابة فأسرّ الينا متى الساعة فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الساعة) يعني القيامة (أيان مرسها) قال ابن عباس رضي الله عنهما منتهأها وقال قتادة قيامها وأصله الثبات أي متى مشيتها ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما علمها عند ربي ﴾ استأثر بعلمها ولا يعلمها الا هو ﴿ لا يجليها ﴾ لا يكشفها ولا يظهرها وقال مجاهد لا يأتي بها ﴿ لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض ﴾ يعني ثقل علمها وخفي أمرها

يقول كبرت عليهم ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (ثقلت في السموات والأرض) قال ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة ، وقال ابن جريج (ثقلت في السموات والأرض) قال إذا جاءت أشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله عز وجل فذلك ثقلها واختار ابن جرير رحمه الله أن المراد ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض كما قال قتادة ، وهو كإلقاء كقرله (لا تأتكم إلا بغتة) ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض والله أعلم . وقال السدي (ثقلت في السموات والأرض) يقول خفيت في السموات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم تلك ، قرب ولا نبي مرسل (لا تأتكم إلا بغتة) يغتفم قيامها تأتيمهم على غفلة وقال قتادة في قوله تعالى (لا تأتكم إلا بغتة) قضى الله أنها (لا تأتكم إلا بغتة) قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصالح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه » وقال البخاري حدثنا أبو اليان أنبأنا شعيب أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تطعم الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آتت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبايع به قال تقو الساعة والرجل يحلب لقمته فما يصل لآله إلى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم

وقوله (يسألونك كأنك حفي عنها) اختلف المفسرون في معناه فقل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم فأوحى

على أهل السموات والأرض وكل حفي ثقيل ، قال الحسن يقول إذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض (لا تأتكم إلا بغتة) فجأة على غفلة أخبرنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو اليان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » (يسألونك كأنك حفي عنها) فيه تقديم وتأخير أي يسألونك عنها كأنك حفي

الله اليه إنما علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملة كما مقربا ولا رسولا ، وقال قتادة قالت قریش لمحمد ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فأسرنا أينما متى الساعة فقال الله عزوجل (يسألونك كأنك حفي عنها) وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي وهذا قول والصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره (يسألونك كأنك حفي عنها) قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها وكذا قال الضحاك عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول كأنك عالم بها لست تعلمها (قل إنما علمها عند الله) وقال معمر عن بعضهم (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (كأنك حفي عنها) كأنك بها عالم وقد أخفى الله علمها على خلقه وقرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية وهذا القول أرجح في المقام من الاول والله أعلم ولهذا قال (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ليعلم الناس أمر دينهم فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد وسأله ﷺ عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم قال فمتى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » أي لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ثم قرأ النبي ﷺ (إن الله عنده علم الساعة) الآية ، وفي رواية فسأله عن اشراط الساعة فبين له اشراط الساعة ثم قال « في خمس لا يعلمهن إلا الله » وقرأ هذه الآية وفي هذا كيه يقول له بعد كل جواب صدقت ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدق ، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » وفي رواية قال « وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها الاصورته هذه » وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والامسان والمسانيد في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ، ولما سأله ذلك الاعرابي وناداه بصوت جهوري فقال يا محمد قال له رسول الله ﷺ « هاؤم » على نحو من صوته قال يا محمد متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ « ويحك ان الساعة آتية فما أعددت لها » قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا كني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال « المرء مع من أحب » وفي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقدمين ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الاهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وان لم يعرفوا تعيين رقبته ، ولهذا قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا حدثنا أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت الاعراب اذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة فينظر الى أحدث انسان منهم فيقول « ان يمش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » يعني

بها أي عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة أي بالغت فيها معناه كأنك بالغت في السؤال عنها

بذلك موتهم الذي يفضي بهم الى الحصول في برزخ الدار الآخرة ثم قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ «إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» انفرد به مسلم، وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا سعيد بن أبي هلال المصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ قال متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم نظر الى غلام بين يديه من أزدهنوة فقال «ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» قال أنس ذلك الغلام من أنباري وقال حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس قال مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أنباري فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» ورواه البخاري في كتاب الادب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن رجلا من أهل البادية قال يا رسول الله متى الساعة؟ فذكر الحديث وفي آخره مر غلام للمغيرة بن شعبة وذكره وهذا الاطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها، وقال ابن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر «تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على ظهر الأرض اليوم من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة» رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله قال ابن عمر وإنما أراد رسول الله ﷺ انحرام ذلك القرن، وقال الامام احمد حدثنا هشيم أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم عن موثر بن عفارة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لقيت ليلة أسرى بي ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى أما^(١) وجبت لها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج قال ومعني قضيبان فاذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله عز وجل اذا رأيته حتى إن الشجر والحجر يقول يا مسلم ان نحني ككفر افتعال فاقتله قال فيهلكه الله عز وجل ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم لا يأتون على شيء الا أهلوكوه ولا يبرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فأدعو الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من تن رحيم أي تنتن قال فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر قال الامام احمد قال يزيد بن هارون ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الاديم ثم رجع إلى حديث هشيم قال فنيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المم لا يدري أهلها متى

حتى علمتها ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ان علمها عند الله حتى سألوا محمداً

سورة الأعراف: ٧ جزء ٩٠ نبينا حصر نفية علم الساعة والتصرف وعلم الغيب عن نفسه لأنهم الله وحده ٦٠٩

تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً» ورواه ابن ماجه عن بNDAR عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب بسنده نحوه فهو لاء أ كابر أولى العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وإنما ردوا الأمر الى عيسى عليه السلام فتكلم على اشراطها لانه ينزل في آخر هذه الامة منفذاً لاحكام رسول الله ﷺ ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه فأخبر بما أعلمه الله تعالى به وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الله بن زياد بن لقيط قال سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال «علمها عند ربي عز وجل لا يجليها لوقتها الا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها ان بين يديها فتنة وهرجا» قالوا يا رسول الله الفتنه قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة «القتل» قال «ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً» لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال وكيع حدثنا ابن أبي خالد عن طارق ابن شهاب قال كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت (يسألونك عن الساعة أيا نمرساها) الآية ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خالد به وهذا اسناد جيد قوي فهذا النبي الامي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة اليه اذا سئل عنها فقال (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من

الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨)

أمره الله تعالى أن يفوض الأمور اليه وأن يخبر عن نفسه انه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك الا بما أطلع الله عليه كيقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) الآية وقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد (ولو كنت

علمها ﷺ عنها) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ﷻ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه وترجع عند الغلاء وبالارض التي تريد أن تجذب قتر تحمل منها الي ما قد أخصبت؟ فانزل الله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا) أي لا أقدر لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرا أي دفع ضرر بأن أرتحل من أرض تريد أن تجذب الا ما شاء الله ان املكه ﷻ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﷻ أي لو كنت أعلم الخصب والجذب لاستكثرت من المال أي لسنة القحط وما مسني

(م ٧٧ — تفسير ابن كثير والبغوي — ج ٣)

أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملاً صالحاً وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال مثله ابن جريج وفيه نظر لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة، وفي رواية كان إذا عمل عملاً أثبتته فجميع عمله كان على منوال واحد كما أنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك والله أعلم. والاحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) أي من المال وفي رواية لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر، وقال ابن جرير وقال آخرون معني ذلك لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة الجديدة من المخصبة ولوقت الغلاء من الرخص فاستعددت له من الرخص وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (وما مسني السوء) قال لا جئت من الشر قبل أن يكون واتقيته ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات كما قال تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتنذر به قوماً لدا)

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين (١٨٩) فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون (١٩٠)

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكبده

السوء أي الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) يعني الهدى والضلالة (ولو كنت أعلم الغيب) أي متى أموت (لاستكثرت من الخير) من العمل الصالح (وما مسني السوء) قال ابن زيد واجتنب ما يكون من الشر واتقيته، وقيل معناه (ولو كنت أعلم الغيب) أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم وقيل وما مسني السوء ابتداء يريد ما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون ﴿إن أنا إلا نذير﴾ لمن لا يصدق بما جئت به ﴿وبشير﴾ بالجنة ﴿لقوم يؤمنون﴾ بصدق قوله ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني من آدم ﴿وجعل﴾

الى التفرقة بين المرء وزوجه (فلما تغشاها) أي وطئها حملت حملاً خفيفاً وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألماً إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة وقوله (فمرت به) قال مجاهد استمرت بحمله، وروى عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه، وقال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته، وقال أيوب سألت الحسن عن قوله (فمرت به) قال لو كنت رجلاً عريفاً لعرفت ماهي إنما هي فاستمرت به، وقال قتادة (فمرت به) استبان حملها، وقال ابن جرير معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت، وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به فشكت أحملت أم لا (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بحملها، وقال السدي كبر الولد في بطنها (دعوا الله ربهما) أي آتيننا صالحاً أي بشراً سوياً كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة وكذلك قال أبو البخترى وأبو مالك أشفقا أن لا يكون إنساناً. وقال الحسن البصري أن آتيننا غلاماً (لنكونن من الشاكرين) فلما آتاهاما صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها فعالى الله عما يشركون يذكر المفسرون ههنا آثاراً وأحاديثاً وأوردوها وأبين ما فيها ثم تتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة. قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»

وخلق منها زوجها يعني حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويأوي اليها (فلما تغشاها) أي واقعها وجامعها (حملت حملاً خفيفاً) وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفاً عليها (فمرت به) استمرت به وقامت وقعدت به ولم يثقلها (فلما أثقلت) أي كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني آدم وحواء (لئن آتيننا) ياربنا (صالحاً) أي بشراً سوياً مثلنا (لنكونن من الشاكرين) قال المفسرون لما حملت حواء آتاها إبليس في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك؟ قالت ما أدري: قال اني أخاف أن يكون بهيمة أو كلباً أو خنزيراً وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو من فيك أو ينشق بطنك. فخافت حواء من ذلك وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزلوا في هم من ذلك، ثم عاد اليها فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه أسمى عبد الحارث؟ وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذكرت ذلك لآدم فقال له صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث قال الكلبي: قال إبليس لها إن دعوت الله فولدت إنساناً أسمى بهي؟ قالت نعم فلما ولدت قال سميه بي قالت وما اسمك قال الحارث ولو سمي لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبداً لله وعبيداً لله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاها إبليس وقال ان شركاً أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش، وجاء في الحديث «خدعها إبليس مرتين مرة في الجنة

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث ح من غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام أبو محمد ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن ابراهيم مرفوعا : قلت وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه (أحدها) أن عمر بن ابراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا قاله أعلم (الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن (جعل له شركاء فيما آتاهما) قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم ، وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عن بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني (جعل له شركاء فيما آتاهما) وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله الا اننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم . فأما الآثار فقال محمد بن اسحق بن سيار

ومرة في الارض » وقال ابن زيد ولد لآدم ولد فسماه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ماسميتما ابنيكما ؟ قالوا عبد الله وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقال ابليس أتظن ان الله تارك عبده عندكما ؟ لا والله لينذهبن به كما ذهب بالآخرين ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس والاول أصبح فذلك قوله ﴿ فلما آتاهما صالحا ﴾ بشرأ سويا ﴿ جعل لهما شركاء ﴾ فيما آتاهما ﴿ قرأ أهل المدينة وأبو بكر شركاء بكسر الشين والتنوين أى شركة ، قال أبو عبيدة أى حظا ونصيبا وقرأ الآخرون شركاء بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعني ابليس أخبر عن الواحد بلفظ الجمع أى جعل لهما شريكا إذ سمياه عبد الحارث ولم يكن هذا اشراكا في العبادة ولا ان الحارث ربهما

عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدهم الله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصديهم الموت فأتاهما إبليس فقال إنكما لو سميتم بهما الذي تسميانه به لعاش قال فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث فففيه أنزل الله يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — إلى قوله — جعلاً له شركاء فيما آتاهما) إلى آخر الآية ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — إلى قوله — فمرت به) شكت حملت أم لا ؟ (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين) فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فهاتان فقال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوباً ومات كما مات الأول فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية ، وقال عبد الله بن المبارك عن شريك عن خفيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها) آدم (حملت) آتاهما إبليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لا جعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولا فعلن ولا فعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت يعني الثانية فأتاهما أيضاً فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لا فعلن — يخوفهما — فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدركما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى (جعلاً له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم

وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكانوا والله أعلم أصله مأخوذاً من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي ابن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا

فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه أن الضيف ربه ويقول للغير أنا عبدك وقال يوسف العزيز مصر أنه ربي ولم يرد به أنه معبوده كذلك هذا وقوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ قيل هذا ابتداء كلام وأراد به أشرك أهل مكة ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم وفي الآية قول آخر وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه جعل أولادهما له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال (ثم اتخذتم العجل*)

أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء أنها الشيطان فقال لها أنطيعيني ويسلم لك ولدك؟ سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال إن تطيعيني يسلم والا فإنه يكون بهيمة فبيهما فأطاعا وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) وهذا الاثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فاما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) ثم قال فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كلاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم

أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون (١٩١) ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون (١٩٢) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُمْتُونَ (١٩٣) إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صدّقين (١٩٤) ألهم أرجل يمشون بها؟ أم لهم أيدي يبطشون بها؟ أم لهم أعين يبصرون بها؟ أم لهم آذان يسمعون بها؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (١٩٥) إزولي الله الذي نزل الكتب وإذ قتلتم نفساً) خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ وكان ذلك الفعل من آبائهم، وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سمو أولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة، وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله (خلقكم) أي خلق كل واحد من أبيه (وجعل منها زوجها) أي جعل منها زوجها وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين أنه في آدم وحواء قوله تعالى ﴿أيشركون مالا يخلق شيئاً﴾ يعني إبليس والأصنام ﴿وهم يخلقون﴾ أي هم مخلوقون

وهو يتولى الصالحين (١٩٦) والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم

ينصرون (١٩٧) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (١٩٨)

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الانداد والاصنام والوثان وهي مخلوقة لله مريوبة مصنوعة لا تملك شيئاً من الامر ولا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تنصرون لعابديها بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدها أكل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال (أبشر كون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون) أي أنشركون به من المعبودات مالا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) أخبر تعالى أن آلهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خالق ذبابة بل لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا إنقاذه منها فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى (لا يخلق شيئاً وهم يخلقون) أي بل هم يخلقون مصنوعون كما قال الخليل (أنعبدون ما تنحتون) الآية ثم قال تعالى (ولا يستطيعون لهم نصراً) أي لعابديهم (ولا أنفسهم ينصرون) يعني ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة كما أخبر تعالى عنه في قوله (فراغ عليهم ضرباً باليمين) وقال تعالى (فجعلهم جذاذاً ألا كبيراً لهم لهم إلههم إليه يرجعون) وكما كان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وكانا شايعين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للارامل ليعتبر قومها بذلك ويرتوا لأنفسهم فكان عمرو بن الجوح وكان سيداً في قومه صنم يعبدونه ويطيبه فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخان به العذرة فيجني عمرو بن الجوح فيرى ما صنم به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً ويقول له انتصر ثم يعود أن لمثل ذلك ويعود إلى صنيعة أيضاً حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه في حبل في بئر هناك فلما جاء عمرو بن الجوح ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال :

تالله لو كنت الهامستدن * لم تك والكلب جميعاً في قرن

ثم أسلم فحسن إسلامه وقتل يوم أحد شهيداً رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه وقوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون) الآية يعني أن هذه الاصنام لا تسمع دعاء من دعاها وسواء

(ولا يستطيعون لهم نصراً) أي الاصنام لا تنصرون من أطاعها (ولا أنفسهم ينصرون) قال الحسن لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ، ثم خاطب المؤمنين فقال (وإن تدعوهم

لديها من دعاها ومن دحها كما قال إبراهيم يأتى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم بل الاناس أكل منها لأنها تسمع وتبصر وتبطل وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك وقوله (قل ادعوا شركاءكم) الآية أي استنصروا بها علي فلا تؤخروني طرفة عين واجهدوا جهدكم (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) أي الله حسبي وكافيني وهو نصيري وعليه متكلي واليه أجا وهو ولي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدي وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه (إن نقول إلا اعتراك بعض آلتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) وكقول الخليل (أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) فأنهم عدولى الأرب العالمين* الذي خلقتني فهو يهدين) الآيات وكقوله لا بيه وقومه (إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين* وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقوله (والذين تدعون من دونه) إلى آخر الآية مؤكداً لما تقدم ألا أنه بصيغة الخطاب

إلى الهدى) وإن تدعوا المشركين إلى الاسلام (لا يتبعوكم) قرأ نافع بالتخفيف (وكذلك يتبعهم الغاؤون) في الشعراء، وقرأ الآخرون بالتشديد فيها وهما لغتان يقال تبعه تبعاً واتبعه اتباعاً سواء عليكم أَدْعَوْهُمْ إِلَى الدِّينِ (أم أنتم صامتون) عن دعائهم لا يؤمنون كما قال (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون) وقيل (وإن تدعوهم إلى الهدى) يعني الاصنام (لا يتبعوكم) لأنها غير عاقلة (إن الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (عباد أمثالكم) يريد أنها مملوكة أمثالكم وقيل أمثالكم في التسخير أي أنهم مسخرون مذلولون لما أريد منهم، قال مقاتل قوله (عباد أمثالكم) أراد به الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والاول أصح فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) إنها آلهة، قال ابن عباس فاعبدوهم هل ينبيونكم أو يجازونكم (إن كنتم صادقين) إن لكم عندها منفعة ثم بين عجزهم فقال

قوله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والذخا، وقرأ الآخرون بكسر الطاء (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للاصنام هذه الآلات فأنتم مفضلون عليها بالارجل الماشية والايدي الباطشة، والعين الباصرة، والآذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم (قل ادعوا شركاءكم) يامعشر المشركين (ثم كيدون) أنتم وهم (فلا تنظرون) أي لا تهلوني وأعجلوني كيدي

قوله (إن وليي الله الذي نزل الكتاب) يعني القرآن، أي أنه يتولاني وينصرني كما أيدني بانزال الكتاب (وهو يتولى الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله

وذلك بصيغة الغيبة ، ولهذا قال (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وقوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) كقوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) الآية وقوله (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) إنما قال (ينظرون إليك) أي يقابلونك بعيون مصورة . كأنها ناظرة وهي جمادٍ ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لأنها على صور مصورة كالإنسان وتراهم ينظرون إليك فعبّر عنها بضمير من يعقل ، وقال السدي المراد بهذا المشركون ، وروي عن مجاهد نحوه والاول أولى وهو اختيار ابن جرير وقاله قتادة :

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل (١٩٩) وإما يترغبك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٢٠٠)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (خذ العفو) يعني خذ ما عفى لك من أموالهم وما أتوك به من شيء ، فخذته وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات قاله السدي ، وقال الضحاك عن ابن عباس (خذ العفو) أنفق الفضل ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (خذ العفو) قال الفضل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (خذ العفو) أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالى (خذ العفو) قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس ، وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وفي رواية قال خذ ما عفى لك من

شيئاً فإنه يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا يعني الأصنام وتراهم يسمعون يعني الأصنام أي تقابلها ، وقيل وتراهم ينظرون إليك ، أي كأنهم ينظرون إليك كقوله تعالى (وترى الناس سكارى) أي كأنهم سكارى هذا قول المفسرين ، وقال الحسن (وإن تدعوهم إلى الهدى) يعني المشركين (لا يسمعوا) لا يعقلون ذلك بقلوبهم (وتراهم ينظرون إليك) بأعينهم (وهم لا يبصرون) بقلوبهم

قوله تعالى خذ العفو قال عبد الله بن الزبير أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، وقال مجاهد خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك ، وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل « ما هذا ؟ » قال لا أدري حتى أسأله ثم رجع فقال : إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقال ابن عباس رضي الله

أخلاقهم ، وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال إنما أنزل خذ العفو من أخلاق الناس ، وفي رواية لغيره عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفي رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنهما قالاً مثل ذلك والله أعلم ، وفي رواية سعيد بن منصور عن أبي معاذ عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لا آخذنه منهم ما صحبتهم وهذا أشهر الأقوال ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبي قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله ﷺ « ما هذا يا جبريل ؟ » قال إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ، وقد رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي يزيد القراطيسي كتابة عن أصبغ بن الفرج عن سفيان عن أبي عن الشعبي نحوه ، وهذا مرسل على كل حال وقد روي له شواهد من وجوه أخر وقد روي مرفوعاً عن جابر بن قيس بن سعد بن عباد عن النبي ﷺ أسندهما ابن مردويه ، وقال الامام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا شعبه حدثنا معاذ بن رفاعه حدثني علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة الباهلي عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال نقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال « يا عتبة صل من قطعك واعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن علي بن يزيد وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فيها ضعف ، وقال البخاري قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) العرف المعروف حدثنا أبو اليان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كقولاً كانوا أو شباناً فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعينية فاذن له عمر فدخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما أعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ (خذ العفو وأمر

عنها والسدي والضحاك والكوفي يعني خذ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل من العيال وذلك معنى قوله (ويستأذنك ماذا ينفقون قل العفو) ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات

قوله تعالى ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أي بالمعروف وكل ما يعرفه الشرع ، وقال عطاء (وأمر بالعرف) يعني بلا إله إلا الله ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أي جهل وأصحابه نسختها آية السيف ، وقيل إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابل به بالسفه وذلك مثل قوله (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) وذلك سلام المتاركة . قال جعفر الصادق : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية . أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجرجاني ثنا أبو القاسم علي بن أحمد

بالعرف واعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين ، والله ما تجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل انفرد باخراجه البخاري ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا بونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن عبد الله بن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على غير لاهل الشام وفيها جرس فقال أن هذا منهي عنه فقالوا نحن أعلم بهذا منك إنما يكره الجاهل الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال (وأعرض عن الجاهلين) وقول البخاري العرف المعروف نص عليه عروة بن الزبير والسدي وقادة وابن جرير وغير واحد وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفًا وعارفًا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف قال وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالاعراض عن الجاهلين وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب لحلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالاعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح عن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو المسلمين حرب ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ودله عليها وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبك في بيتين فيهما جناس فقال :

خذ العفو وأمر بالعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام * فمستحسن من ذوي الجاهل

وقال بعض العلماء الناس رجلان فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يخرجه وإما مسيء فره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فاعمل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي هذه الوصية (وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله أنه هو السميع العليم) وقال في هذه السورة الكريمة أيضاً (وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه سميع عليم) فهذه الآيات الثلاث في الاعراف والمؤمنون وحم السجدة لأربع من فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العصاة من الناس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد

الخزاعي ثنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي اسحاق عن أبي عبد الله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي ثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عمير الواعظ ثنا عمار بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن محمد عن سعيد الخياط ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عمر بن إبراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن

بإذنه تعالى ولهذا قال (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ثم يرشد تعالى الى الاستعاذة به من شيطان الجان فإنه لا يكفه عنك الاحسان وانما يريد هلاكك ودمارك بالكافة فإنه عدو مبين لك ولا يبك من قبلك قال ابن جرير في تفسير قوله (وإما ينزغوك من الشيطان نزغ) وإما يغضبك من الشيطان بغضب يصدرك عن الاعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته (فاستعذ بالله) يقول فاستعذ بالله (من نزغه) من نزغه انه سميع عليم (سميع لجهل الجاهل عليك والاستعاذة به من نزغه) وغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما نزلت (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل) قال « يارب كيف بالغضب ؟ فأنزل الله (وإما ينزغوك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) قلت وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين الذين تسابا بحضرة النبي ﷺ فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمرغ غضباً ، فقال رسول الله ﷺ « اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقيل له فقال ما بي من جنون ، وأصل النزغ الفساد إما بالغضب أو غيره ، قال الله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) والعياذ الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر ، وأما الملاذ في طلب الخير كما قال الحسن بن هاني ، في شعره

يا بن ألوذ به فيما أوامره ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهبطون عظما أنت جابره

وقد قدمنا أحاديث الاستعاذة في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)
وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

ينبهر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر ، وتركوا ما عنه زجر ، انهم إذا مسهم أي أصابهم

محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله بعثني تمام مكارم الاخلاق وأمام محاسن الافعال »

قوله تعالى ﴿ وإما ينزغوك من الشيطان نزغ ﴾ أي يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة ، والنزغ من الشيطان الوسوسة ، وقال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي ومن الشيطان أدنى وسوسة ، وقال عبد الرحمن بن زيد لما نزلت هذه الآية (خذ العفو) قال النبي ﷺ « كيف يارب والغضب » فنزل (وإما ينزغوك من الشيطان نزغ) ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي استعذ بالله ﴿ انه سميع عليم ﴾ إن الذين اتقوا يعني المؤمنين ﴿ إذا مسهم طائف من الشيطان ﴾ قرأ ابن كثير

طيف وقرأ الآخرون طائف وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان قليل بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع وشحه ومنهم من فسره بالهم بالذنب ومنهم من فسره باصابة الذنب وقوله تذكروا أي عقاب الله وجزيل ثوابه ووعدته ووعيدته فتأبوا وتأابوا واستمادوا بالله ورجعوا اليه من قريب (فاذا هم مبصرون) أي قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه هنا حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وبها طيف فقالت يا رسول الله ادع الله أن يشفيني فقال « إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك » فقالت بل أصبر ولا حساب علي ورزاه غير واحد من أهل السنن وعندهم قالت يا رسول الله إني أصرع وأتكشف فادع الله أن يشفيني فقال « ان شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت صبرت ولك الجنة » فقالت بل أصبر ولي الجنة ولكن ادع الله أن لا أتكشف فدعا لها فشفاها فمكثت لا تتكشف وأخرجها إلهاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه أن شابا كان يقعد في المسجد فهو يته امرأة فدعته إلى نفسها فإزالت به حتى كاد يدخل معها المنزل فذكر هذه الآية (أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فخر مغشياً عليه ثم أفاق فأعادها فمات فجاء عمر ففرزى فيه أباه وكان قد دفن ليلاً فذهب فصرى على قبره بمن معه ثم ناداه عمر فقال يا فتى (ولما خاف مقام ربه جنتان) فأجاباه الفتى من داخل التبر يا عمر قد أعطانيهما ربي عز وجل في الجنة مرتين

وقوله تعالى (واخوانهم يمدونهم) أي واخوان الشياطين من الانس كقوله (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين) وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم يمدونهم في الغي أي تساعدهم الشياطين على المصامي

وأهل البصرة والكسائي طيف ، وقرأ الآخرون طائف بناد والهزمة وهما لغتان كالميت والمائت ومعناها الشيء بلم بك و فرق قوم بينهما ، فقال أبو عمرو الطائف ما يطوف حول الشيء والطيف الامة والوسوسة ، وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف الاعم والس (تذكروا) عرفوا قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ ، وقال مجاهد هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه (فاذا هم مبصرون) أي يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير ، قال السدي اذا زلوا تابوا ، وقال مقاتل إن المتقي اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية فأبصر فترجع عن مخالفة الله

قوله (واخوانهم يمدونهم) يعني اخوان الشياطين من المشركين يمدونهم أي يمدهم الشيطان قال الكسائي لكل كافر أخ من الشياطين (في الغي) أي يطالبون لهم الاغواء حتى يستمروا عليه ، وقيل يزيدونهم في الضلالة ، وقرأ أهل المدينة (يمدونهم) بضم الياء وكسر الميم من الامداد والآخرون

وتسليها عليهم وتحسنها لهم وقال ابن كثير المد الزيادة يعني يزيدونهم في النبي يعني الجهل والسفه (ثم لا يقصرون) قيل معناه إن الشياطين تمد الانس لا تقصر في أعمالهم بذلك كما قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (واخوانهم يمدونهم في النبي ثم لا يقصرون) الآية قال لا الانس يقصرون عما يعملون ولا الشياطين تمسك عنهم وقيل معناه كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يمدونهم في النبي ثم لا يقصرون) قال هم الجن يرحون الى أوليائهم من الانس ثم لا يقصرون يقول لا يسأمون وكذا قال السدي وغيره يعني أن الشياطين يمدون أوليائهم من الانس ولا تسأم من إمدادهم في الشر لان ذلك طبيعة لهم وسجية (لا يقصرون) لا تفتقر فيه ولا تبطل عنه كما قال تعالى (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على السكفرين توزهم أزا) قال ابن عباس وغيره تزعجهم الى المعاصي ازعاجاً

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قالوا لولا اجتبيتها) يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى لولا أحدثتها فأنشأتها وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير عن مجاهد في قوله (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) قال لولا اقتضيةها قالوا تخرجها عن نفسك وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس (لولا اجتبيتها) يقول تلقيتها من الله تعالى وقال الضحاك (لولا اجتبيتها) يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء ومعنى قوله تعالى (وإذا لم تأتهم بآية) أي معجزة وخارق كقوله تعالى (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فطلت أعناقهم لها خاضعين) يقولون للرسول ﷺ ألا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ونؤمن بها قال الله تعالى له (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) أي أنا لا أقدم اليه تعالى في شيء وإنما أتبع ما أمرني به فأمثل ما يوحى إلي فان بعث آية قبلتها وإن منعها لم أسأله ابتداء

بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد (ثم لا يقصرون) أي لا يكفون . قال ابن عباس رضي الله عنهما لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسون عنهم ، فعلى هذا قوله (ثم لا يقصرون) من فعل المشركين والشياطين جميعاً ، قال الضحاك ومقاتل يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها بخلاف ما قال في المؤمنين (تذكروا فاذا هم مبصرون)

قوله عز وجل (وإذا لم تأتهم بآية) يعني إذا لم تأت المشركين بآية (قالوا لولا اجتبيتها) هلا افعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك ، تقول العرب اجتبت الكلام إذا اختلقته ، قال الكوفي كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعتقاً ، فاذا أخرت قالوا : لولا اجتبيتها أي هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك (قل) لهم يا محمد (إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) ثم قال (هذا) يعني القرآن

إياها إلا أن يأذن لي في ذلك فإنه حكيم عليم ثم أرشدني إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيّنات فقال (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

وَإِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)

لما ذكر تعالى ان القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالانصات عند تلاوته اعظاماً له واحتراماً لا كما كان يعتاده كفار قريش المشركون في قولهم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) الآية ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة اذا جهر الامام بالقراءة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فأنصتوا » وكذا رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة أيضاً وصححه مسلم ابن الحجاج أيضاً ولم يخرج في كتابه وقال ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي عبيد عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له) والآية الاخرى أمروا بالانصات قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن غاصم عن المسيب بن رافع قال ابن مسعود كنا يسلم بمضنا على بعض في الصلاة فجاء القرآن (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وقال أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا المجاري عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناساً يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفهموا أما أن لكم أن تعقلوا (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) كما أمركم الله قال وحديثي أبو السائب حدثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال نزلت هذه الآية في فتي من الانصار (١) كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه فنزلت (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)

(١) فيه أن الآية

مكية نزلت قبل إسلام
الانصار

﴿ بصائر ﴾ حجاج وبيان وبرهان ﴿ من ربكم ﴾ واحدتها بصيرة وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الانسان فيبتدي به يقول هذا دلائل تقودكم إلى الحق ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ قوله عز وجل ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة ، روي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بخواتمهم فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن ، وقال قوم نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام ، روى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ، وقال الكلبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) كما أمركم الله وهذا قول الحسن والزهري والنخعي أن الآية في القراءة في الصلاة ، وقال سعيد بن جبيرة وعطاء ومجاهد

وقد روى الامام احمد وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكتمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال « هل قرأ أحدكمكم معي آنفًا ؟ » قال رجل نعم يا رسول الله ، قال « اني أقول مالي أنزع القرآن » قال فانتفى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه أبو حاتم الرازي ، وقال عبدالله بن المبارك عن يونس عن الزهري قال : لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به الامام تكفيهم قراءة الامام وإن لم يسمعهم صوتا ولكنهم يقرؤون فيما لا يجهر به سرا في أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية فان الله تعالى قال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) قلت هذا مذهب طائفة من العلماء أن المأموم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الامام لا الفاتحة ولا غيرها وهو أحد قولي الشافعي وهو القديم كذهب مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل لما ذكرناه من الادلة المتقدمة ، وقال في الجديد يقرأ الفاتحة فقط في سكتات الامام وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل لا يجب على المأموم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث « من كان له امام فقراءته قراءة له » وهذا الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن جابر صرفوعا وهو في موطأ مالك عن وهب بن كيسان عن جابر موقوفا وهذا أصح وهذه المسئلة مبسطة في غير هذا الموضع وقد أفرد لها الامام أبو عبد الله البخاري مصنفًا على حدة واختار وجوب القراءة خلف الامام في السرية والجهرية أيضا والله أعلم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يعني في الصلاة المفروضة ، وكذا روي عن عبد الله بن المغفل . وقال ابن جرير حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا بشر بن المغفل حدثنا الجريري عن طلحة بن عبيد الله بن كريب قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقص ، فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال

إن الآية في الخطبة أمروا بالانصات الخطبة الامام يوم الجمعة ، وقال سعيد بن جبيرة هذا في الانصات يوم الاضحى والمطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام ، وقال عمر بن عبد العزيز الانصات لقول كل واعظ والاول اولها وهو أنها في القراءة في الصلاة لان الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة وانفقوا على أنه مأمور بالانصات حالة ما يخطب الامام . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت » واختلاف أهل العلم في القراءة خلف الامام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر ، روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي والشافعي

فَنظُرًا إِلَى ثُمَّ أَقْبَلَا عَلَى حَدِيثِهَا ، قَالَ فَأَعَدْتُ فَنظُرًا إِلَى وَأَقْبَلَا عَلَى حَدِيثِهَا ، قَالَ فَأَعَدْتُ الثَّالِثَةَ
 قَالَ فَنظُرًا إِلَى فَقَالَا : إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ (وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) وَكَذَا قَالَ سَفِيَّانُ
 الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ إِبْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قَالَ فِي
 الصَّلَاةِ وَكَذَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : لَا بَأْسَ
 إِذَا قَرَأَ الرَّجُلُ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالضُّحَّاكُ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ
 وَالشَّعْبِيُّ وَالسَّيِّدِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ ، وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ
 سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي حَمْزَةَ يَحْدُثُ أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
 لَهُ وَأَنْصِتُوا) قَالَ فِي الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَكَذَا رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ مِثْلَهُ ، وَقَالَ هُشَيْمٌ
 عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ فِي الصَّلَاةِ وَعِنْدَ الذِّكْرِ ، وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ بَقِيَّةٍ سَمِعَتْ ثَابِتَ
 ابْنَ عَجْلَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)
 قَالَ الْإِنْصَاتُ يَوْمَ الْإِضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ وَفِيهَا يُجْهَرُ بِهِ الْإِمَامُ مِنَ الصَّلَاةِ وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ
 جُرَيْجٍ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْصَاتُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي الْخُطْبَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْإِحَادِيثِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْإِنْصَاتِ
 خَلْفَ الْإِمَامِ وَحَالِ الْخُطْبَةِ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَرِهَ إِذَا مَرَّ
 الْإِمَامُ بِآيَةِ خَوْفٍ أَوْ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ مِنْ خَلْفِهِ شَيْئًا قَالَ السَّكُوتُ ، وَقَالَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنْ
 الْحَسَنِ إِذَا جَلَسْتَ إِلَى الْقُرْآنِ فَانصت له وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم
 حدثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من استمع
 إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » تفرد به
 الإمام أحمد رحمه الله تعالى

وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه بالقراءة ولا يقرأ إذا جهر ، روي ذلك عن ابن عمر وهو
 قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد ، وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق ، وذهب
 قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر يروي ذلك عن جابر ، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي
 ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية ومن أوجبها قال الآية في غير الفاتحة ،
 وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولا ينافع الإمام في القراءة والدليل عليه ما أخبرنا أبو عثمان سعيد
 ابن إسماعيل الضبي ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي
 ثنا هناد ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت
 قال : صلى النبي ﷺ الصبح فتعلت عليه القراءة فلما انصرف قال « اني أراكم تقرؤن وراء إمامكم »
 قال قلنا يا رسول الله أي والله ، قال « لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لأصلاة لمن لم يقرأ بها »

وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْجُدُونَ لَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيراً كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء وهذه الآية مكية ، وقال ههنا بالغدو وهو أول النهار والآصال جمع أصيل كما أن الإيمان جمع يمين ، وأما قوله (تضرعاً وخيفة) أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لاجراً ولهذا قال (ودون الجهر من القول) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداءً وجهرًا بليغاً ، ولهذا لما سألو رسول الله ﷺ فقالوا : أقرب ربنا فتنأجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عز وجل (وإذا سألك عبادي غني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الاسفار فقال لهم النبي ﷺ « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به ، فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعون ، وليتخذ سبيلاً بين الجهر والاسرار ، وكذا قال في هذه الآية السكرية (ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقد زعم ابن جرير وقوله عبس الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة وهذا بعيد منافي للانصات للأمور به ، ثم إن المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الانصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرًا أو جهرًا

قوله تعالى ﴿ وإذكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة في الصلاة يريد يقرأ سرًا في نفسه ﴿ تضرعاً وخيفة ﴾ خوفاً أي تتضرع إليّ وتخاف مني هذا في صلاة السر ، وقوله ﴿ ودون الجهر من القول ﴾ أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهرًا شديدًا ، بل في خفض وسكون تسمع من خلفك ، وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكره في الصدور ، وبالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء ﴿ بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ أي بالبكر والعشيات وواحد الآصال أصيل مثل يمين وإيمان وهو ما بين العصر والمغرب

فهذا الذي قاله لم يتابعا عليه ، بل المراد الخض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الآية ، وإنما ذكرهم بهذا ليقترن بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الاول فالاول ويتراصون في الصف » وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالاجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ « أنه عدها في سجديات القرآن »

آخر تفسير سورة الاعراف
ولله الحمد والمنة

تم الجزء الثالث من تفسير الحافظ ابن كثير

قوله تعالى ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة المقرين بالفضل والكرامة ﴿ لا يستكبرون ﴾ لا يتكبرون ﴿ عن عبادته ﴾ ويسبحونه ﴿ وينزهونه ﴾ ويذكرونه فيقولون سبحان الله ﴿ وله يسجدون ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنانا أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطومى ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار »

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا الأوزاعي عن الوليد بن هشام عن معدان قال سألت ثوبان مولى رسول الله ﷺ قلت حدثني حديثاً ينفعني الله به قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة »

تم الجزء الثالث من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل

وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار في مصر في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ
ويليهما الجزء الرابع ان شاء الله تعالى وأوله سورة الانفال